



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغات



اشرافيية
عليه السلام

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir

علوم القبرين

من خلائك

معارف التقيين

المؤلف

مؤلف الشيخ إبراهيم حقي

تأليفه في القرن الثاني عشر

في سنة 1200 هـ

الطبعة الأولى

مؤسسة الرسالة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

علوم القرآن من خلال مقدمات التفاسير

كاتب:

محمد صفاء شيخ ابراهيم حقي

نشرت في الطباعة:

مركز الرسالة

رقمي الناشر:

مركز القائمة باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

5	الفهرس
16	علوم القرآن من خلال مقدمات التفاسير المجلد 1
16	هوية الكتاب
16	اشارة
20	المقدمة
20	اشارة
27	منهجي في البحث:
28	هذا وبتلخص منهجي في النقاط الآتية:
31	أهمية مقدمات التفاسير:
34	التمهيد:
34	اشارة
34	أ- تعريف المقدمة:
37	ب- نشأة مقدمات التفاسير:
40	الباب الأول: علوم القرآن دراسة تاريخية
40	اشارة
41	الفصل الأول تعريف عام بعلوم القرآن و نشأته
41	اشارة
42	المبحث الأول علوم القرآن بالمعنى اللغوي
58	المبحث الثاني علوم القرآن بالمعنى الاصطلاحي
58	اشارة
64	دخول علم التفسير في الاصطلاح:
71	المبحث الثالث نشأة علوم القرآن
71	تقديم:
72	أ- الكتابة في الجزيرة العربية قبل البعثة:
76	ب- الكتابة في الإسلام:
92	ج- ما الذي كتبه الصحابة:
92	اشارة
92	(1) الوحي:
93	(2) حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم:

104 (3) تفسير القرآن الكريم وما يتعلق به:
105 (4) الرسائل والعقود والوثائق:
126 الكتابة والتدوين والتصنيف:
130 وخلاصة القول:
130 ظهور مصطلح علوم القرآن:
142 الفرق بين استعمال المتقدمين واستعمال المتأخرين:
147 أول من صنف في علوم القرآن:
147 اشارة
148 أولاً- أولى المصنفات الموضوعية:
148 اشارة
148 1- الناسخ والمنسوخ:
150 2- المصاحف والقراءات القرآنية وعد الآي:
154 3- إعراب القرآن:
155 4- غريب القرآن:
157 5- مجاز القرآن:
158 6- نزول القرآن:
158 7- معاني القرآن:
159 8- المحكم والمتشابه:
159 تانيا: أولى التفاسير التي لها مقدمات:
161 ثالثا: أولى الموسوعات في علوم القرآن:
180 الفصل الثاني التأليف في علوم القرآن
180 اشارة
182 تمهيد:
183 المرحلة الأولى: من القرن الأول إلى نهاية القرن الرابع الهجري:
183 اشارة
185 أولاً: المصنفات الموضوعية:
185 أ- علم التفسير:
188 ب- علم معاني القرآن:
190 ج- علم إعراب القرآن:
192 د- علم غريب القرآن:

195	ه- علم النسخ و المنسوخ:
202	و- علم المحكم و المتشابه:
203	ز- علم فضائل القرآن و القراءات القرآنية و عد الآي:
211	ثانيا: المؤلفات الموسوعية:
211	ثالثا: مقدمات التفاسير:
212	المرحلة الثانية: من نهاية القرن الرابع إلى بداية القرن العاشر:
212	اشارة
214	أولا: المؤلفات الموسوعية:
218	ثانيا: مقدمات التفاسير:
220	ثالثا: المؤلفات الموضوعية:
220	أ- أسباب النزول:
221	ب- إعجاز القرآن:
224	ج- إعراب القرآن:
228	د- أمثال القرآن:
229	ه- غريب القرآن:
230	و- القراءات القرآنية:
232	ز- مبهمت القرآن:
233	ح- المحكم و المتشابه:
236	ط- مناسبات القرآن:
238	ي- النسخ و المنسوخ:
243	ك- الوجوه و الأشباه و النظائر:
246	المرحلة الثالثة: من بداية القرن العاشر إلى العصر الحديث:
246	اشارة
252	أولا: المؤلفات الموسوعية:
252	اشارة
253	و من أهم المؤلفات الموسوعية التي ظهرت في هذه المرحلة:
256	ثانيا: المؤلفات الموضوعية:
256	اشارة
261	أما الرسائل الجامعية التي لم تطبع فيما أعلم فهي كثيرة، أذكر منها بعض العناوين المسجلة في جامعات المملكة:
266	الباب الثاني: مقدمات التفاسير

266	اشارة
267	1- تفسير القرآن العزيز لعبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعاني المتوفى سنة (211 هـ)
267	أولاً: التعريف بالمؤلف:
267	اشارة
268	شيوخه وتلاميذه:
270	مؤلفاته:
270	وفاته:
270	ثانياً: التعريف بالتفسير والمقدمة:
273	ثالثاً: عرض موضوعات المقدمة:
274	رابعاً: منهج عبد الرزاق في مقدمته:
275	2- جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ت (310 هـ)
275	أولاً: التعريف بالمؤلف:
275	اشارة
279	تهمة و تحقيق:
281	شيوخه وتلاميذه:
282	مصنفاته:
284	وفاته:
286	ثانياً: التعريف بالتفسير والمقدمة:
292	ثالثاً: عرض موضوعات المقدمة:
292	اشارة
293	1) القول في البيان عن اتفاق معاني آي القرآن، ومعاني منطلق من نزل بلسانه القرآن من وجه البيان، و الدلالة على أن ذلك من الله تعالى ذكره هو الحكمة البالغة مع الإبانة عن فضل المعنى الذي به باين القرآن سائر الكلام.
294	2) القول في البيان عن الأحرف التي اتفقت فيها ألفاظ العرب وألفاظ غيرها من بعض أجناس الأمم.
296	3) القول في اللغة التي نزل بها القرآن من لغات العرب:
298	4) معنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «أنزل القرآن» من «سبعة أبواب الجنة» وذكر الأخبار الواردة في ذلك:
300	5- القول في الوجوه التي من قبلها يوصل إلى معرفة تأويل القرآن:
301	6- ذكر بعض الأخبار التي رويت بالنهي عن القول في تأويل القرآن بالرأي:
301	7- ذكر الأخبار التي رويت في الحض على العلم بتفسير القرآن و من كان يفسره من الصحابة:
303	8- ذكر الأخبار التي غلط في تأويلها منكر و القول في القرآن:
303	9- ذكر الأخبار عن بعض السلف فيمن كان من قدماء المفسرين محمودا علمه بالتفسير، و من كان منهم مذموما علمه به:
305	10- القول في تأويل أسماء القرآن وسوره وآية:

305 رابعاً- منهج ابن جرير في مقدمته:
310 خامساً: مصادر المؤلف:
310 سادساً: أهم مزايا مقدمة ابن جرير:
311 سابعاً: أظهر المآخذ على المقدمة:
312 3- تفسير القرآن العظيم لأبي الليث نصر بن محمد السمرقندي المتوفى سنة (373 هـ)
312 أولاً: التعريف بالمؤلف:
312 إشارة
316 وفاته:
316 ثانياً: التعريف بالتفسير والمقدمة:
320 ثالثاً: عرض موضوعات المقدمة:
322 4- النكت والعيون في تأويل القرآن الكريم لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري المتوفى سنة (450 هـ)
322 أولاً: التعريف بالمؤلف:
322 إشارة
326 شيوخه وتلاميذه:
327 فمن تلامذته:
328 مؤلفاته:
328 وفاته:
329 ثانياً: التعريف بالتفسير والمقدمة:
329 إشارة
331 وعلى العموم يستطيع المرء أن يلخص القول في هذا التفسير ويقول:
334 ثالثاً: عرض موضوعات المقدمة:
340 رابعاً: منهج الماوردي في مقدمته:
342 خامساً: مدى التزام المصنف في تفسيره بما ذكره في مقدمته:
343 سادساً: مصادر الماوردي في مقدمته:
344 سابعاً: أهم مزايا مقدمة الماوردي:
344 إشارة
344 وقد امتازت المقدمة بميزات أظهرها:
345 ثامناً: أهم المآخذ على المقدمة:
346 5- الوسيط في تفسير القرآن المجيد (1) لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي المتوفى سنة (468 هـ)
346 أولاً: التعريف بالمؤلف:

346	اشارة -
347	شيوخه:
349	تلاميذه:
351	ثانيا: التعريف بالتفسير والمقدمة:
352	ثالثا: عرض موضوعات المقدمة:
352	اشارة
353	وقد طبعت المقدمة مع التفسير طبعتان:
354	رابعا: منهج الواحدي في تفسيره:
354	خامسا: بيان مدى التزام المصنف في تفسيره بما ذكره في مقدمته:
354	سادسا: مصادره:
355	سابعا: أهم الميزات وأظهر المآخذ:
356	6- معالم التنزيل لمحبي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي المتوفي سنة (516 هـ).
356	أولا: التعريف بالمؤلف:
356	اشارة
358	عقيدته:
360	شيوخه وتلاميذه:
361	مؤلفاته:
362	وفاته:
363	ثانيا: التعريف بالتفسير والمقدمة:
368	ثالثا- عرض موضوعات المقدمة:
368	اشارة
369	الفصل الأول: فصل في فضائل القرآن وتعليمه:
369	الفصل الثاني: فصل في فضائل تلاوة القرآن:
370	الفصل الثالث: فصل في وعيد من قال في القرآن برأيه من غير علم:
370	رابعا- منهج البغوي في مقدمته:
371	خامسا- بيان مدى التزام البغوي في تفسيره بما ذكره في مقدمته:
373	سادسا- مصادر البغوي في مقدمته:
373	سابعا- مزايا المقدمة والمآخذ عليها:
375	7- المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز (1) لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي المتوفي سنة (546) هـ
375	أولا: التعريف بالمؤلف:

375	اشارة
378	مكانته العلمية:
380	شيوخه و تلاميذه:
381	أما تلاميذه:
382	مؤلفاته:
383	وفاته:
384	ثانيا: التعريف بالتفسير والمقدمة:
392	ثالثا: عرض موضوعات المقدمة:
392	اشارة
393	الباب الأول: ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة ونبهاء العلماء- رضي الله عنهم- في فضل القرآن المجيد وصوره الاعتصام به
393	الباب الثاني: في فضل تفسير القرآن، والكلام على لغته، والنظر في إعرابه و دقائق معانيه ..
394	الباب الثالث: ما قيل في الكلام في تفسير القرآن، والجرأة عليه، ومراتب المفسرين ..
395	الباب الرابع: معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم: «القرآن أنزل على سبعة أحرف، فافرقوا ما تيسر منه»
397	الباب الخامس: ذكر جمع القرآن، وشكله، ونقطه، وتحزيبه، وتعشيره ..
399	الباب السادس: في ذكر الألفاظ التي في كتاب الله ولغات العجم بها تعلق ..
399	الباب السابع نبذة مما قال العلماء في إعجاز القرآن ..
400	الباب الثامن في الألفاظ التي يقتضي الإيجاز استعمالها في تفسير كتاب الله تعالى
401	الباب التاسع في تفسير أسماء القرآن، وذكر السورة والآية ..
401	رابعاً: منهج ابن عطية في مقدمته: ..
401	اشارة
402	ويتلخص منهج المصنف في مقدمته في الآتي: ..
403	خامساً: بيان مدى التزام المصنف في تفسيره بما ذكره في مقدمته: ..
405	سادساً: مصادر المؤلف في مقدمته: ..
405	اشارة
405	ومن أهم مصادر ابن عطية: ..
407	سابعاً- أهم مزاي المقدمة: ..
407	ثامناً- أظهر المآخذ على المقدمة: ..
408	8- زاد المسير في علم التفسير لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي المعروف بابن الجوزي المتوفى سنة (597 هـ).
408	أولاً: التعريف بالمؤلف: ..
408	اشارة

- 411 شيوخه وتلاميذه: -
- 413 مؤلفاته:
- 414 وفاته:
- 415 ثانيا: التعريف بالتفسير والمقدمة:
- 417 ثالثا: عرض موضوعات المقدمة:
- 419 رابعا: منهج ابن الجوزي في مقدمته:
- 419 خامسا: بيان مدى التزام المصنف في تفسيره بما ذكره في مقدمته:
- 420 سادسا: مصادر في المقدمة:
- 421 سابعا: أهم المميزات وأظهر المآخذ:
- 423 9- الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنته من السنة وآي الفرقان لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الخزرجي الأندلسي القرطبي المتوفى سنة 671 هـ
- 423 أولا: التعريف بالمؤلف:
- 423 اشارة
- 424 شيوخه وتلاميذه:
- 427 تصانيفه ومؤلفاته:
- 427 ومن مؤلفاته:
- 428 وفاته:
- 429 ثانيا: التعريف بالتفسير والمقدمة:
- 433 ثالثا: عرض موضوعات المقدمة:
- 433 اشارة
- 433 باب: ذكر جمل من فضائل القرآن، والترغيب فيه، وفضل طالبه، وقارنه ومستمعه والعمل به:
- 434 باب: كيفية التلاوة لكتاب الله تعالى، وما يكره منها وما يحرم، واختلاف الناس في ذلك:
- 438 باب: تحذير أهل القرآن من الرياء وغيره:
- 439 باب: ما ينبغي لصاحب القرآن أن يأخذ نفسه به، ولا يغفل عنه:
- 440 باب: ما جاء في إعراب القرآن وتعليمه والحث عليه، وثواب من قرأ القرآن معربا:
- 441 باب: ما جاء في فضل تفسير القرآن وأهله:
- 441 باب: ما جاء في حامل القرآن، ومن هو، وفيمن عاده:
- 442 باب: ما يلزم قارئ القرآن وحامله من تعظيم القرآن وحرمة:
- 442 اشارة
- 442 وقد شمل هذا الباب ثلاثة أمور:
- 442 الأول: الآداب المطلوبة قبل البدء في التلاوة،

- 443 الثاني: ما يستحب أثناء التلاوة، وما يكره،
- 443 الثالث: آداب عامة لتعظيم القرآن،
- 443 باب: ما جاء من الوعيد في تفسير القرآن بالرأي، والحجأة على ذلك، ومراتب المفسرين:
- 443 اشارة.....
- 445 هل كل من ملك هذه الشروط، جاز له أن يفسر كتاب الله ويقول فيه برأيه؟
- 445 باب: تبيين الكتاب بالسنة، وما جاء فيه:
- 445 اشارة.....
- 446 وصرح المصنف أن بيان السنة لكتاب الله كان على ضربين:
- 447 باب: بيان كيفية التعلم والفقهاء لكتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وما جاء أنه سهل على من تقدم العمل به دون حفظه:
- 447 باب: معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم: «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فافقهوا ما تيسر منه»:
- 449 باب: ذكر جمع القرآن، وسبب كتب عثمان المصاحف وإحراقه ما سواها، وذكر من حفظ القرآن من الصحابة رضي الله عنهم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم:
- 452 باب: ما جاء في ترتيب سور القرآن، وآياته، وشكله، ونقطه، وتحزيبه، وتشبيبه، وعدد حروفه، وأجزائه، وكلماته، وآية:
- 453 باب: ذكر معنى السورة، والآية، والكلمة، والحرف:
- 453 باب: هل ورد في القرآن كلمة خارجة عن لغات العرب أو لا؟
- 454 باب: ذكر نكت من إعجاز القرآن، وشرائط المعجزة وحقيقتها:
- 456 باب: التبيه على أحاديث وضعت في فضل سور القرآن وغيره:
- 457 باب: ما جاء من الحججة في الرد على من طعن في القرآن، وخالف مصحف عثمان بالزيادة والنقصان:
- 460 رابعاً: منهج القرطبي في مقدمته:
- 460 اشارة.....
- 460 وللقرطبي في إضافة الأقوال إلى قائلها طريقتان:
- 465 خامساً: بيان مدى التزام المصنف في تفسيره بما ذكره في مقدمته:
- 467 سادساً: مصادر المؤلف في مقدمته:
- 471 سابعاً: أهم مزايا مقدمة القرطبي:
- 471 اشارة.....
- 472 أظهر المآخذ:
- 473 10- تسهيل السبيل لعلوم التنزيل لمحمد بن أحمد بن محمد بن جزي الكلبلي ت (741 هـ)
- 473 أولاً: التعريف بالمؤلف:
- 473 اشارة.....
- 474 مكانته العلمية:
- 475 شيوخه وتلامذته:

477	مؤلفاته:
478	و من مؤلفات المصنف:
479	وفاته:
480	ثانيا: التعريف بالتفسير والمقدمة:
484	ثالثا: عرض موضوعات المقدمة:
484	اشارة
485	المقدمة الأولى: وفيها اثنا عشر بابا.
485	اشارة
485	الباب الأول: نزول القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم:
486	الباب الثاني: في السورة المكية والمدنية:
487	الباب الثالث: في المعاني والعلوم التي تضمنت القرآن:
488	الباب الرابع: في فنون العلم التي تتعلق بالقرآن:
491	الباب الخامس: في أسباب الخلاف بين المفسرين، والوجوه التي يرجح بها أقوالهم
491	الباب السادس: في ذكر المفسرين
492	الباب السابع: في النسخ والمسخ:
492	الباب الثامن: في جوامع القراءة:
492	الباب التاسع: في الوقف:
493	الباب العاشر: في الفصاحة والبلاغة وأدوات البيان:
493	الباب الحادي عشر: في إعجاز القرآن وإقامة الدليل على أنه من عند الله عز وجل:
494	الباب الثاني عشر: في فضل القرآن:
494	المقدمة الثانية: في تفسير معاني اللغات
495	رابعا: منهج ابن جزى في مقدمته:
498	خامسا: بيان مدى التزام المصنف في تفسيره بما ذكره في مقدمته:
499	سادسا: مصادر المصنف في مقدمته:
500	سابعا: أهم مزايا المقدمة:
501	ثامنا: أظهر المآخذ:
503	11- لباب التأويل في معاني التنزيل لأبي حسن علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيعي البغدادي المعروف بالخازن المتوفى سنة 741 هـ
503	أولا: التعريف بالمؤلف:
503	اشارة
504	شيوخه وتلاميذه:

506 مؤلفاته:
506 و من مؤلفات الخازن:
507 وفاته:
507 ثانيا: التعريف بالتفسير والمقدمة:
514 ثالثا: عرض موضوعات المقدمة:
514 اشارة
515 الفصل الأول: في فضل القرآن وتلاوته وتعليمه:
515 الفصل الثاني: في وعيد من قال في القرآن برأيه من غير علم، ووعيد من أوفى القرآن فسيه ولم يتعاهده:
517 الفصل الثالث: في جمع القرآن، وترتيب النزول، وفي كونه نزل على سبعة أحرف:
520 رابعا: منهج الخازن في مقدمته:
524 خامسا: بيان مدى التزام المصنف في تفسيره بما ذكره في مقدمته:
525 سادسا: مصادر المؤلف في مقدمته:
525 اشارة
526 و من أهم مصادر الخازن في مقدمته:
527 سابعا: أهم مزايا مقدمة الخازن:
527 ثامنا: أظهر المآخذ:
530 المحتويات
551 تعريف مركز

علوم القرآن من خلال مقدمات التفاسير المجلد 1

هوية الكتاب

اسم الكتاب: علوم القرآن من خلال مقدمات التفاسير

كاتب: محمد صفاء شيخ ابراهيم حقى

موضوع: علوم قرآنى

تاريخ وفاة المؤلف: معاصر

لسان: العربية

عدد المجلدات: 2

الناشر: مؤسسة الرسالة

مكان النشر: بيروت

سنة الطباعة: 2004 / 1425

نشرت: اول

ص: 1

اشارة

حقوق الطبع محفوظة الطبعة الأولى 1425هـ - 2004م

وطى المصيطبة - شارع حبيب أبي شهلا - بناية المسكن، بيروت-لبنان تليفاكس: 319039 - 815112 فاكس: 603243 ص.ب :
117460

Al-Resalah

PUBLISHERS

BEIRUT/LEBANON-Telefax:815112-319039 Fax:603243-P.O.Box:117460

Email:Resalah@Cyberia.net.lb

ص: 3

اهداء

□

ص: 4

بسم الله الرحمن الرحيم إن الحمد لله نحمده و نستعينه و نستغفره و نستهديه، و نعوذ بالله من شرور أنفسنا و سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، و من يضلل فلا هادي له، و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أشهد أن محمدا عبده و رسوله و صفوته من خلقه. و بعد:

فإن علوم القرآن من أشرف العلوم و أجلّها، و أفضلها على الإطلاق و أنفعها، لكون موضوعها كتاب الله، و لكون غايتها الاعتصام بكلام الله، و لهذا الأمر اهتم الصحابة و التابعون، و من جاء بعدهم، و سار على هديهم بهذا العلم، فأقبلوا على كتاب الله مفسرين ألفاظه، موضحين معانيه، كاشفين عن علومه و حقائقه، مظهرين إعجازه و بيانه، مجلّين محاسنه إلى غير ذلك من أنواع الاهتمام التي أطلقوا عليها متأخرا مصطلح «علوم القرآن».

وقد تفاوتت اهتمامات العلماء بهذه العلوم، فمنهم من فسر القرآن كله، و منهم من اقتصر على تفسير سور أو آيات منه، و منهم من صرف

اهتمامه إلى جانب من جوانبه، فتناوله بالبحث والتحقيق والتدقيق، حتى أصبحت هذه العلوم خير عون للباحثين من أهل القرآن الذين يريدون الغوص في بحره الزاخر، واستخلاص شيء من الدرر والجواهر.

ولما كان موضوع رسالتي في مرحلة الماجستير بعنوان (الزيادة والإحسان في علوم القرآن لابن عقيلة المكي، من بداية الكتاب إلى نهاية النوع الخامس والأربعين دراسة وتحقيقاً). وكان من فضل الله عليّ أن هيا لي سبل التسجيل في مرحلة الدكتوراه، رأيت أن أتابع المشوار الذي بدأت، و آثرت أن يكون موضوع رسالة الدكتوراه أيضاً في هذا الفن، أقصد علوم القرآن، ولذا يمت شطر خزائن المكتبات المخطوط منها و المطبوع أبحث في كتب علوم القرآن، لعلي أحظى بموضوع لم ينل حظه من البحث و الدراسة فوجدت أن علماءنا قد تركوا لنا تراثاً علمياً ضخماً، فلا تكاد تجد موضوعاً من موضوعات علوم القرآن إلا وقد بحث و كتب فيه على تفاوت في الذي كتب، فعدت أدراجي إلى ما كان يدور في خلدي أيام الماجستير من أهمية دراسة علوم القرآن دراسة تاريخية موضوعية، و استقر العزم على وضع مخطّط تفصيلي لذلك، فأنشأت مخطّطاً للموضوع من أربعة أبواب، كان الأخير منها بعنوان: علوم القرآن من خلال مقدمات التفاسير.

و كعادة الطلبة و الباحثين عرضت المخطّط قبل تقديمه إلى القسم المختص على نخبة من أساتذتي و أشياخي الأفاضل من الذين أعلم عنهم الاهتمام و الجدية، و المنهجية العلمية، فكانوا بين مشجع عليه، لأهمية

الموضوع، ورافض له ظان أن الموضوع مطروق، حتى عرضته على أستاذي الفاضلين، فضيلة الأستاذ الدكتور محمد بن عبد الرحمن الشائع، وفضيلة الأستاذ الدكتور علي بن سليمان العبيد- يحفظهما الله- وكنت على علم بعظيم اهتمامهما بالمخططات و الموضوعات، فاختلف رأيهما مع من عرضت عليهم، إذ لم يشجعا و لم يرفضا، بل لفتنا انتباهي إلى زاوية منه، وأشارا إلى الاكتفاء بمقدمات التفاسير، و محاولة وضع مخطط لذلك.

وقد ترددت بادئ الأمر فالموضوع حسب اعتقادي قاصر لا يكون لمرحلة الماجستير، فكيف أتقدم به للدكتورة، ثم إنني قد وضعت بابا من ضمن أربعة أبواب للموضوع المقترح! غير أنني حملت الفكرة باهتمام، و أوليتها العناية، و ما هي إلا- أيام من التفكير الجاد، و البحث المستمر بين صفحات مقدمات التفاسير، حتى فتح الله قلبي للموضوع، و توجه العزم إلى وضع مخطط مبدئي له، و استخرت الله و ما خاب من استخار، و راجعت أهل المشورة من أساتذتي، و ما ندم من استشار، فوجدتهم بين مرحب بالموضوع مشجع، و مثبت للهمة غير مقتنع بانصرافي إلى هذه الجزئية و ترك موضوعات أخرى هي أحوج إلى البحث و التحقيق.

و هكذا عشت فترة من الوقت بين تشجيع أولئك و تثبيط هؤلاء، أقدم رجلا و أؤخر أخرى حتى وجدتي و بتعاون من أستاذي الكريمين قد وضعت مخططا من ثلاثة أبواب رئيسة، و مقدمة و تمهيد و خاتمة، أحسبه محكما، جمعت فيه بين تاريخ علوم القرآن و نشأته، و هو ما توخيته من

الموضوع الأول، و بين مقدمات التفاسير و هو الباب الرابع من المخطط السابق، و تقدمت إليهما بالمخطط بعد أن سميته: (علوم القرآن من خلال مقدمات التفاسير) فشحجعا العمل و باركاه، و أيداه المخطط و اعتمده، و أوصياني بتقديمه إلى مجلس القسم، فكانت الموافقة بفضل الله.

و لما رفع المخطط إلى مجلس الكلية للتصديق عليه و اعتماده، تهيبت الأمر في البداية، خاصة كلما تذكرت تلك المجلدات العظام التي ألزمت نفسي بدراستها و تحليل محتوي مقدماتها، فقد بلغ عدد التفاسير المرشحة للدراسة نحو من ثلاثين تفسيراً بين مخطوط و مطبوع، و قديم و محدث، هن أمهات كتب التفسير، إلى أن جاءت الموافقة فكانت يردها و سلاماً، فقد رأى الشيخ الأفاضل في مجلس الكلية صعوبة الموضوع و سعته، فكان التعديل بالاكْتفاء بالقرون الثمانية الأول، مع عدم تعيين التفاسير التي كنت قد عينتها، و الاكتفاء بالمطبوعة منها، فصار المخطط بعد إدخال التعديلات المطلوبة بعنوان: (علوم القرآن من خلال مقدمات التفاسير من نشأتها إلى نهاية القرن الثامن الهجري)، و هذا تفصيله:

يتكون البحث من مقدمة و تمهيد و ثلاثة أبواب و خاتمة و فهرس.

المقدمة: بيان أهمية الموضوع، و أسباب اختياره و خطة البحث.

التمهيد: أهمية مقدمات التفاسير، و التعريف بها و نشأتها.

الباب الأول: علوم القرآن دراسة تاريخية: الفصل الأول: تعريف عام بعلوم القرآن و نشأته.

1- علوم القرآن بالمعنى اللغوي.

2- علوم القرآن بالمعنى الاصطلاحي.

3- نشأة علوم القرآن.

الفصل الثاني: التأليف في علوم القرآن:

1- المرحلة الأولى: من القرن الأول إلى نهاية القرن الرابع الهجري.

2- المرحلة الثانية: من نهاية القرن الرابع إلى بداية القرن العاشر الهجري.

3- المرحلة الثالثة: من بداية القرن العاشر إلى العصر الحالي.

الباب الثاني: مقدمات التفاسير: تناولت في هذا الباب جميع التفاسير المطبوعة التي لها مقدمات من بداية التفسير إلى نهاية القرن الثامن الهجري.

و جعلت كل كتاب في مبحث مستقل، و تناولت فيه النقاط التالية:

1- التعريف بالتفسير و المقدمة و المؤلف.

ص: 9

2- عرض موضوعات المقدمة.

3- منهج المؤلف في مقدمته.

4- مصادر المؤلف في مقدمته.

5- مدى التزام المؤلف في تفسيره بما ذكره في مقدمته.

6- أهم مزايا المقدمة.

7- أظهر المآخذ عليها.

الباب الثالث: الموضوعات التي تناولتها مقدمات التفاسير: الموضوع الأول: نزول القرآن.

الموضوع الثاني: جمع القرآن و ترتيبه.

الموضوع الثالث: رسم المصحف و نقطه و شكله و وضع الأخماس و الأعشار.

الموضوع الرابع: سور القرآن و آياته و كلماته و حروفه.

الموضوع الخامس: أسماء القرآن و أسماء سوره.

الموضوع السادس: فضائل القرآن و خواصه و آداب تلاوته.

الموضوع السابع: المكي و المدني.

ص: 10

الموضوع الثامن: التفسير و التأويل.

الموضوع التاسع: بيان شرف التفسير و الحاجة إليه.

الموضوع العاشر: أوجه التفسير و طرقه و أنواعه.

الموضوع الحادي عشر: العلوم التي يحتاجها المفسر.

الموضوع الثاني عشر: مراتب المفسرين.

الموضوع الثالث عشر: الاختلاف بين المفسرين و قواعد الترجيح.

الموضوع الرابع عشر: الأحرف السبعة التي أنزل عليها القرآن.

الموضوع الخامس عشر: الظهر و البطن و الحد و المطلع.

الموضوع السادس عشر: ما وقع في القرآن بغير لغة العرب.

الموضوع السابع عشر: الوقف و الابتداء.

الموضوع الثامن عشر: إعجاز القرآن.

و تناولت هذه الموضوعات من خلال المقدمات، و ذلك بدراستها دراسة موضوعية مقارنة.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج.

الفهارس: فهارس شاملة للآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، وآثار الصحابة، والأعلام، والأشعار، والأماكن والبلدان، والفرق و القبائل، والمراجع، والموضوعات.

منهجي في البحث:

أما المنهج الذي سرت عليه في تدوين هذه الرسالة، فلم أت ببدعة في شيء منه، بل اخترت من مناهج الكتابة ما يتفق وطبيعة الموضوع بإشراف وتوجيه من شقيقي المشرف ومباركة منه، وقد كان يحفظه الله كثيرا ما يلجم قلمي فلا يتركه ينطق بكثير من الاستطرادات التي يلتجئ إليها مثلي، إذ الكتابة العلمية الدقيقة تستلزم خلفية علمية قوية، وهو أمر أحسبه للشيخ، وأدرك أن ما يوجه إليه فضيلته حق لا مرأى فيه، ولكن ما حيلتي والبضاعة مزجاة، مهما يكن فقد استطاع الشيخ تسييس تلميذه الجموح، فجاء المنهج الذي رسمته تحت أنظار الشيخ وتوجيهاته، منهجا معتدلا، ليس بالطويل الممل ولا القصير المخل، اتكأت في الصياغة على أهل الأدب، فقد كنت أسعى بين الفينة والفينة إلى مطالعة كتاب لأديب من الأدباء، أو كاتب اشتهر قلمه، ومع ذلك لا أنكر بأنني كررت نفسي في كثير من المواطن، وخاصة في الباب الثاني من الرسالة، وهو أمر لم أجد عنه بدا، فالبضاعة كما ذكرت مزجاة.

ص: 12

هذا و يتلخص منهجي في النقاط الآتية:

- 1) التوسط و الاعتدال في النقول، و توثيق النصوص من مصادرها الأصلية قدر الإمكان، و في توثيق النصوص أذكر اسم الكتاب و المؤلف و رقم المجلد و الصفحة، فإن اعتمدت أكثر من طبعة ذكرت الطبعة في حينه بقولي: طبعة فلان، بذكر اسم المحقق أو الجهة التي طبعت الكتاب.
- 2) وضع عناوين جانبية لرؤوس الموضوعات الجزئية و المسائل ضمن الموضوع الواحد.
- 3) نسبة الأقوال إلى قائلها، و ذلك إما بالتصريح باسم القائل في المتن، أو الاكتفاء بالإحالة إلى كتاب من كتبه.
- 4) ترقيم الآيات القرآنية، و عزوها إلى سورها ضمن المتن و ذلك بوضعه ضمن معقوفتين.
- 5) تخريج الأحاديث و الآثار من مظانها، و عزو الأخبار التاريخية إلى مصادرها.
- 6) شرح غريب الحديث و اللغة معتمدا على المصادر الأصلية في ذلك.
- 7) عرّفت بالأعلام الواردة أسماؤهم في صلب الرسالة في الغالب، عدا المعاصرين منهم فلم أترجم لهم.

8) أحلت القارئ إلى مواضع الأمثلة في كل ما ذكرته في الباب الثاني من منهج المؤلف أو مدى التزامه بما ذكره، دون سرد الأمثلة و ذلك خشية الإطالة و اكتفاء بما سيرد في الباب الثالث.

9) في الباب الثالث جمعت أقوال أصحاب المقدمات في مقدماتهم في مختلف الموضوعات بعباراتهم غالباً، مع التنسيق و الترتيب، و لم أسقط من كلامهم إلا المكرر و ما كان حشواً و استطراداً بعيداً، و ذكرت في بداية كل موضوع من بحثه من المفسرين مرتين حسب تواريخ وفياتهم، ليتبين تطور هذا العلم، و ليظهر السابق من اللاحق، و ليعرف من بحثه ممن تركه.

10) أعددت فهرس فنية للرسالة تساعد على كشف المضامين بسهولة و يسر.

وقد واجهتني في كتابة الموضوع صعوبات عديدة شأني في ذلك شأن أي باحث، تمكنت بفضل الله أولاً ثم بتوجيهات أستاذي المشرف فضيلة الدكتور محمد بن عبد الرحمن الشائع ثانياً، ثم بوقفات جادة و مخلصه من أخوين عزيزين كريمين هما الشيخ المهندس حمود بن صالح الجربا، و الشيخ فهد بن علي العندس ثالثاً، من التغلب عليها و الحمد لله.

هذا و الذين يشكرون على مساعدتي في إتمام هذا العمل كثيرون، لا أعجز عن ذكرهم و لكن الموقف يتطلب الاختصار، فلهم مني الدعاء بعظيم الأجر و الغفران.

ص: 14

وأجد لزاماً عليّ أن أتقدم بخالص الشكر والتقدير والامتنان لأستاذي الفاضل الدكتور محمد بن عبد الرحمن الشائع، رئيس قسم القرآن وعلومه، والمشرف على هذه الرسالة على ما بذله من جهد، وصرفه من وقت، وأبداه من حسن توجيه وإرشاد في الإشراف على هذا العمل، وعلى ما لقيته منه - يحفظه الله - من سعة صدر، وحسن تقدير، وسؤال دائم عن كل ما يمكن أن يكون حائلاً دون إنجاز العمل، فله مني الشكر والعرفان، ومن الله الأجر والمثوبة.

وأشكر ثانياً أخي وزميلي الشيخ القدير والرجل النبيل الكريم فهد بن علي العندس، الذي كان لي خير معين في غربتي، فتح لي صدره يستمع إلى همومي وغمومي، وفتح لي مكتبته فكفاني هم التنقل بين المكتبات، ويعلم الله ما احتجت لشيء وسمع به إلا ووجدته لي سنداً بعد الله، ولن أستطيع شكره مهما فعلت، فأتركه لله يجزيه على حسن تعامله بفضل منه ورحمة، ويدخله الجنان مع آل بيته، إنه تعالى سميع مجيب.

كما أشكر القائمين على جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وعلى كلية أصول الدين وقسم القرآن وعلومه، على ما بذلوه ويذلونه من الجهد خدمة للعلم وأهله.

وفي الختام إن ما كتبه جهد مقلّ يسعى ليتعلم، لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاه، وقد قيل: الكتاب كالمكلف لا يسلم من المؤاخذه، ولا يرتفع عنه القلم. فرحم الله من وقف على سهو أو خطأ فأصلحه، وما توفيقني

إلا باللّٰه، عليه توكلت و إليه أنيب، و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أهمية مقدمات التفاسير:

اهتم العلماء منذ القديم بمضامين مقدمات التفاسير، فقد ضمنوها خلاصة أفكارهم، وزبدة آرائهم حول كثير من مسائل علوم القرآن و مباحثه، و هي آراء لم تطرق بعضها للبحث و النقاش، و علوم القرآن إنما يعتنى بها، و تعطى هذه المكانة و الأهمية لأنها توصل إلى معرفة مراد الله تعالى من كلامه للعمل بمقتضاه، و لكون المفسر قد طرق هذه الأبواب، و أدلى بدلوه في بيان معاني الآيات، كان من الضروري دراسة هذه المقدمات دراسة جادة، و محاولة الغوص فيها لإبراز الدقائق العلمية في ثناياها، و من ثمّ معرفة مواقف المفسرين من مسائل علوم القرآن ليتبين مدى معرفة المفسر بالعلوم المعينة على فهم كتاب الله الفهم الصحيح، و ليتبين بالتالي مدى إصابة المفسر القول في بيان مراد الله.

و لهذه الدراسة أهمية أخرى تكمن في معرفة تطور علوم القرآن و مباحثه عند المفسرين، و ذلك لأن المفسر قد ضمّن مقدمته رأيه في بعض المسائل، فجاء اللاحق ليتابع السابق فيما قاله و أثبته، و ليستدرك عليه ما لم يقله مما هو مطلوب قوله، كما يبين تأثر المفسرين بعضهم ببعض، و غير ذلك مما يتبين منه للقارئ تطور هذه المسائل عند المفسرين.

ثم إن المقدمات هي أول المصنفات التي جمعت أكثر من موضوع من

موضوعات علوم القرآن في موضع واحد، فهي النواة الأولى للتصنيف الموسوعي في علوم القرآن، وهذا جانب هام.

ولا شك أن بحثاً يضم مثل هذه المعلومات، ويبين ما كتبه علماؤنا الأجلاء يسهل على طلبة العلم الراغبين في فهم القرآن كثيراً من الوقت والجهد، ويضع بين أيديهم بإذن الله جهداً جاداً في بيان بعض الموضوعات التي كثر الجدل حولها، وتباينت الآراء بشأنها.

ويأجيز يمكن القول: إن أهمية مقدمات التفاسير تنبع من الآتي:

(1) أنها النواة الأولى للتصنيف الموسوعي في علوم القرآن.

(2) أنها تضمنت كثيراً من الأحاديث والآثار المتعلقة بعلوم القرآن، والتي رواها المفسرون بأسانيدهم.

(3) أنها حوت أقوال وآراء المفسرين في كثير من علوم القرآن ومسائله.

(4) أنها تضمنت ردود ومناقشات المفسرين المتأخرين لآراء وأقوال أسلافهم المتقدمين، فكان في ذلك تحرير لكثير من المسائل المختلف فيها، وسمير بالقارئ في الباب الثالث- إن شاء الله- كثير من تلك المناقشات المفيدة.

(5) التسهيل والتيسير على القارئ في التفسير، حيث يجد القارئ مبتغاه وما أشكل عليه من مراد المؤلف بين يديه، فلا يلجأ إلى غيره لتوضيح ذلك.

ص: 17

6) أنها تقوي المعارف لدى القارئ لحسن الدفاع عن حمى الكتاب العزيز، دون الحاجة إلى الخوض في غمار المطولات من المصنفات.

7) أنها علامة هامة في بيان تطور علوم القرآن.

ص: 18

تعريف المقدمة، ونشأة مقدمات التفاسير:

أ- تعريف المقدمة:

المقدمة: الناصية، و ما استقبل من الجبهة و الجبين، و مقدّمة الجيش - بكسر الدال - الذين يتقدمون الجيش. (1)، قال ابن منظور: و قيل يجوز بالفتح (مقدّمة). (2)

وقال ابن فارس: القاف و الدال و الميم: أصل صحيح يدل على سبق و رعف (أي سبق و تقدم)، و منه: مقدّمة الجيش: أوّله. و منه أيضا: قيّدوم الخيل: أنف يتقدم عنه. (3) و مقدّمة كل شيء ء: أوّله. و من مقدّمة الجيش استعير لكل شيء ء، فقيل: مقدّمة الكتاب، و مقدّمة الكلام، و مقدّمة الإبل. (4)

هذا في اللغة، أما في الاصطلاح، فقد عرفها التفتازاني بقوله:

ص: 19

-
- 1- انظر: تهذيب اللغة للأزهري: 47/9- و أساس البلاغة للزمخشري: 496.
 - 2- انظر: لسان العرب لابن منظور: 34/3.
 - 3- انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس: 65/5- و مجمل اللغة له: 746/3.
 - 4- انظر لسان العرب لابن منظور: 34/3.

يقال: مقدّمة الكتاب لطائفة من كلامه قدمت أمام المقصود لارتباط له بها، و انتفاع بها فيه، سواء توقّف عليها أم لا. (1)

وفي «الكليات» لأبي البقاء: مقدمة الكتاب: ما يتوقف عليه الشرح على بصيرة. (2)

وذكر التهانوي للمقدمة- بكسر الدال المشددة وفتحها- معاني كثيرة، و من تلك المعاني: مقدمة الكتاب وعرّفها بقوله: مقدمة الكتاب:

طائفة من الألفاظ قدمت أمام المقصود لدالاتها على ما ينفع في تحصيل المقصود، سواء كان مما يتوقف المقصود عليه فيكون مقدمة العلم، أو لا، فيكون من معاني مقدمة الكتاب، من غير أن يكون مقدمة العلم. (3)

وفي هذا المعنى استعمل القلقشندي مقدمة كتابه «صبح الأعشى»، فقد تحدث فيها عن مسائل أولية، و تعريفات تمهيدية، و قال: المقدمة للكتاب كالأساس من البنيان. ثم قال: و الطريق إلى إصابة المعنى في هذه المقدمات أن تجعل مشتمة على ما بعدها من المقاصد و الأغراض. (4)

ص: 20

1- انظر: المطول على التلخيص مع شرح السيد الشريف: 13.

2- انظر: الكليات لأبي البقاء: 636.

3- انظر: كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي 1216/5.

4- انظر: صبح الأعشى للقلقشندي: 267/6.

قلت: و الذي قصده المفسرون هو تقديم طائفة من العلوم و المباحث المتعلقة بكتاب اللّٰه بين يدي الناظر في التفسير لفهمه على أتم وجه. و قد أشار إلى ذلك ابن عطية بقوله: و لنقدم بين يدي التفسير أشياء قد قدّم أكثرها المفسرون، و أشياء ينبغي أن تكون راسخة في حفظ الناظر في هذا العلم، مجتمعة لذهنه. (1)

و يقول أبو شهبه: إن بعض المفسرين في القديم و الحديث صدّورا كتبهم بمقدمات قيمة في علوم القرآن لتكون مفتاحا لهذه التفاسير. (2) و تعرض المهتمون بمناهج البحث من المعاصرين بذكر عناصر التأليف، فذكروا المقدمة و التقديم، و محتوى كل منهما من المادة العلمية، و كان الاهتمام منصبا على مقدمات الرسائل العلمية، و اقتصر هنا على إيراد نموذج من كلامهم، و أعرض عن الخوض في تفاصيل ذلك مكتفيا بالإحالة إلى بعض تلك المراجع لمن أراد الوقوف عليها.

يرى الدكتور يوسف القاضي أن المقدمة عادة ما يذكر فيها الأسباب التي دفعت للكتابة، و الطريقة التي اتبعها، و فكرة موجزة جدا عن فصول المحتوى الذي يحوي المعلومات المسهبة لتعطي القارئ فكرة عما يتكلم

ص: 21

1- انظر: تفسير ابن عطية: 12/1.

2- انظر: المدخل لدراسة القرآن الكريم لأبي شهبه: 35.

ب- نشأة مقدمات التفاسير:

يذهب المهتمون بعلوم القرآن وأصول التفسير إلى أن أقدم من صدر تفسيره بمقدمة في علوم القرآن هو شيخ المفسرين ابن جرير الطبري، ثم تلاه غيره (2)، وهو قول ربما كان من المسلّمات عند أكثر الباحثين، والصحيح أن هناك من سبق ابن جرير في هذا المنهج بقرن كامل، غير أنه لم يكن على غرار ما فعله ابن جرير من التوسع والشمولية في المعالجة، أقصد عبد الرزاق الصنعاني، المتوفى سنة (211 هـ)، فقد اكتفى المتقدم بتقديم جملة من الآثار في بعض المواضيع المتعلقة بنزول القرآن، دون أي تعقيب، ثم تبعهما آخرون توسعوا في المواضيع، واتجهوا إلى جمع الأدلة والآثار وسردها ومناقشتها، كما اهتموا بالتعقيب على أقوال أسلافهم من المفسرين المتقدمين، وانتقل هذا الاهتمام بعلم المقدمات إلى أهل المغرب وبلاد الأندلس، فاهتموا بذلك أيما اهتمام، وكان أكثر من اهتم بذلك ابن عطية،

ص: 22

-
- 1- انظر: مناهج البحوث وكتابتها ليوسف القاضي: 61. وانظر للمزيد من تعاريف المعاصرين: كتاب كيف تكتب بحثاً أو رسالة: 138- والدليل إلى كتابة البحوث الجامعية ورسائل الماجستير والدكتوراة لبيكفور وسميث: 109- ودليل الباحث: 10-.
 - 2- انظر: المدخل إلى دراسة القرآن الكريم لأبي شهبه 35- والسيوطي و جهوده في علوم القرآن لعبد الحليم الشريف.

و القرطبي و ابن جزري وغيرهم.

و هكذا إلى أن جاء السيوطي في المشرق و شرع في تدوين تفسير كبير لكتاب الله سماه (مجمع البحرين و مطلع البدرين، الجامع لتحرير الرواية و تقرير الدراية) و وضع كتابا عليّ الشأن، جليّ البرهان، كثير الفوائد و الإقتان، أسماه (الإقتان في علوم القرآن) (1) و جعله مقدمة لتفسيره السابق ذكره، و تم بذلك تدوين أوسع مقدمة لكتاب في التفسير، تلك أصل فكرته، و لكن الكتاب لسعته و عدم كمال أصله أخذ استقلاليته.

و تتابع تصدير التفاسير بمقدمات في علوم القرآن على مر العصور و الأزمان، فلا تكاد تجد تفسيراً معتبراً إلا و قد احتوى على مقدمة في هذا الشأن، حتى أصبح ما بدأه عبد الرزاق و ابن جرير سنة متبعة إلى يومنا هذا، فقد ظهرت مقدمات في غاية الإقتان و الإجادة كمقدمة «التحرير و التنوير» لابن عاشور، و مقدمة «روح المعاني» للآكوسي، و مقدمة «محاسن التأويل» لجمال الدين القاسمي، و غيرها.ا.

ص: 23

1- انظر: الإقتان للسيوطي: 16/1 تحقيق الدكتور البغا.

الباب الأول: علوم القرآن دراسة تاريخية

إشارة

وفيه فصلان:

الفصل الأول: تعريف عام بعلوم القرآن ونشأته.

الفصل الثاني: التأليف في علوم القرآن.

ص: 25

الفصل الأول تعريف عام بعلوم القرآن و نشأته

إشارة

المبحث الأول: علوم القرآن بالمعنى اللغوي.

المبحث الثاني: علوم القرآن بالمعنى الاصطلاحي.

المبحث الثالث: نشأة علوم القرآن.

ص: 26

مصطلح (علوم القرآن) مركب إضافي يتكون من جزئين هما: (علوم) و (قرآن)، ويتضح المركب ويعرف بتحليل جزئيه و معرفتهما، ف (العلوم) جمع علم- بالكسر و سكون اللام- أصل صحيح يدل على أثر بالشيء يتميز به عن غيره، و منه العلامة: السمة. و العلم: الجبل. (1) و المعلم: الأثر يستدل به على الطريق. و العلم: نقيض الجهل، و علمت الشيء أعلمه علما: عرفته و خبرته. (2)

و علم الأمر: أتقنه و عرفه حق المعرفة (3)، و في «المصباح المنير»: العلم اليقين، و علم يعلم: إذا تيقن. (4) و علم بالشيء: شعر به و أدركه. (5)

ص: 27

1- انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (علم): 4/ 109، و تهذيب اللغة للأزهري (علم): 2/ 415، و الصحاح للجوهري (علم): 15/ 1990.

2- انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (علم): 4/ 110، و تهذيب اللغة للأزهري (علم): 2/ 415، و لسان العرب لابن منظور (علم): 2/ 870 ط دار لسان العرب بيروت.

3- انظر: تاج العروس للزبيدي (علم): 8/ 405.

4- انظر: المصباح المنير للفيومي (علم): 162 ط مكتبة لبنان 1987.

5- انظر: تهذيب اللغة للأزهري (علم): 2/ 415.

و العلم: المعرفة، وقد يفرّق بينهما، فيقال: العلم هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع (1)، أو هو صفة توجب تمييزاً لا يحتمل النقيض، و هو اليقين.

وقيل: العلم هو إدراك الشيء على ما هو به.

و المعرفة: إدراك الشيء بتفكير و تدبّر لأثره.

و عليه فالعلم أخص من المعرفة.

و فرّق ثلّة من العلماء بينهما من جهة اللفظ و المعنى، فقالوا:

إن فعل المعرفة يقع على مفعول واحد، و فعل العلم يقتضي مفعولين، و إذا وقع على مفعول واحد كان بمعنى المعرفة. (2)، هذا من جهة اللفظ، أما من جهة المعنى فالفرق من وجوه أهمها:

أن المعرفة تستعمل فيما تدرك آثاره و لا تدرك ذاته، و العلم فيما يدرك ذاته، فتقول: فلان عارف باللّه. و لا تقول: فلان عالم باللّه؛ لأن معرفته ليست بمعرفة ذاته، بل بمعرفة آثاره. و تقول: اللّه يعلم كذا، و لا تقول: اللّه يعرف، لما كانت المعرفة تستعمل في العلم القاصر المتوصّل إليه بتفكير.

و المعرفة في الغالب لما غاب عن القلب بعد إدراكه، فإذا أدركه فقد

ص: 28

1- انظر: التعريفات للجرجاني: 200.

2- انظر: التعريفات للجرجاني: 200، و المصباح المنير للفيومي (علم): 162.

عرفه، بخلاف العلم، ولهذا كان ضد المعرفة: الإنكار، و ضد العلم:

الجهل. (1)

هذه بعض معاني (العلم) في كلام العرب، أما في الاصطلاح فقد تباينت أقوال أهل العلم في تعريفه و ضبطه، و تنوعت هذه التعاريف كلّ حسب مشربه و معتقده و دائرة اهتمامه، فالحكماء يريدون به: صورة الشيء الحاصلة في العقل. (2) و علماء الكلام يعرفونه فيقولون: صفة يتجلّى بها الأمر لمن قامت به. (3)

وعرفه الغزالي (4) فقال: هو اعتقاد الشيء على ما هو به عليه. (5)

و المنقول عن الأمدى (6): أن العلم عبارة عن صفة يحصل بها لنفس

ص: 29

1- انظر: الكليات لأبي البقاء: 446. و المفردات للراغب: 331.

2- انظر: الكليات لأبي البقاء: 448.

3- انظر: الكليات لأبي البقاء: 449.

4- هو محمد بن محمد بن محمد الغزالي، فيلسوف متصوف، أحد الأعلام المشهورين، برع في المذهب الشافعي، له «تهافت الفلاسفة» و غيره، توفي (505 هـ). انظر: طبقات الشافعية للسبكي: 102/4. و وفيات الأعيان لابن خلكان: 216/4.

5- انظر: إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين للزبيدي: 96/1-341، و الكليات لأبي البقاء: 446، و شرح مختصر الروضة للطوفي: 169/1.

6- هو علي بن محمد بن سالم التغلبي الأمدى، أصولي باحث، اتهم بفساد العقيدة، مصنفاة كثيرة، منها: الإحكام في أصول الأحكام، توفي (631 هـ). انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان: 293/3- و شذرات الذهب لابن عماد: 144/5.

المتصف بها التمييز بين حقائق المعاني الكلية حصولاً لا يتطرق إليه احتمال نقيض (1).

و اختصره ابن الحاجب (2) فقال: العلم صفة توجب تميّزاً لا يحتمل النقيض (3).

وهو في اصطلاح الشرع يطلق على معرفة الله تعالى وآياته وأفعاله في عباده و خلقه. قال تعالى: قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ [الزمر: 9] قال الزمخشري (4): أراد

ص: 30

1- انظر: الإحكام في أصول الأحكام للآمدي: 1/ 13- وإتحاف السادة المتقين بشرح علوم الدين للزبيدي: 1/ 97- و شرح مختصر الروضة للطوفي: 1/ 170- والقاموس الإسلامي: 5/ 458.

2- هو عثمان بن عمر بن أبي بكر الكردي الدويني، المشتهر بابن الحاجب، كان رأساً في العربية و علم النظر، له «الكافية» وغيره، توفي (646 هـ). انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان: 3/ 248- و سير أعلام النبلاء للذهبي: 23/ 264.

3- انظر: شرح مختصر الروضة للطوفي: 1/ 170.

4- هو محمود بن عمر بن محمد أبو القاسم الزمخشري، كبير المعتزلة، كان رأساً في البلاغة و العربية، له «الكشاف» وغيره، توفي (538 هـ) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 20/ 151- و طبقات المفسرين للدوادري: 2/ 314.

بالذين يعلمون: العاملين من علماء الديانة (1) و ما ورد منه في الشرع عاما يشمل العلوم الدنيوية. قال تعالى: إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ [فاطر: 28].

وقال الراغب (2): العلم إدراك الشيء بحقيقته، وذلك ضربان:

أحدهما: إدراك ذات الشيء، ويتعدى لمفعول واحد، قال تعالى لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ [الأنفال: 60]

الثاني: الحكم على الشيء بوجود شيء هو موجود له، أو نفي شيء هو منفي عنه، ويتعدى لمفعولين، قال تعالى: فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ [المتحنة: 10].

قال: وهو من وجه ضربان:

نظري: وهو ما إذا علم فقد كمل، نحو العلم بموجودات العالم.

و عملي: وهو ما لا يتم إلا بأن يعمل، كالعلم بالعبادات.

ومن وجه آخر: سمعي وعقلي. (3)م.

ص: 31

1- انظر: الكشاف للزمخشري: 390/3.

2- هو الحسين بن محمد بن المفضل أبو القاسم الأصفهاني، أديب من الحكماء العلماء، اشتهر حتى كان يقرب بالغزالي، له «المفردات في غريب القرآن» وغيره، توفي (502 هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 120/18- وبغية الوعاة للسيوطي: 297/2.

3- انظر: المفردات للراغب: 343 وما بعده بتصرف، والكليات لأبي البقاء: 448-449. وقد عرض بعض المصنفين في مؤلفاتهم مجموعة من تعاريف أهل العلم لهذا المصطلح فذكر القنوجي للعلم سبعة عشر تعريفا، وجاء مثلها في مرجع اليونسكو في تعليم العلوم، ومن قبلهم فعل أبو البقاء صاحب الكليات، والزيدي في شرحه على الإحياء للغزالي، ومن هذه التعاريف: أن العلم هو البحث عن المعرفة. وهو استقصاء ذهني يبدأ بالمعرفة ويضيف إليها، وهو حصول صورة الشيء في العقل، وهو صفة يتجلى بها المذكور لمن قامت به. وهو المعرفة المنظمة المتراكمة عبر العصور. وهو البحث عن الحقيقة، وغير ذلك. انظر: الكليات لأبي البقاء: 446-449- وشرح مختصر الروضة للطوفي: 168/1-171 و إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين للزيدي: 95/1-98- وأبجد العلوم: 11/1 و ما بعده، و اليونسكو في تعليم العلوم.

و العلم في عرف التدوين العام- وهو المراد هنا- يطلق على جملة من المسائل و القواعد المنضبطة بجهة واحدة موضوعا أو غاية، كعلم التوحيد و علم النحو و ما إلى ذلك (1).

و بعبارة أخرى يطلق العلم على: المعلومات المنظمة و المنضبطة لموضوع واحد.

الجزء الثاني من المركب (القرآن): أولا: (القرآن) في اللغة: العلماء في بيان لفظة (القرآن) فريقان، فريق

ص: 32

1- انظر: مناهل العرفان للزرقاني: 6/1 و ما بعده- و المدخل لدراسة القرآن الكريم لأبي شهبه: 16- و انظر ما ألقاه فضيلة الشيخ مناع القطان على طلبة الدراسات العليا عام 1407 هـ ص 4.

يرى أنه مشتق، و آخر يرى أنه اسم علم غير منقول، وضع أول ما وضع اسما لكتاب الله تعالى، فهو جامد غير مشتق.

الفريق الأول: الذين قالوا باشتقاقه، اختلفوا على قولين:

القول الأول: أنه مصدر مهموز، وقد اختلفوا في أصل اشتقاقه:

قيل: مصدر (قرأ) بمعنى (تلا) مرادف للقراءة، كالغفران والرجحان (1)؛ قال تعالى: إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ. فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ [القيامة: 17] أي: فاتبع قراءته.

قال ابن عطية: قرأ الرجل بمعنى تلا، يقرأ قرآنا وقراءة. وفي التنزيل:

وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً [الإسراء: 78] أي: قراءة الفجر. قال حسان بن ثابت (2) في عثمان بن عفان- رضي الله عنهما:-

ضحوا بأشمط عنوان السجود به يقطع الليل تسبيحا وقرآنا أي: قراءة (3).

ص: 33

1- انظر لسان العرب لابن منظور (قرأ): 1/129- و تاج العروس للزبيدي (قرأ): 1/103- و التيسير في قواعد علم التفسير للكافيحي: 159.

2- هو حسان بن حرام بن عمرو، سيد الشعراء المؤمنين، شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه، المؤيد بروح القدس، توفي (54 هـ). انظر سير أعلام النبلاء للذهبي: 2/512- والإصابة لابن حجر: 2/237.

3- انظر: تفسير ابن جرير 1/97- وابن عطية: 1/69- والقرطبي: 2/298- و هو في ديوان الشاعر: 410.

وقيل: مشتق من (قرأ) بمعنى (جمع)، تقول: قرأت الشيء قرأناً، بمعنى: جمعته، وهو من ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض. (1)

وقيل: مشتق من (القرء).

وهو أيضاً بمعنى (الجمع) قال أبو إسحاق: القرء في اللغة بمعنى الجمع.

قال الماوردي: ولهذا سمي قرء العدة قرءاً؛ لاجتماع دم الحيض في الرحم (2).

وعن قطرب (3): قرأت الماء في الحوض: أي جمعته، وقرأت القرآن:

لفظت به مجموعاً. (4)

ص: 34

1- انظر: تهذيب اللغة للأزهري (قرأ): 271 / 9- ومعاني القرآن للفراء: 211 / 3- و الصراح للجوهري (قرأ): 65 / 1- و المفردات للراغب: 402- و لسان العرب لابن منظور (قرأ): 123 / 1- و التيسير في قواعد علم التفسير للكافيحي: 159- و الإتيان للسيوطي: 1 / 162.

2- انظر تفسير الماوردي: 124 / 1.

3- هو محمد بن المستنير بن أحمد اللغوي، أديب لغوي يرى رأي المعتزلة، له معاني القرآن، توفي (206 هـ)، انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان: 312 / 4- و تاريخ بغداد للخطيب: 298 / 3.

4- انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج: 170 / 1 و 305 / 1 تحقيق د/ عبد الجليل عبده- ط عالم الكتب- و الدر المصون للسمين الحلبي: 280 / 2- و الإتيان للسيوطي: 162 / 1.

قال أبو عبيدة (1): سمي بذلك لأنه جمع السور بعضها إلى بعض. (2)

وقيل: لأنه جمع القصص والأمر والنهي والوعد والوعيد والآيات والسور بعضها إلى بعض (3) وعن الراغب قول بعضهم: سمي قرآنا لكونه جامعا لثمرات الكتب بل لجمعه ثمرة جميع العلوم (4)

القول الثاني: أنه مصدر غير مهموز، وقد اختلفوا في أصل اشتقاقه:

ف قيل: مشتق من (القرى)، تقول: قرئت الماء في الحوض: أي جمعته (5) ومنه القرية لاجتماع الناس فيها. (6) قال السمين الحلبي (7): و هو غلظت-

ص: 35

-
- 1- هو معمر بن المثنى التيمي، كان بحرا في العلم، غير ماهر بكتاب الله، ولا عارف بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، أول من صنّف في الغريب، وله مجاز القرآن وغيره، توفي (209 هـ). انظر سير أعلام النبلاء للذهبي: 445 / 9- وطبقات المفسرين للداودي: 326 / 2.
 - 2- انظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة: 1 / 1- والتيسير في قواعد علم التفسير للكافيجي: 160- والبرهان للزركشي: 277 / 1- والإتقان للسيوطي: 162 / 1.
 - 3- انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير: 30 / 4- والإتقان للسيوطي: 162 / 1.
 - 4- انظر: المفردات للراغب: 402، والبرهان للزركشي: 277 / 1.
 - 5- انظر تهذيب اللغة (قرأ): 271 / 9- ومعاني القرآن للزجاج: 305 / 1، وجمال القراء للسخاوي: 23 / 1.
 - 6- انظر معجم مقاييس اللغة (قرى): 78 / 5.
 - 7- هو أحمد بن يوسف بن عبد الدائم الحلبي، لازم أبا حيان، واشتهر في النحو والقراءات-

لأنهما مادتان متغايرتان. (1)

ويقول فضيلة الشيخ مناع القطان - يحفظه الله-: إن في هذا الرأي تكلفا ظاهرا لكونه يؤدي إلى أن يكون أصل الهمزة حرف علة، وأن تكون النون زائدة، مع ما فيه من إغفال معنى التلاوة. (2)

وقيل: مشتق من (قرنت الشيء بالشيء): إذا ضمته، وهو رأي الأشعري (3) سمي به لقران السور والآيات والحروف فيه، ومنه القران بين الحج والعمرة (4)، ويجري على هذا القول من الاعتراض ما جرى على القول السابق من جعل النون أصلية وإغفال معنى التلاوة.

وقيل: مأخوذ من (القرائن) وهو مروى عن القرطبي (5): لأن الآيات

ص: 36

1- انظر الدر المصون للسمين الحلبي: 281 / 2.

2- انظر مذكرة الدراسات العليا، لفضيلة الشيخ مناع القطان، عام 1407.

3- هو أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، مؤسس مذهب الأشاعرة، كان من أئمة المتكلمين، ثم رجع عنه وجاهر بخلافه، له «مقالات الإسلاميين»، توفي (324 هـ)، انظر: طبقات الشافعية: 245 / 2- وشذرات الذهب لابن العماد: 303 / 1.

4- انظر تهذيب اللغة للأزهري (قرأ): 271 / 9- واللسان لابن منظور 129 / 1- والبرهان للزركشي 278 / 1.

5- هو يحيى بن سعدون بن تمام الأزدي القرطبي النحوي، أخذ عن الزمخشري وغيره، كان بارعا في العربية، بصيرا بعلل القراءات، له القرطبية في القراءات، توفي (560 هـ) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 546 / 20- وفيات الأعيان لابن خلكان: 171 / 6- الأعلام للزركلي: 147 / 8.

منه يصدق بعضها بعضاً (1) ويشابه بعضها بعضاً وهي قرائن، واعترض الزجاج (2) فقال: هذا سهو، والصحيح أن ترك الهمزة فيه من باب التخفيف ونقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها. (3)

الفريق الثاني: الذين قالوا بعدم اشتقاقه، وقالوا: إنه غير مهموز، بل هو اسم علم غير منقول، وضع أول ما وضع اسماً لكتاب الله، وبه قرأ ابن كثير. (4)، وروي عن الإمام الشافعي (5)، كما روي عنه أنه قرأ عليي.

ص: 37

- 1- انظر البرهان في علوم القرآن للزركشي: 278 / 1.
- 2- هو إبراهيم بن السري بن سهل، نحوي بصري، أخذ عن المبرد و ثعلب، وعنه النحاس، له معاني القرآن وإعرابه، توفي (310 هـ). انظر: بغية الوعاة للسيوطي: 411 / 1- وطبقات المفسرين للداودي: 7 / 1.
- 3- انظر: البرهان في علوم القرآن: 278 / 1 قال: وقد أشار إليه أبو علي الفارسي في (الحلييات)- والإتقان للسيوطي: 162 / 1.
- 4- يقرأ ابن كثير قرآن و القرآنُ المعرف وغير المعرف بنقل حركة الهمزة إلى ما قبلها وحذفها، وإلى ذلك يقول الشاطبي: ونقل قرآن و القرآن دواؤنا وفي انظر: حرز الأمانى للإمام الشاطبي: 44 ضمن مجموع إتحاف البررة. وابن كثير هو عبد الله بن كثير الداري المكي، أحد القراء السبعة، كان عطاراً بمكة، قرأ على مجاهد وغيره، توفي (120 هـ). انظر: غاية النهاية لابن الجزري: 443 / 1، وتهذيب التهذيب لابن حجر: 367 / 5.
- 5- هو (محمد بن إدريس بن شافع القرشي الشافعي) المطلبي، أحد الأئمة الأربعة، ولد بغزة ثم حمل إلى مكة، من تصانيفه الرسالة، توفي (204 هـ). انظر: سير أعلام النبلاء: 5 / 10- 99- و حلية الأولياء لأبي نعيم: 63 / 9- و مناقب الشافعي للرازي.

إسماعيل بن قسطنطين. (1)، كان يقول: القرآن اسم وليس بمهموز، ولم يؤخذ من: قرأت، ولكنه اسم لكتاب الله مثل التوراة والإنجيل.
قال:

ويهمز: قرأت ولا يهمز القرآن. (2)، وهو اختيار السيوطي (3) في الإتقان. (4)

ويعترض على هذا الرأي بأن العلم المرتجل نادر جداً، وأن الغالب في الأعلام أنها منقولة، بل ذهب سيبويه إلى أن الأعلام كلها منقولة (5)، كما يعترض عليه بأن معظم القراء السبعة قرءوا لفظ (القرآن) بالهمز. (6)

ص: 38

1- هو إسماعيل بن عبد الله بن قسطنطين المخزومي، مقرئ مكة، قرأ على ابن كثير، توفي (170 هـ). انظر: غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري: 165 / 1.

2- انظر تهذيب اللغة للأزهري (قرأ): 271 / 9، وانظر: تاريخ بغداد للخطيب، ترجمة الإمام الشافعي: 62 / 2- و البرهان في علوم القرآن للزركشي: 277 / 1- وغاية النهاية لابن الجزري: 166 / 1.

3- هو عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، إمام محقق، صاحب تصانيف، برع في علوم كثيرة وله في أغلب الفنون مصنفات عظام، منها الدر المنثور في التفسير، والإتقان، والتحبير، وهما في علوم القرآن، توفي (911 هـ) انظر: حسن المحاضرة للسيوطي: 335 / 1- و شذرات الذهب لابن عماد: 51 / 8.

4- انظر: الإتقان للسيوطي: 163 / 1

5- انظر: الكتاب لسبويه- وانظر ما كتبه فضيلة الشيخ مناع القطان، مذكرة الدراسات العليا عام 1407.

6- انظر: المدخل لدراسة القرآن الكريم لأبي شهبه: 18.

و الذي يترجح لديّ - و الله أعلم - بعد النظر في أقوال أهل العلم أن نقول:

القرآن مصدر مهموز مشتق من (قرأ) بمعنى (تلا). و هو رأي يسلم من الاعتراضات الموجهة إلى غيره، فالهمزة أصلية، وفيه معنى الجمع، و لم يغفل معنى التلاوة، و الأهم من هذا أنه يستقيم تماما مع قوله تعالى: **إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ. فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ [القيامة: 17]** و المعنى: إن علينا جمعه و تلاوته، فإذا قرأناه فاتبع تلاوته و الله أعلم. (1)

ثانيا: (القرآن) في الاصطلاح، أو في تعريف أهل العلم:

القرآن كلام الله المنزّل على خاتم النبيين محمد صلى الله عليه و سلم. و هو غير مخلوق، تكلم الله به ابتداء، و كلامه تعالى قائم بذاته، و لم يزل عز و جلّ متكلمًا إذا شاء، و القرآن كلامه تعالى بحرف و صوت، تكلم به سبحانه بصوت نفسه و حروف نفسه، و ذلك غير مخلوق.

و القرآن هو اللفظ و المعنى معا، سمعه جبريل من الله عز و جلّ، و بلّغه إلى محمد صلى الله عليه و سلم و سمعه (2).

ص: 39

1- و ينظر هذا الرأي في مجلة لواء الإسلام العدد: 28، مقال الأستاذ: عبد الوهاب حمودة.

2- انظر: شرح العقيدة الطحاوية: 179 ط المكتب الإسلامي - و فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: 36/12-40، و العقيدة السلفية في كلام رب البرية لعبد الله الجديع: 63.

والتعريف الحقيقي للقرآن هو استحضاره معهودا في الذهن أو مشاهدا بالحس كأن يشير إليه مكتوبا بالمصحف، أو مقروءا باللسان فتقول:

هو ما بين الدفتين. أو تقول: هو بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ..... إلى قوله: مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّاسِ (1).

وقد حاول العلماء وضع تعريف للقرآن ليميزوه عن الكتب السماوية السابقة والأحاديث القدسية، وليس بهدف رفع الجهالة عنه إذ الجهالة مرفوعة، ولهذا عرفوه بذكر بعض خصائصه، و تفاوتت اهتماماتهم بذكر هذه الخصائص، و تناوبت بين الإطناب والإيجاز، فمن أطب كانت حجته أن مقام التعريف مقام إيضاح و بيان، و من اختصر فأوجز فبحجة استحالة حصر خصائص القرآن، فهو كتاب لا تنقضي عجائبه.

وفريق ثالث اقتصد فتوسط وقال: القرآن هو الكلام المعجز المنزل على النبي صلى الله عليه و سلم المكتوب في المصاحف، المنقول بالتواتر، المتعبد بتلاوته. (2)

و من تعاريف الموجزين: هو اسم لهذا المنزل العربي إذا عرّف

ص: 40

1- انظر ما كتبه فضيلة الشيخ مناع القطان- يحفظه الله- في هذا الخصوص، مذكرة الدراسات العليا عام 1407 هـ.

2- هذا التعريف منسوب للأصوليين و الفقهاء و علماء العربية، انظر: الكليات لأبي البقاء: 34/4- و روضة الناظر و جنة المناظر لابن قدامة: 180/1- و مناهل العرفان للزرقاني: 12/1- و مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح: 21.

باللام (1). أو هو: اللفظ المنزّل على النبي محمد صلى الله عليه و سلم من أول الفاتحة إلى آخر سورة الناس (2).

ورأى آخرون أن القرآن ليس بحاجة إلى تعريف منطقي، فلا معنى لإضاعة الوقت حول طول التعريف أو قصره، ومدى إحاطته بصفات كتاب الله العزيز (3)

ولا أرى مانعا من ذكر تعريف يضم أهم خصائص كتاب الله لتمييزه لا لرفع الجهالة عنه، إذ الجهالة مرفوعة، وقد عرّف تعالى القرآن في كتابه الكريم فقال: نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ. عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ. بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ [الشعراء: 194]، وبحث العلماء في الصفات الخاصة لكتاب الله فوجدوها: في الإنزال على النبي صلى الله عليه و سلم، والإعجاز، والنقل بالتواتر، والكتابة في المصحف، والتعبد بالتلاوة. (4)

فإذا أضفنا إليها صفة خامسة فقيدنا الإنزال على النبي صلى الله عليه و سلم بواسطة جبريل عليه السلام، نكون قد وضعنا قيودا ضابطة بإذن الله، و عليه نقول في تعريف القرآن الكريم بأنه: كلام الله المعجز، المتعبد بتلاوته، المنزل على النبي

ص: 41

1- انظر: الكليات لأبي البقاء: 34 / 4.

2- انظر بصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي: 84 / 1- و مناهل العرفان للزرقاني: 12 / 1.

3- انظر: في علوم القرآن دراسات و محاضرات للكفاقي و الشريف: 22.

4- انظر: المدخل لدراسة القرآن الكريم لأبي شهبه: 20.

محمد صلى الله عليه وسلم بواسطة جبريل عليه السلام، و المنقول إلينا بالتواتر و الموجود بين دفتي المصحف.

كلام الله: قيد يخرج به كلام غيره عز و جل من ملك و جان و بشر.

المعجز: قيد يخرج به ما عبّر عنه الرسول صلى الله عليه وسلم بلفظه من كلام الله، كالأحاديث القدسية، مع دلالة هذا القيد إلى خاصية هامة للقرآن الكريم.

المتعبّد بتلاوته: قيد يخرج به ما لم يتعبّد بتلاوته كالأحاديث القدسية و إن تواترت.

المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم: قيد يخرج به ما نزل على غيره من الأنبياء السابقين.

بواسطة جبريل: قيد يخرج به ما كان بواسطة غيره كالأحاديث النبوية و الرؤى.

المنقول إلينا بالتواتر: خرج به ما لم يتواتر ما نسخت تلاوته أو ما هو منقول بالشهرة أو بالأحاد كقراءة بعض الصحابة.

الموجود بين دفتي المصحف: قيد يردّ مزاعم الرافضة و غيرهم ممن يدعي النقص أو الزيادة في كتاب الله. (1)

ص: 42

1- للمزيد عن هذا الموضوع يراجع: الكليات لأبي البقاء: 34/4- و شرح أصول اعتقاد أهل السنة و الجماعة للالكائي: 204/2 و ما بعده- و المحلى لابن حزم: 13/1- و التحرير و التنوير لابن عاشور: 71/1- و روح المعاني للآلوسي: 8/1- و مناهل العرفان للزرقاني: 7/1-14- و المدخل لدراسة القرآن الكريم لأبي شهبة: 17-23- و مذكرة الدراسات العليا لفضيلة الشيخ مناع القطان، ألقاها على طلبة الدراسات العليا- كلية أصول الدين عام 1407- و مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح: 21- و في علوم القرآن دراسات و محاضرات للكفافي و الشريف: 22- و المرشد الوافي في علوم القرآن لبيسوني فودة: 9.

إشارة

أطلق أهل العلم هذا المصطلح (علوم القرآن) بلفظ الجمع لمحا للأصل ليشمل كل علم يبحث في القرآن الكريم في أيّ ناحية من نواحيه المتعددة، و ليشمل أيضا كل ما يخدم النص القرآني أو يستند إليه، و إن كان قد استعمل بلفظ الأفراد (علم القرآن) (1) قليلا، و هو (نظير علم الحديث) (2) مع اختلاف بين العلماء في إطلاقه.

و علوم القرآن كثيرة، ذكر منها الزركشي في «برهانه» سبعا و أربعين علما، و أوصلها السيوطي إلى ثمانين نوعا في «الإتقان»، و ناف بها على

ص: 43

1- من ذلك ما صنّفه أبو بكر محمد بن الحسن بن مقسم بن يعقوب المتوفى سنة (362) هـ و سماه «الأنوار في علم القرآن». انظر الفهرست لابن النديم: 49.

2- انظر: البرهان للزركشي: 9/1، و الإتقان للسيوطي: 7/1.

المائة في «التحبير»، وفي «الزيادة والإحسان» لابن عقيلة المكي وصلت أربعة وخمسين بعد المائة، وليس المراد منها الحصر، فعلوم القرآن على ما أقره الزركشي لا تحصى ومعانيه لا تستقصى. (1)

وقد صنف العلماء في جوانب كثيرة من هذه العلوم كتابات مستقلة، كعلم القراءات والرسم العثماني والناسخ والمنسوخ وأسباب النزول ...

وغير ذلك، ثم اختصرت هذه العلوم والمباحث وجمعت جلّ أصولها ومسائلها، ورمز إلى بعض فصولها في مصنف واحد، ووضعت القواعد العامة لتلك المسائل، وضربت عليها الأمثلة، وأشير إلى مواطن كل علم منها ومظاهره فكان كالفهرس والدليل، وأطلق عليه مصطلح علمي هو (علوم القرآن) (2) وهو مصطلح لم يعرفه الأقدمون، وإنما حاول بعض المعاصرين تعريفه بمعناه العام.

وقد عرفه الأستاذ الزرقاني بقوله: مباحث تتعلق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله وترتيبه وجمعه وكتابه وقراءته وتفسيره وإعجازه وناسخه ومنسوخه ودفع الشبه عنه وغير ذلك. (3)

وهو تعريف لم يرق لثلة من الباحثين من أهل الاختصاص في هذا

ص: 44

1- انظر: البرهان للزركشي: 9/1.

2- انظر: مناهل العرفان للزرقاني: 4/1.

3- انظر: مناهل العرفان للزرقاني: 20/1.

الفن، فقد رأوا فيه تجوّزا ملحوظا، يقول الأستاذ عدنان زرزور: إن التعريف الذي أطلقه صاحب «المناهل» ليس دقيقا، إذ إن أكثر هذه العلوم تدور حول تفسير بعض جوانب القرآن الكريم، أو يمهد لشرحها و تفسيرها، فهي عنده (علوم التفسير) (1).

ويؤكد هذا المعنى بأن الحاكم الجشمي الذي عدّ أنواع علوم القرآن في «تفسيره» إنما عنى بها في المقام الأول تلك الأمور والمعلومات التي لا بد من الوقوف عليها في تفسير كل آية، فهي و التفسير عنده- أو علوم التفسير إن صح التعبير- على حد سواء. (2)

وما أقره الزرقاني تبناه الأستاذ فاروق حمادة، غير أنه تعقبه بالشرح فحصر المعنى المراد منه حين قال:

إن علوم القرآن تطلق في الاصطلاح على مجموعة من العلوم التي تستند إلى القرآن الكريم و تسهل للباحث فهمه على الوجه الصحيح، ه.

ص: 45

1- انظر: علوم القرآن لزرزور: 123.

2- انظر: الحاكم الجشمي و منهجه في التفسير: 455 بتصرف. و يعترض على هذا الرأي بأن التفسير له أنواعه و اتجاهاته و ألوانه، و لهذا فهو بحاجة إلى دراسة متخصصة جعلته فنا مستقلا عن بقية علوم القرآن و أطلق عليه مصطلح (علوم التفسير)، و أفردت بدراسات مستقلة منفصلة عن علوم القرآن. و انظر: تاريخ علوم القرآن: ص 10، رسالة ماجستير، إعداد: أحسن محمد أشرف الدين،، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام 1405 ه.

و تكشف له أسرارہ و معانيہ، قال: و ينضوي تحت هذا المصطلح علم أسباب النزول و الناسخ و المنسوخ و المحكم و المتشابه و علوم إعراب القرآن و القراءات القرآنية، و الإعجاز القرآني و الرسم و الخط و التفسير ... إلخ، فهذه العلوم تقوم كلها لتحقيق غاية واحدة هي خدمة كتاب الله و تيسيره للذكر لمن اذكر.

و يتابع قوله: و ما ضمناه التعريف من العلوم التي تستند إلى القرآن الكريم، و تهدف إلى المحافظة عليه ليس كل المعارف و العلوم التي تستنبط منه، بمعنى أننا لا نستطيع أن ندخل في مصطلح علوم القرآن كل أنواع المعرفة التي وجدت و ستوجد، بل إن علوم القرآن أصبحت تنحصر في شعبتين اثنتين:

أولاهما: تاريخ القرآن الكريم، و ما ينضوي تحته من نزوله و أسباب النزول و الناسخ و المنسوخ إلخ.

و ثانيهما: الوسيلة الصحيحة لفهمه على الوجه الحق، و ينضوي تحت ذلك علوم اللغة و الإعجاز و المحكم و المتشابه ... إلخ.

فإن على كل من يريد التعامل مع النص القرآني أن يطلع على هاتين المقدمتين اللازمتين تحت اسم علوم القرآن، و بمقدار ما يجانبهما سيجانب

و توسع الأستاذ عبد السلام الكفافي في تعريفه للمصطلح حين عرفه بقوله: علوم القرآن بالمعنى هو كل ما يتصل بالقرآن الكريم من دراسات (2).

ثم عاد ليقيد التعريف الذي أطلقه ليقول: إن كثيرا من هذه العلوم أصبح مستقلا بذاته، لوفرة ما كتب من مؤلفات، و لغزارة المادة التي عالجتها حتى أصبحت عبارة (علوم القرآن) في مفهومها الخاص تطلق على جانب معين من هذه الدراسات. لقد أصبح مجالها مقتصرًا على أبحاث تتعلق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله و ترتيبه و جمعه و كتابته و قراءته و تفسيره و إعجازه و ناسخه و منسوخه و محكمه و متشابهه، و نحو ذلك. (3)

و التعريف الذي أطلقه الأستاذ الكفافي قبل تقييده يأتي على طريقة طائفة من أهل العلم كالسيوطي الذي توسع حتى أدخل علم الهيئة و الطب و الحساب. (4) و ابن العربي (5) الذي ذكر في قانون التأويل أن علوم القرآن

ص: 47

-
- 1- انظر: مدخل إلى علوم القرآن لفاروق حمادة: 5.
 - 2- انظر: في علوم القرآن دراسات و محاضرات: 29.
 - 3- انظر: في علوم القرآن دراسات و محاضرات: 29.
 - 4- انظر الإتيان للسيوطي: 1030/3، تحقيق مصطفى البغا.
 - 5- هو محمد بن عبد الله بن محمد المعافري، قاض من حفاظ الحديث، بلغ رتبة الاجتهاد في علوم الدين، مصنفاته كثيرة منها الناسخ و المنسوخ، توفي (543 هـ). انظر: العواصم من القواصم: 9 و ما بعدها- و وفيات الأعيان: لابن خلكان: 489/1.

(77450) علما على عدد كلم القرآن مضروبة في أربعة، معللا ذلك بأن لكل كلمة ظهرا و بطنًا، و حدا و مطلقا. (1)

هذا و نجد أن ابن حبيب النيسابوري (2) قد حصرها في خمسة و عشرين وجها أو علما، و أوقف فهم كتاب الله على معرفتها و التمييز بينها، بل لم

ص: 48

1- انظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي: 17/1، و هو ما ذهب إليه أبو طالب المكي في كتابه قوت القلوب: انظره: 77/1؛ و هذا التقسيم مأخوذ من رواية ضعيفة منسوبة إلى ابن مسعود أخرجها ابن جرير في تفسيره كما أخرجها غيره. و سيأتي في الباب الثالث من هذا البحث إن شاء الله. و ما ذكر تعليلا بعيد «فالعلوم الكونية و المعارف و الصنائع، و ما وجد أو يجد في العالم من فنون و معارف كالهندسة و الحساب ... لا يجمل عدّه من علوم القرآن، لأن القرآن لم ينزل ليدلل على نظريات الهندسة مثلا، أو ليقرر قانونا من قوانينها، .. و إن كان القرآن قد دعا المسلمين إلى تعلمها و حذقها و التمهّر فيها، و فرق بين الشيء يحث القرآن على تعلمه في عموماته أو خصوصاته، و بين العلم يدل القرآن على مسائله أو يرشد إلى أحكامه، أو يكون ذلك العلم خادما للقرآن بمسائله، و أحكامه أو مفرداته. ثم إن كلمات كثيرة من كتاب الله لها مدلول واحد و هي مكررة في ثنايا كتاب الله، فهل يكون لكل كلمة أربعة معان مختلفة؟! انظر: مناهل العرفان للزرقاني: 17/1.

2- هو الحسن بن محمد بن حبيب أبو القاسم النيسابوري، مفسر و اعظ، توفي (406 هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 237/17- و طبقات المفسرين للداودي: 140/1.

يحلّ التكلم في كتاب الله إلا بعد معرفتها. (1)

ولعل أجود التعاريف التي وقفت عليها أثناء البحث لهذا المصطلح هو ما أطلقه الدكتور حسن ضياء الدين عتر- يحفظه الله- حين عرفه بقوله: علم يضم أبحاثا كلية هامة تتصل بالقرآن العظيم من نواحي شتى يمكن اعتبار كل منها علما متميزا. (2)

ويعترض على تعريفه هذا أنه عرّف العلم بلفظة العلم، و تعريف الشيء بنفسه غير دقيق. ولهذا يحسن تعريف مصطلح علوم القرآن بأنه:

أبحاث (مباحث) كلية تتصل بالقرآن الكريم من نواحي شتى، يمكن اعتبار كل مبحث منها فنا مستقلا متميزا. وبذلك نكون قد دفعنا ما يعترض على التعريف السابق من تعريف العلم بالعلم.

دخول علم التفسير في الاصطلاح:

مما سبق تبين لنا أن بعض العلماء يطلقون (علوم القرآن) ليشمل علم التفسير إلى جانب العلوم المقصودة الأخرى، في حين يرى آخرون أنه لا ينبغي عدّ التفسير من هذه العلوم.

ص: 49

1- انظر: التنبيه على فضل علوم القرآن لابن حبيب النيسابوري: 307، ضمن مجلة المورد العراقية العدد: 7- مجلد 17- عام 1405 هـ.

2- انظر: فنون الأفنان لابن الجوزي: المقدمة ص 71.

و يحصر الأستاذ الزرقاني تلك العلوم في العلوم الدينية و العربية، و يقول: إنها أنجبت وليدا جديدا هو مزيج منها جميعا، و سليل لها جميعا فيه مقاصدها و أغراضها و خصائصها و أسرارها (و الولد سر أبيه) (1)؛ و هو لهذا عدّ التفسير من تلك العلوم، و جعلها قسيما لها. في حين أن الأستاذ فاروق حمادة رغم أن ما انضوى تحت التعريف عنده يعارض ما حصره في الشعبتين المذكورتين، عدّ التفسير من العلوم التي انضوت تحت المصطلح، و المفهوم من المقدمتين السابقتين عدم اعتبار التفسير. و هو ما قرره حين عاد ليقول: يمكننا أن نقول: إن عدّ علم التفسير من علوم القرآن فيه تجوّز. (2)

و الذي يبدو لي - تبعا لبعض أهل العلم - أن عدّ التفسير من علوم القرآن و جعله قسيما أو نوعا كسائر الأنواع مسألة فيها نظر، لأن غالب تلك العلوم أريد بها تيسير سبيل شرحه و تفسيره و فهمه. يعلل الأستاذ عدنان زرزور هذه الوجهة فيقول: إن أغلب التفاسير الكبيرة قد صدّرت بمقدمة أو مقدمات شملت أهم تلك العلوم، و لهذا لا يعدّ التفسير من علوم القرآن (3).

و ختاماً أقول: ينبغي النظر إلى هذا المصطلح باعتبارين:

ص: 50

1- انظر: مناهل العرفان للزرقاني: 4/1.

2- انظر: مدخل إلى علوم القرآن و التفسير لفاروق حمادة: 6.

3- انظر علوم القرآن لعدنان زرزور: 123.

الأول: باعتبار كونه مركبا من جزءين، و بمعرفتهما يعرف، و على ما سبق توضيحه يكون علوم القرآن: هو العلم الذي يبحث في القرآن الكريم في شتى أحواله. فيدخل فيه علم التفسير فضلا عن غيره، و لهذا أطلق عدد من العلماء هذا الاسم على تفاسيرهم، كالحوفي (1) الذي سماه (البرهان في علوم القرآن) و الأدفوي (2) الذي سماه (الاستغناء في علوم القرآن) و كأبي الحسن الأشعري الذي سماه (المختزن في علوم القرآن) (3).

الثاني: باعتباره علما مستقلا ظهر و تكامل لدى المتأخرين، و يعرف بأنه: أبحاث (مباحث) كلية تتصل بالقرآن الكريم من نواحي شتى، يمكن اعتبار كل مبحث منها فنا مستقلا متميزا.

و يطلق المصطلح على بعض تلك العلوم كما يطلق عليها جميعا.

و تلك المباحث تدور حول ثلاثة محاور رئيسة:

ص: 51

-
- 1- هو علي بن إبراهيم بن سعيد الحوفي، نحوي مصري، صنف في النحو و التفسير، له البرهان في تفسير القرآن، توفي (430 هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 251/17- و طبقات النحاة لابن قاضي شعبة: 132/2.
 - 2- هو محمد بن علي الأدفوي مفسر من أهل أدفو بصعيد مصر، ت (388 هـ) انظر: طبقات القراء لابن الجزري: 198/2، و طبقات المفسرين للسيوطي: 97، و طبقات المفسرين للداودي: 197/2.
 - 3- انظر: طبقات المفسرين للداودي: 388/1 و 197/2، و الحاكم الجشمي و منهجه في التفسير للأستاذ عدنان زرزور: 164.

المحور الأول: ما يتعلق بالجانب التاريخي، كعلم أسباب النزول، و جمع المصحف، و المكي و المدني، و غير ذلك.

المحور الثاني: ما يتعلق بجانب الأداء، كعلم القراءات، و الوقف و الابتداء، و غير ذلك.

المحور الثالث: ما يتعلق بالنص القرآني مباشرة، و يعين على فهمه، و هي بقية العلوم.

الفرق بين علوم القرآن و أصول التفسير: فيما سبق عرفنا مصطلح (علوم القرآن) من الناحية اللغوية لمفرداته، ثم التعريف الاصطلاحي و اختلاف العلماء في وضع تعريف له.

و قد ظهر مصطلح آخر جعله بعضهم مرادفا لمصطلح علوم القرآن، و استعمل في موضعه عند كثير من المهتمين بعلوم القرآن، هذا المصطلح هو علم (أصول التفسير).

و قبل إيراد بعض تعاريف العلماء لهذا المصطلح أود الإشارة إلى أن أقدم كتاب يحمل هذا الاسم هو كتاب شيخ الإسلام ابن تيمية (1) (مقدمة

ص: 52

1- هو أحمد بن عبد الحلیم بن تیمیة الحرانی، شیخ الإسلام، فقیه إمام مجتهد، اعتقل في مصر و الشام، تصانیفه كثيرة، منها منهاج السنة، توفي في معتقله بقلعة الشام (728 هـ). انظر: الدرر الكامنة لابن حجر: 1/144- و البداية و النهاية لابن كثير: 14/135.

في أصول التفسير)، وما ذكره فيه من الفنون والعلوم هي من جملة الفنون التي كان السابقون يوردونها في مؤلفات علوم القرآن، وهي التي بقي المتأخرون كالزركشي (1) والسيوطي وابن عقيلة (2) والزرقاني وغيرهم يوردونها في مؤلفاتهم الخاصة في علوم القرآن.

ثم جاء ولي الله الدهلوي (3) وألف (الفوز الكبير في أصول التفسير) وتبعه آخرون في العصر الراهن.

إن الناظر في مقدمة شيخ الإسلام ابن تيمية يجد أنه يعرف أصول التفسير بقوله:

أبحاث تتضمن قواعد كلية تعين على فهم القرآن، ومعرفة تفسيره

ص: 53

1- هو محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، فقيه أصولي مفسر، انقطع للاشتغال بالعلم، له البرهان في علوم القرآن، توفي (794 هـ) انظر:

الدرر الكامنة لابن حجر: 17/4- وطبقات المفسرين للداودي: 57/2

2- هو محمد بن أحمد بن سعيد بن مسعود المكي، المشتهر والده بعقيلة، تلقى العلم عن علماء الحرم، ورحل في طلب العلم، له مصنفات منها الزيادة والإحسان في علوم القرآن، توفي (1150 هـ). انظر: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر للمراي: 31/4- و

المختصر من كتاب نشر النور والزهر للمرداد: 411/2.

3- هو أحمد بن عبد الرحيم بن وجيه الدين العمري الدهلوي، قرأ على والده العلوم، برع في اللغة والفقه، صنف بالعربية والفارسية، له «الزهاوين» في التفسير، توفي (1176 هـ) انظر: نزهة الخواطر: 398/6.

و معانيه، و التمييز- في منقول ذلك و معقوله- بين الحق و الباطل، و التنبيه على الدليل الفاصل بين الأقاويل. (1)

و هو تعريف يصلح إطلاقه على مصطلح (علوم القرآن)، و لهذا نؤكد أن المتقدمين كانوا يستعملون المصطلحين (أصول التفسير، و علوم القرآن) لغرض واحد، يقصدون به كل القواعد و الأبحاث التي تخدم كتاب الله و تعين على فهمه. غير أن المتأخرين قصدوا من هذا المصطلح أمراً أخص من الذي أراده المتقدمون منه إذ حصروه على: الأسس و القواعد التي يعرف بها تفسير كتاب الله، و يرجع إليها عند الاختلاف فيه. و يكون محور هذا الفن أمران:

الأول: كيف فسّر كتاب الله.

و الثاني: كيف نفسّر كتاب الله. (2)

و عليه يكون بين المصطلحين خصوص و عموم، فعلم القرآن مصطلح عام و أصول التفسير مصطلح خاص يطلق على بعض فنون علوم القرآن، مثل حكم التفسير، و أقسامه و أنواعه، و أسباب الاختلاف في التفسير، و قواعد الترجيح عند المفسرين، و غير ذلك من الفنون التي لها

ص: 54

1- مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية: 33.

2- فصول في أصول التفسير للطيار: 11.

اتصال مباشر بالتفسير، ولا يدخل فيها تلك المقدمات التعريفية والتاريخية التي هي من علوم القرآن. والله أعلم.

ص: 55

المبحث الثالث نشأة علوم القرآن (1)

قبل الحديث عن نشأة علوم القرآن والخوض في جزئيات الموضوع يحسن بنا التعرف على الجوانب العلمية عند الذين اختارهم الله الحكيم لرسالته، واصطفى منهم نبيه صلى الله عليه وسلم لتبليغ الأمانة، إذ الحديث لا يستقيم إلا إذا عرفنا الحالة العلمية للعرب والمناخ العلمي في الجزيرة العربية الذي عاش فيه أولئك الذين احتضنوا الدعوة، وخير ما يهمنا في هذا المناخ هو أمر القراءة والكتابة، فهل كانت العرب تقرأ وتكتب؟ أم إن

ص: 56

1- تطرق لنشأة علوم القرآن كثير من المهتمين بعلوم القرآن، منهم على سبيل المثال: الزرقاني في مناهل العرفان: 1/ 21-33- وأبو شهبة في المدخل لدراسة القرآن الكريم: 26-39- والدكتور صبحي صالح في مباحث في علوم القرآن: 119-126- وفضيلة الشيخ مناع القطان في المحاضرات التي ألقاها على طلبة الدراسات العليا بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- والدكتور عدنان زرزور في أصول التفسير وقواعده: 32-35، وعلوم القرآن له: 124-126- والأستاذ أبو الفضل إبراهيم في المقدمة التي قدم بها كتاب الاتقان للسيوطي: 7/1-8- والدكتور حسن ضياء الدين العتر في مقدمته لكتاب فنون الأفنان لابن الجوزي: 72-73- والدكتور فهد الرومي في دراسات في علوم القرآن الكريم: 35-51- والأستاذ خالد السبب في دراسة تقويمية لمناهل العرفان: 16-28- وغيرهم.

أ- الكتابة في الجزيرة العربية قبل البعثة:

الذي يطالع أخبار الجزيرة العربية قبل البعثة المحمدية، يتبين له بوضوح و منذ الوهلة الأولى أن القوم قد عرفوا الكتابة و التدوين، و أنهم مارسوا هذا الفن، و سيضع يده على أدلة كثيرة تؤكد هذه الحقيقة، و إن كانت الأخبار نفسها توحى بأن عدد الراغبين في القراءة و الكتابة و المهتمين بالتعليم كان قليلا نسبيا، و الدليل أن انتشار الكتابة كان على نطاق محدود انحصر في أبناء الحاضرة و مراكز الحضارة كمكة و المدينة و الطائف و غيرها (1)، و أن جلّ المهتمين بها كانوا من أبناء كبار الأشراف و العوائل العريقة التي رأت أن في التعليم و معرفة الكتابة مزية ترفع من شأنهم، و تعلي من قدرهم، فهم الذين كانوا يطلقون اسم الكامل على من يجيد السباحة و الرماية و الكتابة، و يعدون ذلك من صفات الكمال في الرجل (2). و لقب به عدد، منهم: رافع بن مالك (3)، و سعد بن عباد (4)،

ص: 57

- 1- انظر فتوح البلدان للبلاذري: 659-664.
- 2- انظر: طبقات ابن سعد: 91 / 2 / 3 ط ليدن- و عيون الأخبار لابن قتيبة: 168 / 2، و فتوح البلدان للبلاذري: 664 و الأغاني لأبي الفرج: 27 / 3.
- 3- هو رافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق الأنصاري، أحد النقباء الذين شهدوا العقبة؛ و قيل: هو أول من أسلم من الخزرج. انظر: الطبقات الكبرى- لابن سعد: 218 / 1- و الإصابة لابن حجر: 499 / 1- و تهذيب التهذيب: 232 / 3.
- 4- هو سعد بن عباد بن دليم بن حارثة، من بني ساعدة من الخزرج، شهد المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، و خرج إلى الشام و مات بحوران سنة (14 هـ). انظر: المعارف لابن قتيبة: 259- و سير أعلام النبلاء للذهبي: 270 / 1.

وأسيد بن حضير (1)، و عبد الله بن أبي (2)، و أوس بن خولي (3)، و سويد بن الصامت (4) (5). و لهذا كانت الكتابات التي يتعلم فيها الصبيان أمور القراءة

ص: 58

1- هو أسيد بن الحضير بن سماك بن عتيك بن نافع من بني عبد الأشهل، أحد النقباء الاثني عشر ليلة العقبة، أسلم قديما، قال عنه صلى الله عليه وسلم: نعم الرجل أسيد بن حضير. توفي سنة (20 هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 340/1- و تهذيب التهذيب لابن حجر: 347/1.

2- هو عبد الله بن أبي بن مالك بن سلول الخزرجي المعروف بابن سلول، رأس المنافقين في الإسلام، سيد الخزرج، أظهر الإسلام بعد وقعة بدر تقيية، مات سنة (9 هـ). انظر: البداية و النهاية لابن كثير: 34/5- و الأعلام للزركلي: 65/4.

3- هو أوس بن خولي بن عبد الله بن الحارث الخزرجي الأنصاري، صحابي شهد بدرا و أحدا و المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه و سلم، كان من الذين أدخلوا على رسول الله صلى الله عليه و سلم حين وفاته ليغسله، و من الذين أنزلوا معه القبر، توفي في خلافة عثمان بن عفان. انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد: 279/2 و 300 ط دار بيروت- و أسد الغابة لابن الأثير: 170/1 ط الشعب.

4- هو سويد بن الصامت بن خالد بن عقبة الأوسي، شاعر من أهل المدينة، قيل: قدم مكة معتمرا فدعاه الرسول صلى الله عليه و سلم إلى الإسلام فلم يبعد، و قال إن هذا القول حسن، و قتل عند انصرافه، قال قومه: إنا لنراه مسلما، انظر: الإصابة لابن حجر: 134/2- و الأعلام للزركلي: 145/3.

5- انظر: طبقات ابن سعد: 91/2/3 و 142/2/3 ط ليدن- و المعارف لابن قتيبة: 259- و فتوح البلدان للبلاذري: 664.

و الكتابة موجودة و منتشرة، و لذلك أيضا وجه زيد العبادي ولده عديا (1) ت (35 ق. ه) إلى التعليم، و طرحه في الكتاب حين نما حتى حذق العربية، فكان أول من دَوّن بالعربية في ديوان كسرى (2).

و كان بشر بن عبد الملك العبادي علّم أبا سفيان بن أمية (3)، و أبا قيس ابن عبد مناف بن زهرة الكتاب، فعلمّا أهل مكة (4). و قد سجل ابن حبيب البغدادي ت (245 ه) (5) صاحب (المحبّر) قائمة بأسماء الأشراف المعلمين في العصر الجاهلي منهم بشر بن عبد الملك السكوني أخو أكيدر صاحب دومة الجندل، و منهم غيلان بن سلمة بن معتب الثقفي (6)، و منهم عمرو بن

ص: 59

-
- 1- هو عدي بن زيد بن الحمار العبادي التميمي النصراني، من فحول الشعراء، و من دهاة الجاهليين، قيل: مات في الفترة (35 ق ه). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 110/5- و الأعلام للزركلي: 220/4.
 - 2- انظر: الأغاني لأبي الفرج: 94/2.
 - 3- هو صخر بن حرب بن أمية القرشي، أبو سفيان، زعيم قومه، و أحد الوجهاء، أسلم عام الفتح، و شهد حنيناً و الطائف، توفي سنة (32 ه). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 105/2- و الإصابة لابن حجر: 178/2.
 - 4- انظر: المعارف لابن قتيبة: 553.
 - 5- هو محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو البغدادي، قيل: لا يعرف أبوه، و حبيب أمه، علامة بالأنساب و الأخبار و اللغة و الشعر، له تصانيف عديدة منها الأنساب. انظر: تاريخ بغداد للخطيب: 277/2- و بغية الوعاة للسيوطي: 73/1.
 - 6- هو غيلان بن سلمة بن معتب بن مالك بن كعب الثقفي، شاعر مجيد أسلم بعد فتح الطائف، و كان أحد وجوه ثقيف، و ممن وفد على كسرى، توفي سنة (23 ه): انظر: الإصابة لابن حجر: 189/3- و أسد الغابة لابن الأثير: 343/4.

زرارة بن عدس بن زيد (1) و كان يسمى بالكاتب، وغيرهم (2).

و كانت العرب تسجل أشعارها و تقيدها بالكتابة (فتسجل كل ما يتصل بالقبيلة من أخبار حروبها و أيامها، و تذكر مفاخرها و مآثرها و شعر شعرائها، و حكم بلغائها) (3)

كما دلت الدراسات العلمية على أن العرب مارسوا فن الكتابة قبل الإسلام، فكانوا يؤرخون أهم أحداثهم على الحجارة، و قد أثبتت الأبحاث الأثرية ذلك بأدلة قاطعة تعود إلى القرن الثالث الميلادي، و تحمل تلك الحجارة كتابات العرب الذين كانوا في الأطراف الشمالية للجزيرة العربية (4).

و اشتهرت المعلقات السبع التي تعلق على الكعبة، و عرفت الصحيفة

ص: 60

-
- 1- هو عمرو بن زرارة الأنصاري، صحابي، كان حمش الساقين: دقيقهما، قال له صلى الله عليه وسلم: إن الله لا يحب المسبلين. انظر: الإصابة لابن حجر: 535/2- و أسد الغابة لابن الأثير: 223/4.
 - 2- انظر: المحبر لابن حبيب: 475-477.
 - 3- الشعر الجاهلي لناصر الدين الأسد: 165.
 - 4- مصادر الشعر الجاهلي لناصر الدين الأسد: 24-32.

التي تعاقبت فيها قريش على رد الحقوق وإنصاف المظلوم وعلقت على الكعبة. (1)

لقد بلغت الأخبار التي تؤكد هذه الحقيقة درجة الاستفاضة والتواتر، والذي يتتبع الكتب التي اهتمت بمثل هذا الموضوع لا شك أنه سيخرج لنا بأخبار كثيرة أخرى.

وأما دعوى أن العرب لم تكن بحاجة إلى الكتابة لكونهم أصفياء الذهن يعتمدون على قوة حفظهم، وسلامة أذهانهم، فدعوى باطلة لا تمت إلى الحقيقة بصلة، فالناس يختلفون في ذلك، ويتفاوتون في قدراتهم الذهنية والعقلية، نعم نحن نؤكد أن العرب قد اعتمدت كثيرا على سيلان الذهن وقوة العارضة التي عرفت بها، غير أنها لم تعتمد اعتمادا كلياً على ذلك لا تصادم في الجمع بين الأمرين معا.

ب- الكتابة في الإسلام:

تبين لنا فيما سبق أن العرب عرفت الكتابة قبل الإسلام، وأنها دونت نتفا من أخبارها، وتذكر الأخبار أن من الذين كانوا يكتبون في قريش زمن نزول الوحي عمر ابن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، وأبو عبيدة بن الجراح (2)، ويزيد بن أبي سفيان (3)، وأبو حذيفة بن عتبة بن

ص: 61

1- انظر الأغاني لأبي الفرج: 6/116 طبعة أخرى.

2- هو عامر بن عبد الله الجراح، بن هلال القرشي، صحابي من السابقين الأولين، ومن المشهود لهم بالجنة، أسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم أمين هذه الأمة. مناقبه كثيرة، توفي (18 هـ). انظر: المعارف لابن قتيبة: 247- و سير أعلام النبلاء للذهبي: 5/1.

3- هو يزيد بن صخر بن حرب بن أمية، أحد العقلاء الألباء، والشجعان المذكورين، أسلم يوم الفتح، وكان يقال له يزيد الخير، حضر حنيناً، وتوفي بالطاعون سنة (18 هـ). انظر: المعارف لابن قتيبة: 345- و سير أعلام النبلاء للذهبي: 1/328.

ربيعة (1)، و حاطب بن عمرو، أخو سهيل بن عمرو العامري (2)،

وغيرهم، كما كان عدد من النساء يكتبن، أمثال: الشفاء بنت عبد الله العدوية (3)، و حفصة أم المؤمنين (4)، و أم كلثوم بنت عقبة (5)، و عائشة بنت

ص: 62

1- هو أبو حذيفة قيل اسمه: هشيم، وقيل: مهشم، بن عتبة بن ربيعة بن عبد مناف، أحد السابقين، أسلم قبل دخول دار الأرقم، و من مهاجرة الهجرتين، استشهد يوم اليمامة سنة (12 هـ). انظر: المعارف لابن قتيبة: 272- و سير أعلام النبلاء للذهبي: 164/1.

2- هو حاطب بن عمرو بن عبد شمس القرشي العامري، من السابقين، إذ أسلم قبل أن يتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأرقم، و قيل هو أول من هاجر إلى الحبشة، و شهد بدرًا. أما أخوه سهيل فيكنى أبا يزيد، كان خطيب قريش و فصيحهم، و من أشرافهم أسلم يوم الفتح، و عرف عنه كثرة البكاء لسماع القرآن، خرج مجاهدًا إلى الشام، قيل: استشهد يوم اليرموك، و قيل: مات في طاعون عمواس. انظر: المعارف لابن قتيبة: 284- و سير أعلام النبلاء للذهبي: 194/1- و الإصابة لابن حجر: 301/1- كتاب الوحي لأحمد عيسى: 496.

3- هي الشفاء بنت عبد الله بن عبد شمس بن خلف، القرشية العدوية، صحابية أسلمت قبل الهجرة، قيل: اسمها ليلى و الشفاء لقب، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يميل عندها، و كان عمر رضي الله عنه يقدّمها في الرأي، روى لها البخاري و غيره. توفيت نحو سنة (20 هـ). انظر: تهذيب الكمال للحافظ المزي: 207/35- و الإصابة لابن حجر: 341/4.

4- هي أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب أمير المؤمنين زوج النبي صلى الله عليه وسلم، الصوامة القوامة، أراد الرسول تركها فأمره الله تعالى بمراجعتها و أعلمه أنها زوجته في الجنة. توفيت سنة (41 هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 227/2- و الإصابة لابن حجر: 273/4.

5- هي أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط أبان بن ذكوان، أسلمت بمكة و هاجرت، أنزل الله فيها إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن [المتحنة: 10-11]، توفيت في خلافة علي رضي الله عنه. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 276/2- و الإصابة لابن حجر: 491/4.

سعد (1)، .. وغيرهن (2) وتؤكد الأخبار أن عددا من اليهود كانوا يكتبون أيضا (3)

و حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب حنظلة بن أبي سفيان (4) كتابا إلى أبيه باليمين يخبره أن محمدا صلى الله عليه وسلم دعا الناس إلى عبادة الله. (5) و حين عجزت قريش عن وأد الدعوة كتبت صحيفة بيد منصور بن عكرمة العبدي الذي شلت يده، وعلقوا الصحيفة في جوف الكعبة قاطعت قريش بموجبها

ص: 63

- 1- هي عائشة بنت سعد بن أبي وقاص الزهرية، صحابية جلييلة، رأت ستا من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، و هي غير عائشة بنت سعد التابعة،. انظر الإصابة لابن حجر: 361 / 4.
- 2- فتوح البلدان للبلاذري: 660-661، و العقد الفريد لابن عبد ربه: 157 / 4، و المذكور في فتوح البلدان: 660 أن عدد الذين كانوا يكتبون في قريش سبعة عشر رجلا، و قد استقل الأستاذ الأعظمي هذا العدد و قال: إنها تفيد القلة حيث إن هناك من الأسماء التي كانت تكتب، لم تذكر ضمن هؤلاء، كما كان هناك عدد من النساء يكتبن، هذا في مكة و كذا في المدينة عدد يكتبون قدر بأحد عشر رجلا. انظر دراسات في الحديث النبوي للأعظمي: 53 / 1-55.
- 3- انظر فتوح البلدان للبلاذري 663- و انظر: مجلة المنار: المجلد العاشر، الجزء العاشر: 746.
- 4- هو حنظلة بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية، قتله علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم بدر، و لا عقب له. انظر: المعارف لابن قتيبة: 345.
- 5- انظر: الأغاني للأصفهاني: 365 / 6.

رسول الله صلى الله عليه وسلم وآل بيته، (1) فلما انتصر الإسلام ورفع صوت الحق تابع صلى الله عليه وسلم نهجه في عرض الإسلام على عليّة القوم وعقلائهم لعل الله ينصر بهم ما لا ينصر بغيرهم، وكان ممن دعي إلى اعتناق الدين الجديد سويد بن الصامت الذي - كان يلقب بالكامل - رفض الدعوة قائلاً: لعل الذي معك مثل الذي معي. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وما الذي معك؟» قال: مجلة لقمان - يعني حكمة لقمان - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اعرضها عليّ».

فعرضها عليه.

فقال له: «إن هذا الكلام حسن، والذي معي أفضل من هذا، قرآن أنزله الله تعالى عليّ...» الرواية (2).

وروى عمران بن حصين (3) لبشير بن كعب (4) قول رسول الله

ص: 64

1- انظر: طبقات ابن سعد: 1/139- و تهذيب السيرة لعبد السلام هارون: 91.

2- انظر السيرة النبوية لابن هشام: 1/426 ط 2.

3- هو عمران بن حصين بن عبيد الخزاعي، صحابي جليل، أسلم عام خيبر، وغزافي سبيل الله، وولي قضاء البصرة، تجنب الفتنة ولم يحارب مع علي، توفي (52 هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 2/508- والإصابة لابن حجر: 3/26.

4- هو بشير بن كعب بن أبي البصري، فقيه عابد، و تابعي جليل، وثقه النسائي وغيره، قيل: توفي سنة (80 هـ). انظر تهذيب الكمال للمزي: 4/184- و سير أعلام النبلاء للذهبي: 4/351- وفتح الباري لابن حجر: 10/521.

صلى الله عليه وسلم: «الحياء لا يأتي إلا بخير». فقال بشير: مكتوب في الحكمة: إن الحياء وقار. وإن من الحياء سكينه. فقال عمران: أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحدثني عن صحيفتك. (1) وهي المجلة التي ذكر وهب بن منبه ت (116 هـ) (2) أنه قرأ فصولاً منها. (3)

ولا- يعني هذا نفي وصف الأمية عن العرب، فهم في غالبيتهم كانوا أميين لا يقرءون ولا يكتبون، وهو وصف يليق بأبناء البادية أكثر منه بسكان المدن وأرباب الدول البائدة كسكان اليمن ومدن نجد والحجاز والعراق وأطراف الشام، الذين عرفت لهم دول ذات حضارة ومجد.

لقد جاء الإسلام ليجد تربة صالحة للتعليم والتعلم، فبدأ باقرأ إيدانا بمكانة العلم، وذكر القلم الذي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ [العلق: 4] وسيلة الكتابة وتدوين العلم ونقله ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ [القلم: 1] وأكد ذلك الرَّحْمَنُ. عَلَّمَ الْقُرْآنَ [الرحمن: 1-2] ورفع من قدر الكاتبين حين وصف سبحانه الملائكة بقوله: كِرَامًا كَاتِبِينَ [الانفطار: 11] وحين قال: إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى. صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى [الأعلى: ف].

ص: 65

1- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأدب، باب: الحياء: 100/7- ومسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: بيان عدد شعب الإيمان: 64/1.

2- هو وهب بن منبه بن كامل اليماني الصنعاني، أخو همام بن منبه، أخباري قصصي، وثقه العجلي وأبوزرعة. انظر: تهذيب الكمال للمزي: 140/31- وسير أعلام النبلاء للذهبي: 4/544.

3- انظر المعارف لابن قتيبة: 55 ط 4 دار المعارف.

18-19] و يجد القارئ لكتاب الله أن مصطلحات الكتابة و الكتاب و القرطاس و القلم و المداد و الصحف، قد تكررت مرارا، فكان في هذه الآيات وغيرها حث على طلب العلم، و توجيه رباني لمن يعتنق هذا الدين بضرورة التعلم و التفقه.

إن طبيعة الرسالة السماوية تقتضي أن يكثر المتعلمون و الكتاب، (فالوحي يحتاج إلى من يكتب، و أمور الدولة من مراسلات و موثيق تحتاج إلى كتاب) (1) و قد حث رسول الله صلى الله عليه و سلم من آمن على التعلم و الكتابة، و لهذا حين هاجر من أصحابه صلى الله عليه و سلم من هاجر أرسل لهم مصعب بن عمير ليعلمهم و ليفقههم في الدين، كما كان يأمر كتابه بكتابة ما كان ينزل من كلام الله حتى يبقى محفوظا في السطور و الصدور معا، و لبقى كل منهما شاهدا على الآخر و ضابطا له. كما كان في عمله هذا صلى الله عليه و سلم حاض و تشجيع للصحابة على التعلم، فانتشرت الكتابة بينهم في وقت قياسي، حتى أصبح كتاب النبي صلى الله عليه و سلم يقدرون بأكثر من خمسين كاتباً، يقول المسعودي و قد ذكر أسماء كتابه: إنما ذكرنا من أسماء كتابه صلى الله عليه و سلم من قد ثبت على كتابته، و اتصلت أيامه فيها، و طالت مدته، و صحت الرواية على ذلك من أمره، دون من كتب الكتاب و الكتابين و الثلاثة، إذ كان لا يستحق بذلك أن يسمى كاتباً يضاف إلى جملة كتابه. (2)

ص: 66

1- انظر السنة قبل التدوين: 298.

2- انظر: التنبيه و الإشراف: 346- و السنة قبل التدوين لعجاج الخطيب: 298.

فهذا علي بن أبي طالب و عثمان بن عفان و زيد بن ثابت (1) - رضي الله عنهم - و غيرهم يكتبون القرآن الكريم، و هذا الزبير بن العوام (2) و جهيم بن الصلت (3) - رضي الله عنهما - يكتبان أموال الصدقات، و عبد الله بن الأرقم (4) و العلاء بن عقبة (5) و حصين بن

ص: 67

1- هو زيد بن ثابت بن الضحاك الخزرجي كان من كتاب الوحي، قيل: إنه أعلم الناس بالفرائض، و من أصحاب الفتوى و القضاء. توفي سنة (45 هـ). انظر: التاريخ الكبير للبخاري: 3/380- و الاستيعاب لمعرفة الأصحاب لابن عبد البر: 1/551- و الإصابة لابن حجر: 1/516.

2- هو الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد، حواري رسول الله صلى الله عليه و سلم، و ابن عمته، و أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، و أحد الستة أهل الشورى، و أول من سل سيفه في الإسلام، قتله جرموز في فتنة الجمل. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 1/41- و الإصابة لابن حجر: 1/545- و شذرات الذهب لابن عماد: 1/42.

3- هو جهيم بن الصلت بن مخزومة بن عبد المطلب بن عبد مناف، قيل: أسلم بعد الفتح، و قال البلاذري: تعلم الخط في الجاهلية فجاء الإسلام و هو يكتب، و قد كتب لرسول الله صلى الله عليه و سلم، قال ابن حجر: و قال صاحب التاريخ الصمادحي: كان الزبير و جهيم بن الصلت يكتبان أموال الصدقات. انظر: الإصابة لابن حجر: 1/255- و أسد الغابة لابن الأثير: 1/369.

4- هو عبد الله بن الأرقم بن عبد يغوث بن وهب القرشي الكاتب، أسلم عام الفتح، و كتب للنبي صلى الله عليه و سلم و لأبي بكر و عمر - رضي الله عنهما - و لاه عمر بيت المال، و كذا عثمان، عمي قبل وفاته. انظر سير أعلام النبلاء للذهبي: 2/482- و أسد الغابة لابن الأثير: 3/173.

5- هو العلاء بن عقبة، ترجم له ابن حجر فقال: ذكره المستغفري في الصحابة، و ذكره المرزباني و قال: كان النبي صلى الله عليه و سلم يبعثه هو و الأرقم في دور الأنصار. و في تاريخ ابن صمادح: أن العلاء بن عقبة و الأرقم كانا يكتبان بين الناس المدائيات و العهود و المعاملات. و قد أورد الدكتور أحمد عيسى ثلاثة كتب كتبها العلاء. انظر: الإصابة لابن حجر: 2/498- و كتاب الوحي لأحمد عيسى: 399.

نمير (1)، و المغيرة بن شعبة (2) - رضي الله عنهم - يكتبون بين الناس المدائيات و سائر العقود، و شرحبيل ابن حسنة (3) رضي الله عنه يكتب التوقيعات إلى الملوك، و معيقب بن أبي فاطمة الدوسي رضي الله عنه (4) يكتب مغانم رسول الله

ص: 68

1- هو الحصين بن نمير بن نائل الأنصاري، صحابي من كتاب النبي صلى الله عليه و سلم، قيل: كان ينوب عن معاوية في الكتابة، كما كان يكتب المدائيات و المعاملات. قتل في قتال شيعة علي رضي الله عنه قرب الموصل سنة (67 هـ). انظر: الإصابة لابن حجر: 1/339- و كتاب الوحي لأحمد عبد الرحمن عيسى: 485.

2- هو المغيرة بن شعلة بن أبي عامر بن مسعود، من كبار الصحابة أولي الشجاعة و المكيدة، شهد بيعة الرضوان، و عرف عنه سرعة البديهة و وحدة الذكاء، كتب كثيرا بين الناس و خاصة في المدائيات و المعاملات. أورد له أحمد عيسى تسعة كتب. توفي سنة (50 هـ). انظر: المعارف لابن قتيبة: 294- و سير أعلام النبلاء للذهبي: 21/3- و كتاب الوحي لأحمد عيسى: 385.

3- هو شرحبيل ابن حسنة نسبة إلى أمه، و أبوه هو عبد الله بن المطاع بن عمرو من اليمن، أحد السابقين إلى الإسلام، من مهاجرة الحبشة، قاد جيش أبي بكر إلى الأردن و فتح طبرية و ما حولها، مات في طاعون عمواس سنة (18 هـ). انظر: المعارف لابن قتيبة: 325- و الإصابة لابن حجر: 2/143.

4- هو معيقب بن أبي فاطمة الدوسي، أسلم قديما، و هاجر إلى الحبشة، و كان أمينا على خاتم النبي صلى الله عليه و سلم، و استعمله أبو بكر على الفيء و ولي بيت المال لعمر، أصابه الجذام، و توفي سنة (40 هـ). انظر المعارف لابن قتيبة: 316- و سير أعلام النبلاء للذهبي: 2/491.

صلى الله عليه وسلم. (1) وقد أورد الكتاني في التراتيب الإدارية قائمة بأسماء الكتّاب الدائمين والمؤقتين (2).

لقد سلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في حث أصحابه على التعلم والكتابة طرقاً عديدة، آتت ثمارها عاجلاً، فتارة يبين لهم أهمية طلب العلم ومكانة العلماء «من سلك طريقاً يطلب به علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة» (3)، ويدلهم على حصول الأجر الكبير في تبليغ ما يتعلمونه منه صلى الله عليه وسلم: «نصّر الله امرأً سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه، فربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه، وربّ حامل فقه ليس بفقيه» (4).

وتارة بالتهديد والوعيد لمن تعلم علماً فكتمه عن غيره ولم يبلغه: «منة.

ص: 69

1- انظر: التراتيب الإدارية للكتاني: 1/ 115-124- ودراسات في الحديث النبوي للأعظمي: 120-124.

2- انظر: التراتيب الإدارية للكتاني: ج 1/ 115-124.

3- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: العلم، باب: العلم قبل القول: 1/ 25- وأحمد في المسند: 2/ 252- وأبو داود في السنن، كتاب: العلم، باب: الحث على طلب العلم: 3/ 317.

4- أخرجه أبو داود في السنن، كتاب: العلم، باب: فضل نشر العلم: 3/ 322- وأحمد في المسند: 1/ 437- والترمذي في السنن، كتاب: العلم، باب: ما جاء في الحث على تبليغ السماع: 5/ 33 وقال: حديث حسن- والطحاوي في مشكل الآثار: 2/ 32- وابن عبد البر في جامع بيان أهل العلم: 1/ 39- وهو في موسوعة أطراف الحديث لزغلول: 10/ 35-36 بطرق كثيرة، وألفاظ مختلفة.

سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة» (1).

وأخرى بتقريب الكتاب من نفسه، وإظهار الاهتمام بهم، ومنحهم المنزلة العظيمة، حتى عرف أن أقرب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هم كتاب الوحي، فعن زيد بن ثابت قال: أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أتعلّم له كتاب يهود وقال لي: «إني لا آمن يهودا على كتابي». فلم يمر بي نصف شهر حتى تعلمته. فكنت أكتب له إلى يهود، وإذا كتبوا إليه قرأت كتابهم (2).

كان من سياسته التعليمية صلى الله عليه وسلم أن اتخذ من بيوت ثلّة من الصحابة مراكز للتعليم، فكانت دار الأرقم (3)، وكانت دار مخرمة بن

ص: 70

1- أخرجه أبو داود في السنن، كتاب: العلم، باب: كراهية منع العلم: 321/3- والترمذي في سننه كتاب: العلم، باب: ما جاء في كتابة العلم: 29/5 وقال: حديث حسن- وأحمد في المسند: 263/2-305 والحاكم في المستدرک: 101/1 وقال: هذا حديث تداوله الناس بأسانيد كثيرة تجمع و يذاكر بها، وهذا الإسناد صحيح على شرط الشيخين. وأورده السيوطي في الجامع وصححه. انظر فيض القدير للمناوي: 146/6.

2- أخرجه أبو داود في السنن، كتاب: العلم، باب: رواية حديث أهل الكتاب: 318/3، وأورده البلاذري في فتوح البلدان: 664.

3- هو الأرقم بن أبي الأرقم عبد مناف بن أسد بن عبد الله بن عمر المخزومي، من عقلاء قريش، ومن السابقين إلى الإسلام، استخفى النبي صلى الله عليه وسلم في داره، واستعمله في الصدقة، توفي سنة (53 هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 479/2 وأسد الغابة لابن الأثير: 74/1.

نوفل (1) (2)، وفتح المسجد في دار هجرته وخصص جزءاً منه للتعليم حيث أمر عبد الله بن سعيد بن العاص (3) بأن يعلم الكتابة بالمدينة. (4) بل لقد أصبحت وخلال مدة وجيزة مساجد المدينة التسعة إلى جانب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم تصدر القراء والكتاب، يتعلمون فيها الكتابة وتعاليم الدين، وكان من أوائل المعلمين سعد بن الربيع الخزرجي (5) أحد النقباء الاثنى عشر، وبشير بن سعد بن ثعلبة (6)، وأسيد بن حضير، وأوس بن خولي، والعلاء

ص: 71

- 1- هو مخرمة بن نوفل بن أمية بن عبد مناف القرشي، صحابي كان من المؤلفة قلوبهم، توفي سنة 54 هـ. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 542/2- والإصابة لابن حجر: 390/3.
- 2- انظر: طبقات ابن سعد: 3/51 و84 و89. علوم القرآن من خلال مقدمات التفاسير ج 1 71 ب - الكتابة في الإسلام: ص: 61
- 3- هو عبد الله بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي، كان اسمه في الجاهلية الحكم، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: أنت عبد الله، أخوته الثلاثة من كتاب الوحي، وأوكل إليه النبي صلى الله عليه وسلم تعليم أبناء المسلمين في المدينة، قيل: استشهد يوم بدر. انظر: الإصابة لابن حجر: 1/344 و2/319- وكتاب الوحي لأحمد عيسى: 498.
- 4- انظر الإصابة لابن حجر: 1/344.
- 5- هو سعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير الأنصاري الخزرجي، أحد النقباء ليلة العقبة، أخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين عبد الرحمن بن عوف، استشهد يوم أحد. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 318- والإصابة لابن حجر: 2/26.
- 6- هو بشير بن سعد بن ثعلبة بن الجلاس - وقيل بفتح الخاء المعجمة و تثقيب اللام الخلاس - بن زيد بن مالك الخزرجي، والد النعمان بن بشير، شهد بدرا، وأول أنصاري بايع أبا بكر بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم. انظر: تهذيب الكمال للمزي: 4/166- والإصابة لابن حجر: 1/158- وأسد الغابة لابن الأثير: 1/231.

ابن الحضرمي (1)، و الشفاء بنت عبد الله العدوية، وغيرهم. (2) وفي غزوة بدر نحي الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم منهجا حكيما حين أمر الأسرى بأن يفدي كل كاتب منهم نفسه بتعليم عشرة من صبيان المدينة القراءة و الكتابة، فقد روى ابن سعد بسنده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أسر يوم بدر سبعين أسيرا، و كان يفادي بهم على قدر أموالهم، و كان أهل مكة يكتبون، و أهل المدينة لا يكتبون، فمن لم يكن له فداء دفع له عشرة غلمان من غلمان المدينة فعلمهم فإذا حذقوا فهو فداؤه. (3) حتى انتشرت الكتابة و شملت النساء أيضا، فتعلمن الكتابة مثل شقائقهن من الرجال، فهذه الشفاء بنت عبد الله تقول: دخل عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم و أنا عند حفصة فقال لي: «ألا تعلمين هذه رقية التملة كما علمتها الكتابة» (4) و كان من المتعلمات أم كلثوم بنت عقبة، و عائشة

ص: 72

-
- 1- هو العلاء بن عبد الله بن عماد بن أكبر بن ربيعة الحضرمي، صحابي جليل، عمل على البحرين للنبي صلى الله عليه وسلم و أبي بكر و عمر، توفي سنة (14 هـ). انظر: طبقات خليفة: 12 و 72- و سير أعلام النبلاء للذهبي: 262/1- و كتاب الوحي لأحمد عيسى: 448.
 - 2- انظر: فتوح البلدان للبلاذري: 663.
 - 3- انظر طبقات ابن سعد: 14/1/2- و المستدرک للحاكم عن ابن عباس: 140/2 و قال: صحيح الإسناد و لم يخرجاه.
 - 4- أخرجه أبو داود في السنن، كتاب: الطب، باب: ما جاء في الرقى: 11/4- و أحمد في المسند: 372/6، و أورده البلاذري في فتوح البلدان: 661.

بنت سعد، وفاطمة بنت الخطاب (1) وكريمة بنت المقداد (2) وغيرهن (3).

ولم يكتف صلى الله عليه وسلم بتعليم أبناء المسلمين في المدينة فحسب بل كان يرسل الرسل إلى ديار الإسلام لتعليم المسلمين و
أبنائهم أمور دينهم، كما فعل بمعاذ بن جبل (4) ومصعب بن عمير (5) وغيرهم (6).

ص: 73

- 1- هي فاطمة بنت الخطاب بن نفيل القرشية، أخت عمر بن الخطاب، أسلمت مع زوجها سعيد بن زيد قديما، وكان سببا في إسلام عمر -
رضي الله عنهما. انظر: أسد الغابة لابن الأثير: 220 / 7- والإصابة لابن حجر: 381 / 4.
- 2- هي كريمة بنت المقداد بن الأسود الكندية، أمها ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب، روى عنها زوجها عبد الله بن وهب، ثقة. انظر:
تهذيب التهذيب لابن حجر: 448 / 12.
- 3- انظر فتوح البلدان للبلاذري: 661.
- 4- هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ الأنصاري، شهد بدرًا والعقبة والمشاهد، كان عالما بالحلال والحرام، و مناقبه كثيرة، و لاه
النبي صلى الله عليه وسلم اليمن. مات في طاعون عمواس سنة (18 هـ). انظر: طبقات خليفة: 103 و 303- و سير أعلام النبلاء للذهبي
443 / 1- و كتاب الوحي: 373.
- 5- هو مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، السيد الشهيد السابق البدري، أسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم في
دار الأرقم، هاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة ليعلم الناس القرآن، استشهد بأحد و معه اللواء سنة (3 هـ). انظر: الاستيعاب لابن عبد البر: 3 /
468- و سير أعلام النبلاء للذهبي: 145 / 1.
- 6- انظر: طبقات ابن سعد: 118 / 3.

ولم يتوفّر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وعدد كبير من الصحابة يجيدون الكتابة والقراءة، ولم يأت القرن الثاني للهجرة حتى كانت الكتابة منتشرة على أوسع نطاق، والكتّاب لا يحصون كثرة، والكتّاب مكتظة بطلبة العلم، حتى حكي أنه بلغ عدد طلاب الضحاك بن مزاحم وحده ثلاثة آلاف صبي، وكان يطوف على حمار يشرف عليهم. (1)

هذا ولا ننكر أن عددا من الصحابة كره كتابة الحديث وتدوينه، كما كره كتابة الشعر عدد من الشعراء قبل الإسلام، ومن هؤلاء الصحابة الذين كرهوا الكتابة: عمر بن الخطاب (2) وعلي بن أبي طالب (3) وزيد بن ثابت (4)، وعبد الله بن عباس (5)، وعبد الله بن مسعود (6)، وعبد الله بن عمرو بن العاص، مع أنهم كانوا يجيدون فن الكتابة بل منهم من هو من كتاب الوحي، وكانت همّتهم عالية في نشر العلوم، غير أنهم - رغم تمكنهم من الكتابة بأحسن أشكالها، وإتقانها تمام الإتقان - كانوا يرون أن الاتكال

ص: 74

-
- 1- انظر: معجم الأدباء لياقوت: 16/12 ط مصر.
 - 2- انظر: تقييد العلم للخطيب: 52- وجامع بيان العلم لابن عبد البر: 42/2.
 - 3- انظر: جامع بيان العلم لابن عبد البر: 72/1.
 - 4- انظر: جامع بيان العلم لابن عبد البر: 63/1-66.
 - 5- انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان: 371/2- و مرآة الجنان لليافعي: 225/1.
 - 6- انظر: تقييد العلم للخطيب. 56- والمصنف لابن أبي شيبة: 53/9.

على الكتابة، والاعتماد على المكتوب يضعف عندهم ملكة الحفظ، وقوة العارضة، وسيلان الذهن الذي عرف عنهم (1). ولهذا يقول الإمام مالك رضي الله عنه: لم يكن القوم يكتبون، وإنما يحفظون، فمن كتب منهم الشيء فإنما كان يكتبه ليحفظه، فإذا حفظه محاه. و كان غير واحد من السلف يستعين على حفظ الحديث بأن يكتبه و يدرسه من كتابه، فإذا أتقنه محاه الكتاب خوف الاتكال. (2) و أيضا لأن وسائل الكتابة لم تكن ميسرة فهو يمحو المكتوب ليكتب غيره، و قد مات ابن المسيب (3) و لم يترك كتابا، و لا القاسم بن محمد (4)، و لا عروة بن الزبير (5). و سمع يونس بن حبيب (6)

ص: 75

-
- 1- انظر: تدريب الراوي للسيوطي: 50
 - 2- انظر: تقييد العلم للخطيب: 58- و حجية السنة لأبي شهبة: 395.
 - 3- هو سعيد بن المسيب بن حزن القرشي، سيد التابعين، و عالم أهل المدينة، توفي (94 هـ). انظر: طبقات ابن سعد: 119/5- و سير أعلام النبلاء للذهبي: 217/4.
 - 4- هو القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، تابعي ثقة، أحد كبار فقهاء المدينة، قال أيوب: ما رأيت أفضل منه، توفي سنة (106 هـ). انظر: طبقات خليفة: 244- و سير أعلام النبلاء للذهبي: 53/5.
 - 5- هو عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد، أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق، عالم المدينة و أحد الفقهاء السبعة، توفي سنة (93 هـ). سنة الفقهاء لكثرة ما مات فيها من الفقهاء. انظر: المعارف لابن قتيبة: 222- و طبقات خليفة: 241- و سير أعلام النبلاء للذهبي: 421/4.
 - 6- هو يونس بن حبيب الضبي، إمام النحو، و شيخ سيبويه و الفراء و الكسائي، له تواليف في القرآن و اللغات، توفي سنة (183 هـ). انظر: المعارف لابن قتيبة: 541- و سير أعلام النبلاء للذهبي: 191/8.

رجلا ينشد:

استودع العلم قرطاسا فضيعة وبس مستودع العلم القراطيس فقال يونس: قاتله الله ما أشد صيانته للعلم و صيانته للحفظ. (1)

وقال الخليل بن أحمد (2):

ليس العلم ما حوى القمطر ما العلم إلا ما حواه الصدر ثم إن كثيرا من الأعراب الذين دخلوا في الدين لم يكونوا قد تفقهوا، ولا جالسوا العلماء العارفين فلم يؤمن أن يلحقوا ما يجدون من الصحف بالقرآن، ويعتقدوا أن ما اشتملت عليه كلام الرحمن (3).

أضف إلى هذا خشية الصحابة من أن يفهم البعض أن في تدوين السنة من قبلهم حصر لها والأمر خلاف ذلك، طلب أبو بكر الصديق رضي الله عنه من ابنته عائشة- رضي الله عنها- قبل وفاته أن تأتي له بما جمعه من حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم ليحرقه و كان من جملة ما قال لها: ويكون قد بقي

ص: 76

1- انظر تاريخ أبي زرعة: 517/1- و جامع بيان العلم: 69/1.

2- هو الخليل بن أحمد الفراهيدي، البصري، صاحب العربية و منشئ علم العروض، شيخ سيبويه في النحو، عرف عنه حدة للذكاء و الفطنة، و اللطافة، توفي سنة (170 هـ). انظر: المعارف لابن قتيبة: 541- و سير أعلام النبلاء للذهبي: 429/7.

3- انظر تقييد العلم للخطيب: 57.

حديث لم أجده فيقال: لو كان قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ما خفي على أبي بكر. (1)

كما كان لمشقة الكتابة، وندرة و سائلها، أثرها الواضح في كراهية بعضهم لها، إذ تستدعي الكتابة على الأدم و اللخاف و العظام .. و غير ذلك، جهدا خاصا، فمجرد الكتابة عليها أمر في غاية الصعوبة.

ج- ما الذي كتبه الصحابة:

إشارة

تبين لنا فيما سبق أن عددا من الصحابة كان يجيد الكتابة و يمارسه، و أن عددا منهم تعلم الكتابة بعد أن دخل الإسلام و مارسه، و الذي يظهر من أخبارهم أنهم كانوا يكتبون كل ما تحتاجه الدولة الإسلامية من أمور الوحي، و حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، و تفسير القرآن الكريم، و المراسلات و الوثائق و المعاهدات و الصكوك بأنواعها و العقود و غير ذلك، و سوف أتناول هذه الأمور بالتحليل الموجز حسب ما يقتضيه المقام:

1) الوحي:

كان جل اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم و الصحابة بالوحي من بدء نزوله حتى اكتمل، فقد كان صلى الله عليه وسلم حين تنزل عليه الآية أو الآيات يأمر الصحابة بتدوينها، و يملئها عليهم من فوره، فيدونونها على أي شيء يكون بين أيديهم مثل الورق و الخشب أو قطع الجلد و العصب و الأكتاف و غيرها،

ص: 77

1- سبق تخريجه.

و من ثم ينسخونه و يتداولونه فيما بينهم.

روى البخاري عن البراء بن عازب (1) قال: نزلت آية لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ [النساء: 95] قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ادعوا زيدا». فجاء ومعه الدواة و اللوح أو الكتف، فقال: اكتب: لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ ... (2).

وهكذا دَوّن القرآن كله في عهده صلى الله عليه وسلم، و ياملأئه و مراجعته صلى الله عليه وسلم، غير أنه لم يكن مجموعا و لا مرتبا حسب السور، كما أنه لم يكن مكتوبا على وسيلة واحدة من وسائل الكتابة، و لهذا حين دعت الحاجة إلى جمعه في عهد أبي بكر رضي الله عنه جمعت الصحف، ثم نسخت المصاحف في عهد عثمان رضي الله عنه فكان في مأمن من الأخطار.

(2) حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم:

السنة النبوية هي المصدر الثاني للتشريع بعد كتاب الله عز و جل،

ص: 78

-
- 1- هو البراء بن عازب بن الحارث الأوسي الأنصاري، له و لأبيه صحبة، استصغره النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر فرده، غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع عشرة غزوة، و شهد مع علي الجمل و صفين و قتال الخوارج، توفي في خلافة مصعب بن الزبير. انظر: طبقات خليفة: 80 و 135- و الاستيعاب لابن عبد البر: 139/1.
 - 2- أخرجه البخاري، كتاب: التفسير (سورة النساء)، باب: لا يستوي القاعدون: 182/5 و الواحدي في أسباب النزول: 168- و أبو داود في السنن: 34/3- و الترمذي في سننه: 242/5- و الطبراني في الكبير: 133/5.

وهي وحي منزل وما يُنطقُ عن الهوى. إن هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحى [النجم:

[3] وفي الحديث «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه ..» (1) أي: السنة. ولهذا حرص الصحابة على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم حرصهم على كتاب الله، وتنوعت أشكال هذا الحرص وهذا الاهتمام، فمن أوتي ملكة الحفظ حفظ، ومن كان دون ذلك سعى لتدوين ما يشق عليه حفظه ليحفظه فيما بعد، وهكذا تنوَّقت الصحف التي تحوي سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم، وبإشارة منه، ولما خشى اختلاط السنة بالقرآن نهى الصحابة عن تدوين شيء مع القرآن الكريم، وفهم بعض الصحابة من هذا النهي التوقف عن الكتابة البتة، فمزق ما كتبه وامتنع، وفهم آخرون أن هذا النهي مقيد فأولوه بمنع كتابة شيء مع كلام الله في صحيفة واحدة خشية الاختلاط، لذلك لم يمتنعوا عن الكتابة، وظلوا يستندون إلى أحاديث الإباحة، وتلك التي أذنت في الكتابة وهي كثيرة أيضا، أخرج ابن عبد البر (2) في جامع بيان العلم عن أنس بن مالك (3) - رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قيدوا

ص: 79

1- أخرجه أبو داود في السنن، كتاب: السنة، باب: في لزوم السنة: 200/4 - وأحمد في المسند: 131/4.

2- هو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي، أبو عمر، شيخ علماء الأندلس، وكبير محدثيها وأحفظ من كان بالأندلس لسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم، توفي سنة (368 هـ). انظر: ترتيب المدارك للقاضي عياض: 808/4 - وفيات الأعيان لابن خلكان: 66/7.

3- هو أنس بن مالك بن النضر بن النجار، خدم النبي صلى الله عليه وسلم صغيرا، وسمع منه ومن كبار الصحابة، شهد الحديبية والفتح وحنين، توفي بالبصرة سنة (93 هـ). انظر: المعارف لابن قتيبة: 308- والاستيعاب لابن عبد البر: 7/1.

وقد أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكتب لأبي شاة (2) بقوله: «اكتبوا لأبي فلان». (3).

وروي أن رجلا- من الأنصار شكاه حفظه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له: «استعن بيمينك»، وأوماً بيده للخط. (4) أي بالكتابة.

ص: 80

1- أخرجه الحاكم في المستدرک: 106/1 وقال: صحت الرواية عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أنه قال: قیدوا العلم بالكتاب ... قال: وكذلك الرواية عن أنس بن مالك صحيح من قوله، وقد أسند من وجه غير معتمد. وأخرجه الخطيب في تقييد العلم: 70- وفي تاريخ بغداد: 46/10- وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله: 72/1- وابن الجوزي في العلل المتناهية: 78/1.

2- هو أبو شاة اليماني، وقيل: إنه كلبي، وقيل: هو من أبناء الفرس، كان ممن حضر خطبة يوم الفتح، وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن تكتب له الخطبة. انظر: الإصابة لابن حجر: 100/4.

3- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: العلم، باب: كتابة العلم: 36/1- وأبو داود في السنن، كتاب: العلم، باب: في كتابة العلم: 3/319. والترمذي، كتاب: العلم، باب: ما جاء في الرخصة فيه: 39/5 وقال: حديث حسن صحيح- وأحمد في المسند: 238/2.

4- أخرجه الترمذي، كتاب: العلم، باب: الرخصة فيه: 39/5 وقال: إسناده ليس بذلك. وهو في تقييد العلم: 65، والجامع لأخلاق الراوي: 249/1 ط المعارف- وكنز العمال: 245/10.

و روى الإمام أحمد (1) عن عمرو بن شعيب (2) عن أبيه عن جده أنه قال: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه و سلم أريد حفظه، فنهتني قريش وقالوا: إنك تكتب كل شيء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه و سلم، و رسول الله صلى الله عليه و سلم بشر يتكلم في الغضب و الرضى، فأمسكت عن الكتابة، فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه و سلم فقال: «اكتب فو الذي نفسي بيده لا يخرج مني إلا حق». (3) بل إن رسول الله صلى الله عليه و سلم كان يملي الكتب إلى الملوك و في المصالحة و قد أملى على علي رضي الله عنه ليكتب، قالت أم سلمة (4) زوج النبي صلى الله عليه و سلم: دعا رسول الله صلى الله عليه و سلم بأديم و علي بن أبي طالب عنده، فلم يزل رسول الله صلى الله عليه و سلم

ص: 81

-
- 1- هو أحمد بن حنبل الشيباني أبو عبد الله، رابع الأئمة الأربعة، إمام عالم مجتهد، كان لموقفه من محنة القرآن أثره في ثبات أهل السنة في وجه المعتزلة، توفي سنة (241 هـ). انظر: تاريخ بغداد: 4/ 412- و طبقات الحنابلة لأبي يعلى: 4/ 1.
 - 2- هو عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله السهمي، وثقه الجمهور، واحتج به أرباب السنن الأربعة، توفي سنة (118 هـ). انظر: طبقات خليفة: 286- و سير أعلام النبلاء للذهبي: 5/ 165.
 - 3- أخرجه الحاكم في المستدرک: 1/ 104 و قال: صحيح الإسناد و لم يخرجاه. و قال الذهبي: صحيح و لم يخرجاه. - و أبو داود، كتاب العلم، باب: كتابة العلم: 3/ 318- و الدارمي: 1/ 103- و هو في تقييد العلم: 74- 82- و الجامع لأخلاق الراوي: 50.
 - 4- هي أم سلمة هند بنت أبي أمية بن المغيرة القرشية المخزومية، أم المؤمنين زوج النبي صلى الله عليه و سلم، توفيت سنة (62 هـ) و هي آخر أمهات المؤمنين موتاً. انظر: أسد الغابة لابن الأثير: 7/ 340- و الإصابة لابن حجر: 4/ 458.

يملي وعلّي يكتب حتى ملأ بطن الأديم وظهره و أكارعه. (1).

يقول الأعظمي: أملى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض الأحاديث، وكتبها الصحابة وبلغت درجة التواتر منها الرسائل التي بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مختلف الأمراء وهي أحاديث نبوية. (2)

كما أن فعل الصحابة يؤكد أن منهم من كان يكتب ويحتفظ بالمكتوب لديه، روى البخاري في «صحيحه» عن أبي جحيفة (3) قال: قلت لعلّي: هل عندكم كتاب؟ قال: لا، إلا كتاب الله، أو فهم أعطيه رجل مسلم، أو ما في هذه الصحيفة. قال: قلت: و ما في هذه الصحيفة؟ قال: العقل وفكاك الأسير، ولا يقتل مسلم بكافر. (4)

وروي عن أبي هريرة- رضي الله عنه- (5) أنه قال: ما من أصحاب رسول الله

ص: 82

-
- 1- انظر: أدب الإملاء والاستملاء للسمعاني: 12 قال السمعاني: و أمثال هذه الكتب كثيرة و لو ذكرناها لطلال الكتاب، و المقصود أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يملي الكتب على كتّابه رضي الله عنهم أجمعين- و دراسات في الحديث النبوي: 127/1.
 - 2- انظر: دراسات في الحديث النبوي للأعظمي: 79/1.
 - 3- هو أبو جحيفة وهب بن عبد الله السوائي و يقال له وهب الخير، من صغار الصحابة، لازم عليا فإذا خطب يقوم أبو جحيفة تحت منبره، مات (74 هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 202/3- و الإصابة لابن حجر: 642/3.
 - 4- صحيح البخاري، كتاب: العلم، باب: كتابة العلم: 36/1.
 - 5- هو عبد الرحمن بن صخر الدوسي أكثر الصحابة حفظا للحديث ببركة دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم، كثير التعبد و الذكر، فيه دعابة، استعمله عمر على البحرين، توفي سنة (58 هـ) انظر: المعارف لابن قتيبة: 120- و الإصابة لابن حجر: 220/4.

صلى الله عليه وسلم أحد أكثر حديثا عنه مني إلا ما كان من عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب ولا أكتب. (1)

وروي أنه كان لابن عباس رضي الله عنه مجموعة ضخمة من الكتب يحتاج في نقلها ظهر بعير، وأن مولاه و تلميذه كريب (2) قام بحفظها ثم أودعها لدى موسى بن عقبة (3) الذي قال: وضع عندنا كريب حمل بعير من كتب ابن عباس، وكان علي بن عبد الله ابن عباس (4) إذا أراد الكتاب كتب إليه

ص: 83

- 1- أخرجه البخاري، كتاب: العلم، باب: كتابة العلم. البخاري مع الفتح: 206/1 و الترمذي، كتاب: العلم، باب: الرخصة فيه: 40/5 و قال: حديث حسن صحيح- وأحمد في المسند: 248/2 و الدارمي في السنن: باب: من رخص في كتابة العلم: 103/1- و الخطيب في جامع بيان العلم: 84/1، و تقييد العلم: 82.
- 2- هو كريب بن أبي مسلم الهاشمي، مولى ابن عباس، وثقه ابن معين و النسائي، توفي سنة (98 هـ). انظر: طبقات خليفة: 280- و سير أعلام النبلاء للذهبي: 479/4.
- 3- هو موسى بن عقبة بن أبي عياش القرشي، من صغار التابعين، إمام ثقة قليل الحديث، له كتاب في المغازي، و قيل: هو أول من ألف فيه، توفي سنة (141 هـ). انظر: طبقات خليفة: 267- و سير أعلام النبلاء للذهبي: 114/6.
- 4- هو علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي، ولد عام قتل الإمام علي فسمي باسمه، قال ابن سعد: ثقة قليل الحديث. هو جد الخلفاء من بني العباس، توفي سنة (118 هـ). انظر: طبقات خليفة: 239- و سير أعلام النبلاء للذهبي: 252/5 ر 284.

ابعث إليّ بصحيفة كذا وكذا، فينسخها و يبعث بها. (1) ولا شك أن هذا المكتوب كان خليطاً من شتى اهتمامات ابن عباس العلمية: الحديث و التفسير و الشعر و اللغة و غير ذلك.

و روت سلمى (2) خادمة رسول الله صلى الله عليه و سلم و زوجة أبي رافع بن خديج فقالت: رأيت ابن عباس معه ألواح يكتب عليها عن أبي رافع شيئاً من فعل رسول الله صلى الله عليه و سلم. (3)

و عن نافع (4) أن ابن عمر - رضي الله عنه - كان له كتب ينظر فيها قبل أن يخرج إلى الناس. (5)

و أخرج الحاكم عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: جمع أبي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه و سلم فكانت خمسمائة حديث، فبات ليلة يتقلب

ص: 84

-
- 1- انظر: طبقات ابن سعد: 216/5- و تقييد العلم للخطيب: 136- و سير أعلام النبلاء للذهبي: 480/4.
 - 2- هي سلمى أم رافع امرأة أبي رافع مولى الرسول صلى الله عليه و سلم، انظر الإصابة لابن حجر: 4/333.
 - 3- انظر: طبقات ابن سعد: 371/2- و تقييد العلم: 91- و الترايب الإدارية للكتاني: 247/2.
 - 4- هو نافع أبو عبد الله القرشي، مولى ابن عمر و راويته، من كبار التابعين، ديلمي الأصل، أصابه ابن عمر في بعض غزواته صغيراً توفي (117 هـ). انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان: 367/5- و سير أعلام النبلاء للذهبي: 95/5.
 - 5- انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 238/3.

كثيراً، فغممني فقلت: تتقلب لشكوى أو لشيء بلغك؟ فلما أصبح قال: أي بنية، هلمي الأحاديث التي عندك، فجننته بها، فدعا بنار فأحرقها، و قال:

خشيت أن أموت و هي عندك فيكون فيها أحاديث عن رجل ائتمنته و وثقت به و لم يكن كما حدثني، فأكون قد تقوّلت ذلك.

و في رواية زيادة: فأكون قد تقلدت ذلك و يكون قد بقي حديث لم أجده فيقال: لو كان قاله رسول الله صلى الله عليه و سلم ما غبي على أبي بكر، إني حدثتكم الحديث و لا أدري لعلي لم أتبعه حرفاً حرفاً. (1)

و مثل هذا روي عن النعمان بن قيس أن عبيدة ت (72 هـ) (2) دعا بكتبه عند الموت فمحاها فقبل له في ذلك فقال: أخشى أن يليها قوم

ص: 85

1- انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي: 5/1، و كنز العمال: 285/10، و عزاه لابن كثير عن الحاكم، قال الحافظ ابن كثير: هذا غريب من هذا الوجه جدا و علي بن صالح- من رجال السند- لا يعرف، و الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أكثر من هذا المقدار بألوف و لعله إنما اتفق له جمع تلك فقط ثم رأى ما رأى. و قال السيوطي: لعله جمع ما فاته سماعه من النبي صلى الله عليه و سلم و حدثه عنه به بعض الصحابة، ثم خشي أن يكون الذي حدثه و هم فكره تقلد ذلك. مسند أبي بكر الصديق للسيوطي: 176- و «غبي» أي: خفي. النهاية في غريب الحديث لابن الأثير:

2- هو عبيدة بن عمرو- و قيل ابن قيس- السلماني، أسلم عام الفتح بأرض اليمن، و لا صحبة له، برع في الحديث و الفقه، توفي سنة (72 هـ). انظر: المعارف لابن قتيبة: 425- و سير أعلام النبلاء للذهبي: 40/4.

يضعونها في غير موضعها. (1)

و ترك أبو قلابة ت (104 هـ) (2) وصية على فراش موته يقول فيها:

ادفعوا كتبتي إلى أيوب (3) إن كان حيا، وإلا فاحرقوها. وقد حملت الكتب بعد وفاته إلى الشام لأيوب السخثياني. (4)

إن ثلثة من الصحابة محوا ما كتبوه أو غسلوه أو حرقوه أو دفنوه خشية أن تزول إلى غير أهل العلم، و مهما كان ذلك فإن الشاهد منها قائم و هو كتابة الحديث و تدوينه.

أما أحاديث النهي عن كتابة السنة و كراهية ذلك فهي أيضا كثيرة:

ص: 86

1- انظر: طبقات ابن سعد: 63 /6- و تقييد العلم للخطيب: 61- و جامع بيان العلم لابن عبد البر: 67 /1- و سير أعلام النبلاء للذهبي: 43 /4.

2- هو عبد الله بن زيد بن عمرو الجرمي، ثقة كثير الحديث، كان ديوانه بالشام، و مات بداريا. انظر: المعارف لابن قتيبة: 447- و سير أعلام النبلاء للذهبي: 468 /4.

3- هو أيوب السخثياني أبو بكر بن أبي تميمة كيسان العنزري، قال عنه الحسن: هذا سيد الفتيان. و قيل عنه: سيد الفقهاء، مات بالبصرة في الطاعون سنة (131 هـ). انظر: المعارف لابن قتيبة: 471- و سير أعلام النبلاء للذهبي: 15 /6.

4- انظر: طبقات ابن سعد: 185 /7- و المعارف لابن قتيبة: 447- و تقييد العلم للخطيب: 62- و تذكرة الحفاظ للذهبي: 94 /1- و تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر لعبد القادر بدران: 427 /7- و سير أعلام النبلاء للذهبي: 473 /4.

روى مسلم (1) في «صحيحه» عن أبي سعيد الخدري (2) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تكتبوا عني، و من كتب عني غير القرآن فليمحاه، و حدثوا عني و لا حرج، و من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار». (3)

و روى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا قعوداً نكتب ما نسمع من النبي صلى الله عليه وسلم فخرج علينا فقال: ما هذا تكتبون؟ فقلنا: ما نسمع منك.

فقال: أكتب مع كتاب الله... الحديث (4). و أحاديث أخرى في هذا المعنى، يذهب بعض أهل العلم إلى عدم ثبوت المنع و منهم الأستاذ الأعظمي الذي

ص: 87

- 1- هو مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري، إمام محدث حافظ، من أوعية العلم، مصنفاته كثيرة منها كتاب الصحيح، توفي سنة (261 هـ). انظر: تاريخ بغداد للخطيب: 100/3- و تذكرة الحفاظ للذهبي: 126/10.
- 2- هو سعد بن مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن الخزرج، أبو سعيد الخدري، مشهور بكنيته، أول مشاهده الخندق، و غزا مع الرسول صلى الله عليه وسلم اثنتي عشرة غزوة، و كان ممن حفظ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سنناً كثيرة و روى عنه علماً جماً، و كان من نجباء الأنصار و علمائهم و فضلائهم. توفي سنة أربع و سبعين، روى عنه جماعة من الصحابة و جماعة من التابعين. انظر الاستيعاب لابن عبد البر: 602/1.
- 3- صحيح مسلم، كتاب: الزهد، باب: الثبت في الحديث و حكم كتابة العلم: 2298/4- و المسند للإمام أحمد: 12/3- و سنن الدارمي: 98/1- و تقييد العلم للخطيب: 29- و جامع بيان العلم لابن عبد البر: 76/1.
- 4- المسند للإمام أحمد: 12/3- و تقييد العلم للخطيب: 33- و هو في مجمع الزوائد للهيثمي: 150/1.

يقرر عدم صحة ما ورد في هذا الباب من أحاديث المنع ظاهرها من الكتابة، عدا رواية واحدة وردت عن أبي سعيد الخدري مع الخلاف في رفعها ووقفها، وكذلك في المعنى المراد منها. (1)

ويقول الحافظ ابن حجر (2): إن السلف اختلفوا في ذلك عملا وتركاً، وإن كان الأمر استقر والإجماع انعقد على جواز كتابة العلم، بل استحبابه، بل لا يبعد وجوبه على من خشى النسيان ممن يتعين عليه تبليغ العلم. (3)

وقد حاول العلماء الجمع بين أحاديث النهي والإباحة، وخرجوا بعدة وجوه منها:

1- أن النهي خاص بوقت نزول القرآن خشية التباسه بغيره، والإذن في غير ذلك الوقت. (4)

2- أن النهي خاص بكتابة الحديث مع القرآن في صحيفة واحدة خوف الاشتباه، حيث أن الصحابة كانوا يكتبون تأويل الآيات، فربما كتبوه

ص: 88

1- انظر دراسات في الحديث النبوي للأعظمي: 80/1.

2- هو أحمد بن علي بن محمد بن العسقلاني، إمام حافظ، انتهت إليه رئاسة علم الحديث، مصنفاته كثيرة منها فتح الباري، توفي سنة (852 هـ). انظر: طبقات الحفاظ للسيوطي: 552- والضوء اللامع للسخاوي: 36/2.

3- انظر: فتح الباري لابن حجر: 146/1- وقريب من هذا قاله ابن الصلاح، ينظر علوم الحديث: 169.

4- انظر: تدريب الراوي للسيوطي: 151- وفتح الباري لابن حجر: 4/1.

معها، والإذن كان لكتابة الحديث في صحف مستقلة ليس فيها شيء من القرآن. (1)

3- أن النهي خاص بكتاب الوحي المتلو (القرآن)- الذين كانوا يكتبونه في صحف ليحفظ في بيت النبوة، ولو أجاز لهم كتابة الحديث لم يؤمن أن يختلط القرآن بغيره- وأن الإذن لغيرهم.

4- أن النهي لمن أمن عليه النسيان، ووثق بحفظه. (2)

5- أن العارفين بالكتابة كانوا في صدر الإسلام قلة، لذا اقتضت الحكمة قصر جهودهم على كتابة القرآن الكريم وبعض أمور الدولة الهامة، وعدم الاشتغال بكتابة غير ذلك. (3)

6- أن الإذن في الكتابة ناسخ للمنع منها. (4) والله أعلم.

(3) تفسير القرآن الكريم وما يتعلق به:

من أسباب النزول و الناسخ و المنسوخ و غريب القرآن و غيرها من

ص: 89

1- انظر: تدريب الراوي للسيوطي: 150.

2- انظر: حجية السنة للأعظمي: 442.

3- انظر: تدريب الراوي للسيوطي: 150.

4- انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير: 4 / 148.

المسائل المتعلقة بالآيات التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرص على تبليغها لأصحابه عند نزول الآية أو الآيات، فكثيرا ما كان صلى الله عليه وسلم يبين لهم حالته زمن نزول الوحي عليه، قبيله وأثناءه وعقبه، ويحدد الموضوع الذي نزلت فيه الآية أو الآيات، كما يبين لهم المنسوخ من الآيات، ويفسر لهم المجمل ويشرح الغريب ويخصص العام ويقيد المطلق ويخبر بالمغيبات ونحوها.

وبعض الصحابة كانوا يكتبون من الذي يسمعونه ما يحتاجون إلى كتابته، من المعاني والمسائل الهامة، وإن كان اعتمادهم على الحفظ هو الأساس.

و حين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء عصر صغار الصحابة وكبار التابعين، حرصت الفتان على تلقي ما تحدّث به رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومعرفة الأحوال التي أحاطت بالوحي، والتجأ بعضهم إلى تدوين ما يسمعه على هامش المصاحف أو غيرها من وسائل الكتابة، وجعلوا المكتوب معهم يلجئون إليه عند الحاجة أو رغبة حفظه، وقد تقدم في الفقرة السابقة بعض الدلائل على كتابة الصحابة للسنة، وما التفسير المأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا من هذه السنة.

(4) الرسائل و العقود و الوثائق:

وكل ما احتيج إلى تقييده في السطور، كحفظ الحقوق، والمكاتبات، والاتفاقيات مع القبائل، والمعاهدات و عقود منح الأراضي، و سجلات الغزوات و المغانم، و الصكوك بين الناس بحوائجهم، و رسائله صلى الله عليه وسلم إلى الحكام و أمراء الجند، داخل الجزيرة العربية و خارجها يعرض عليهم الإسلام، من

ذلك ما كتبه صلى الله عليه وسلم إلى هرقل عظيم الروم، (1) وإلى ملك الفرس كسرى (2)، وإلى المقوقس ملك مصر (3)، وإلى النجاشي (4)، ومنها بعثه صلى الله عليه وسلم سليط بن عمرو العامري (5) إلى هوزة بن علي الحنفي يدعو إلى الإسلام، وكتب له

ص: 91

1- هو هرقل عظيم الروم، كانت مدة ملكه خمسا وعشرين سنة، منه ملك المسلمون الشام، وقد كتب له النبي صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الإسلام، وحمل الرسالة دحية الكلبي، وكاد أن يتبع غير أنه خاف من قومه. انظر: المحبر لابن حبيب: 75- وصبح الأعشى للقلقشندي: 362/6- والكامل لابن الأثير: 143/2 و 188.

2- هو كسرى أنوشروان عظيم الفرس، كتب له الرسول صلى الله عليه وسلم ودعاه إلى الإسلام فأبى، وحمل الرسالة عبد الله بن حذافة، فمزق كتابه، قال صلى الله عليه وسلم: *مزق الله ملكه؛ قتله ابنه شيرويه. انظر: المحبر لابن حبيب: 77- وصبح الأعشى للقلقشندي: 363- والكامل لابن الأثير: 143/2 و 146.

3- هو المقوقس ملك مصر، كتب له الرسول صلى الله عليه وسلم كتابا وأرسله مع حاطب بن أبي بلتعة، فقبل كتابته، وأهدى إليه صلى الله عليه وسلم أربع جوار منهن مارية أم إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم. انظر: صبح الأعشى للقلقشندي: 364/6- والكامل لابن الأثير: 143/2.

4- هو النجاشي ملك الحبشة، واسمه أصحمة، معدود في الصحابة، كان ممن حسن إسلامه ولم يهاجر، وليست له رؤية، توفي في حياة النبي صلى الله عليه وسلم فصلى عليه بالناس صلاة الغائب. و انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 428/1. انظر: المحبر لابن حبيب: 76- وصبح الأعشى للقلقشندي: 364/6- وحمل الرسالة عمرو بن أمية الضمري. انظر: الكامل لابن الأثير: 143/2.

5- هو سليط بن عمرو بن عبد شمس العامري، أسلم قديما، شهد بدرًا، استشهد في اليمامة. انظر: الإصابة لابن حجر: 71/2.

كتاباً، (1) وبعثه صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص (2) إلى جيفر و عبد ابني الجلندي يدعوهما إلى الإسلام و معه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهما (3) وبعثه صلى الله عليه وسلم شجاع بن وهب (4) إلى الحارث بن أبي شمّر الغساني (5) و كان عبد الله بن أرقم الزهري ممن يكتب هذه الرسائل، كما كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يكتب بعض عهود النبي صلى الله عليه وسلم، و كان ابن عباس - رضي الله عنهما - يحتفظ ببعض نسخ تلك الرسائل. (6) و قد جمع عمرو بن حزم الأنصاري

ص: 92

- 1- كان هودّة ملك اليمامة، و كان نصرانياً، أرسل إلى النبي صلى الله عليه وسلم و فدا بعد أن استلم كتابه، يبلغه إن جعل الأمر له بعد أن يسلم، سار إليه و نصره، و إلا قصد الحرب. فقال صلى الله عليه وسلم: لا و لا كرامة، اللهم اكفنيه. فمات. انظر طبقات ابن سعد: 1/ 262- و الكامل لابن الأثير: 2/ 143.
- 2- هو عمرو بن العاص بن وائل السهمي، يضرب به المثل في الفطنة و الدهاء و الحزم، من أبطال الجاهلية و الإسلام، أسلم عام ثمان، و ولاه النبي صلى الله عليه وسلم على جيش ذات السلاسل، توفي بمصر سنة (42 هـ)، انظر: المعارف لابن قتيبة: 286- و صبح الأعشى للقلقشندي: 6/ 365- و سير أعلام النبلاء للذهبي: 3/ 54.
- 3- انظر: طبقات ابن سعد: 1/ 262.
- 4- هو شجاع بن وهب بن ربيعة بن أسد الأسدي، من السابقين المهاجرين إلى الحبشة، شهد بدر، و استشهد باليمامة. انظر: الإصابة لابن حجر: 2/ 138.
- 5- انظر: الكامل لابن الأثير: 2/ 145.
- 6- انظر: نصب الراية للزبلي: 4/ 420- و تقييد العلم للخطيب: 72- و دراسات في الحديث النبوي للأعظمي: 1/ 139.

ت (50 هـ) (1) بعض مكاتيب رسول الله صلى الله عليه وسلم في شكل كتاب وروى عنه ابنه هذا الكتاب. (2)

و مما كان يكتبه الصحابة ما كان يأمر بكتابه صلى الله عليه وسلم من التعليمات و التوجيهات لأمرء السرايا، روي أنه صلى الله عليه وسلم كتب لعبد الله بن جحش (3)، أمير سرية نخلة صحيفة من أديم خولاني (4) وقال: لا تقرأه حتى تبلغ مكان كذا و كذا. فلما بلغ ذلك المكان قرأه على الناس، و أخبرهم بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم (5). و كتب إلى خالد بن الوليد في جواب كتابه إليه صلى الله عليه وسلم ياسلام بني

ص: 93

- 1- هو عمرو بن حزم بن زيد بن لوذان الخزرجي، الأنصاري، صحابي شهد الخندق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، و بعثه إلى اليمن بكتاب فيه الفرائض و السنن و الدييات. قيل: توفي (51 هـ). انظر: طبقات خليفة: 89- و تهذيب الكمال للمزي: 585 / 21.
- 2- و قد طبع الكتاب مع كتاب ابن طولون أعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين. انظره: ص 48، و في صبح الأعشى للقلقشندي: 6 / 351-368 نماذج كثيرة من رسائله صلى الله عليه وسلم إلى الملوك و العظماء و الأمراء و غيرهم.
- 3- هو عبد الله بن جحش بن رباب الأسدي، من السابقين هاجر إلى الحبشة، و شهد بدر، و كانت أول راية عقدت في الإسلام هي له، استشهد يوم أحد. انظر: المعارف لابن قتيبة: 160- و الإصابة لابن حجر: 286 / 2.
- 4- نسبة إلى خولان، و هي من مخاليف اليمن، و قيل: قرية بقرب الشام. معجم البلدان لياقوت: 407 / 2.
- 5- انظر: حجية السنة للأعظمي: 402- و هو في المغازي للواقدي: 1 / 13- و البداية و النهاية لابن كثير: 3 / 249.

الحارث. (1) وأخرج البخاري عن حذيفة- رضي الله عنه- قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «اكتبوا لي من تلفظ بالإسلام من الناس». فكتبنا له ألفا وخمسمائة. (2)

وكتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى ثقيف (3) كتابا أن لهم ذمة الله وذمة محمد بن عبد الله على ما كتب لهم، وإلى خثعم (4)، وإلى ثمالة (5) و الحدان (6) (7) كما ثبت أنه صلى الله عليه وسلم كتب كتبا كثيرة في بيان ديات النفس والأطراف والفرائض والصدقات وغير ذلك من الأحكام، كالذي كتبها لعمر بن حزم حين بعثه

ص: 94

-
- 1- انظر: صبح الأعشى للقلقشندي: 353 /6.
 - 2- صحيح البخاري، كتاب: الجهاد، باب: كتابة الإمام للناس: البخاري مع الفتح: 177 /6.
 - 3- هي بطن من هوازن، اشتهروا باسم أبيهم، فيقال لهم بني ثقيف، كانت مواطنهم بالطائف. انظر: معجم القبائل العربية لرضا كحالة: 1 /148.
 - 4- هي قبيلة من القحطان تنسب إلى خثعم بن أنمار، منازلهم بين بيشة وثرية. انظر: معجم القبائل العربية لكحالة: 331 /1.
 - 5- هي قبيلة من القحطانية، كانت منازلهم قرب الطائف، وهي نسبة إلى ثمالة بن أسلم. انظر: معجم القبائل العربية لكحالة: 153 /1.
 - 6- بطن من القحطانية كانوا بالسراة، وينسبون إلى حدان بن شمس. انظر: معجم القبائل العربية لكحالة: 250 /1.
 - 7- انظر: طبقات ابن سعد: 286 /1- وقد ذكر ما يقرب من مائة كتاب كتبها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والقبائل: 1 /258-291- وانظر الوثائق السياسية لمحمد حميد الله: وثيقة رقم: 181.

على نجران ويقال: إن هذا الكتاب بقي لدى عائلة عمرو بن حزم حتى عهد الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه. (1)

كما أعطى صلى الله عليه وسلم للعلاء بن الحضرمي ت (14 هـ) أثناء حكمه على البحرين قواعد مكتوبة خاصة بزكاة الإبل والبقر و
الماعز. (2)

ومن الاتفاقيات التي أبرمت في عهده صلى الله عليه وسلم وكتبت ما تم مع قبيلة بني ضمرة (3) وذلك في غزوة الأبواء في السنة الأولى
من الهجرة. (4)

ومعاهدة الحديبية وكانت سنة (6 هـ) (5) والاتفاقية التي كتبت مع أكيدر حاكم دومة الجندل (6) وكانت سنة (9 هـ) (7)، ومعاهدته
صلى الله عليه وسلم مع أهل

ص: 95

1- انظر: التراتيب الإدارية للكتاني: 1/168- و طبقات ابن سعد: 1/267- و تاريخ بغداد للخطيب: 8/228- و تقييد العلم للخطيب:
-72.

2- انظر: طبقات ابن سعد: 1/463.

3- نسبة إلى ضمرة بن بكر، بطن من كنانة، من ديارهم المرود، موضع عند الجحفة. انظر: معجم القبائل العربية لكحالة: 2/667.

4- انظر: المغازي للواقدي: 1/12- و المعارف لابن قتيبة: 48.

5- انظر: المغازي للواقدي: 2/611- و البخاري مع الفتح: 6/282.

6- هو أكيدر دومة بن عبد الملك بن عبد الجن، صاحب دومة الجندل، أسره خالد بن الوليد، وأرسله إلى النبي صلى الله عليه وسلم
فصالحه على الجزية، ثم ارتد فقاتله خالد في أيام أبي بكر فقتله كافرا. انظر: أسد الغابة لابن الأثير: 1/135- و الإصابة لابن حجر: 1/

125- و معجم البلدان لياقوت: 2/478.

7- انظر: فتوح البلدان للبلاذري: 82- و صبح الأعشى للقلقشندي: 6/356.

أيله (1)، وغير ذلك من المعاهدات و الاتفاقيات التي كتبت بإملاء رسول الله صلى الله عليه وسلم.

و كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم لتميم الداري- رضي الله عنه- (2) صكا يمنحه بموجبه قرى جيرون و الرطومة و بيت عينون بالشام. (3) و هي الوثيقة التي جدها الصديق أبو بكر، و بقيت إلى عصر القلقشندي الذي ذكر أن أحد معاصريه رآها في أيدي بعض التميميين.

كما كتب صلى الله عليه وسلم لسلمان الفارسي- رضي الله عنه- (4) الفدية و فيه: هذا ما فادى

ص: 96

1- انظر: فتوح البلدان للبلاذري: 80- و البخاري مع الفتح: 266/6- و أيله بالفتح، موضع من آخر الحجاز و أول الشام، قدم منها يوحنه بن رؤية على النبي صلى الله عليه وسلم و هو في تبوك فصالحه على الجزية. انظر: معجم البلدان لياقوت: 292/1. قلت: و هي تسمى اليوم إيلات، يحكمها يهود.

2- هو تميم الداري بن أوس بن خارجة اللخمي الفلسطيني، وفد على النبي صلى الله عليه وسلم سنة تسع فأسلم، كان عابدا كثير التلاوة. توفي سنة (40 هـ). انظر: الاستيعاب لابن عبد البر: 58/2- و سير أعلام النبلاء للذهبي: 442/2.

3- انظر: صبح الأعشى للقلقشندي: 121/13- و الترايب الإدارية للكتاني: 143/1- و سير أعلام النبلاء للذهبي: 444/2.

4- هو سلمان الفارسي، صحابي مشهور، أصله من رام هرمز، خرج يبحث عن النبي المرسل، قال صلى الله عليه وسلم: سلمان منا أهل البيت؛ أشار على النبي صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق، توفي سنة (32 هـ). انظر: غاية النهاية لابن الجزري: 308/1 و تهذيب التهذيب لابن حجر: 117/4.

محمد بن عبد الله فدى سلمان الفارسي من عثمان بن عبد الأشهل اليهودي ثم القرظي بغرس ثلاثمائة نخلة ... إلخ. وشهد أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، وكتبها علي بن أبي طالب رضي الله عنه. (1)

هذا وقد وصلت إلينا بعض كتابات من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم منها ما كان على الحجر، وبعضها على الرق، ومنها ما وجد على الغرانيث بجوار المدينة المنورة، يعود تاريخها إلى السنة الرابعة للهجرة، من أيام غزوة الخندق، ومن الرسائل التي وجدت على الرق بعض الرسائل التي وجهها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الملوك داخل الجزيرة العربية وخارجها. (2)

هذا ما كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم غير أن الوضع اختلف بعد وفاته صلى الله عليه وسلم حيث توسعت دائرة الكتابة و أصبح الصحابة يسجلون و يكتبون ما يخشون ضياعه أو نسيانه، خاصة حين اتسعت دائرة الفتوحات الإسلامية، ودخل الناس في دين الله أفواجا، واحتاج كل أولئك إلى من يعلمهم أمور دينهم، واحتاجت أقوامهم إلى التفقه في الدين، هنا كان للكتابة دورها العظيم في التعليم ونقل الأخبار والأحكام إلى الناس، وقد كان كبار التابعين يحرصون على تسجيل ما لدى الصحابة من العلوم خشية

ص: 97

1- انظر: ذكر أخبار أصبهان لأبي نعيم: 52/1- و تاريخ بغداد للخطيب: 170/1.

2- انظر: دراسات في تاريخ الخط العربي للمنجد: 29.

ذهابها بذهابهم، و لذلك رأينا مجاهدا (1) يسأل ابن عباس رضي الله عنهما عن تفسير القرآن و معه ألواح فيقول له ابن عباس: اكتب. حتى سأل عن التفسير كله. (2) و رأينا سعيد بن جبير - (3) رضي الله عنه- يكتب عن ابن عباس فإذا امتلأت صحفه كتب في نعله حتى ملأها، و كتب في كفه. (4)

و هو الذي قال: كنت أسير بين ابن عمر و ابن عباس - رضي الله عنهم - فكنت أسمع الحديث منهما فأكتبه على واسطة الرّحل حتى أنزل فأكتبه. (5)

و كان الحسن البصري - رضي الله عنه - يدعو بنيه بني أخيه و يقول لهم: يا بني و بني أخي، إنكم صغار قوم يوشك أن تكونوا كبار آخرين، فتعلموا العلم فمن لم يستطع منكم أن يرويه - أو قال يحفظه - فليكتبه، و ليضعه في بيته،

ص: 98

-
- 1- هو مجاهد بن جبر تابعي من أئمة التفسير، ثقة أجمعت الأمة على إمامته، توفي سنة (104 هـ). انظر: صفة الصفوة لابن الجوزي: 2/208- و سير أعلام النبلاء للذهبي: 449/4.
 - 2- انظر: تفسير ابن جرير الطبري: 30/1- و مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية: 103.
 - 3- هو سعيد بن جبير بن هشام الأسدي، فقيه ورع عابد، من أئمة التابعين، ثقة حجة، قتله الحجاج سنة (95 هـ). انظر: المعارف لابن قتيبة: 197- و التاريخ الكبير للبخاري: 3/461- و طبقات المفسرين للداودي: 1/181.
 - 4- انظر: طبقات ابن سعد: 6/257- و سير أعلام النبلاء: 4/335- و تقييد العلم للخطيب: 102 و سنن الدارمي: 1/105.
 - 5- انظر: تقييد العلم: 103- و جامع بيان العلم: 1/72- و انظر سنن الدارمي: 1/105.

و هو الذي كان يقول: إن لنا كتبنا نتعاهد بها. (1)

وعن أبي هلال قال: قيل لقتادة: يا أبا الخطاب أنكتب ما نسمع؟

قال: وما يمنعك أحد أن تكتب، وقد أنبأك اللطيف الخبير أنه قرأ وكتب عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى [طه: 52]. (2)

وبعد هذه المقدمة الذي أظنني أطلت الحديث عن الكتابة وهو أمر أعتقد أنه لا بد منه لبيان الحقيقة وتفنيد بعض الأقوال والآراء البعيدة عن الحق، أعود إلى الحديث عن نشأة علوم القرآن لأقرر- تبعا لثلاثة من المتأخرين المشتغلين بعلوم القرآن (3)- أن نشأة التفسير وعلوم القرآن كانت سابقة لنشأة الحديث ومستقلة عنه. بل إنها كانت مواكبة لنزول الوحي، وهي حقيقة تضافرت الأدلة عليها، وإن كانت تعارض رؤية أعداد من أهل العلم الأقدمين منهم والمتأخرين، الذين يرون أن نشأتها تأخرت عن نشأة الحديث، بحيث كانت في البداية روايات تروى على أنها باب من أبواب الحديث إلى أن تم تجريد هذه الروايات وجمعها جمعا خاصا مرتبا بعيدا عن

ص: 99

1- انظر: العلم لأبي خيثمة: 125/1- و جامع بيان العلم: 124/1- و سنن الدارمي: 107/1.

2- انظر: طبقات ابن سعد: 230/7- و تقييد العلم للخطيب: 103- و الكفاية له: 354.

3- مثل الأستاذة ابتسام مرهون الصفار، في كتابها: معجم الدراسات القرآنية: 9- و الأستاذ مساعد مسلم آل جعفر في كتابه: أثر التطور الفكري في العصر العباسي: 54، و انظر: البغوي الفراء و تفسيره للقرآن للأستاذ محمد إبراهيم الشريف: 183- و الزركشي و منهجه في البرهان، رسالة دكتوراة جامعة الأزهر: 14.

الحديث، و كان هذا الانفصال على ما ذهب إليه الأستاذ الذهبي (1) في القرن الثالث، وبالتحديد في النصف الثاني منه على يد ابن ماجة ت (275 هـ)، و على ما ذهب إليه الأستاذ عدنان زرزور على يد بقي بن مخلد الأندلسي ت (276 هـ) (2)، و على يد ابن جرير الطبري ت (310 هـ) (3). و إن كنت أرى أن من العدل القول بأن الصنعاني عبد الرزاق بن همام ت (211) هـ، هو السابق و المجلي في هذا الباب، فقد جمع روايات التفسير و أوردها مرتبة حسب ترتيب السور. (4)

و أيًا ما كان الأمر فإنني أؤكد أن نشأة التفسير كانت سابقة، و أن رسول الله صلى الله عليه و سلم- الذي أنزل عليه الوحي بلغات العرب و على أساليبهم و بلاغتهم كان يعلمه لأصحابه فيأخذون عنه القراءة و بذلك نشأ علم القراءات و علم اللغات التي أنزل عليها القرآن، و يبين لهم موضع الآية أوت.

ص: 100

-
- 1- انظر: التفسير و المفسرون للذهبي: 142 / 1.
 - 2- هو بقي بن مخلد بن يزيد القرطبي، إمام قدوة صالح، كان رأسا في العلم و العمل، رحل كثيرا في طلب العلم، صنف التفسير و المسند اللذين لا نظير لهما، كان مجاهدا؛ و قال: إنه شهد أكثر من سبعين غزوة، انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 285 / 13- و البداية و النهاية لابن كثير: 56 / 11.
 - 3- انظر: علوم القرآن للأستاذ عدنان زرزور: 406.
 - 4- تفسيره مطبوع بعنوان (تفسير القرآن) بتحقيق الدكتور: مصطفى مسلم. مكتبة الرشد- الرياض- و طبع مؤخرا بتحقيق الدكتور عبد المعطي قلبي- دار المعرفة- بيروت.

الآيات في السورة، فيعرفون ترتيب الآيات و كان ذلك بداية نشأة علم ترتيب السور والآيات، ويفسر لهم ما استشكل عليهم من المعاني و الألفاظ الغريبة و يعلمهم الأحكام، فكان ذلك بداية نشأة علم التفسير و علم غريب القرآن، و يصف لهم كيفية نزول الآية والآيات من الوحي، و حالته حين يلاقي جبريل و بذلك نشأ هذا العلم و هو علم حالة النبي صلى الله عليه و سلم حين نزول الوحي عليه ... إلى غير ذلك من الأحوال المحيطة بالوحي و بنزوله.

إن ملازمة الصحابة لرسول الله صلى الله عليه و سلم مدة النزول جعلتهم يقفون على أسباب النزول، و كان ذلك بداية نشأة أسباب النزول، قال ابن مسعود رضي الله عنه (1): و الذي لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله إلا و أنا أعلم فيمن نزلت، و أين نزلت، و لو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله مني تناله المطايا لأتيته. (2) إذا علم الصحابة رضوان الله عليهم ما تحيط الآية و الآيات من ظروف و أحوال.

ص: 101

1- هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب، أحد المبشرين بالجنة، و صاحب نعل رسول الله صلى الله عليه و سلم، و أول من جهر بالقرآن بمكة، عمل و اليا على بيت المال بالكوفة، توفي سنة (32 هـ). انظر: المعارف لابن قتيبة: 249- و الاستيعاب لابن عبد البر: 2/216.

2- أخرجه البخاري، كتاب: فضائل القرآن، باب: القراء من أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم: البخاري مع الفتح: 46/9- و ابن جرير في تفسيره: 80/1 طبعة شاكر- و انظر: مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية: 95.

ولتأكيد هذا المعنى أذكر المثال التالي: روى البخاري (1) بسنده عن عائشة- رضي الله عنها- (2) أنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه- وهو التعبد- الليالي ذوات العدد، قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ. قال: ما أنا بقارئ. قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا بقارئ. فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا بقارئ. فأخذني فغطني الثالثة، ثم أرسلني فقال: اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم [العلق: 1-3] فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم

ص: 102

-
- 1- هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، المحدث الحافظ، من كبار المحدثين المشهورين، له تصانيف عديدة منها التاريخ الكبير، والصحيح من أوثق كتب السنة. توفي سنة (256 هـ). انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي: 122/2- و تهذيب التهذيب لابن حجر: 47/9.
 - 2- هي أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق بن قحافة، تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم وهي بنت تسع، ومات عنها ولها (18) سنة، كانت عالمة زاهدة، روت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الكثير، توفيت سنة (58 هـ). انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد: 58/8- و حلية الأولياء لأبي نعيم: 43/2.

يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد- رضي الله عنها- (1) فقال:

زملوني زملوني. فزملوه حتى ذهب عنه الروع، ... الحديث. (2)

وروى الشيخان عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: سألت جابر بن عبد الله (3): أي القرآن أنزل أول؟ فقال: يا أيها الممدثر [المدثر: 1] فقلت: أنبت أنه أقرأ باسم ربك الذي خلق [العلق: 1] فقال: لا أخبرك إلا بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إني جاورت بحراء، فلما قضيت جوارى هبطت الوادي فاستبطنت الوادي فنوديت، فنظرت أمامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي، ثم نظرت إلى السماء فإذا هو جالس على عرش بين السماء والأرض - يعني جبريل - فأخذتني رجفة، فأتيت خديجة فقلت:

دثروني دثروني، وصبوا علي ماء باردا، فأنزل علي يا أيها الممدثر. فم

ص: 103

1- هي أم المؤمنين خديجة بنت خويلد القرشية، أول من صدقت ببعثته مطلقا، كانت تدعى قبل البعثة الطاهرة، تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة بخمس عشرة سنة، وكانت ذات شرف وجمال، وهي أم أولاد النبي صلى الله عليه وسلم إلا إبراهيم، توفيت قبل الهجرة بثلاث سنوات. انظر: الإصابة لابن حجر: 281/4- والبداية والنهاية لابن كثير: 127/3.

2- صحيح البخاري مع الفتح: كتاب بدء الوحي: 23/1، وكتاب التفسير (سورة اقرأ): 87/6 وكتاب التعبير- أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم: 67/8.

3- هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن ثعلبة الخزرجي، شهد ما بعد بدر وأحد من المشاهد، وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أبي بكر وعمر وغيرهما، وعنه أولاده وغيرهم، توفي سنة (88 هـ). انظر: المعارف لابن قتيبة: 133- والإصابة لابن حجر: 212/1.

إن تحدّث رسول صلى الله عليه وسلم بنزول هاتين السورتين بهذا العرض وبهذه الكيفية، يفيد أنه صلى الله عليه وسلم كان يبلغ أصحابه الوحي وما يحيط به من أسباب النزول وصفة حاله وأماكن النزول وغير ذلك من متعلقات النزول. وكان الصحابة يتناقلون هذه الأخبار فيما بينهم، إما رواية من أولئك الذين أوتوا قوة الحفظ والعارضة، أو كتابة من أولئك الذين كانوا دون إخوانهم في هذا الجانب ممن كان يكتب حتى يحفظ المكتوب.

كما أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا حريصين على تلقي كل ما يخرج من في رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعن أبي عبد الرحمن السلمي (2) قال: حدثنا الذين كانوا يقرءوننا القرآن- كعثمان بن عفان، و عبد الله بن مسعود، وغيرهما- أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا. (3)

ص: 104

1- البخاري مع الفتح، كتاب: التفسير (سورة المدثر)، باب: قوله: قُمْ فَأَنْذِرْ: 6/75، و مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: بدئ الوحي: 1/144.

2- هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن حبيب بن ربيعة الكوفي، ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، جوّد القرآن وعرضه على عثمان و ابن مسعود، توفي سنة (74 هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 4/267- و غاية النهاية لابن الجزري: 1/413.

3- أخرجه الطبري في تفسيره: 1/80- وأورده القرطبي في تفسيره: 1/39- و ابن تيمية في مقدمة في أصول التفسير: 36.

إن نشأة كثير من هذه العلوم القرآنية جاءت مواكبة لنزول الوحي، و سابقة لنشأة العلوم الأخرى التي تعتبر إما أدوات تعين على فهم كتاب الله أو تتعلق به أو تنفرع عنه، ولهذا كان المقصود بذاته هو السابق و سائر العلوم الأخرى هي المتأخرة.

و يؤكد هذه الحقيقة من المعاصرين الدكتور مساعد آل جعفر في كتابه (أثر التطور الفكري في التفسير في العصر العباسي) فقد ذكر أن نشأة التفسير كانت مستقلة عن الحديث، و أن التفسير هو أول العلوم الإسلامية ظهوراً، نشأ قبل الحديث خلافاً لمن يرى ظهور الحديث قبل التفسير، و اعتبار التفسير باباً من أبواب الحديث، و ذكر من الأدلة المؤيدة لهذه الحقيقة أن أول الرسالة قرآن و ليس حديثاً، و أن جبريل حين نادى رسول الله صلى الله عليه و سلم و قال له: اقرأ فقال: ما أنا بقارئ. كان للرسول صلى الله عليه و سلم تفسير لكلام جبريل مختلف عن مدلول النص، و لذا فإنه أعادها إليه ثلاث مرات إلى أن أدخل في روعه أنه لا يريد منه القراءة التي هي خلاف الأمية، و إنما يريد الله أن يعلمه بالرسالة فقال له بعد المرة الثالثة: أقرأ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ [سورة العلق: 1]، ففسّر له أقرأ كما أرادها الله لا كما فهمها الرسول صلى الله عليه و سلم. (1)

ص: 105

1- انظر: أثر التطور الفكري في التفسير في العصر العباسي لمساعد آل جعفر: 54.

و على ما سبق نؤكد تخطئة من يقول بتأخر كتابة الأخبار و العلوم الإسلامية إلى ما بعد القرن الثاني، إذ القول بذلك مدعاة للتشكيك في صحة علومنا الإسلامية، لكون الأخبار التي تتلقى طوال هذه المدة بالرواية ثم تكتب بعد ذلك الأمد الطويل قلما يوثق بسلامتها من التحريف و التبديل مهما امتاز الناقلون لها بقوة الحفظ و سلامة الذهن، و لهذا نجد أن أعداء الإسلام يستأنسون بالطعن و التشكيك في تدوين الأخبار الإسلامية بهذه الشاكلة، فيرددون هذه المقولة و يروجون لها و لو أدى بهم القول إلى التنطع و الافتراء.

و لهذا يؤكد الأستاذ رفيع العظم أن الذي ذهب بالباحثين إلى الظن بعدم كتابة الأخبار إلا بعد القرن الثاني هو تقييد المؤلفين في ذلك العصر بنقل الأخبار بالرواية مع فقد ما دؤن قبل ذلك لفقده لحسن التنسيق و الجمع و شروط الصحة عند المؤلفين لا سيما من جهة الترتيب و التخصيص الذي يروق أهل العصر الثاني و يناسب حالة الرقي في الحضارة. (1)

و يتابع الأستاذ رفيع العظم ليؤكد هذا المعنى: و أما في عصر التابعين و تابعيهم فقد كانت العناية بكتابة الأخبار أكثر، و أقبل الناس على اقتناء الكتب و جمع المكتبات، و من ذلك ما رواه ابن عبد البر عن هشام بن

ص: 106

1- انظر: مجلة منار الإسلام، مقال للأستاذ رفيع العظم: م 10 ج 10 ص 746.

عروة (1) عن أبيه أنه احترقت كتبه يوم الحرة و كان يقول: وددت لو أن عندي كتبي بأهلي و مالي (2)، و معلوم أن وقعة الحرة كانت سنة ثلاث و ستين إلى أن يقول: ما هي كتب عروة التي احترقت سنة ثلاث و ستين؟ أليست في علوم شتى من العلوم التي دونها العرب و اشتغلوا بها؟

و هل احترقت كتب عروة في اليوم الذي دونت فيه؟ كلاب كتبت هي و غيرها من الكتب في غضون القرن الأول، أو على مدى هذا القرن. و يختم قوله: فإذا كان ذلك كذلك فهل يبقى مجال للريب في أن العرب دونوا علومهم في الصحف من ابتداء القرن الأول؟ و هل يستراب في صحة هذه العلوم مع ما ثبت معنا من أنها كتبت مدعومة بالرواية لتكون أبعد من سهو الكاتبين و تحريف الناسخين؟ (3)

إن الروايات تذكر أن ابن شهاب الزهري هو أول من دون العلم- علم الحديث- بأمر من الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه و ذلك حين خشي الخليفة ضياع الحديث كما خشي أبو بكر و عمر و عثمان رضي الله عنهم من قبله ذهاب القرآن بذهاب حفظته، و خشية الفرقة.

ص: 107

-
- 1- هو هشام بن عروة بن الزبير بن العوام، تابعي حجة سمع من أبيه و غيره، و دعا له ابن عمر، توفي ببغداد سنة (146 هـ). انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان: 580/6- و سير أعلام النبلاء للذهبي: 34/6.
 - 2- انظر: طبقات ابن سعد: 179/5- و مختصر تاريخ دمشق: 10/17.
 - 3- انظر: مجلة منار الإسلام، مقال للأستاذ رفيق العظم: م 10 ج 10 ص 749-751.

تقول: إن تدوين ابن شهاب للسنة كان بقصد جمعها وترتيبها ونسخها؛ ولهذا كتب الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى الأمصار والآفاق و قال: انظروا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجمعوه. (1) ويقول ابن شهاب الزهري: أمرنا عمر بن عبد العزيز بجمع السنن، فكتبناها دفترًا دفترًا، فبعث إلى كل أرض له عليها سلطان دفترًا. (2)

كما كتب الخليفة إلى أبي بكر محمد بن حزم رضي الله عنه: انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أو سنة ماضية أو حديث عمرة فاكتبه فإني خشيت دروس العلم و ذهاب أهله. (3)

إن ما قام به عمر بن عبد العزيز كان تدوينًا منظماً شاملاً للسنة، بخلاف الكتابة التي كانت في عهد النبوة، حيث كانت كتابات فردية غير منظمة ولا مرتبة، كما إنها لم تكن مختصة بالسنة، فقد كتبت أقوال الصحابة إلى جانب حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم كتفسيرهم لبعض الآيات التي لم يفسرها رسول الله صلى الله عليه وسلم معولين على الرأي المعتمد على اللغة.

هذا وإن كان البعض يرى أن خالد بن معدان الحمصي المتوفى سنة

ص: 108

-
- 1- انظر: تقييد العلم للخطيب: 105، وقواعد التحديث: 46، وفتح الباري لابن حجر: 208 / 1.
 - 2- جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر: 1 / 176، و حلية الأولياء لأبي نعيم: 3 / 363.
 - 3- انظر: طبقات ابن سعد: 8 / 353- و تقييد العلم للخطيب: 105.

(103 هـ) (1) هو أول من جمع الحديث، وكان قد لقي سبعين صحابياً، يقول الذهبي في التذكرة: وقال بحير: ما رأيت أحداً ألزم للعلم منه- يريد خالد بن معدان- وكان علمه في مصحف له أضرار وعري. (2)

بقي اعتراض قد يرد على من يتبنى هذا الرأي: وهو أين هي مصير تلك الكتب التي دونت في القرن الأول إلى منتصف القرن الثاني؟.

والجواب أن يقال: إن المسلمين كانوا يتلقون كتب الأخبار قراءة ورواية، فلما استبحر العمران وترقت وسائل الحضارة واقتضى أن يترقى فن التأليف تنسيقاً وترتيباً، وكتبت في ذلك الكتب الجامعة لأصول كل فن أو فروع أدمجت تلك الروايات أو الصحف المشتملة على مسائل متفرقة في تلك الكتب الجامعة، مع محافظة المؤلفين على أسانيدهم وفاء بحق الأمانة وتصحيحاً للأخبار.... ولما انتفت الحاجة إلى تلك الكتب القديمة قضت على أعيانها سنة بقاء الأنسب بالدثور بضرورة الحال، وأما ما كتب فيها فهو هو بعينه ما كتب في الكتب الجامعة بعد ذلك العصر (3)، كما هو الحال

ص: 109

-
- 1- هو خالد بن معدان بن أبي كرب، الكلاعي، حدث عن خلق من الصحابة، وأرسل عن عدد، يعد في أئمة الفقهاء. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 536/4- و البداية و النهاية لابن كثير: 230/9.
 - 2- انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي: 93/1- و مجلة المنار-: م 10 ج 10 ص 755 مقال للأستاذ رفيق العظم.
 - 3- انظر مجلة المنار، المجلد العاشر، الجزء العاشر ص: 751-752.

مثلا في تفسير ابن جرير الذي جمع مادة تفاسير من سبقه.

أضف إلى هذا ما سبق أن ذكرناه عن مصير بعض تلك الكتب بالتخلص منها، إما بإحراقها أو دفنها أو مسح وإزالة مادتها العلمية لدوافع عديدة دينية أو غيرها.

ص: 110

قبل الانتهاء من هذا الموضوع يحسن بنا التعرض لثلاثة مصطلحات يكثر دورانها في مثل هذا الباب، و ذكر الفرق بينها إذ بمعرفة ذلك تتضح الصورة، هذه المصطلحات هي: الكتابة و التدوين و التصنيف.

فالكتابة في اللغة: مشتقة من الكتب و هو: الجمع، تقول: كتب الكتاب كتبا و كتابا: جمع حرفا إلى حرف، و كتبه كتابة و كتبه: أي خطّه (1)، و هي تكتل الحروف الهجائية و اجتماعها، يقول السمين: الكتابة عرفا: ضم بعض حروف الهجاء إلى بعض (2). و تقول: أكتبني هذه القصيدة: أي أملها عليّ (3). و الكتابة: تقييد الألفاظ بالرسوم الخطية (4) و هي على ما في أبجد العلوم: رسوم و أشكال حرفية تدل على الكلمات المسموعة الدالة على ما في النفس (5) و هي مجموعة الحروف الهجائية المجتمعة في قطعة مكتوبة، (6) و هي

ص: 111

-
- 1- انظر: تهذيب اللغة للأزهري: (كتب): 150/10- و تاج العروس للزبيدي (كتب): 100/4.
 - 2- انظر: الدر المصون للسمين الحلبي: 84/1.
 - 3- انظر: أساس البلاغة للزمخشري (كتب): 535- و تاج العروس للزبيدي (كتب): 100/4، و نهاية الأرب في فنون العرب للنويري: 8/195.
 - 4- انظر: تاريخ الخط العربي و آدابه لطاهر الكردي: 16.
 - 5- انظر: أبجد العلوم: 156/1.
 - 6- انظر: صبح الأعشى للقلقشندي: 32/1.

في عرف الأدباء تقال لإنشاء النشر. (1)

ويمكن تعريفها اصطلاحاً فيقال: هي تسجيل الألفاظ والمعاني والمعارف المسموعة وتقييدها بالرسوم الخطية، وتكون من الإملاء. قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ [البقرة: 282].

التدوين: هو في اللغة: الجمع، جمع الصحف والكتب، قال أبو عبيدة:

هو فارسي معرب (2) تقول: دَوَّنَ الكتب: جمعها ومنه: الديوان مجمع الصحف والكتب، وكان يطلق على كتاب يجمع فيه أسامي الجيش وأهل العطية من بيت المال، وأول من وضعه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثم نقل إلى جمع المسائل في الصحف والكراريس (3)، وهو جمع لما شذ وتفرق وتقييده... (4)،

ولهذا قال ابن شهاب: أمرنا عمر بن عبد العزيز بجمع السنن فكتبناها دفترًا دفترًا. وقال: لم يدون هذا العلم أحد قبل تدويني. وقال الإمام مالك: إن أول من دون العلم ابن شهاب الزهري (5).

ص: 112

- 1- انظر: التعريفات للجرجاني: 234.
- 2- انظر: لسان العرب لابن منظور (دون): 166/13.
- 3- انظر: الكليات لأبي البقاء: 227- وأساس البلاغة للزمخشري: 199- ولسان العرب لابن منظور (دون): 166/13.
- 4- انظر: نهاية الأرب في فنون العرب للنويري: 195/8.
- 5- انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 334/5- و حلية الأولياء لأبي نعيم: 363/3- وتقييد العلم للخطيب: 5.

وهكذا فسر التدوين بكتابة المجموع المرتب دفترًا دفترًا. وهو ما يدل عليه قول الإمام مالك رضي الله عنه؛ فثبت لديه أن الكتابة قد تمت في عهد الصحابة، ورغم هذا يقول مقولته الأنفة التي لا نشك أنه يقصد النسخ عن مكتوب. ف (دون) يفيد التسجيل من نص مكتوب. فهو جمع و تصنيف من نص مكتوب.

و يعرف التدوين اصطلاحًا فيقال: جمع المتفرق من الصحف وإعادة تسجيل مضمونها مجموعًا مرتبًا .. ولهذا يقال لمن كتب الوحي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: كتاب الوحي، ويقال: كتابة المصحف. في حين يقال لما فعله عثمان رضي الله عنه: تدوين، لكونه نسخ عن الصحف المتفرقة. أما أبو بكر رضي الله عنه وإن كان قد جمع المصحف غير أنه لم يدونه، ولهذا يسمى ما قام به: جمع.

أما التصنيف: ففي اللغة، صَنَّف الأشياء: جعلها صنوفًا وميَّز بعضها عن بعض، ومنه تصنيف الكتب (1) كأنه ميزت أبوابه فجعل لكل باب حيزه. (2)، وأما في الاصطلاح فلم أقف على تعريف جامع له، ويمكن القول بأنه: تأليف متكامل في علم من العلوم أو موضوع من موضوعاته. (3)ين

ص: 113

1- انظر: أساس البلاغة (صنف): 363- ولسان العرب (صنف): 198/9.

2- انظر: معجم مقاييس اللغة (صنف): 313/3.

3- انظر ما أملاه فضيلة الشيخ مناع القطان على طلبة الدراسات العليا، بكلية أصول الدين

و توضيح ذلك بأن نقول هو: الكتابة المرتبة المبوبة المميزة في علم من العلوم، أو أي موضوع من موضوعاته.

ينقل ابن تغري بردي في كتابه «النجوم الزاهرة» نصا واضحا للإمام الذهبي في هذه المسألة، يقول: في سنة ثلاث و أربعين و مائة شرع علماء الإسلام في تدوين الحديث و الفقه و التفسير، فصنف ابن جريج (1) التصانيف بمكة ... و صنف ابن إسحاق (2) المغازي، و صنف معمر (3) باليمن .. إلى أن قال: و كثر تبويب العلم و تدوينه، و رتبت و دونت كتب العربية و اللغة و التاريخ و أيام الناس، و قبل هذا العصر كان سائر العلماء يتكلمون من حفظهم و يروون العلم عن صحف صحيحة غير مرتبة، فسهل و لله الحمد تناول العلم، و أخذ الحفظ يتناقص فلله الأمر كله (4).

ص: 114

- 1- هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الأموي، فقيه من الأعلام البارزين، روى عن مجاهد و عطاء، توفي سنة (150 هـ). انظر: الكاشف للذهبي: 1/ 185- و تهذيب التهذيب لابن حجر: 6/ 402.
- 2- هو محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي المدني، إمام المغازي، روى عن عطاء و الزهري، توفي سنة (150 هـ). انظر: المعارف لابن قتيبة: 491- و طبقات علماء الحديث: 1/ 267.
- 3- هو معمر بن راشد الأزدي البصري، أبو عروة، سكن اليمن فكان عالما، توفي سنة (154 هـ). انظر: الكاشف للذهبي: 3/ 154- و تهذيب التهذيب لابن حجر: 10/ 243.
- 4- انظر: النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر و القاهرة: 1/ 351- و تاريخ الخلفاء للسيوطي: 261.

و على هذا تكون الكتابة تسجيلاً للمعلومات من إملاء، فإذا جمع مجموع ذلك المكتوب و نسخ مع الترتيب يكون تدويناً، فإذا أعيد ترتيبها و تبويبها موضوعياً و أدخلت عناصر جديدة أم لم تدخل سمي تصنيفاً أو كتب ابتداءً كذلك. و الله أعلم.

و خلاصة القول:

- (1) أن العرب عرفت الكتابة قبل الإسلام، و حين جاء الإسلام شجع التعليم فانتشرت القراءة و الكتابة بصورة سريعة.
- (2) أن نشأة علوم القرآن كانت مواكبة لنزول الوحي على رسول الله صلى الله عليه و سلم، و أن الكتابة و اكبت النشأة.
- (3) أن التصنيف في علوم القرآن كان مبكراً في القرن الأول الهجري.
- (4) أن الكتابة هي تسجيل المعلومة من الإملاء، و التدوين هو تسجيل المعلومة من نسخة مكتوبة، و التصنيف هو التسجيل المرتب و المبوب للمعلومة.

ظهور مصطلح علوم القرآن:

إن من الصعوبة بمكان الجزم بأن واحداً بعينه من المتقدمين هو أول من جرت هذه العبارة على لسانه، أو أنه أول من استخدم هذا المصطلح في

ص: 115

كتاباتة قبل غيره، إذ يتطلب ممن يدعي ذلك الوقوف على كل ما قاله السابقون وكتبوه، وهو أمر دونه خرط القتاد، وعلى هذا فإن أي قول في ذلك هو من باب الظن، كما أنه يحتاج إلى تقديم نص متقدم وهو الآخر أمر متعذر، وأقدم نص وقفت عليه هو ذلك النص المنسوب إلى الإمام الشافعي رضي الله عنه الذي يثبت أن الإمام قد استعمل هذا المصطلح في مناظرته مع الرشيد في القرن الثاني للهجرة، فإن ثبتت نسبته إلى الإمام يكون استعمال المصطلح متقدماً جداً.

تذكر الروايات أن الإمام الشافعي رضي الله عنه حين سيق مكبلاً بالحديد إلى الخليفة هارون الرشيد (1) في بغداد بتهمة تزعم طائفة الشيعة في اليمن، والادعاء بكونه أحق بالخلافة منه فسأله الخليفة: كيف علمك بكتاب الله تعالى، فإنه أولى الأشياء أن يتدأ به؟ فقال الشافعي: عن أي كتاب الله تسألني يا أمير المؤمنين، فإن الله قد أنزل كتباً كثيرة على الأنبياء، إن الله تعالى أنزل مائة وأربعة من الكتب، أنزل على آدم خمسين صحيفة، وعلى شيث عشرين، وعلى إدريس عشرين، وعلى إبراهيم عشرة، وأنزل التوراة على موسى، والزبور على داود، والإنجيل على عيسى، والقرآن على محمد صلى الله عليه وسلم، وجمع الله في القرآن كل ما في سائر الكتب. قال تعالى تَبَيَّنَ لِكُلِّ

ص: 116

1- هو هارون بن المهدي محمد بن المنصور، كان من أنبل الخلفاء، عرف بالعبادة والجهاد وحصافة الرأي، محاسنه كثيرة، توفي (223 هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 286/9- و تاريخ بغداد للخطيب: 5/14.

شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ [النحل: 89] وقال تعالى كِتَابٌ أَحْكَمْتُ آيَاتُهُ ثُمَّ فَصَّلْتُ [هود: 1].

فقال الرشيد: أحسنت في تفصيلك، ولكنني ما سألت إلا عن كتاب الله المنزل على ابن عمي وعمك رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال الشافعي: إن علوم القرآن كثيرة، تسألني عن محكمه أو متشابهه؟ أو عن تقديمه أو تأخيره؟ أو عن ناسخه أو منسوخه؟ أو عما ثبت حكمه وارتفعت تلاوته؟ أو عما ثبتت تلاوته وارتفع حكمه؟ أو عما ضربه الله مثلا؟ أو عما جعله الله اعتبارا؟ أو عن أخباره؟ أو عن أحكامه؟ أو عن مكّيه أو مدنيّه؟ أو ليليّة أو نهاريّة؟ أو سفرية أو حضرية؟ أو تنسيق وضعه، أو تسوية سورة؟ أو نظائره؟ أو إعرابه؟ أو وجوه قراءته؟ أو عدد حروفه؟ أو معاني لغاته؟ أو عدد آياته؟

قال: وما زال الشافعي يعدد هذه العلوم حتى عد ثلاثة وسبعين نوعا من أنواع علوم القرآن. فقال هارون: لقد أوعيت من القرآن عظيما.

ثم سأله عن علمه بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالأحكام والطب والأنساب... إلى غير ذلك (1)؛ فهذه الرواية تؤكد أن الإمام قد نطق بالمصطلح في القرن الثاني، وهو أقدم نص وقفت عليه، ولكن الذي يبدو أنه لم يسلم من المعارضة، والظعن في صحة ثبوته، فإن الأستاذ عدنان زرزور - يحفظه الله - يستبعد صدور تلك العبارة من الإمام، بل يؤكد أن

ص: 117

1- انظر: مناقب الإمام الشافعي لفخر الدين الرازي: 73.

القصة تومئ إلى طابع التلفيق المتأخر على الحادثة، ولنستمع إلى الأستاذ عدنان زرزور وهو يعقب على القصة فيقول:

إننا نبعد أن يكون هذا الاصطلاح قد حاك في الصدور، ونطقت به الألسنة على النحو المشار إليه في القرن الثاني للهجرة، وذلك أن بعضهم يجعل الإمام الشافعي أول من فعل ذلك... إلى أن قال: وسياق القصة، و العلوم التي عدّها الإمام الشافعي تومئ إلى طابع التلفيق المتأخر على هذه الحادثة، فالسؤال عن العلم بكتاب الله عز وجل لا يجاب عنه بهذه الباردة التي لم يفعلها الإمام- حتى في هذا الموقف- والسؤال في كل عرف وقياس إنما هو عن القرآن الكريم!! كما أن سائر عناصر هذه القصة من استحسان الرشيد لجواب الشافعي، والإشارة إلى النبي الكريم عليه صلوات الله ببن عم هارون!... إلخ.. كل ذلك يشير إلى أن هذه التركيبات لا تليق بالرشيد و الإمام الشافعي جميعاً... (1).

بل يذهب الأستاذ زرزور إلى أبعد من هذا حين يريد التأكيد على تأخر ظهور المصطلح إلى قرنين بعد الشافعي: إن من البعيد حقاً أن تكون علوم القرآن مجموعة في صدور المبرزين من العلماء في القرن الثاني ثم لا يتنبه أحد إلى الكتابة فيها مجموعة قبل أواخر المائة الرابعة من الهجرة، على مذهب من يظن أن كتاب الحوفي السابق في هذه العلوم وليس في تفسير

ص: 118

1- انظر: علوم القرآن، مدخل إلى تفسير القرآن و بيان إعجازه، للأستاذ عدنان زرزور: 125.

ولي حول هذا الرأي و ما جاء في كلام الدكتور الفاضل عدنان زرزور أكثر من وقفة:

أولها: إذا كان الأستاذ زرزور قد استبعد الرأي لكون سياق القصة لم ترق له، أو لكونه استبعد العلوم التي جاء ذكرها على لسان الإمام أن تكون مجتمعة في صدورهم ولم يلتفت لها، و اعتبارها (تركيبات) لا تليق بالرشيد و الإمام. فإن غيره لا يستبعد صدور ذلك من إمام كان آية من آيات الله في علمه و ذكائه، وفي ابتكاره و تجديده، وفي قوة حجته و توفيقه، و لقد نوه البلقيني (2) في خطبة كتابه بكلمة الشافعي هذه. (3)

نعم قد يكون هناك مبالغة من الراوي في عدد تلك العلوم التي نقلت على لسان الإمام، على نحو ما ذكره الفخر الرازي (4)، غير أن ذلك لا يعني

ص: 119

-
- 1- انظر: المرجع السابق: 126.
 - 2- هو عبد الرحمن بن عمر بن رسلان البلقيني، مجتهد حافظ، عرف بسرعة الفهم، له تصحيح المنهاج في الفقه الشافعي، توفي (805 هـ). انظر: الضوء اللامع للسخاوي: 106/4 - شذرات الذهب لابن العماد: 166/7.
 - 3- انظر: مناهل العرفان للزرقاني: 27.
 - 4- هو محمد بن عمر بن الحسين الرازي الشافعي، مفسر متكلم، كان إمام عصره في العلوم العقلية، له التفسير الكبير، توفي (606 هـ). انظر: طبقات الشافعية للسبكي: 81/8 - و طبقات المفسرين للسيوطي: 100.

و ثانيها: أن استبعاد الأستاذ زرزور أن تكون هذه العلوم مجتمعة في صدور المبرزين من العلماء في القرن الثاني، و تأخر ظهوره إلى القرن الرابع على يد الحوفي، استبعاد من غير دليل، و كان الأولى أن يوحى ذلك للأستاذ الكريم زرزور أن هناك من تقدم على الحوفي في التأليف، ممن كان قريبا من عصر الإمام الشافعي، كالحارث المحاسبي و ابن المرزبان مثلا (1).

بل إن النصوص الثابتة ترد رأي الأستاذ الجليل و تؤكد أن جملة من هذه العلوم كانت معروفة لدى أهل القرن الأول من جيل الصحابة و التابعين، و أنها كانت تتناقل بين المتقدمين، و طالما وردت على ألسنتهم، فهذا علي بن أبي طالب رضي الله عنه يخطب و يقول في خطبته: سلوني عن كتاب الله فوالله ما من آية إلا و أنا أعلم أ بليل نزلت أم بنهار، أم في سهل أم في جبل. (2)

و هو رضي الله عنه الذي قال: و الله ما نزلت آية إلا و قد علمت فيم أنزلت، و أين أنزلت ... (3).

ص: 120

-
- 1- انظر: في ذلك مبحث أول من صنف في علوم القرآن ص (100) من هذه الرسالة.
 - 2- انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: 35 / 1- و الإتيان للسيوطي 1227 / 2 ط البغا.
 - 3- انظر: الإتيان للسيوطي: 1227 / 2 ط البغا.

و هو أيضا الذي قال للفاص بعد أن سأله: هل تعرف الناسخ من المنسوخ؟ و حين كان الرد بالنفي قال: هلكت و أهلكت. (1)

و عن ابن سيرين عن علي - رضي الله عنه: أنه كتب في مصحفه الناسخ و المنسوخ قال ابن سيرين: فطلبت ذلك الكتاب، و كتبت فيه إلى المدينة فلم أقدر عليه. و في رواية: إنه كتبه على تنزيله. قال ابن سيرين (2): لو أصيب ذلك الكتاب لوجد فيه علم كثير. (3)

و أخرج ابن جرير عن ابن عباس في قوله تعالى يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ... الآية [البقرة: 269]. قال ابن عباس: المعرفة بالقرآن ناسخه و منسوخه، و محكمه و متشابهه، و مقدمه و مؤخره، و حلاله و حرامه، و أمثاله. (4)

إذا كان هذا هو حال جيل الصحابة، جيل الريادة، فما بال هذهر.

ص: 121

1- انظر: الإتيان للسيوطي: 20/2.

2- هو محمد بن سيرين بن أبي عمرة الأنصاري، أحد الأعلام البارزين، اشتهر بتعبير الرؤى، روى عن أنس بن مالك، توفي (110 هـ). انظر: حلية الأولياء لأبي نعيم: 263/2- و تهذيب التهذيب لابن حجر: 214/9.

3- انظر: المصاحف لابن أبي داود: 10، و المصنف لابن أبي شيبة: 545/10، و فضائل القرآن لابن الضريس: 76، و الإتيان للسيوطي: 166/1، و عزاه لابن أشتة في المصاحف.

4- تفسير ابن جرير: 576/5 تحقيق: محمود و أحمد محمد شاكر.

العلوم تغيب على مثل الإمام الشافعي الذي جاء في عصر ورث فيه العلماء علم السابقين، وانتشرت فيه العلوم، وكثر أولئك الذين تفقهوا في الدين، وجعلوا شغلهم الشاغل التفكير في كتاب الله، وتعلم كل ما يخدم تفسيره وبيانه للناس، لقد وجد رضي الله عنه نفسه أمام حصيلة من العلوم الشرعية أعمل فيها ما منحه الله من قوة الفكر وسلامة العارضة، فأجاد وأصاب.

إن ما تهيأ لمثل الشافعي لم يتهيأ لمن قبله، فالمتأخر يقف- عادة- على حصيلة علوم المتقدمين، ويجدها مجموعة في أخبارهم والمروي عنهم. فلا يستبعد عن مثل الشافعي الإمام بمثل هذه العلوم بأي حال من الأحوال.

هذا هو الفضيل وهو أيضا من أهل القرن الثاني، يعدد لطلبته سنة خمس وثمانين ومائة جملة من علوم القرآن، فقد أورد القرطبي في «تفسيره» أن الفضيل (1) قال لمجموعة من تلامذته: لن تعلموا القرآن حتى تعرفوا إعرابه ومحكمه من متشابهه، وناسخه من منسوخه، إذا عرفتم ذلك استغنيتم عن كلام فضيل وابن عيينة (2). (3)

ص: 122

-
- 1- هو الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي، إمام ثبت، حدث عن الأئمة، عرف بالصلاح والصدق في القول، توفي (187 هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 421/8- و حلية الأولياء لأبي نعيم: 84/8.
 - 2- هو سفيان بن عيينة بن أبي عمران الهلالي، إمام مشهور لقي الكبار، واشتهر بعلم الإسناد، توفي (198 هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 454/8- و تهذيب التهذيب لابن حجر: 117/4.
 - 3- انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: 22/1.

ثم إن غالب هذه العلوم علوم تقليدية تعتمد على الرواية أصلاً، تكون مع المتقدم فيبلغها المتأخر، وبذلك يجتمع في صدر المتأخر المبرز ما لا يجتمع لغيره، وكان الشافعي واحداً من أولئك، أليس هو من وضع علم أصول الفقه بقواعده وضوابطه في تلك الفترة المتقدمة جداً؟

إن النصوص تؤكد أن الكتابة في جملة من علوم القرآن كانت متقدمة جداً وإن بعض تلك العلوم قد أفردت بمؤلفات مستقلة، ونظرة سريعة في كتاب «الفهرست» لابن النديم (1) الذي صنف كتابه عام (377 هـ) تبين أن التأليف في عدد من تلك العلوم كان مبكراً، فمن العلوم التي عدها ابن النديم وذكر التأليف فيها: التفسير، ومعاني القرآن، ومشكله، ومجازه، وما ألف في غريب القرآن، ولغات القرآن، والقراءات، والنقط، والشكل، وما كتب في لامات القرآن، وفي الوقف والابتداء، وما دون عن اختلاف المصاحف، والمتشابه، وهجاء المصاحف، وفي مقطوع القرآن وموصوله، وفي أجزاء القرآن، وفضائله، وفي عد آي القرآن، وناسخه ومنسوخه، نزوله، وأحكامه... وغيره. (2)

إن ابن النديم قد ذكر أكثر من ثلاثين علماً أفرد بالتصنيف في الفترة.

ص: 123

1- هو محمد بن إسحاق بن محمد بن أبي يعقوب النديم، كان معتزلياً شيعياً يعمل وراقاً، له الفهرست، مات (438 هـ). انظر: لسان الميزان لابن حجر: 72/5- والأعلام للزركلي: 29/7.

2- انظر: الفهرست لابن النديم: 31 وما بعده.

السابقة عليه، ناهيك عن تلك العلوم التي جاءت في ثنايا تلك المصنفات ولم تفرد كالمكي والمدني، و ما نزل بمكة و حكمه مدني، و ما نزل بالمدينة و حكمه مكي، و ما نزل ليلا- و ما نزل نهارا، و علم الأماكن التي أنزل فيها القرآن، و ما نزل مشيعا و ما نزل مفردا، و علم الأحرف السبعة، و غير ذلك.

إن محاولة ابن النديم السابقة توحى لنا أن هذه العلوم كانت معروفة عند المتقدمين، و مجموعة في صدورهم، فالأسماء التي ذكرها من المؤلفين، أسماء متقدمة، بل إن أرقام سنوات وفاة بعضهم متقدمة جدا.

يحيى بن يعمر ت (89) هـ (1) يؤلف كتابا في القراءات، و يجمع فيه اختلاف المصاحف المشهورة (2)، و الحسن البصري ت (110) هـ (3) يكتب في نزول القرآن و في عد آي القرآن (4). و قتادة السدوسي ت (117) هـ (5) يكتب

ص: 124

- 1- هو يحيى بن يعمر البصري العدواني، كان من أوعية العلم، أول من نَقَطَ المصحف، له القراءات، توفي (89 هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 4/ 441- و فهرست ابن النديم 47.
- 2- انظر: تفسير ابن عطية: 1/ 35، و تاريخ التراث العربي لسزكين: 1/ 22.
- 3- هو الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، من كبار التابعين، أخرج لطلب العلم صغيرا، و دعا له عمر بن الخطاب بالتفقه في الدين، فكان إمام عصره، و عرف بقول الحق، له نزول القرآن، توفي (110 هـ). انظر: تهذيب الكمال للمزي: 6/ 95- و سير أعلام النبلاء للذهبي: 4/ 563- و غاية النهاية لابن الجزري: 1/ 235.
- 4- انظر: الفهرست لابن النديم: 36- و تاريخ التراث العربي لسزكين: 1/ 25.
- 5- هو قتادة بن دعامة السدوسي البصري، تابعي مفسر حافظ، كان رأسا في العربية، له الناسخ و المنسوخ، توفي (117 هـ). انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان: 4/ 85- و تذكرة الحفاظ للذهبي: 1/ 122- و تهذيب التهذيب لابن حجر: 8/ 315.

في النسخ و المنسوخ. (1) و اليحصبي عبد الله بن عامر (2) يكتب في المقطوع و الموصول، كما يكتب في اختلاف مصاحف الشام و الحجاز و العراق. (3) ...
و غيرهم.

هؤلاء كلهم كانت وفاتهم قبل عام (120 هـ) و هو رقم متقدم جدا في عالم التأليف، فكيف يجوز لنا بعد هذا أن نستبعد ما صدر عن الإمام الشافعي - رحمه الله - و نجعل ما روي عنه (تركيبات)؟! هذا و الله أعلم.

و إذا كنا استبعدنا - على مضمض - ما روي أن الشافعي هو أول من استعمل المصطلح، أو شككنا فيه على الأقل فإننا لا نستطيع أن نستبعد ذلك عن ابن المرزبان المتوفي سنة (309 هـ) بأي حال من الأحوال، لقد حسم الخلاف حين أطلق على كتابه عنوان «الحاوي في علوم القرآن» (4)، و عليه يكون ابن المرزبان هو أول من استعمل هذا المصطلح عنوانا لكتاب،

ص: 125

-
- 1- تاريخ التراث لسزكين: 21 / 1.
 - 2- هو عبد الله بن عامر بن يزيد اليحصبي، مقرئ الشام، و أحد الأعلام، قرأ على أبي الدرداء، له اختلاف المصاحف، توفي (118 هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 292 / 5- و معرفة القراء الكبار للذهبي: 82 / 1.
 - 3- انظر: الفهرست لابن النديم: 31- 39.
 - 4- انظر: الفهرست لابن النديم: 95، 166- و طبقات المفسرين للداودي: 146 / 2.

ثم تبعه آخرون فأطلقوه على مؤلفاتهم أو جعلوه جزءاً من عناوين مؤلفاتهم.

وليس معنى هذا أن ابن المرزبان هو أول من صنف في علوم القرآن، فذاك له حديث مستقل سيأتي بيانه إن شاء الله.

وأشير هنا أن الأستاذ الدكتور عدنان زررور يرى أن البحث والتأريخ لكل علم من علوم القرآن مستقلاً أُلزم وأكثر ضرورة، وأجدي للقارئ من السير وراء هذه العلوم مجتمعة، و لكونها أفردت بالتصنيف في مؤلفات خاصة، ونال بعضها العناية و تتابع القول في جميع العصور.

(1)

ص: 126

1- انظر: علوم القرآن للدكتور/ عدنان زررور: 126.

الفرق بين استعمال المتقدمين و استعمال المتأخرين:

اشتهر بين أهل الاختصاص في القرآن و علومه أن إطلاق المتقدمين لمصطلح علوم القرآن يختلف عنه عند المتأخرين، فالسابقون أطلقوه على مصنفاتهم في التفسير، كما فعل محمد بن المرزبان. (1) الذي سمي تفسيره «الحاوي في علوم القرآن»، و أبو الحسن الأشعري (2) الذي سمي تفسيره (المختزن في علوم القرآن)، و محمد بن علي الأدفي الذي سماه «الاستغناء في علوم القرآن» (3)، و علي بن إبراهيم الحوفي (4) الذي سماه «البرهان في علوم القرآن»، بخلاف المتأخرين الذين أطلقوه على تلك المصنفات التي حوت الأبحاث الكلية المتصلة بالقرآن الكريم في شتى جوانبه، جلها أو كلها، كما فعل ابن الجوزي ت (597 هـ) في كتابه «فنون الأفتان في عيون علوم القرآن» (5)، و كما فعل بدر الدين الزركشي ت (794 هـ) في كتابه

ص: 127

- 1- هو محمد بن خلف بن المرزبان المحوّلي، أديب مؤرخ إخباري لين، مصنفاته كثيرة منها الحاوي في علوم القرآن، توفي (309 هـ). انظر: تاريخ بغداد للخطيب: 237/5- و طبقات المفسرين للداودي: 146/2.
- 2- انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 88/5- و طبقات المفسرين للداودي: 398/1.
- 3- انظر: طبقات القراء للذهبي: 198/2- و طبقات المفسرين للداودي: 197/2.
- 4- انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 521/17- و مناهل العرفان للزرقاني: 26/1.
- 5- الكتاب مطبوع بتحقيق الدكتور حسن ضياء الدين عتر، الناشر- دار البشائر- بيروت.

المسمى «البرهان في علوم القرآن» (1)، و كما فعل السيوطي وابن عقيلة المكي وغيرهما.

والذي يظهر لي أن هذا التفريق ليس دقيقا، كما أنه ليس على إطلاقه، و لبيان ذلك أقول: إن المتقدمين جعلوا عبارة (علوم القرآن) جزءا من العنوان الذي أطلقوه على تفاسيرهم، و هي عبارة مقصودة بذاتها، فقد أراد أولئك أن تشتمل تفاسيرهم على بعض تلك العلوم، و لم يكونوا يقصدون التفسير وحده، بمعنى أنهم لم يعنوا ببيان معان الألفاظ و الكلمات القرآنية و ما يستنبط من الآيات من أحكام فحسب، و إنما قصدوا بيان كل ما يتعلق بالكلمة القرآنية و الآية و الجملة من الآيات و السورة، بل و الاهتمام ببيان كل ما يحيط بالوحي المنزل، و بعض تلك التفاسير و التي وصل إلينا أجزاء منها ككتاب الأذفوي و الحوفي يؤكد لنا هذا الأمر، أنهم عنوا به علوم القرآن و إن اختلف منهج العرض و طريقتة، فالحوفي مثلا- حين يعرض الآية و يتكلم عليها، يتعرض للإعراب و الوقف و التمام، و القول في القراءة و في المعنى، و التفسير، و أسباب النزول، و حول مكية السورة و الآية و الآيات و مدنيتهما .. إلى غير ذلك من مسائل علوم القرآن و موضوعاته.

و لهذا الأ-مر خلت التفاسير التي أراد مؤلفوها الاهتمام بالآثار و الروايات، أو الاقتصار على بيان معاني الألفاظ فحسب دون التعرض لما يحيط بالآية و السورة من مسائل، خلت عناوين تلك التفاسير من ذكر هذات.

ص: 128

1- الكتاب مطبوع بتحقيق الأستاذ/ محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار الفكر- بيروت.

المصطلح ورأى مؤلفوها الاقتصار على تسميتها (تفسير القرآن) منسوباً لهم ولهذا وجدنا (تفسير القرآن) لعبد الرزاق الصنعاني، و تفسير القرآن (1) لابن أبي حاتم (2)، وغيرهما.

ولا أدعي أن هذه القاعدة مطردة، ولا أن كل من ألف في التفسير المأثور دون التعرض لعلوم القرآن أنه سمي تفسيره (تفسير القرآن)، كما لا أدعي أن من تحدث عن شيء من علوم القرآن في تفسيره أنه ضمّن العنوان هذا المصطلح، بل أقول على الغالب، ولفترة زمنية ربما إلى نهاية القرن الثالث الهجري.

إذا عبارة علوم القرآن كانت تطلق على تلك العلوم النقلية التي خدمت كتاب الله وسهلت سبل فهمه وتيسيره على من لم يشاهد التنزيل من صغار الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم، سواء وردت ضمن التفاسير أم جاءت مفردة مستقلة كتلك المصنفات المتخصصة في موضوع واحد، أو عدة موضوعات، ولهذا حين ترجم ابن النديم لابن المنادى أبي الحسن أحمد بن جعفر ت (334 هـ) قال: وكان عالماً بالقراءات وغيرها، وله

ص: 129

-
- 1- طبع قسمان من الكتاب، القسم الأول من أول سورة الفاتحة إلى الآية رقم: 141 من سورة البقرة بتحقيق الدكتور أحمد عبد الله العماري. والقسم الآخر من أول سورة آل عمران إلى الآية رقم: 167 من السورة نفسها بتحقيق الدكتور حكمت بشير ياسين.
 - 2- هو عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس التميمي، حافظ الري وابن حافظها، عالم ثبت، صنف في العلوم، له التفسير المسند، توفي (320 هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 13/263- وطبقات المفسرين للداودي: 1/285.

نيف وعشرون كتابا في علوم متفرقة، و كان الغالب عليه علوم القرآن. (1)،

و حين ترجم لأحمد بن كامل بن شجرة ت (355 هـ) قال: أحد المشهورين في علوم القرآن، و ذكر من مؤلفاته: «غريب القرآن» و «القراءات» و كتاب «موجز التأويل عن معجز التنزيل» (2). و قال عن ابن مجاهد أحمد بن موسى ت (324 هـ): و كان مع فضله و علمه و ديانته و معرفته بالقراءات و علوم القرآن حسن الآداب. (3)

لقد أطلق ابن النديم هذا المصطلح ليشمل جميع المؤلفات المتعلقة بالقرآن الكريم بما في ذلك التفسير، و هو إطلاق موافق لمصطلح علوم القرآن عند من يعرفه بأنه مباحث تتعلق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله و ترتيبه و جمعه و كتابته و قراءته و تفسيره ... و نحو ذلك. (4)

بيد أن المتأخرين لم يريدوا به ما أطلقه ابن النديم أو غيره، و إنما قصدوا به الأبحاث الكلية المقعدة و المتعلقة بالقرآن الكريم من جوانبه المتعددة، سواء كانت متخصصة أم عامة، و هو تعريف مستنبط من واقع المؤلفات.

إن المتأخرين يطلقونه على تلك المصنفات التي احتوت الأسس

ص: 130

- 1- انظر: الفهرست لابن النديم: 58- و طبقات المفسرين للداودي: 34/1.
- 2- انظر: الفهرست لابن النديم: 48- و طبقات المفسرين للداودي: 64/1.
- 3- انظر: الفهرست لابن النديم: 47- و سير أعلام النبلاء للذهبي: 272/15.
- 4- انظر: مناهل العرفان للزرقاني: 20/1.

و القواعد و الضوابط لكل علم من علوم القرآن، و ضربت الأمثلة على تلك القواعد. سواء جمع المصنف علما واحدا من هذه العلوم أو أكثر من علم في مؤلف، و سواء اكتفى بنماذج من الأمثلة أم كانت شاملة.

و على هذا يكون من أفرد الناسخ و المنسوخ- مثلا- بالحديث، و ذكر ما يحيط بهذا العلم من معلومات و ضرب الأمثلة أو تتبعها في القرآن الكريم يقال: إنه كتب في علوم القرآن، و يصنّف مؤلفه ضمن تلك المصنفات، و كذا من جمع أكثر من علم في مؤلف واحد، و إن لم يحط بالأمثلة. و الله أعلم.

ص: 131

يرى بعض الباحثين أن التأريخ للمصنفات الموضوعية في علوم القرآن ألزم وأكثر ضرورة وأجدى للقارئ من السير وراء هذه العلوم مجتمعة، لكون تلك العلوم قد أفردت بتأليف خاصة، ونال بعضها من العناية واتباع القول في جميع العصور مما يجعل هذا التأريخ أكثر فائدة. وهي رؤية صائبة فالكثافة والتأليف في كل علم من علوم القرآن كان سابقاً لجمع أطراف تلك العلوم في كتب موسوعية جامعة، غير أن هذا لا يعني إهمال البحث عن تاريخ الكتابات الموسوعية في علوم القرآن، وبداية التصنيف الموسوعي الجامع الذي أعطى لعلوم القرآن منحى آخر، و لكون التأليف في علوم القرآن قد اتخذ ثلاثة أشكال رأيت أن البحث في هذا الموضوع ينبغي أن يكون من ثلاثة جوانب، و هي كلها تدخل تحت المصطلح الذي أطلقناه على علوم القرآن، وبذلك تتم الفائدة المرجوة ويتحقق المطلوب بإذن الله:

(1) أولى المصنفات الموضوعية.

(2) أولى التفاسير التي لها مقدمة في علوم القرآن.

(3) أولى الموسوعات في علوم القرآن.

إشارة

موضوعات علوم القرآن كثيرة أوصلها ابن عقيلة المكي ت (1150 هـ) إلى مائة وأربعة وخمسين نوعاً (1)، كل نوع منه هو علم مستقل بذاته، وقد أفردت كثيراً من هذه الأنواع بتأليف مستقلة، والبحث في تاريخ كل علم من تلك العلوم و معرفة أول من صنف فيه ليس بالأمر السهل، كما أن الفائدة المرجوة منه هي دون ذلك، لهذا رأيت أن أبحث في تاريخ أهم موضوعات علوم القرآن كأمثلة مختارة من تلك العلوم، وهي:

1- الناسخ و المنسوخ:

يرى الأستاذ الزرقاني (2) أن أبا عبيد القاسم بن سلام الهروي ت (224 هـ) (3) هو أول من صنف في هذا الفن، في حين يرى آخرون أن قتادة بن دعامة السدوسي ت (117 هـ) هو السابق (4)، غير أن الناظر في

ص: 133

- 1- اشتركت مع مجموعة من الزملاء في كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بدراسته و تحقيقه، لنيل درجة الماجستير من قسم القرآن و علومه، فخرج في أكثر من عشرين مجلدا و الكتاب تحت الطبع لدى الشركة المتحدة للتوزيع ببلبنان.
- 2- انظر: مناهل العرفان للزرقاني: 24/1.
- 3- هو القاسم بن سلام الخراساني الأنصاري، إمام مجتهد، و أديب نحوي مشهور، مصنفاته كثيرة منها فضائل القرآن. انظر: طبقات القراء للذهبي: 141/1- و طبقات المفسرين للداودي: 37/2.
- 4- انظر: مذكرة علوم القرآن. من إلقاء فضيلة الشيخ مناع القطان- يحفظه الله- على طلبة الدراسات العليا بكلية أصول الدين عام 1407 هـ، و انظر: كشف الظنون لحاجي خليفة: 456/1- و تاريخ التراث العربي: 35/1.

حركة التأليف يلاحظ أن المذكورين مسبقان في التأليف، فقد اهتم العلماء بموضوع النسخ في القرآن منذ الصدر الأول من الإسلام، فرسول الله صلى الله عليه وسلم كان يبين الناسخ من الآيات وكذا المنسوخ، وقد ذكرنا أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان قد كتب في مصحفه الناسخ والمنسوخ، نقل السيوطي في الإتيان عن ابن أشته (1) في كتابه «المصاحف» عن ابن سيرين: أن عليا رضي الله عنه كتب في مصحفه الناسخ والمنسوخ وأن ابن سيرين قال: فطلبت ذلك الكتاب، وكتبت فيه إلى المدينة فلم أقدر عليه. (2)

وعلى هذا يكون الإمام علي هو أول من كتب في الناسخ والمنسوخ، (3) وإن كنا نرجح أن تأليف قتادة قد يمتاز عن كتابة علي بن أبي طالب بكونه مستقلا في الباب ومرتباً، فالذي كتبه علي رضي الله عنه إنما حشى بها مصحفه.

وجاء بعد قتادة، محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ت (124 هـ) فألف كتابه «الناسخ والمنسوخ» (4) ثم تلاه عطاء بن مسلم الخراساني

ص: 134

1- هو أحمد بن عبد الغفار بن أشته الأصبهاني، ثقة مسند، له المصاحف. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 183/19- و شذرات الذهب لابن العماد: 396/3.

2- انظر: الإتيان للسيوطي: 166/1.

3- وانظر: دراسة تقويمية لكتاب مناهل العرفان لخالد السبت: 176.

4- هو محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري، فقيه حافظ متفق على جلالته وإتقانه، يقال: إنه أول من جمع السنة. انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان: 177/4- و تذكرة الحفاظ للذهبي: 108/1- والنسخ في القرآن الكريم لمصطفى زيد: 296/1.

ت (135 هـ) (1)، ثم محمد بن السائب الكلبي ت (146 هـ) (2)، ثم حسين بن واقد المروزي ت (159 هـ) (3)، وكلهم كانوا قبل ابن سلام- رحمه الله ورحمهم أجمعين-.

2- المصاحف و القراءات القرآنية وعد الآي:

لعل أول من صنف في اختلاف المصاحف هو يحيى بن يعمر ت (89 هـ) الذي ألف كتابا في القراءات جمع فيه اختلاف المصاحف المشهورة (4) ثم تلاه عبد الله بن عامر اليحصبي ت (118 هـ)، الذي سمي مصنفه (اختلاف مصاحف الشام والحجاز والعراق) جمع فيه ما روي من اختلاف الناس فيما وافق الخط، قال ابن عطية: و مشى الناس على ذلك

ص: 135

1- هو عطاء بن أبي مسلم الخراساني، صدوق يهم، له تنزيل القرآن وغيره. انظر: طبقات المفسرين للداودي: 135/1- و الناسخ و المنسوخ للنحاس مقدمة التحقيق: ص 18.

2- هو محمد بن السائب بن بشر الكلبي، أخباري شيعي، متروك الحديث. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 248/6- و الفهرست لابن النديم: 40- و تاريخ التراث العربي لسزكين: 80/1.

3- هو حسين بن واقد، أبو عبد الله المروزي، ثقة له أوهام، له وجوه القرآن، و الناسخ و المنسوخ، توفي (159 هـ). انظر: الفهرست لابن النديم: 37، و طبقات المفسرين للداودي: 163/1، و النسخ في القرآن الكريم لمصطفى زيد: 304/1.

4- انظر: غاية النهاية لابن الجزري: 381/2، و تاريخ التراث لسزكين: 22/1.

أما القراءات القرآنية، فقد أرخ ابن الجزري (2) لحركة التدوين في هذا الفن وقال: فلما كانت المائة الثالثة، واتسع الخرق، وقل الضبط، و كان علم الكتاب و السنة أوفر ما كان في ذلك العصر، تصدى بعض الأئمة لضبط ما رواه من القراءات فكان أول إمام معتبر جمع القراءات في كتاب: أبو عبيد القاسم بن سلام، و جعلهم فيما أحسب خمسة و عشرين قارئًا مع هؤلاء السبعة توفي سنة (224 هـ) (3). فهو يرى أن أبا عبيد القاسم هو أول من صنف في هذا الفن.

في حين نرى في حديث الأستاذ الزرقاني عن المجلي في التأليف في هذا الفن اضطرابًا ملحوظًا، فذكر أولاً أن علم الدين السخاوي ت (643 هـ) هو من تصدر التأليف في فن القراءات (4)، ثم قال في حديثه عن أعداد القراءات: .. ثم أهلّ عهد التدوين للقراءات و لم يكن لهذه السبعة بهذا

ص: 136

-
- 1- انظر: الفهرست لابن النديم: 31، و تفسير ابن عطية المقدمة: 55 / 1، و تاريخ التراث العربي لسزكين: 22 / 1.
 - 2- هو محمد بن محمد بن محمد بن علي الجزري، كان إمامًا في القراءة لا نظير له، له مؤلفات كثيرة منها النشر في القراءات العشر. انظر: ذيل تذكرة الحفاظ: 376- و طبقات الحفاظ للسيوطي: 549.
 - 3- انظر: النشر في القراءات العشر لابن الجزري: 33 / 1.
 - 4- انظر: مناهل العرفان للزرقاني: 25 / 1.

العنوان وجود أيضا، بل كان أول من صنف في القراءات أمثال أبي عبيد القاسم بن سلام، وأبي حاتم السجستاني (1)، وأبي جعفر الطبري، وإسماعيل القاضي (2). ثم عاد فقال: و مكثت القراءات السبع على هذه الحال دون أن تأخذ مكانها من التدوين حتى خاتمة القرن الثالث إذ نهض ببغداد الإمام ابن مجاهد أحمد بن موسى بن عباس، فجمع قراءات هؤلاء الأئمة .. (3).

و كما ترى فإن بين أبي عبيد ت (224 هـ) و السخاوي ت (643 هـ) أكثر من أربعة قرون، ثم إن كان هناك من سبق أبا عبيد أيضا، فبالنظر في كتاب «الفهرست» لابن النديم وغيره من الكتب التي اهتمت بذكر مصنفات السابقين أو ترجمت لهم نجدهم يذكرون محمد بن عبد الرحمن بن محيصة ت (123 هـ) (4) و يذكرون له كتاب: اختيار في القراءة على مذهب

ص: 137

-
- 1- هو سهل بن محمد بن القاسم، أبو حاتم السجستاني، إمام في علوم القرآن و اللغة و الشعر، قرأ على الأخفش، له اختلاف المصاحف. انظر: إنباه الرواة للقفطي: 58/2- و طبقات المفسرين للسيوطي: 216/1.
 - 2- انظر: مناهل العرفان للزرقاني: 409/1.
 - 3- انظر: مناهل العرفان للزرقاني: 410/1.
 - 4- هو محمد بن عبد الرحمن بن محيصة السهمي، مقرئ أهل مكة، ثقة في الحديث. انظر: الفهرست لابن النديم: 33- و غاية النهاية لابن الجزري: 167/2- و معرفة القراء الكبار للذهبي: 98/1، و تاريخ التراث العربي لسزكين: 23/1.

العربية، و يذكرون لعيسى بن عمر الثقفي ت (149 هـ) كتابا في القراءات بعنوان: «اختيار في القراءة». (1) كما يذكرون لأبي عمرو بن العلاء ت (154 هـ) كتابا بعنوان: كتاب القراءات. (2) كما يذكرون كتاب القراءة لحمزة الكوفي ت (154 هـ) (3)، و كتاب القراءة لنافع المدني ت (169 هـ) (4) و كتاب القراءة لهشيم بن بشير ت (183 هـ) (5). و كل هؤلاء سابقون على القاسم بن سلام و متقدمون عليه.

و في عد الآي فقد كان للحسن البصري ت (110 هـ) قصب السبق في

ص: 138

- 1- هو عيسى بن عمر الثقفي، نحوي بصري يستنكر الناس قراءته في الغالب، له أيضا الجامع و الكامل في النحو. انظر: غاية النهاية لابن الجزري: 613 / 1- و الفهرست لابن النديم: 13.
- 2- هو زبان بن العلاء بن عمار البصري، أبو عمرو البصري، عالم زاهد، و أحد القراء السبعة، انظر: غاية النهاية لابن الجزري: 288 / 1- و الفهرست لابن النديم: 53.
- 3- هو حمزة بن حبيب بن عمارة الكوفي، أحد القراء السبعة، أدرك الصحابة. انظر: الفهرست لابن النديم: 32- و معرفة القراء الكبار للذهبي: 111 / 1- و تاريخ التراث العربي لسزكين: 31 / 1.
- 4- هو نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم المدني، أحد القراء السبعة، ثقة صالح، قيل: قرأ على سبعين من التابعين. انظر: الفهرست لابن النديم: 31- و تذكرة الحفاظ للذهبي: 99 / 1- و غاية النهاية لابن الجزري: 330 / 2- و تاريخ التراث العربي لسزكين: 32 / 1.
- 5- هو هشيم بن بشير بن القاسم بن دينار السلمى، محدث بغداد و حافظها. انظر: الفهرست لابن النديم: 284- و سير أعلام النبلاء للذهبي: 278 / 8- و تاريخ التراث العربي لسزكين: 88 / 1.

هذا الفن، حيث ألف كتابه: «عد الآي»، ولا أعلم أنه مسبق بأحد. (1) علوم القرآن من خلال مقدمات التفاسير ج 1 139 2 -
المصاحف و القراءات القرآنية وعد الآي: ص: 135

في أعشار القرآن كانت الريادة في التأليف لقتادة بن دعامة السدوسي ت (118 هـ) الذي ألف كتابا أسماه: أعشار القرآن أو «عواشر القرآن»
(2).

3- إعراب القرآن:

يعد الأستاذ الزرقاني إبراهيم بن سعيد الحوفي ت (430 هـ) في طليعة من ألف في إعراب القرآن (3)، واستدرك عليه الأستاذ خالد السبت
فذكر أن أبا مروان عبد الملك بن حبيب بن سليمان القرطبي ت (238 هـ) (4) هو السابق والمتقدم في هذا الفن (5)، في حين نجد أن
شيخنا الفاضل مناع القطان يعين المجلي في هذا الفن فيقول هو محمد بن المستنير بن أحمد بن علي الشهير بقطرب ت (206 هـ) ويذكر
له كتاب: إعراب القرآن. (6) وعند البحث لم

ص: 139

-
- 1- انظر: الفهرست لابن النديم: 36- و تاريخ التراث العربي لسزكين: 25 /1.
 - 2- اختلف في عنوان الكتاب انظر: الطبقات لابن سعد: 273 /7- و غاية النهاية لابن الجزري: 25 /2- و كشف الظنون لحاجي خليفة:
456 /1، و تاريخ التراث العربي لسزكين: 21 /1.
 - 3- انظر: مناهل العرفان للزرقاني: 24 /1.
 - 4- انظر: دراسة تقويمية لكتاب مناهل العرفان للأستاذ خالد بن عثمان السبت: 179.
 - 5- هو عبد الملك بن حبيب بن سليمان العباسي القرطبي، نحوي فقيه، اشتهر بالحذق في الفقه، له الواضحة. انظر: سير أعلام النبلاء
للذهبي: 102 /12- و كشف الظنون لحاجي خليفة: 123 /1.
 - 6- مذكرة علوم القرآن من إلقاء فضيلة الشيخ مناع القطان- يحفظه الله- على طلبة الدراسات العليا في كلية أصول الدين عام 1407 هـ- و
هو ما ذهبت إليه الدكتور ابتسام الصفار في معجم الدراسات القرآنية: 20- و انظر: الفهرست لابن النديم: 55.

نظفر بأحد تقدم عليه. ثم تلاه يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي المعروف بالفراء ت (207 هـ) فألف كتاباً أسماه «الجمع و التثنية في القرآن»، و كان رحمه الله أعلم الكوفيين بالنحو و اللغة (1). و تلاهما أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي ت (209 هـ) (2) ثم كان عبد الملك بن حبيب السابق ذكره، و تلاهم أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني ت (248 هـ) (3). ثم أبو العباس المبرّد ت (286 هـ) (4). ثم أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد المعروف بثعلب ت (291 هـ) (5).

4- غريب القرآن:

يعد الأستاذ الزرقاني أبا بكر السجستاني ت (316 هـ) (6) أول من

ص: 140

-
- 1- انظر: مراتب النحويين: 86- و طبقات المفسرين للداودي: 368/2.
 - 2- انظر: أنباه الرواة للقفطي: 276/3- و طبقات المفسرين للداودي: 327/2- و مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده: 106/1.
 - 3- انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 268/12- و كشف الظنون لحاجي خليفة: 123/1.
 - 4- هو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر المبرد البصري، إمام في النحو، له الكامل. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 576/13- و كشف الظنون لحاجي خليفة: 123/1.
 - 5- هو أحمد بن يحيى بن زيد البغدادي، المشتهر بثعلب، إمام النحو، و كان أعلم الكوفيين، له اختلاف النحويين، و القراءات. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 5/14- و كشف الظنون لحاجي خليفة: 123/1.
 - 6- هو عبد الله بن سليمان بن الأشعث، أبو بكر السجستاني، إمام حافظ حدث عنه ابن

ألف في الغريب (1) واستدرك عليه الأستاذ السبت فقال: هو مسبق بأبان ابن تغلب ت (141 هـ) (2)، غير أننا نجد أن ما ذهبنا إليه لا يسلم لهما، فقد سبقهما عطاء بن أبي رباح ت (114 هـ) (3) و تبعه أبان ثم مؤرج بن عمرو السدوسي البصري ت (174 هـ) (4) ثم الإمام الجليل مالك بن أنس ت (179 هـ) الذي ألف كتابه: تفسير غريب القرآن، (5)، ثم علي بن حمزة.

ص: 141

- 1- انظر: مناهل العرفان للزرقاني: 24/1.
- 2- هو أبان بن تغلب الكوفي، إمام مقرئ شيعي، قال الذهبي: بدعته خفيفة. له: غريب القرآن. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 308/6- و كشف الظنون لحاجي خليفة: 1207/2- و تاريخ التراث العربي لسزكين: 42/1- و دراسة تقويمية لمناهل العرفان لخالد السبت: 178.
- 3- هو عطاء بن رباح بن أسلم القرشي، مفتي الحرم، كان من أوعية العلم. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 78/5- و مذكرة علوم القرآن من إلقاء فضيلة الشيخ مناع القطان- يحفظه الله- على طلبة الدراسات العليا في كلية أصول الدين عام 1407 هـ.
- 4- هو مؤرج بن عمرو أبو فيد السدوسي، شيخ العربية، له غريب القرآن. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 309/9- و الفهرست لابن النديم: 37-53، و كشف الظنون لحاجي خليفة: 1207/2.
- 5- هو الإمام مالك بن أنس بن أبي عامر الأصبحي، إمام دار الهجرة، له الموطأ. انظر: تهذيب التهذيب لابن حجر: 509/10- و البداية و النهاية لابن كثير: 174/1- و انظر مذكرة علوم القرآن من إلقاء فضيلة الشيخ مناع القطان- يحفظه الله- على طلبة الدراسات العليا في كلية أصول الدين عام 1407 هـ.

5- مجاز القرآن:

وذكر الأستاذ الزرقاني أن العز بن عبد السلام ت (660 هـ) (2) هو أول من تصدر للتأليف في مجاز القرآن (3)، وهو قول لا يسلم له مع غرابته، فالعز مسبوق بقرون، ولعل أول من صنف في هذا الفن هو ابن المستنير محمد المعروف بقطرب ت (206 هـ) (4)، ثم تلاه أبو عبيدة معمر بن المثنى البصري ت (210 هـ)، ثم الشريف الرضي محمد بن الحسين بن موسى العلوي ت (406 هـ) وأسماء: تلخيص البيان في مجاز القرآن. (5).

ص: 142

1- هو علي بن حمزة بن عبد الله الكوفي، المشتهر بالكسائي، لغوي نحوي، إمام في القراءة، له معاني القرآن. انظر: اللباب في تهذيب الأنساب لابن الجزري: 97/3- والفهرست لابن النديم: 29- وطبقات المفسرين للداودي: 407/1- وكشف الظنون لحاجي خليفة: 1730/2.

2- هو عبد العزيز بن عبد السلام السلمى، عز الدين الملقب بسطان العلماء، فقيه شافعي بلغ رتبة الاجتهاد، له التفسير الكبير، وغيره. انظر: طبقات الشافعية للسبكي: 80/5- وطبقات المفسرين للداودي: 315/1.

3- انظر: مناهل العرفان للزرقاني: 24/1.

4- وانظر مذكرة علوم القرآن من إلقاء فضيلة الشيخ مناع القطان- يحفظه الله- على طلبة الدراسات العليا في كلية أصول الدين عام 1407 هـ.

5- هو محمد بن الحسين بن موسى الموسوي، انتهت إليه نقابة الأشراف، شاعر واسع الاطلاع، له ديوان الشعر، و مجاز القرآن. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 285/17- و مرآة الجنان لليافعي: 18/3.

6- نزول القرآن:

لعل أول من كتب في نزول القرآن الضحاك بن مزاحم الهلالي البلخي ت (105 هـ) (1)، ثم تلاه الحسن البصري ت (110 هـ) (2).

7- معاني القرآن:

تصدر للتأليف في هذا الفن و اصل بن عطاء الغزال، أبو حذيفة ت (131 هـ) (3)، ثم تلاه محمد بن الحسن بن أبي سارة الرؤاسي ت (170 هـ) (4)، ثم علي بن حمزة بن عبد الله الكسائي ت (189 هـ) (5) ثم قطرب محمد بن المستنير ت (206 هـ) (6)، ثم يحيى بن زياد الفراء ت (207 هـ) .. (7)

ص: 143

- 1- هو الضحاك بن مزاحم الهلالي البلخي المفسر، معلم قيل: كان في مكتبة ثلاثة آلاف صبي، وثقه ابن معين وغيره. انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان: 499/2- والفهرست لابن النديم: 38- و تاريخ التراث العربي لسزكين: 186/1.
- 2- انظر: كشف الظنون لحاجي خليفة: 446/1- و تاريخ التراث العربي لسزكين: 72/1.
- 3- واصل بن عطاء أبو حذيفة المخزومي، عالم في اللغة. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 464/5- و مرآة الجنان لليافعي: 357/2- و طبقات المفسرين للداودي: 357/2.
- 4- انظر: طبقات المفسرين للداودي: 134/2- و كشف الظنون لحاجي خليفة: 1730/2.
- 5- انظر: الفهرست لابن النديم: 29- و طبقات المفسرين للداودي: 407/1.
- 6- انظر: الفهرست لابن النديم: 52- و طبقات المفسرين للداودي: 256/2.
- 7- انظر: الفهرست لابن النديم: 66- و طبقات المفسرين للداودي: 368/2- و مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده: 167/1.

أول من صنف في متشابه القرآن هو مقاتل بن سليمان الأزدي البلخي ت (150 هـ) (1)، تلاه علي بن حمزة الكسائي ت (187 هـ) (2)، ثم ألف قطرب محمد بن المستنير ت (206 هـ) كتاب «الرد على الملحدين في متشابه القرآن». (3).

و أكتفي بهذه النماذج المختارة من عيون فنون علوم القرآن كأمثلة على أوائل التأليف في الموضوعات، و سيأتي المزيد عند الحديث عن مراحل التأليف في علوم القرآن في الفصل الثاني من هذا الباب بمشيئة الله تعالى.

ثانياً: أولى التفاسير التي لها مقدمات:

1- مقدمة تفسير القرآن العزيز: لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني ت (211 هـ).

يعد عبد الرزاق أول من قدم تفسيره بمقدمة في علوم القرآن، روى فيها بعض الآثار دون أن يقطع لذلك جانباً من الفكر.

ص: 144

-
- 1- هو مقاتل بن سليمان بن كثير البلخي، مفسر رمي بالتجسيم، و ترك حديثه، حكي عن الشافعي أنه قال: الناس عيال على مقاتل في التفسير. له الآيات المتشابهات. انظر: الفهرست لابن النديم: 179- و طبقات المفسرين للداودي: 331 / 2.
 - 2- انظر: الفهرست لابن النديم: 29- و طبقات المفسرين للداودي: 407 / 1.
 - 3- انظر: الفهرست لابن النديم: 52- و طبقات المفسرين للداودي: 256 / 2.

2- مقدمة تفسير جامع البيان في تفسير القرآن: لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري ت (310 هـ).

يعد ابن جرير رائد علم التفسير بلا منازع، وإذا كان عبد الرزاق قد قدم لتفسيره بعض الروايات عن علوم القرآن، فإن ابن جرير يعد أول من صنف في التفسير مقدما التصنيف بمقدمة طويلة درس فيها موضوعات مختارة من علوم القرآن تعد من أهم الموضوعات في هذا الفن، دون أن يكتفي بما اكتفى به الصنعاني، بل أعمل الفكر، وأبدى الرأي، وأحسن الاختيار وجمع الآراء والأقوال، ورجح بين الروايات، و يكاد يجمع كل من صنف في علوم القرآن على زيادة ابن جرير في هذا المنهج.

3- مقدمة كتاب المباني في نظم المعاني: لمؤلف مجهول، وقد طبعت المقدمة مع مقدمة تفسير ابن عطية و عنون لها ب: مقدمتان في علوم القرآن، حققهما المستشرق آرثر جفري.

و يعود تاريخ هذه المقدمة إلى عام (425 هـ) حيث كتب مؤلفه في الصفحة الثانية منه أنه بدأ في تأليفه عام 425 هـ. و شملت هذه المقدمة عشرة فصول، تضمنت أهم موضوعات علوم القرآن كجمع المصحف، ونزول القرآن، والمحكم والمتشابه، ونزول القرآن على سبعة أحرف، وغير ذلك من مباحث القرآن.

و ممن قال بأسبقية هذه المقدمة وانتصر لهذا الرأي فضيلة الشيخ محمد أبو شهبه- رحمه الله- حيث صرح بذلك في كتابه «المدخل لدراسة القرآن

ص: 145

الكريم» وأثنى عليها وعلى موضوعاتها، كما أثنى على بلاغة الكاتب وقوة حجته، وحصافة رأيه، ورجح كونه من علماء الأندلس وقال: و إن أغلب ما ذكره السيوطي في مقدمته الإتيان من الكتب المؤلفة في هذا الفن لا يداني هذه المقدمة، بل إن بعضها لا يزيد عن فصل من فصولها، فهي جديرة بأن تذكر في كتب هذا الفن، وهي - بحق - تعتبر محاولة جديفة في التأليف في هذا العلم، ولا يغض من قيمتها أنها مقدمة لتفسير، فكتاب الإتيان الذي هو عمدة كتب هذا الفن قد جعله مؤلفه مقدمة لتفسيره الكبير كما ذكر. ثم قال: ولعل أطول المقدمات وأحفلها هي مقدمة القرطبي وهي - على طولها - لا تبلغ ما بلغته هذه المقدمة في طولها وتنوع موضوعاتها. (1)

قلت: لهذه المقدمة أهمية خاصة عند المشتغلين بعلوم القرآن وإن كانت جهالة المؤلف قد أفقدته شيئاً من تلك الأهمية، غير أن الحديث هنا هو عن الأسبقية والريادة، وليس عن الإتيان والإجادة، وبما أن عبد الرزاق من المتقدمين على المؤلف فهو الحائز قصب السبق وليس مؤلف المقدمة، والله أعلم.

ثالثاً: أولى الموسوعات في علوم القرآن:

يقول الأستاذ الزرقاني في المناهل (2): اشترأت أعناق العلماء أن

ص: 146

-
- 1- انظر: المدخل لدراسة القرآن الكريم لأبي شهبه: 34-35.
 - 2- انظر: مناهل العرفان للزرقاني: 26/1.

يعتصروا من تلك العلوم- علوم القرآن- علما جديدا يكون كالفهرس لها، و الدليل عليها، و المتحدث عنها. فكان هذا العلم هو ما نسميه (علوم القرآن).

قلت: وقد عنيت بمصطلح (موسوعات علوم القرآن) تلك المصنفات التي ألفت في هذا العلم بالمعنى المذكور في كلام الأستاذ الزرقاني السابق.

لقد كثرت الأقوال في تعيين المجلي في هذا الباب، و تباينت الآراء إلى حد الغرابة أحيانا، و لعل السبب الرئيس - في اعتقادي - هو الإيهام الذي أحدثته عبارة علوم القرآن الواردة في بعض عناوين المؤلفات القديمة، و ظن البعض أنها مصنفات في علوم القرآن، و هي في حقيقتها في التفسير، و انتشرت هذه الأقوال حتى اشتهرت، و اعتمد اللاحق على السابق بأن كفى النفس مؤنة البحث و التقصي.

و قد رأيت أن أذكر أهم تلك الأقوال ثم الرد عليها، و أتبعها بذكر ما ترجح لديّ و الله المستعان، و أشهر الأقوال:

1) كتاب البرهان في علوم القرآن: علي بن إبراهيم بن سعيد الشهير بالحوفي ت (430 هـ) (1)، قال ياقوت (2) في «معجمه»: بلغني أنه يقع في

ص: 147

1- الكتاب مخطوط يقع في ثلاثين مجلدا، يوجد منه خمسة عشر مجلدا بدار الكتب المصرية تحت رقم (59) تفسير، و نسخة أخرى من سبعة مجلدات، من الأول إلى الخامس، و الحادي عشر و جزء آخر ناقص من أوله تحت رقم 517 تفسير، و انظر: فهرس معهد مخطوطات جامعة الدول العربية.

2- هو ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، نحوي أخباري، كانت له همة عالية في تحصيل العلوم، له معجم البلدان وغيره، توفي (630 هـ). انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان: 127/6، و سير أعلام النبلاء للذهبي: 312/22.

وقد ذكر الأستاذ الزرقاني - رحمه الله- أن كتاب الحوفي هو أول تصنيف ظهر في علوم القرآن بالمعنى المصطلح عليه، حيث قال: لقد كان المعروف لدى الكاتبيين في تاريخ هذا الفن، أن أول عهد ظهر فيه هذا الاصطلاح- أي اصطلاح علوم القرآن- هو القرن السابع.

لكنني ظفرت في دار الكتب المصرية بكتاب لعلي بن إبراهيم بن سعيد الشهير بالحوفي المتوفى سنة (430 هـ) اسمه «البرهان في علوم القرآن»،

إلى أن قال: وإذن نستطيع أن نتقدم بتاريخ هذا الفن نحو قرنين من الزمان؛ أي إلى بداية القرن الخامس بدلا من القرن السابع (2)

وقال في موضع آخر: إن علوم القرآن استهلكت صارخة على يد الحوفي في أواخر القرن الرابع و أوائل الخامس. (3) وقال في موضع ثالث من كتابه المناهل: ولا نعلم أحدا قبل المائة الرابعة للهجرة ألف أو حاول أن يؤلف في علوم القرآن بالمعنى المدون. (4)

ص: 148

-
- 1- انظر: معجم الأدباء لياقوت: 221 / 12.
 - 2- انظر: مناهل العرفان للزرقاني: 28 / 1.
 - 3- انظر: مناهل العرفان للزرقاني: 32 / 1.
 - 4- انظر: مناهل العرفان للزرقاني: 26 / 1.

ولعل الأستاذ الزرقاني هو أول من تبنى هذا الرأي كما يظهر من مقولته، وقد تبعه ثلثة من الذين ألفوا في علوم القرآن (1) فيما بعد.

وهو رأي مرجوح في اعتقادي لأمرين:

الأول: أن كتاب الحوفي هذا كتاب في التفسير وليس في علوم القرآن.

وقد تضافرت الأدلة على ذلك، بل إن الكتاب وهو بين أيدينا خير شاهد على جنوح الرأي وعدم سداه.

وقبل ذكر طريقة المؤلف في التفسير نقل ما ورد في تسميته، فقد ذكر ياقوت الحموي في معجمه السابق أن الحوفي سمي كتابه «البرهان في تفسير القرآن» (2) وقال الداودي (3): له- أي للحوفي- تفسير جيد سماه: «البرهان في تفسير القرآن» (4) وبنحو ذلك قال السيوطي و حاجي خليفة (5)

ص: 149

-
- 1- مثل الدكتور محمد أمين فرشوخ، انظر كتابه المدخل إلى علوم القرآن و العلوم الإسلامية: 10، و الدكتور محمد بكر إسماعيل، انظر كتابه دراسات في علوم القرآن: 17.
 - 2- انظر: معجم الأدباء لياقوت: 221 / 12.
 - 3- هو محمد بن علي بن أحمد الداودي، شيخ أهل الحديث في عصره، أخذ عن السيوطي، له طبقات المفسرين. انظر: شذرات الذهب لابن العماد: 264 / 8- و الأعلام للزركلي: 291 / 6.
 - 4- انظر: طبقات المفسرين للداودي: 388 / 1.
 - 5- هو مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي، يعرف بحاجي خليفة، مؤرخ بحاثة، له كشف الظنون، قيل: هو أنفع ما كتب في هذا الباب. انظر: الأعلام للزركلي: 236 / 7.

وغيرهما (1).

ولا ندري من أين استقى الأستاذ الزرقاني هذا الاسم «البرهان في علوم القرآن» لكتاب الحوفي، والحال أن الجزء الأول منه مفقود، ولا أدري من أين عرف التسمية؟ ولعله اعتمد على فهرس دار الكتب المصرية.

قال: وقد رجعت إلى كتاب كشف الظنون فتبين لي أن اسم الكتاب «البرهان في تفسير القرآن»، وبذلك زالت الشبهة في عدّه من علوم القرآن، وثبت أنه كتاب تفسير وهو الحق والصواب. (2)

وبالرجوع إلى التفسير رأينا أن الكتاب لا يخرج عن كتب التفسير، يتعرض فيه المؤلف للآية أو الآيات حسب ترتيب المصحف، فيذكر الإعراب، والوقف والتمام، والقراءات والغريب، والمعنى والتفسير والأحكام وأسباب النزول والنسخ وغير ذلك، ويعقد لكل فن عنوانا فيقول: (القول في القراءات) ويتكلم تحت العنوان عن القراءات الواردة في الآيات المعروضة، ثم يقول: (القول في الإعراب) فيذكر اللغويات والنواحي الإعرابية، وهكذا في بقية فنون. فهو كتاب تفسير تطرّق فيه المؤلف لمواضيع في علوم القرآن وليس ذلك بدعا من القول.

فلا فرق بين صنيعه وبين صنيع القرطبي والفخر الرازي في

ص: 150

1- انظر: طبقات المفسرين للسيوطي: 70- و كشف الظنون لحاجي خليفة: 241 / 1.

2- انظر: المدخل لدراسة القرآن الكريم لأبي شهبه: 35.

تفسيريهما، وصنيع غيرهما ممن كان كتابه أمسّ بالتفسير منه بعلوم القرآن. (1) وقد أقر الأستاذ الزرقاني نفسه بهذه الحقيقة حين استعرض الكتاب وقال: إن الكتاب أتى على علوم القرآن ولكن لا على طريقة ضم النظائر والأشباه بعضها إلى بعض تحت عنوان واحد لنوع واحد، بل على طريقة النشر والتوزيع تبعاً لانتشار الألفاظ المتشاكلة في القرآن وتوزعها.

حتى كأن هذا التأليف تفسير من التفاسير عرض فيه صاحبه لأنواع علوم القرآن عند المناسبات (2).

الثاني: أن الكتاب مسبوق بالتأليف، و من الذين سبقوه في هذا المضممار الحارث المحاسبي ت (243 هـ) بكتابه «فهم القرآن»، وأبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري ت (406 هـ) بكتابه «التنبيه على فضل علوم القرآن» (3)، هذا حسب الاصطلاح، وإلا فلو نظرنا باعتبار التسمية فإن هناك من سبقه أيضاً مثل محمد بن خلف بن المرزبان ت (309 هـ) بكتابه «الحاوي في علوم القرآن» (4)، وأبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري ت (334 هـ) بكتابه «المختزن في علوم القرآن» (5)،

ص: 151

1- انظر: المدخل لدراسة القرآن الكريم لأبي شهبه: 35.

2- انظر: مناهل العرفان للزرقاني: 28/1.

3- انظر: طبقات المفسرين للداودي: 145/1.

4- انظر: الفهرست لابن النديم: 95، وطبقات المفسرين للداودي: 146/2.

5- انظر: تاريخ بغداد للخطيب: 346/11، وسير أعلام النبلاء للذهبي: 88/15.

و محمد بن علي الأدفوي ت (388 هـ) بكتابه «الاستغناء في علوم القرآن» (1).

(2) كتاب الحاوي في علوم القرآن: لمحمد بن خلف بن المرزبان بن بسام المحوّلي ت (309 هـ) (2)، و الكتاب مخطوط بدار الكتب المصرية (3)، و يقع في نحو من سبعة وعشرين جزءاً.

و ممن انتصر لهذا القول و رأى أن ابن المرزبان هو السابق في التأليف فضيلة الدكتور صبحي الصالح - رحمه الله - حيث قال في ثنايا حديثه عن ظهور هذا المصطلح: نبهنا آنفاً إلى ظهور كتب عالجت الدراسات القرآنية باسمها الصريح (علوم القرآن)، و كان أسبقها في نظرنا كتاب ابن المرزبان في القرن الثالث. (4)

و هو اختيار فضيلة الشيخ مناع خلیل القطان - يحفظه الله - الذي قال

ص: 152

1- انظر: طبقات المفسرين للداودي: 398/1، و كشف الظنون لحاجي خليفة: 440/1.

2- أخباري مصنف حسن التأليف، روى عن الزبير و الرمادي و عنه أبو عمر بن حيويه و جماعة، و المحوّلي نسبة إلى قرية غرب بغداد. انظر النجوم الزاهرة: 203/3، و الفهرست: 95 و 166، و تاريخ بغداد: 237/5، و طبقات المفسرين للداودي: 146/2، و معجم مصنفات القرآن الكريم: 199/3.

3- انظر: مذكرة علوم القرآن من إلقاء فضيلة الشيخ مناع القطان يحفظه الله على طلبة الدراسات العليا في كلية أصول الدين عام 1407 هـ.

4- انظر: مباحث في علوم القرآن، د/ صبحي الصالح: 124.

عند حديثه عن نشأة علوم القرآن: أما جمع هذه الأنواع من علوم القرآن- كلها أو جلها- في كتاب واحد باعتبارها علما مستقلا فقد كانت بداية ذلك في مؤلف مخطوط بعنوان «الحاوي في علوم القرآن» بدار الكتب المصرية لأبي عبد الله محمد بن خلف بن المرزبان إلى أن قال: وهو بهذا أول من جمع علوم القرآن في مؤلف واحد (1).

وهو ما ذهب إليه أيضا فضيلة الدكتور فهد الرومي، الذي قال: ظهر هذا الاصطلاح أول ما ظهر في أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع الهجري حين ألف محمد بن خلف بن المرزبان ت (309 هـ) كتابه الحاوي في علوم القرآن (2).

وهذا الرأي أيضا مرجوح في اعتقادنا، وذلك لأمرين:

الأول: أن كتاب ابن المرزبان كتاب في التفسير وليس في علوم القرآن وإن حمل مصطلح علوم القرآن، يدل على ذلك سعة فقد جاء في ثلاثين مجلدا، في عصر لم يكن البحث في علوم القرآن بالمعنى المقصود قد بلغ نصيف هذا الاتساع. (3)

الثاني: أنه مسبوق بكتاب «فهم القرآن» للحارث المحاسبي

ص: 153

-
- 1- انظر: مذكرة علوم القرآن. من إلقاء فضيلة الشيخ مناع القطان يحفظه الله على طلبة الدراسات العليا في كلية أصول الدين عام 1407 هـ.
 - 2- انظر: دراسات في علوم القرآن الكريم، د/ فهد الرومي: 45.
 - 3- وانظر: فنون الأفتان لابن الجوزي- مقدمة المحقق: 73.

ت (243 هـ) و سيأتي الحديث عنه بمشيئة الله.

3) كتاب عجائب علوم القرآن: المنسوب لأبي بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار ابن الأنباري ت (328 هـ) (1)، و الكتاب مخطوط توجد منه نسخة في مكتبة البلدية بالإسكندرية برقم: 3599 (2).

وقد انتصر لهذا القول فضيلة الدكتور/ حسن ضياء الدين عتر، الذي قال في تحقيقه لكتاب فنون الأفتان لابن الجوزي: و إنني أتوقع أن يكون أسبق كتاب في هذا المضممار هو: «عجائب علوم القرآن» للإمام الجليل أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري ت (328 هـ). (3)

وقد استبشرت خيرا بهذا القول لكونه يتقدم بتاريخ تدوين علوم القرآن بالمعنى المصطلح عليه قرنا كاملا على مذهب من يرى أن ابن حبيب النيسابوري هو السابق، و بأكثر من قرنين و نيف على مذهب من يرى أن المجلي هو ابن الجوزي صاحب فنون الأفتان. غير أنني ما لبثت أن اختالني الشك حين عدت إلى ترجمة ابن الأنباري في مظانه فلم أجد لهذا الكتاب

ص: 154

1- مقرئ نحوي، زاهد فاضل، اشتهرت تصانيفه منها الوقف و الابتداء، و الرد على من خالف مصحف عثمان. انظر: معرفة القراء الكبار للذهبي: 280/1- و طبقات المفسرين للداودي: 228/2.

2- انظر: مباحث في علوم القرآن، الدكتور صبحي الصالح: 122، و دراسة تقويمية لكتاب مناهل العرفان: 183- و فنون الأفتان- مقدمة المحقق: 74.

3- انظر: فنون الأفتان- مقدمة المحقق: 73.

ذكر، غير الزركلي في الأعلام (1) الذي ذكر ضمن مؤلفات ابن الأنباري الكتاب المذكور وأشار إلى أنه مخطوط، وغير الشواخ في «معجم مصنفات القرآن» (2)، وكان مصدره الوحيد للأعلام للزركلي، مما زاد من حيرتي.

وأثناء البحث وقليل النظر في المصادر ومطاب الحديث عن مثل هذا الموضوع وقفت على استعراض لمخطوط ابن الأنباري في رسالة ماجستير في الجامعة الإسلامية بعنوان: «دراسة تقويمية لكتاب مناهل العرفان»، للباحث خالد بن عثمان السبت، فألفيته يقول: وقفت على كتاب ابن الأنباري - رحمه الله - فوجدته يتحدث عن موضوعنا الذي نحن بصدده، وقد قال في أوله: لما ألفت كتاب التلخيص في غرائب علوم الحديث، رأيت أن تأليف كتاب في عجائب علوم القرآن أولى، فشرعت في سؤال التوفيق ...)

إلى أن قال: (باب ذكر نبذة من فضائل القرآن ...)، ثم قال: (باب في أن القرآن كلام الله غير مخلوق) ثم قال: (باب نزول القرآن على سبعة أحرف) وساق أربعة عشر قولاً. ثم قال (باب في كتابة المصحف وهجائه) ثم قال: (باب عدد سور القرآن، وآياته، وكلماته، وحروفه، و نقطه) ثم قال:

(باب ذكر أجزاء القرآن) ثم قال: (باب عدد آيات السور) وهكذا يسوق

ص: 155

1- انظر: الأعلام للزركلي: 334/6 والذي يظهر لي أنه اعتمد فهرست المكتبة في إثبات المعلومة.

2- انظر: معجم مصنفاته القرآن الكريم للشواخ: 219/3.

الأبواب (1)، وهكذا لم يذكر الباحث شيئاً عن نسبة الكتاب إلى ابن الأنباري، غير أن العرض الذي قدمه أدخل السكينة إلى النفس التي لم تدم طويلاً- فسرعان ما وقفت على تبييه في الحاشية، للباحث نفسه في أوائل رسالته قوض البنيان حين قال ما نصه: ذهب البعض إلى القول بأن كتاب عجائب علوم القرآن المنسوب لابن الأنباري هو أول المؤلفات في هذا الشأن، والصواب أن الكتاب المذكور لا تصح نسبته لابن الأنباري، بل هو كتاب فنون الأفنان لابن الجوزي، ويعرف هذا بالمقارنة بينهما وبدلائل لا مجال لذكرها في هذا الموضوع أه (2). وعند جهينة الخبير اليقين، فبالعودة لكتاب ابن الجوزي تبين اليقين، وتؤكد لي ذلك مرة أخرى ما أقره الباحث حين وقفت على كلام لفضيلة الدكتور فهد الرومي يحفظه الله وهو الخبير بمعرفة الكتب والمخطوطات المتحققة في التفسير وعلوم القرآن يثبت فيه هو الآخر خطأ نسبة الكتاب لابن الأنباري ويؤكد النسبة لابن الجوزي ويقول:

ينسب كثير من الباحثين كتاب «عجائب علوم القرآن» لأبي بكر بن الأنباري ت (328 هـ) مستندين في ذلك إلى ما ذكره الزرقاني في «مناهل العرفان» (3)، وقد ظهر لي- والقول لفضيلة الدكتور- يقينا أن الكتاب!

ص: 156

-
- 1- انظر: دراسة تقويمية لكتاب مناهل العرفان: 184.
 - 2- انظر: دراسة تقويمية لكتاب مناهل العرفان: 28.
 - 3- سبق أن بينا أن الزرقاني رجح أن الحوفي هو المجلي في هذا الباب، و معلوم أن الحوفي توفي سنة 430 هـ، بيد أن ابن الأنباري هو المتقدم تاريخاً، فكيف يذكره ولا يعزو الأسبقية إليه!

المذكور ليس لأبي بكر الأنباري بل هو كتاب «فنون الأفنان في عجائب علوم القرآن» لابن الجوزي، و سبب وقوع هذا الوهم نسخة مخطوطة في مكتبة البلدية بالإسكندرية أخطأ مفهرسو المكتبة في معرفة المؤلف فنسبها لأبي بكر الأنباري. أه (1).

و الغريب في الأمر أن يذهب محقق كتاب ابن الجوزي الأستاذ العتر من دون الآخرين إلى ترجيح هذا الرأي، و كأن وحدة التسمية و الموضوعات لم تحدث له إشكالا، و لا قول المؤلف في بداية حديثه: لما ألفت كتاب «التلقيح في غرائب علوم الحديث»، رأيت أن تأليف كتاب في عجائب علوم القرآن أولى. و كما هو معلوم فإن كتاب التلقيح هو لابن الجوزي.

و على ما سبق فإنه لا يعتد بهذا القول أيضا.

(4) كتاب فنون الأفنان في عجائب علوم القرآن، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد البكري المعروف بابن الجوزي ت (597 هـ) (2)، و الكتاب مطبوع عدة طبعات.

ص: 157

1- انظر: دراسات في علوم القرآن الكريم، د/ فهد الرومي: 46 هامش (1) قلت: و قول الدكتور الكريم: «و ينسب كثير من الباحثين كتاب عجائب...» قول فيه نظر إذ القائلون بذلك قلة.

2- انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 365/21- و غاية النهاية لابن الجزري: 375/1.

كان المعروف لدى الكاتبين في هذا الفن أن ظهور هذا الاصطلاح كان في القرن السادس الهجري على يد أبي الفرج بن الجوزي، استنتاجاً من الذي ذكره السيوطي في مقدمة الإتقان. (1)

وكان ممن انتصر لهذا القول فضيلة الشيخ غزلان، في كتابه: «البيان في مباحث من علوم القرآن»، فقد ذكر بعد أن عرض لحركة التأليف في علوم القرآن أن ابن الجوزي هو السابق في التصنيف في هذا الفن وقال: فمن هذا كله يتبين لنا أنه لم يعرف أن أحداً قبل ابن الجوزي جمع هذه الأبحاث وسمّاها باسم علوم القرآن. (2)

وهو قول بعيد وغريب فابن الجوزي مسبق بقرون على مذهب من يرى أن الحارث المحاسبي هو السابق، أو أن ابن حبيب النيسابوري هو المجلي أو ابن المرزبان أو غيرهم.

(5) أقوال أخرى: وقد وردت أقوال أخرى تقول بأسبقية بعض المؤلفات ولغرابتها وبعدها أعرضت عن التحدث عنها تفصيلاً، ومن ذلك:

أ- البرهان في علوم القرآن، لأبي عبد الله، بدر الدين، محمد بن عبد

ص: 158

1- انظر: المدخل لدراسة القرآن الكريم لأبي شهبه: 34.

2- انظر: البيان في علوم القرآن لغزلان: 41.

اللّه بن بهادر الزركشي ت (794 هـ) (1).

وقد شهد السيوطي للزركشي بالزيادة في هذا الباب لكن على سبيل البسط والإحصاء والسير على منهج الاستقصاء، فقد قال في خطبة كتابه «الإتقان»: خطر لي بعد ذلك- يعني بعد تأليف كتاب «التحبير»- أن أؤلف كتابا مبسوطا، و مجموعا مضبوطا أسلك فيه طريق الإحصاء، وأمشي فيه على منهج الاستقصاء، هذا كله وأنا أظن أنني متفرد بذلك غير مسبوق بالخوض في هذه المسائل، فبينما أن أجيل في ذلك فكرا..... إلى أن قال: إذ بلغني أن الشيخ الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ألف كتابا في ذلك حافلا يسمى «البرهان في علوم القرآن» فتطلّبتّه حتى وقفت عليه. (2)

تلکم كانت شهادة السيوطي، وقد كان الزركشي ذاته قد أثبت الأسبقية لنفسه حين ذكر في تقديمه للبرهان أنه مما فات المتقدمين وضع كتاب يشتمل على أنواع علومه، كما وضع ذلك بالنسبة إلى علم الحديث؛ قال: فاستخرت الله تعالى- وله الحمد- في وضع كتاب في ذلك جامع لما تكلم الناس في فنونه. (3)

وقد اختار هذا الأستاذ أبو الفضل إبراهيم في تحقيقه لكتاب الإتقان

ص: 159

1- انظر: طبقات المفسرين للداودي: 162/2- و الدرر الكامنة لابن حجر: 17/4-.

2- انظر: الإتقان للسيوطي: 123/1 ط البغا.

3- انظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي: 9/1.

ب- مواقع العلوم من مواقع النجوم، لجلال الدين، عبد الرحمن بن عمر بن رسلان البلقيني ت (824 هـ) (2).

وهو اختيار السيوطي في كتابيه «الإتقان»، و«التحبير» حيث قال: و مما أهمل المتقدمون تدوينه حتى تحلى في آخر الزمان بأحسن زينة [علم التفسير] الذي هو كمصطلح الحديث، فلم يدونه أحد لا في القديم ولا في الحديث حتى جاء شيخ الإسلام وعمدة الأنام علامة العصر قاضي القضاة جلال الدين البلقيني رحمه الله تعالى فعمل كتابه «مواقع العلوم من مواقع النجوم»، فنقحه وهدّبه وقسّم أنواعه ولم يسبق إلى هذه المرتبة (3).

ج- التيسير في قواعد علم التفسير لأبي عبد الله، محيي الدين، محمد بن سليمان بن سعد الرومي الحنفي المعروف بالكافيجي ت (879 هـ) (4).

نقل السيوطي عن شيخه الكافيجي قوله: قد دونت في علوم التفسير

ص: 160

1- انظر: الإتقان للسيوطي، مقدمة المحقق: 7/1 ط أبو الفضل إبراهيم.

2- انظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي: 106/4- و شذرات الذهب لابن عماد: 166/7- و بدائع الزهور في وقائع الدهور لابن إياس: 73/2.

3- انظر: الإتقان للسيوطي: 9/1-10.

4- عالم فاضل بارع في المعقولات والمنقولات، وقد سمي بالكافيجي لكثرة اشتغاله بكافية ابن الحاجب في النحو. انظر: بغية الوعاة للسيوطي: 117/1- والشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية: 124/1- و شذرات الذهب لابن عماد الحنبلي: 326/7.

كتاباً لم أسبق إليه (1) ثم أنكر على شيخه دعواه في ذلك وقال: وكان يقول أنه ابتدع هذا العلم ولم يسبق إليه، وذلك لأنه لم يقف على البرهان للزركشي ولا على مواقع النجوم للبلقيني (2).

ولا يخفى علينا بعد هذه الآراء وغرابتها، فهم مسبقون بلا شك، بالحارث المحاسبي ت (243 هـ)، و بـابن حبيب النيسابوري ت (406 هـ) و بـابن الجوزي ت (597 هـ)، و بالسخاوي ت (643 هـ) و بأبي شامة المقدسي ت (665 هـ)، و بنجم الدين الطوفي ت (716 هـ) صاحب كتاب «الإكسير في علم التفسير».

و الذي يترجح لي - والله أعلم - بعد أن استعرضنا معا ما قيل في هذا الشأن، أن المجلي و السابق، و رائد المنهج الموسوعي في علوم القرآن، و الذي وضع النواة و اللبنات الأولى لهذا النهج، هو الحارث بن أسد المحاسبي ت (243 هـ)، ثم جاء بعده من أقام البنيان على الأساس الذي وضعه حتى اكتمل و تحلى بأجمل زينة، فما ذا عن تصنيفه؟

(6) كتاب فهم القرآن: لأبي عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي ت (243 هـ) (3)، و الكتاب مطبوع و متداول بين أيدي طلبة العلم (4).ر.

ص: 161

1- انظر: الإتيان للسيوطي: 7، ط البغا.

2- انظر: بغية الوعاة للسيوطي: 118/1.

3- عابد زاهد صوفي، تصدى للمعتزلة و الرافضة ورد عليهم، أثنى عليه الإمام أحمد - من وجه، و حذر منه. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 110/12 - و حلية الأولياء لأبي نعيم: 73/10.

4- طبع الكتاب بتحقيق الأستاذ حسين القوتلي، مجموعاً مع كتاب آخر للحارث هو كتاب «العقل»، و قد أخرج الكتابين بعنوان «العقل و فهم القرآن» و كانت الطبعة الثانية عام 1398 هـ - 1978 م نشر و توزيع دار الكندي و دار الفكر.

وقد انتصر لهذا الرأي فضيلة الأستاذ فاروق حمادة، فعَدَّ كتاب الحارث هذا في طليعة كتب علوم القرآن كفن مدون، و أَلصَقها بالمعنى الاصطلاحي لعلوم القرآن، (1) كما انتصر له قليل من الباحثين المتأخرين (2).

وبالعودة إلى الكتاب و الاطلاع عليه وجدت أن المؤلف يعالج موضوعات هامة من علوم القرآن، وإن لم يكن هدفه تأليف كتاب مستقل في علوم القرآن بقدر ما كان يهدف منه الحديث عن نهج العقل المؤمن، و وضع أبحاث جزئية لفهم القرآن على منهج أهل السنة و الجماعة، لا على طريقة المعتزلة و الرافضة و غيرهم، حيث أشهر المصنف في وجههم سيف الحق و فنّد مذاهبهم، و بالخصوص في مسألة النسخ، غير أن الموضوعات جاءت في صلب موضوعنا، و لم تختلف كثيرا عن المعالجات التي جاءت متأخرة إلا بقدر ما تستدعيه الفترة الزمنية التي فصلت بينها، و ما تستلزمه تلك الفترة من تطور في العلوم.ه.

ص: 162

1- انظر: مدخل إلى علوم القرآن و التفسير، لفاروق حمادة: 10.

2- انظر: تاريخ علوم القرآن حتى نهاية القرن الخامس الهجري: 14، للباحث أحسن محمد أشرف الدين- رسالة ماجستير- الجامعة الإسلامية عام 1405 هـ.

والموضوعات التي بحثها المؤلف هي: فضائل القرآن، فقه القرآن، المحكم والمتشابه. ما لا يجوز النسخ فيه و ما يجوز فيه، النسخ و المنسوخ في الأحكام، في أساليب القرآن، التقديم والتأخير، الإضمار. الحروف الزائدة، المفصول والموصول، هذه هي موضوعات كتاب الحارث المحاسبي فهم القرآن، و هي كما يراها القارئ موضوعات من صلب مباحث علوم القرآن.

إننا نستطيع أن نقول: إن أول كتاب وضع نواة لعلوم القرآن بالمعنى الموسوعي الصحيح هو كتاب الحارث المحاسبي لكونه لم يجاوز في موضوعاته و فنونه دائرة تلك العلوم.

و لعل أول من جاء بعد الحارث بكتاب مستقل هو:

(7) الحسن بن محمد بن الحسن بن حبيب، أبو القاسم النيسابوري ت (402 هـ):

الذي كتب كتابه خاصة عن فضل علوم القرآن و سماه: «التنبيه على فضل علوم القرآن»، و قد حقق الكتاب الأستاذ محمد عبد الكريم الراضي، و حين استعرضته وجدته تطرق لأشرف تلك الفنون، و قال: إن من أشرف علوم القرآن علم نزوله و جهاته، و ترتيب ما نزل بمكة ابتداء و وسطا....

الخ. فذكر خمسة وعشرين وجها ثم قال: من لم يعرفها و يميز بينها لم يحلّ له أن يتكلم في كتاب الله عز و جل.

ص: 163

بعدها فصل ما أجمله وقال: وأنا أذكر من كل وجه منها فصلا غير مشروح ولا مبسوط لئلا يطول الكتاب .. (1)

وبعد: فإننا نستخلص مما سبق أن التدوين في علوم القرآن حسب الاصطلاح الموسوعي قد بدأ في منتصف القرن الثالث على يد الحارث المحاسبي، ثم نمت على يد ابن حبيب النيسابوري في نهاية هذا القرن، ثم تطور على يد ابن الجوزي و السخاوي وأبي شامة والطوفي وغيرهم في القرنين السادس والسابع الهجريين، و ترعرع على يد الزركشي في نهاية القرن الثامن، و بلغ ذروته على يد جلال الدين السيوطي في نهاية القرن التاسع وبداية العاشر والله أعلم.ه.

ص: 164

1- انظر: التنبيه على فضل علوم القرآن لابن حبيب: 307، ضمن مجلة المورد العدد: 4 المجلد: 17 عام: 1409 هـ.

إشارة

- 1- المرحلة الأولى من القرن الأول إلى نهاية القرن الرابع الهجري.
- 2- المرحلة الثانية من نهاية القرن الرابع إلى بداية القرن العاشر الهجري.
- 3- المرحلة الثالثة من بداية القرن العاشر إلى العصر الحالي.

ص: 165

شهدت حركة التأليف في علوم القرآن- كغيره من العلوم الإسلامية- تطورا سريعا، فما أن أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكتابة حتى تسابقت أقلام الصحابة إلى تدوين العلوم والأخبار، وخاصة ما تعلق منها بالوحي المنزل و بالسنة النبوية القولية منها و الفعلية.

واستمرت الكتابة و التأليف في شتى الموضوعات و الفنون المتعلقة بكتاب الله في العصور المختلفة، و أعمل العلماء فكرهم لاستنباط درر هذا الكتاب و كنوزه، و تسابقوا في مضمار هذا الشرف العظيم، فكان منهم المجلي و منهم من دون ذلك، حتى رأت الأجيال المسلمة و خلال فترة قصيرة المكتبات الخاصة و العامة تكتظ بالمصنفات العظيمة التي يقف الإنسان أمامها مشدوها كَمَا و كيفا.

وقد استمر التأليف إلى عصرنا الراهن، و مر خلال تلك المدة بمراحل متنوعة من القوة و الضعف، فيقوى في فترة من الفترات، و تشتد أوارها، و تكثر المصنفات، و يزدهر التأليف و التصنيف، و يفتر حيناً فيمر بفترة ضعف و جمود، تخفت فيها تلك الجذوة الوهاجة التي شهدها من قبل، فيضعف التأليف، كما يضعف الإقبال على طلب العلم.

كما تنوعت اهتمامات العلماء في العصور المختلفة، فتوجهت حيناً إلى التصنيف الموضوعي، فظهرت العناوين المختصة في جزئية من جزئيات

العلم، فصّلت مسائلها تفصيلاً دقيقاً، وحيناً آخر إلى التصنيف الموسوعي الذي قصد به العلماء وضع أطراف مسائل العلم بين يدي طلبته
مجتمعة.

و يستطيع المتابع لحركة التأليف تلك أن يحدد ثلاث فترات رئيسة مر فيها التأليف في هذا الفن، لكل مرحلة سماتها الموضوعية و
المنهجية، وهي:

المرحلة الأولى: من القرن الأول إلى نهاية القرن الرابع الهجري:

إشارة

اتجهت الهمم في هذه المرحلة إلى الكتابة الموضوعية، وبذرت البذرة الأولى في بدايات الدعوة، غير أنها كانت كتابات متنوعة غير منظمة و
لا مرتبة، تبعثها فترة الترتيب و التدوين، و جاء القرن الثاني الهجري ليجد حركة علمية و نهضة فكرية كانت بحق عصب النماء و الرافد
القوي الذي مد العصور اللاحقة بمادة علمية أساسية، أقامت عليها بنيانها، و جعلتها ركيزة و أساساً لذلك البنيان. فظهرت الرسائل الصغيرة
و ذلك بفصل المواد العلمية المجموعة بعضها عن بعض، و تخصيص كل موضوع بكتاب يحمل عنواناً مستقلاً، و ظهرت حركة الترجمة، و
اتسعت دائرة التدوين، و فصلت الموضوعات و تكاملت، و عدّ هذا القرن بحق قرن تدوين العلوم الإسلامية.

وقد امتازت المصنفات في هذه الفترة بتوسع في المادة العلمية عن ذي قبل، و شمول لم يوجد في القرن الذي سبقه، و تنوعت الموضوعات
تنوعاً أفضل و ظهرت موضوعات جديدة لم تكن مطروحة عند السابقين، فأفردت بالتصنيف كعلم مجاز القرآن و معانيه، و كعلم أسباب
النزول و إعراب القرآن

و الأمثال وغيرها، و كان الغالب على هذه المصنفات السمة التجميعية، جمع الروايات المعنية بالموضوع، يكتفي المصنف بذكر الآيات أو الروايات والآثار التي تبين ذلك و توضحه. دون التعرض للمناقشات و الإشكالات التي قد تعترض طريق القارئ، و دون التطرق للقواعد أو الضوابط التي تضبط الموضوع المطروق.

و حين ظهرت المذاهب الفقهية، و أوجد علم الكلام، و كثرت الفرق الإسلامية، و تعددت النحل، و تأثر المسلمون بالثقافات التي وردت إليهم عن طريق الشعوب التي أسلمت، و كثر كيد اليهود و غيرهم للإسلام، كثر التصنيف، و وضعت الضوابط و القواعد، و اتجه العلماء إلى تدقيق النظر في الروايات، و التحري في صحتها، و تمحيصها من الكذب و دخيل القول، فأصبحت المصنفات أكثر دقة من ذي قبل.

و هكذا استمر التأليف يتطور يوما بعد يوم، و تتكامل الموضوعات تكاملا دقيقا، و تتوضح الرؤية في كثير من مسائل العلم توضيحا أدق، و لعل جلّ اهتمام العلماء في خدمة كتاب الله في هذه الفترة كان منصرفا إلى:

(1) علم التفسير، و ما يتعلق به من بيان المعاني و الغريب من الألفاظ و المتشابه منه و المحكم، و إعراب القرآن.

(2) علم القراءات القرآنية، و ما يتعلق به من رسم المصحف و الأحرف السبعة، و قد لقيت هذه العلوم اهتماما خاصا من علماء

الإسلام، لكونها تمس النص القرآني، وتؤكد سلامته من النقص والزيادة والتحريف.

(3) علم النسخ و المنسوخ، يدخل فيه المطلق و المقيد، و العام و الخاص و ما إلى ذلك، تتبعها المصنفون في جميع المصحف، و قيدها تحت هذا المصطلح، حتى جاء المتأخرون الذين رأوا الفصل بين تلك الموضوعات، فأفردوا المطلق و المقيد، و العام و الخاص بتأليف مستقلة.

(4) علم إعجاز القرآن، و كان الاهتمام بإفراجه بالتصنيف متأخرا نسبيا.

و المصنفات التي ظهرت في هذه المرحلة كثيرة يصعب حصرها، و لهذا سأكتفي بذكر نماذج، من أهمها:

أولا: المصنفات الموضوعية:

أ- علم التفسير:

(1) تفسير مجاهد بن جبر ت (104 هـ) (1).

(2) تفسير الضحاك بن مزاحم ت (105 هـ) (2).

ص: 170

1- انظر: المعارف لابن قتيبة: 444- و تاريخ التراث العربي لسزكين: 70/1.

2- انظر: طبقات المفسرين للداودي: 47/2- و تاريخ التراث العربي لسزكين: 71/1.

(3) تفسير عكرمة مولى ابن عباس ت (107 هـ) (1).

(4) تفسير محمد بن كعب القرظي ت (108 هـ) (2).

(5) تفسير الحسن البصري (110 هـ) (3).

(6) تفسير عطاء بن أبي رباح ت (114 هـ) (4).

(7) تفسير قتادة بن دعامة السدوسي ت (117 هـ) (5).

(8) تفسير عطاء بن دينار ت (126 هـ) (6).

(9) تفسير إسماعيل السدي ت (127 هـ) (7).

ص: 171

-
- 1- هو عكرمة البربري أبو عبد الله، مولى ابن عباس، تابعي وأحد أوعية العلم بالتفسير والمغازي. انظر: طبقات المفسرين للداودي: 1/386- وكشف الظنون لحاجي خليفة: 1/453.
 - 2- هو محمد بن كعب بن سليم القرظي، ثقة عالم بالحديث. انظر: المعارف لابن قتيبة: 458- و تهذيب التهذيب لابن حجر: 9/420- وكشف الظنون لحاجي خليفة: 1/457.
 - 3- انظر: كشف الظنون لحاجي خليفة: 1/446- و تاريخ التراث العربي لسزكين: 1/72.
 - 4- انظر: كشف الظنون لحاجي خليفة: 1/453- و تاريخ التراث العربي لسزكين: 1/73 وقد طبع الكتاب.
 - 5- انظر: كشف الظنون لحاجي خليفة: 1/456- و تاريخ التراث العربي لسزكين 1/75.
 - 6- انظر: تاريخ التراث العربي لسزكين: 1/76.
 - 7- هو إسماعيل بن عبد الرحمن السدي، إمام عارف بالوقائع وأيام العرب، روى عن ابن عباس، توفي (127 هـ). انظر: تهذيب التهذيب لابن حجر: 1/313- و طبقات المفسرين للداودي: 1/109- و تاريخ التراث العربي لسزكين: 1/77.

10) تفسير عطاء بن أبي رباح الخراساني ت (133 هـ) (1).

11) تفسير زيد بن أسلم ت (136 هـ) (2).

12) تفسير هشيم بن بشير السلمي ت (183 هـ) (3).

13) تفسير عبد الرزاق الصنعاني ت (211 هـ).

14) تفسير الإمام أحمد بن حنبل ت (241 هـ) (4).

15) تفسير ابن ماجة ت (273 هـ) (5).

16) الحاوي في علوم القرآن لابن المرزبان ت (309 هـ) (6).

ص: 172

-
- 1- انظر: كشف الظنون لحاجي خليفة: 453 / 1- و تاريخ التراث العربي لسزكين: 78 / 1.
 - 2- هوزيد بن أسلم العدوي، مفسر محدث فقيه، كانت له حلقة في مسجد رسول الله صلى الله عليه و سلم، له تفسير. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 316 / 5- و طبقات المفسرين للداودي 182 / 1- و كشف الظنون لحاجي خليفة: 448 / 1.
 - 3- انظر: الفهرست لابن النديم: 284- و تاريخ التراث العربي لسزكين: 88 / 1.
 - 4- انظر: الفهرست لابن النديم: 229- و طبقات المفسرين للداودي: 72 / 1.
 - 5- هو محمد بن يزيد بن ماجة القزويني، محدث عالم، صاحب السنن، رحل في طلب الحديث، له التفسير. انظر: البداية و النهاية لابن كثير: 52 / 1- و طبقات المفسرين للداودي: 274 / 2.
 - 6- انظر: الفهرست لابن النديم: 95 و 167- و طبقات المفسرين للداودي: 146 / 2.

17) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري ت (310 هـ).

18) تفسير أبي بكر النيسابوري ت (318 هـ) (1).

19) تفسير ابن أبي حاتم الرازي ت (327) (2).

20) الاستغناء في علوم القرآن لأبي بكر الأذفوي ت (388 هـ) (3).

ب- علم معاني القرآن:

1) معاني القرآن: واصل بن عطاء الغزال ت (131 هـ) (4).

ص: 173

-
- 1- هو محمد بن إبراهيم بن المنذر، أبو بكر النيسابوري، فقيه عالم حافظ، له تصانيف معتبرة، منها التفسير. انظر: الفهرست لابن النديم: 215- و طبقات المفسرين للداودي: 55 / 2.
 - 2- طبع القسم الأول من سورة البقرة بتحقيق د/ أحمد عبد الله العماري، و القسم الأول من سورة آل عمران بتحقيق الدكتور حكمت بشير ياسين، عام 1408 هـ و بقية الكتاب لا زال مخطوط.
 - 3- انظر: كشف الظنون لحاجي خليفة: 79 / 1- و تاريخ التراث العربي لسزكين: 106 / 1- و قد حققت سورة الفاتحة من الكتاب مع دراسته من قبل الأخ عبد الله عبد الغني كحيلان، نال بها درجة الماجستير من كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
 - 4- انظر: فوات الوفيات للكتبي: 624 / 2- و طبقات المفسرين للداودي: 375 / 2.

(2) معاني القرآن: لمحمد بن الحسن الرؤاسي ت (170 هـ) (1).

(3) معاني القرآن: للكسائي علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي ت (189 هـ) (2).

(4) معاني القرآن: لقطرب بن المستنير ت (206 هـ) (3).

(5) معاني القرآن: للفراء يحيى بن زياد ت (207 هـ) (4).

(6) معاني القرآن: لأبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط ت (216 هـ) (5).

(7) معاني القرآن: لابن كيسان ت (299 هـ) (6).

ص: 174

-
- 1- انظر: الوافي بالوفيات للصفدي: 334/2- و طبقات المفسرين للداودي: 134/2- و كشف الظنون لحاجي خليفة: 1730/2.
 - 2- انظر: الفهرست لابن النديم: 29- و النجوم الزاهرة لابن تغري بردي: 323/5- و طبقات المفسرين للداودي: 407/1.
 - 3- انظر: الفهرست لابن النديم: 52- و البداية و النهاية لابن كثير: 259/10- و طبقات المفسرين للداودي: 256/2.
 - 4- انظر: الفهرست لابن النديم: 66- و المعارف لابن قتيبة: 545- و طبقات المفسرين للداودي: 368/2.
 - 5- انظر: الفهرست لابن النديم: 52- و طبقات المفسرين للداودي: 192/1- و مرآة الجنان لليافعي: 61/2.
 - 6- هو محمد بن أحمد بن إبراهيم بن كيسان النحوي، قيل: كان أنحى من المبرد و ثعلب، قصده الرؤساء و الأشراف لعلمه، له معاني القرآن، و غيره، توفي (299 هـ). انظر: طبقات المفسرين للداودي: 58/2- و مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده: 160/1.

8) معاني القرآن: لسلمة بن عاصم النحوي ت (310 هـ) (1).

9) معاني القرآن وإعرابه: إبراهيم بن سري الزجاج ت (311 هـ). (2)

10) معاني القرآن: لأبي جعفر النحاس ت (338 هـ) (3).

ج- علم إعراب القرآن:

1) إعراب القرآن: لمحمد بن المستنير الشهير بقطرب ت (206 هـ) (4).

2) الجمع و التثنية في القرآن: ليحيى بن زياد المعروف

ص: 175

-
- 1- هو سلمة بن عاصم أبو محمد البغدادي النحوي، صاحب الفراء، عالم بالمعاني، قيل: إن كتابه في المعاني من أجود الكتب، توفي (310 هـ). انظر: الفهرست لابن النديم: 67- وإنباه الرواة للقفطي: 56/2- و طبقات المفسرين للداودي: 201/1.
 - 2- انظر: الفهرست لابن النديم: 60- و طبقات المفسرين للداودي: 9/1- و مرآة الجنان لليافعي: 262/2.
 - 3- هو أحمد بن محمد بن إسماعيل أبو جعفر، كان نحويًا حاذقًا، واسع العلم، غزير الرواية، له أكثر من خمسين تصنيفًا في علوم القرآن و الأدب، توفي (338 هـ) انظر: طبقات المفسرين للداودي: 68/1- و مرآة الجنان لليافعي: 311/2.
 - 4- انظر: الفهرست لابن النديم: 52- و البداية و النهاية لابن كثير: 259/10- و طبقات المفسرين للداودي: 256/2.

(3) إعراب القرآن: لأبي عبيدة معمر بن المثنى ت (209 هـ) (2).

(4) إعراب القرآن: لابن حبيب القرطبي ت (238 هـ) (3).

(5) إعراب القرآن: لأبي حاتم سهل السجستاني ت (248 هـ) (4).

(6) إعراب القرآن: لأحمد بن يحيى المعروف بثعلب ت (291 هـ) (5).

(7) إعراب القرآن: لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد ت (286 هـ) (6).

(8) إعراب القرآن: للزجاج إبراهيم بن السري ت (311 هـ) (7).

ص: 176

1- انظر: الفهرست لابن النديم: 66- و المعارف لابن قتيبة: 525- و طبقات المفسرين للداودي: 367 / 2.

2- انظر: الفهرست لابن النديم: 53- و المعارف لابن قتيبة: 543- و طبقات المفسرين للداودي: 326 / 2.

3- انظر: طبقات المفسرين للداودي: 355 / 1- و ترتيب المدارك للقاضي عياض: 30 / 3- و كشف الظنون لحاجي خليفة: 123 / 1.

4- انظر: الفهرست لابن النديم: 58- و سير أعلام النبلاء للذهبي: 268 / 12- و طبقات المفسرين للداودي 217 / 1- و كشف الظنون لحاجي خليفة: 123 / 1.

5- انظر: الفهرست لابن النديم: 74- و سير أعلام النبلاء للذهبي: 5 / 14- و كشف الظنون لحاجي خليفة: 123 / 1.

6- انظر: الفهرست لابن النديم: 59- و سير أعلام النبلاء للذهبي: 576 / 13- و مرآة الجنان لليافعي: 210 / 2- و كشف الظنون لحاجي خليفة: 123 / 1.

7- انظر: الفهرست لابن النديم: 60- و طبقات المفسرين للداودي: 9 / 1- و مرآة الجنان لليافعي: 262 / 2.

(9) إعراب القرآن: لأبي جعفر النحاس ت (338 هـ) (1).

(10) إعراب ثلاثين سورة من القرآن: الحسين بن أحمد بن خالويه ت (370 هـ) (2).

د- علم غريب القرآن:

(1) غريب القرآن: لعطاء بن أبي رباح أسلم القرشي ت (114 هـ) (3).

(2) غريب القرآن: لأبان بن تغلب ت (141 هـ) (4).

(3) غريب القرآن: مؤرج بن عمرو السدوسي ت (174 هـ) (5).

ص: 177

1- انظر: طبقات المفسرين للداودي: 68/1- و مرآة الجنان لليافعي: 311/2.

2- انظر: الفهرست لابن النديم: 84- و طبقات المفسرين للداودي: 152/1- و النجوم الزاهرة لابن تغري بردي: 139/4.

3- انظر: المعارف لابن قتيبة: 444- و كشف الظنون لحاجي خليفة: 453/1- و تاريخ التراث العربي لسزكين: 73/1.

4- انظر: طبقات المفسرين للداودي: 3/1- و كشف الظنون لحاجي خليفة: 207/2- و تاريخ التراث العربي: 42/1.

5- انظر: الفهرست لابن النديم: 37- 53 و المعارف لابن قتيبة: 543- طبقات المفسرين للداودي: 340/2- و كشف الظنون: 1207/2.

- (4) تفسير غريب القرآن: للإمام مالك بن أنس ت (179 هـ). (1)
- (5) غريب القرآن: لعلي بن حمزة الأسدي الكسائي ت (189 هـ). (2)
- (6) غريب القرآن: لقطرب محمد بن المستنير ت (206 هـ). (3)
- (7) تأويل غريب القرآن: للفراء يحيى بن زياد ت (207 هـ). (4)
- (8) غريب القرآن: لأبي عبيدة معمر بن المثنى ت (209 هـ). (5)
- (9) تأويل غريب القرآن: لأبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش ت (216 هـ). (6)

ص: 178

-
- 1- انظر: طبقات المفسرين للداودي: 310/2- و الديباج المذهب لابن فرحون: 17.
- 2- انظر: الفهرست لابن النديم: 29- و المعارف لابن قتيبة: 445- و طبقات المفسرين للداودي: 404/1- و كشف الظنون لحاجي خليفة: 1730/2.
- 3- انظر: الفهرست لابن النديم: 52- و البداية و النهاية لابن كثير: 259/10- و طبقات المفسرين للداودي: 256/2.
- 4- انظر: الفهرست لابن النديم: 66- و المعارف لابن قتيبة: 525- و طبقات المفسرين للداودي: 367/2.
- 5- انظر: الفهرست لابن النديم: 53- و المعارف لابن قتيبة: 543- و طبقات المفسرين للداودي: 326/2.
- 6- انظر: الفهرست لابن النديم: 52- و طبقات المفسرين للداودي: 192/1- و امرأة الجنان لليافعي: 61/2.

(10) غريب القرآن: لأبي عبيد القاسم بن سلام ت (223 هـ). (1)

(11) غريب القرآن: لمحمد بن سلام الجمحي ت (231 هـ). (2)

(12) غريب القرآن: لابن السكيت ت (244 هـ). (3)

(13) تفسير غريب القرآن: لابن قتيبة الدينوري ت (276 هـ). (4)

(14) غريب القرآن: لمحمد بن العباس بن محمد الزبيدي ت (311 هـ). (5)

ص: 179

1- انظر: الفهرست لابن النديم: 71- البداية و النهاية لابن كثير: 1/ 281- و طبقات المفسرين للداودي: 2/ 37.

2- هو محمد بن سلام بن عبد الله بن سالم الجمحي، لغوي بصري، له غريب القرآن. انظر: الفهرست لابن النديم: 113- و تاريخ بغداد للخطيب: 5/ 327- و طبقات المفسرين للسيوطي: 2/ 156.

3- هو يعقوب بن إسحاق بن السكيت النحوي المؤدب، شيخ العربية، قيل: كانت إليه المنتهى في اللغة، له أكثر من عشرين كتاباً، منها إصلاح المنطق. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 12/ 16- و الفهرست لابن النديم: 72- و هدية العارفين للبغدادي: 2/ 536- و معجم مصنفات القرآن الكريم للشواخ: 3/ 302.

4- هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري النحوي، كان رأساً في العربية و الأخبار، له إعراب القرآن. انظر: الفهرست لابن النديم: 77- و طبقات المفسرين للداودي: 1/ 251- و مرآة الجنان لليافعي: 2/ 191.

5- هو محمد بن العباس بن محمد البغدادي، المشتهر بابن الزبيدي، كان رأساً في نقل النوادر و كلام العرب إماماً في النحو، له غريب القرآن. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 14/ 361- و معجم مصنفات القرآن الكريم للشواخ: 3/ 302- و تاريخ الأدب العربي: 1/ 109.

15) غريب القرآن، المسمى نزهة القلوب: لأبي بكر السجستاني ت (330 هـ). (1)

16) الإشارة في غريب القرآن: لأبي بكر النقاش ت (351 هـ). (2)

17) غريب القرآن: لأحمد بن كامل بن خلف بن شجرة ت (355 هـ). (3)

هـ- علم الناسخ و المنسوخ:

1) الناسخ و المنسوخ: لقتادة بن دعامة السدوسي ت (118 هـ). (4)

ص: 180

1- انظر: الفهرست لابن النديم: 37- و تاريخ الأدب العربي لبروكلمان: 103 /1.

2- هو محمد بن الحسين بن محمد بن زياد الموصلي النقاش، مفسر مقرئ، قيل: كان يكثر من القصص، له شفاء الصدور في التفسير، توفي: (351 هـ) انظر: الفهرست لابن النديم: 33- و تاريخ بغداد للخطيب: 201 /2- و سير أعلام النبلاء للذهبي: 573 /15- و طبقات المفسرين للداودي: 136 /2.

3- انظر: الفهرست لابن النديم: 32- و إنباه الرواة للقفطي: 97 /1- و طبقات المفسرين للداودي: 66 /1.

4- انظر: كشف الظنون لحاجي خليفة: 456 /1- و تاريخ التراث العربي لسزكين: 35 /1.

(2) الناسخ و المنسوخ: لابن شهاب الزهري ت (124 هـ). (1)

(3) الناسخ و المنسوخ: لعطاء بن مسلم الخراساني ت (135 هـ). (2)

(4) ناسخ القرآن و منسوخه: لمحمد بن السائب الكلبي ت (146 هـ). (3)

(5) الناسخ: للحسين بن واقد المروزي ت (159 هـ). (4)

(6) الناسخ و المنسوخ: لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوي ت (182 هـ). (5)

ص: 181

1- انظر: تذكرة الحفاظ: 108/1- و النسخ لمصطفى زيد: 296/1 و الكتاب مخطوط بدار الكتب المصرية، انظر الناسخ و المنسوخ لمحمد صالح: 26.

2- انظر: طبقات المفسرين للداودي: 385/1- و مرآة الجنان لليافعي: 281/1- و الناسخ و المنسوخ للنحاس، المقدمة: ص 18.

3- انظر: الفهرست لابن النديم: 40-95- و طبقات المفسرين للداودي: 149/2- و تاريخ التراث لسزكين: 80/1.

4- هو حسين بن واقد المروزي، قاض ثقة، له الناسخ و المنسوخ، و له وجوه القرآن. انظر: الفهرست لابن النديم: 37- و طبقات المفسرين للداودي: 163/1- و النسخ في القرآن لمصطفى زيد: 304/1.

5- هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العمري، فيه لين، له تفسير جمعه في مجلد، و له في الناسخ و المنسوخ. انظر: الفهرست لابن النديم: 40- و طبقات المفسرين للداودي: 271/1- و النسخ لمصطفى زيد 305/1.

(7) الناسخ و المنسوخ: لعبد الوهاب العجلي الخفاف ت (204 هـ). (1).

(8) الناسخ و المنسوخ: لحجاج بن محمد المصيصي الأعور ت (206 هـ). (2).

(9) الناسخ و المنسوخ: لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي ت (224 هـ). (3).

(10) الناسخ و المنسوخ: للحسن بن فضال الكوفي ت (244 هـ). (4).

(11) الناسخ و المنسوخ: لمحمد بن سعد بن منيع العوفي ت (230 هـ). (5).

ص: 182

-
- 1- هو عبد الوهاب بن عطاء العجلي الخفاف، وثقه ابن معين، له التفسير، الناسخ و المنسوخ. انظر: طبقات المفسرين للداودي: 369/1- والنسخ في القرآن لمصطفى زيد: 310/1.
- 2- هو حجاج بن محمد المصيصي الأعور، إمام حجة حافظ، رفع الإمام أحمد من أمره و أثنى عليه، له الناسخ و المنسوخ. انظر: الفهرست لابن النديم: 37-40- و طبقات المفسرين للداودي: 131/1- و النجوم الزاهرة لابن تغري بردي: 181/2.
- 3- انظر: الفهرست لابن النديم: 71- البداية و النهاية لابن كثير: 281/1- و طبقات المفسرين للداودي: 37/2. و الكتاب مخطوط بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية برقم 602 ف، 2783 ف- و حقق رسالة ماجستير، ثم طبع مؤخرًا.
- 4- هو الحسن بن علي بن فضال الكوفي، مصنف شيعي، له التفسير وغيره، انظر: الفهرست لابن النديم: 223- و طبقات المفسرين للداودي: 141/1.
- 5- انظر: النسخ في القرآن الكريم، لمصطفى زيد: 320/1، قال: و كتابه مفقود، و لم نجد من ذكر أنه اطلع عليه عدا ابن سلامة (صاحب كتاب الناسخ و المنسوخ).

(12) ناسخ القرآن و منسوخه: لجعفر بن مبشر الثقفي المعتزلي ت (235 هـ). (1)

(13) الناسخ و المنسوخ: لسريج بن يونس المروزي ت (236 هـ). (2)

(14) ناسخ القرآن و منسوخه: للإمام أحمد بن حنبل ت (241 هـ). (3)

(15) الناسخ و المنسوخ: لأبي داود السجستاني ت (275 هـ). (4)

(16) ناسخ القرآن و منسوخه: لإبراهيم بن إسحاق الحربي ت (285 هـ). (5)

ص: 183

-
- 1- انظر: الفهرست لابن النديم: 37-62- و تاريخ بغداد للخطيب: 162/7- و طبقات المفسرين للداودي: 128/1.
 - 2- هو سريج بن يونس بن إبراهيم البغدادي، ثقة عابد، روى عنه البخاري و مسلم، له التفسير و القراءات. انظر: الفهرست لابن النديم: 231- و النجوم الزاهرة لابن تغري بردي: 282/2- و طبقات المفسرين للداودي: 185/1.
 - 3- انظر: الفهرست لابن النديم: 229- و تاريخ بغداد للخطيب: 421/4- و النسخ في القرآن الكريم لمصطفى زيد: 307/1.
 - 4- انظر: الفهرست لابن النديم: 62- و البرهان للزركشي: 28/2- و النسخ في القرآن الكريم لمصطفى زيد: 318/1.
 - 5- هو إبراهيم بن إسحاق الحربي، إمام فاضل، له تصانيف عديدة، منها ناسخ القرآن و منسوخه. انظر: الفهرست لابن النديم: 231- و تاريخ بغداد للخطيب: 26/6- و طبقات المفسرين للداودي: 7/1.

(17) الناسخ و المنسوخ: لأبي مسلم إبراهيم الكجي الكشي ت (292 هـ) (1).

(18) الناسخ و المنسوخ: للحسين بن منصور الحلاج ت (309 هـ). (2)

(19) الناسخ و المنسوخ: لأبي بكر السجستاني ت (316 هـ). (3)

(20) ناسخ القرآن و منسوخه: للزبير أحمد الزبيري ت (317 هـ). (4)

(21) معرفة الناسخ و المنسوخ: لعلي بن أحمد بن حزم الأنصاري ت (320 هـ). (5).

ص: 184

1- الكجي نسبة إلى تبنيه دارا بالبصرة بالكعبة، و الكج هو الجص. و الكشي: نسبة إلى جده كش. انظر: مرآة الجنان لليافعي: 2/220- و طبقات المفسرين: 1/13- و النسخ في القرآن الكريم لمصطفى زيد: 1/322.

2- سمي بالحلاج لزعمه أنه يحلج الأسرار، أي يخبر عن أخبار الناس، صوفي تنكر له بعضهم و نسبوه إلى الزندقة، له علم البقاء و الفناء، و غيره، صلب سنة (309 هـ). انظر: الفهرست لابن النديم: 190- و النجوم الزاهرة: 3/202- و طبقات المفسرين للداودي: 1/162.

3- انظر: الفهرست لابن النديم: 232- و طبقات الشافعية للسبكي: 3/307- و طبقات المفسرين للداودي: 1/236- و النسخ في القرآن الكريم لمصطفى زيد: 1/324.

4- هو الزبير بن أحمد بن سليمان بن حوارى رسول الله صلى الله عليه و سلم الزبير بن العوام، عالم شافعي ثقة، له الكافي. انظر: الفهرست لابن النديم: 37- و سير أعلام النبلاء للذهبي: 15/57- و طبقات المفسرين للداودي: 1/182- و النسخ في القرآن الكريم لمصطفى زيد: 1/324.

5- هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، فقيه أصولي محدث، له المحلى. انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان: 3/325- و النسخ في القرآن الكريم لمصطفى زيد: 1/324. و الكتاب مطبوع على هامش تفسير الجلالين، و أخرى باسم (الناسخ و المنسوخ في القرآن).

(22) الناسخ و المنسوخ: لمحمد بن عثمان الشيباني المعروف بالجعد ت (322 هـ). (1)

(23) الناسخ و المنسوخ: لابن الأنباري ت (328 هـ). (2)

(24) (...). لابن المنادي ت (336 هـ). (3)

(25) الناسخ و المنسوخ في القرآن الكريم: لأبي جعفر النحاس ت (338 هـ). (4).

ص: 185

1- هو محمد بن عثمان بن مسيح الملقب بالجعد الشيباني، نحوي من العلماء الفضلاء، له معاني القرآن و له غريب القرآن. انظر: الفهرست لابن النديم: 82- و الوافي بالوفيات للصفدي: 82/4- و طبقات المفسرين للداودي: 195/2.

2- هو محمد بن القاسم بن محمد بن بشار الأنباري، عالم زاهد متواضع، مقرئ نحوي، صاحب تصانيف، له الوقف و الابتداء. انظر: الفهرست لابن النديم: 75- و إنباه الرواة للقفطي: 201/3- و طبقات المفسرين للداودي: 228/2- و النسخ في القرآن الكريم لمصطفى زيد: 325/1.

3- انظر: النسخ في القرآن الكريم لمصطفى زيد: 325/1.

4- انظر: إنباه الرواة للقفطي: 101/1- و طبقات المفسرين للداودي: 68/1- و النسخ في القرآن الكريم لمصطفى زيد: 326/1 و قد طبع الكتاب عام 1323 هـ باسم: الناسخ و المنسوخ في القرآن الكريم مما اجتمع عليه و اختلف فيه عن العلماء من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم و التابعين و الفقهاء و شرح ما ذكره و ما فيه من اللغة و النظر ثم طبع محققا.

26) الناسخ و المنسوخ: لأبي بكر محمد بن عبد الله البردعي المعتزلي ت (350 هـ). (1)

27) الناسخ و المنسوخ: لأبي الحكم منذر بن سعيد البلوطي الأندلسي ت (355 هـ). (2)

28) لأبي سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي ت (368 هـ). (3)

29) الناسخ و المنسوخ: لأبي الحسين محمد بن محمد النيسابوري ت (368 هـ). (4)

30) الناسخ و المنسوخ: لمحمد بن علي بن بابويه القمي ت (381 هـ). (5)

ص: 186

-
- 1- هو محمد بن عبد الله البردعي، معتزلي فقيه، عاصره ابن النديم صاحب الفهرست و أبلغه أنه صنف عدة كتب في الفقه، و له الناسخ و المنسوخ. انظر: الفهرست لابن النديم: 237- و طبقات المفسرين للداودي: 177/2- و النسخ في القرآن لمصطفى زيد: 326/1.
 - 2- انظر: جذوة المقتبس: 326- و طبقات المفسرين للداودي: 326/2- و النسخ في القرآن الكريم لمصطفى زيد: 326.
 - 3- انظر: النسخ في القرآن الكريم لمصطفى زيد: 326/1.
 - 4- انظر: ترجمته في طبقات المفسرين للداودي و لم يذكر له هذا الكتاب: 236/2 و ذكر أنه توفي بعد التسعين و ثلاثمائة.
 - 5- هو محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، رافضي صاحب تصانيف، يضرب بحفظه المثل، قيل: بلغت مصنفاته ثلاثمائة، له الملاهي. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 303/16- إيضاح المكنون: 341/4- و الأعلام للزركلي: 274/6- و معجم مصنفات القرآن الكريم للشواخ: 246/4.

- (1) متشابه القرآن: لمقاتل بن سليمان الأزدي ت (150 هـ). (1)
- (2) متشابه القرآن: لعلي بن حمزة الكسائي ت (187 هـ). (2)
- (3) الرد على الملحدين في متشابه القرآن: لمحمد بن المستنير المعروف بقطرب ت (206 هـ). (3)
- (4) تأويل مشكل القرآن: لابن قتيبة الدينوري ت (276 هـ). (4)
- (5) توضيح المشكل في القرآن: لسعيد بن محمد الغساني بن الحداد ت (302 هـ). (5)

ص: 187

-
- 1- انظر: الفهرست لابن النديم: 179- و تاريخ بغداد: 160/13- و طبقات المفسرين للداودي: 330/2.
 - 2- انظر: الفهرست لابن النديم: 29- و طبقات المفسرين للداودي: 404/1.
 - 3- انظر: الفهرست لابن النديم: 52- و البداية و النهاية: 259/10- و طبقات المفسرين للداودي: 256/2.
 - 4- انظر: الفهرست لابن النديم: 77- و طبقات المفسرين للداودي: 251/1- و مرآة الجنان لليافعي: 191/2.
 - 5- هو سعيد بن محمد بن صبيح بن الحداد المغربي، صاحب سحنون، كان بحرا في الفروع و رأسا في العربية، و من رءوس السنة، له مناظرات مع المعتزلة، من تصانيفه مشكل القرآن. انظر: مرآة الجنان لليافعي: 240/2- و سير أعلام النبلاء للذهبي: 205/14- و الأعلام للزركلي: 100/3 قال: منه قطعة مخطوطة في جامعة القيروان.

ز - علم فضائل القرآن و القراءات القرآنية و عد الآي:

(1) فضائل القرآن و ما نزل منه بمكة و ما نزل بالمدينة: لابن الضريس ت (194 هـ). (2)

(2) فضائل القرآن: لمحمد بن إدريس الشافعي: ت (204 هـ). (3)

(3) فضائل القرآن: لأبي عبيد القاسم بن سلام ت (223 هـ). (4)

(4) فضائل القرآن: لخلف بن هشام بن ثعلب ت (229 هـ). (5)

ص: 188

-
- 1- انظر: الفهرست لابن النديم: 34- و تاريخ بغداد للخطيب: 69/4.
 - 2- هو محمد بن أيوب بن يحيى بن ضريس البجلي، محدث انتهى إليه علو الإسناد بالعجم، له فضائل القرآن. انظر: طبقات المفسرين للداودي: 109/2- و شذرات الذهب لابن العماد: 216/2- و تاريخ التراث العربي لسزكين: 97/1 (مطبوع).
 - 3- انظر: كشف الظنون لحاجي خليفة: 1277/2.
 - 4- انظر: الفهرست لابن النديم: 71- و البداية و النهاية لابن كثير: 281/1- و طبقات المفسرين للداودي: 37/2. حقق رسالة ماجستير في جامعة أم القرى بمكة المكرمة، و اعتمده كثيرًا، و قد علمت أنه طبع مؤخرًا في المغرب و لم أقف على المطبوع إلى وقت كتابة هذه الأسطر.
 - 5- هو خلف بن هشام بن ثعلب البغدادي المقرئ، له اختيار في القراءة خالف فيه حمزة حدث عنه مسلم وغيره، له فضائل القرآن. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 576/10- و طبقات المفسرين للداودي: 167/1.

(5) فضائل القرآن: لهشام بن عمار بن نصير الظفري ت (245 هـ). (1)

(6) فضائل القرآن: لحفص بن عمر بن عبد العزيز بن صبهان ت (246 هـ). (2)

(7) فضائل القرآن: ليحيى بن زكريا بن إبراهيم بن مزين ت (259 هـ). (3)

(8) فضائل القرآن: لعلي بن الحسن بن فضال الشيعي ت (290 هـ). (4)

(9) فضائل القرآن و ما جاء فيه من الفضل و في كم يقرأ و السنة في ذلك: للفريابي ت (301 هـ). (5)

ص: 189

-
- 1- هو هشام بن عمار بن نصير بن ميسرة السلمي الظفري، خطيب مقرئ حافظ. انظر: ميزان الاعتدال للذهبي: 4/302- و طبقات المفسرين للداودي: 2/352.
 - 2- انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 11/541- و طبقات المفسرين للداودي: 1/165.
 - 3- انظر: الديباج المذهب لابن فرحون: 354- و طبقات المفسرين للداودي: 2/368.
 - 4- انظر: طبقات المفسرين للداودي: 1/403.
 - 5- هو جعفر بن محمد بن الحسن الفريابي، قاض من أوعية العلم، ثقة مأمون، له تصانيف مفيدة منها فضائل القرآن. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 14/96- و كشف الظنون لحاجي خليفة: 2/1277- و تاريخ التراث العربي لسزكين: 1/325.

(10) فضائل القرآن: للإمام النسائي ت (303 هـ). (1)

(11) فضائل القرآن: لابن الحداد (2)

(12) القراءات: ليحيى بن يعمر (ت 89 هـ) .. (3)

(13) اختيار في القراءة على مذهب العربية: لابن محيصن ت (123 هـ) (4)

(14) اختيار القراءة: لعيسى بن عمر الثقفي ت (149 هـ). (5)

(15) كتاب القراءات: لأبي عمرو بن العلاء ت (154 هـ). (6)

(16) القراءة: لحمزة الكوفي ت (156 هـ). (7)

ص: 190

-
- 1- هو أحمد بن شعيب بن علي بن سنان النسائي، برع في الحديث، و تفرد بالمعرفة و علو الإسناد، قيل: كان أفقه مشايخ عصره، له السنن. انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي: 2/ 698- و البداية و النهاية لابن كثير: 11/ 123- و معجم مصنفات القرآن الكريم للشواخ: 3/ 319.
 - 2- انظر: طبقات المفسرين للداودي: 2/ 76- و مرآة الجنان لليافعي: 2/ 336.
 - 3- انظر: سير أعلام النبلاء: 4/ 441- تاريخ التراث العربي لسزكين: 1/ 22.
 - 4- انظر: الفهرست لابن النديم: 33- و غاية النهاية لابن الجزري: 2/ 167- و معرفة القراء الكبار للذهبي: 1/ 98.
 - 5- انظر: الفهرست لابن النديم: 33.
 - 6- انظر: الفهرست لابن النديم: 53.
 - 7- انظر: الفهرست لابن النديم: 31- و تاريخ التراث العربي لسزكين 1/ 31- و معرفة القراء الكبار للذهبي: 1/ 111.

(17) القراءة: لنافع المدني ت (169 هـ). (1)

(18) القراءة: لهشيم بن بشير ت (183 هـ). (2)

(19) القراءة: لأبي عبيد القاسم بن سلام ت (224 هـ). (3)

(20) القراءة: لأحمد بن جبير بن محمد الكوفي نزيل أنطاكية، (ت 258 هـ). (4)

(21) القراءة: للقاضي إسماعيل بن إسحاق المالكي ت (282 هـ). (5)

(22) الجامع: لابن جرير الطبري ت (310 هـ). (6)

(23) القراءة: لأبي بكر محمد الداجوني ت (324 هـ). (7)

ص: 191

1- انظر: الفهرست لابن النديم: 31- و تذكرة الحفاظ للذهبي: 99/1- و تاريخ التراث لسزكين: 32/1.

2- انظر: الفهرست لابن النديم: 284- و تاريخ التراث العربي لسزكين: 88/1.

3- انظر: الفهرست لابن النديم: 71- البداية و النهاية: 281/1- و طبقات المفسرين للداودي: 37/2.

4- هو أحمد بن جبير بن محمد الكوفي الأنطاكي، إمام مقرئ ثقة ضابط، له القراءة. انظر: معرفة القراء الكبار للذهبي: 207/1- و غاية النهاية لابن الجزري: 42/1- و النشر لابن الجزري: 34/1.

5- انظر: الفهرست لابن النديم: 200- و النشر: 34/1- و طبقات المفسرين للداودي: 106/1.

6- انظر: النشر لابن الجزري: 34/1- و طبقات المفسرين للداودي: 110/2.

7- هو محمد بن أحمد بن عمر الرملي الضرير، أبو بكر الداجوني الكبير، أحد من جمع القراءات، و صنف فيها. انظر: معرفة القراء الكبار للذهبي: 268/1- و النشر لابن الجزري: 34/1 (مطبوع).

24) القراءات السبع: لابن مجاهد ت (324 هـ). (1)

25) القراءات: لأحمد بن كامل بن خلف بن شجرة ت (355 هـ). (2)

26) القراءة: لأبي بكر أحمد بن نصر الشذائي ت (370 هـ). (3)

27) القراءة: للحسين بن عثمان البغدادي الضرير ت (378 هـ) أول من نظم في القراءات السبع. (4) علوم القرآن من خلال مقدمات التفاسير ج 1 192 ز - علم فضائل القرآن والقراءات القرآنية وعد الآي: ص: 188

28) كتاب الشامل والغاية: لأبي بكر بن مهران ت (381 هـ). (5).

ص: 192

1- انظر: النشر لابن الجزري: 34/1- ومقدمة تحقيق كتاب الحجة لأبي زرعة: 14 (مطبوع).

2- انظر: الفهرست لابن النديم: 32-48- وطبقات القراء لابن الجزري: 98/1- وطبقات المفسرين للداودي: 64/1.

3- هو أحمد بن نصر بن منصور الشذائي، أحد القراء المشهورين بالضبط والإتقان، بصير بالعربية. انظر: معرفة القراء الكبار للذهبي: 1/319- والنشر لابن الجزري: 34/1.

4- هو حسين بن عثمان أبو علي المجاهدي الضرير، مقرئ قيل: هو آخر من قرأ القرآن على ابن مجاهد، كان ممن يأخذون المال على الختمة. انظر: معرفة القراء الكبار للذهبي: 360/1- وغاية النهاية لابن الجزري: 243/1- وكشف الظنون لحاجي خليفة: 1317/1.

5- هو أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهاني، مقرئ عابد صالح، قيل: كان مجاب الدعوة، توفي (381 هـ). انظر: معرفة القراء الكبار للذهبي: 347/1- والنشر لابن الجزري: 34/1 و كتابه الغاية (مطبوع).

(29) عد الآي: للحسن البصري ت (110 هـ). (1)

(30) أعشار القرآن أو (عواشر القرآن): قتادة بن دعامة السدوسي ت (118 هـ). (2)

و ظهرت مصنفات في فنون أخرى، ففي الوقف و الابتداء كتب ابن الأنباري ت (328 هـ): إيضاح الوقف و الابتداء في كتاب الله. (3)

و في نزول القرآن كتب الضحاك بن مزاحم البلخي ت (105 هـ) (4)، و الحسن البصري ت (110 هـ) (5)، و كتب علي بن الحسن بن فضال الكوفي ت (224 هـ) كتاباً أسماه: التنزيل في القرآن (6).

و في أسباب النزول كتب علي بن عبد الله المدني شيخ البخاري

ص: 193

-
- 1- انظر: الفهرست لابن النديم: 36- و تاريخ العربي التراث لسزكين: 25 /1.
 - 2- انظر: طبقات ابن سعد: 273 /7- و غاية النهاية لابن الجزري: 25 /2- و كشف الظنون لحاجي خليفة: 456 /1- و تاريخ التراث العربي لسزكين: 21 /1.
 - 3- انظر: الفهرست لابن النديم: 75- و مرآة الجنان لليافعي: 294 /2- و طبقات المفسرين للداودي: 228 /2.
 - 4- انظر: الفهرست لابن النديم: 38- تاريخ التراث العربي لسزكين: 186 /1.
 - 5- انظر: كشف الظنون لحاجي خليفة: 446 /1- و تاريخ التراث لسزكين: 72 /1.
 - 6- انظر: معجم مصنفات القرآن الكريم للشواخ: 134 /1.

ت (234 هـ) كتابه: أسباب النزول. (1)، و كتب عبد الرحمن بن أصبغ (أبو المطرف) ت (402 هـ) كتابه: القصص و الأسباب التي نزل القرآن من أجلها الكتاب. (2).

و في اختلاف المصاحف كتب يحيى بن يعمر كتابا أسماه: القراءة. جمع فيه اختلاف المصاحف المشهورة (3) و كتب عبد الله بن عامر اليحصبي ت (118 هـ) كتاب: اختلاف مصاحف الشام و الحجاز و العراق. (4) جمع فيه ما روي من اختلاف الناس فيما وافق الخط (5).

ص: 194

1- هو علي بن عبد الله بن جعفر بن نجيح السعدي، المعروف بابن المدني، أمير المؤمنين في الحديث، شيخ البخاري، له مصنفات عديدة قيل: انقضت كلها و لم تبق إلا أربعة كتب أو خمسة. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 41 / 11- و الإتيان في علوم القرآن-- للسيوطي: 82 / 1- و إيضاح المكنون: 69 / 3.

2- هو عبد الرحمن بن محمد بن عيسى بن فطيس بن أصبغ، أندلسي من كبار المحدثين، جمع من العلوم ما لم يجتمع لأحد من أهل عصره بالأندلس، قيل: ما كان يسمع بكتاب حسن إلا اشتراه أو استنسخه، و كان له ستة وراقين ينسخون له. و كتابه القصص و الأسباب في نحو مائة جزء و نيف. انظر: طبقات المفسرين للداودي: 291 / 1- و الصلة لابن بشكوال: 303- و تاريخ قضاة الأندلس: 87- و معجم مصنفات القرآن الكريم للشواخ: 133 / 1.

3- انظر: غاية النهاية لابن الجزري: 381 / 2- و تاريخ التراث لسزكين: 22 / 1.

4- انظر: الفهرست لابن النديم: 31- و تاريخ التراث لسزكين: 22 / 1.

5- انظر: مقدمة تفسير ابن عطية: 55 / 1.

وفي أمثال القرآن كتب الحكيم الترمذي ت (313 هـ) كتاباً أسماه:

الأمثال من الكتاب والسنة. (1)، وكتب نبطويه الأزدي العتكي ت (323 هـ): أمثال القرآن (2).

وفي المقطوع والموصول كتب عبد الله بن عامر اليحصبي ت (118 هـ) (3).

وفي إعجاز القرآن، كتب أحمد بن كامل بن خلف بن شجرة ت (355 هـ) كتابه: موجز التأويل عن معجز التنزيل (4)، وكتب علي بن عيسى الرماني ت (386 هـ) كتابه: النكت في إعجاز القرآن (5)، وكتب عبد).

ص: 195

1- هو محمد بن علي بن الحسين بن بشر، الحكيم الترمذي، صنف كتاباً أسماه ختم الولاية، فضّل فيه الولاية على النبوة، فنّفوه وشهدوا عليه بالكفر، وله كتاب الفروق، وغيره. انظر: صفوة الصفوة لابن الجوزي: 140/4- وطبقات الحفاظ للسيوطي: 352. وقد ذكره الشواخ في معجمه، وذكر أن وفاة المصنف هو (279 هـ) وأن الكتاب مخطوط ويحمل رقم 21817 بدار الكتب العربية، انظر معجم مصنفات القرآن الكريم للشواخ: 182/3- وأبلغني أستاذي الدكتور محمد بن عبد الرحمن الشائع أنه مطبوع ويحتفظ بنسخة منه.

2- هو إبراهيم بن محمد بن عرفة العتكي، المشهور بنفطويه، صاحب التصانيف، كان ذا دين وقوة مروءة، له غريب القرآن. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 75/15- وطبقات المفسرين للداودي: 21/1- ومعجم مصنفات القرآن للشواخ: 183/3.

3- انظر: الفهرست لابن النديم: 39.

4- انظر: الفهرست لابن النديم: 32- وطبقات المفسرين للداودي: 64/1.

5- انظر: تاريخ بغداد للخطيب: 16/12- ومعجم مصنفات القرآن الكريم للشواخ: 167/1 (مطبوع).

اللّه بن عبد الرحمن النفزاوي القيرواني ت (386 هـ) كتابه: إعجاز القرآن (1)، كما كتب حمد بن محمد الخطابي البستي ت (388 هـ) كتابه: بيان إعجاز القرآن (2) وكتب أبو منصور الثعالبي (ت 355 هـ) الإعجاز والإيجاز (3).

ثانياً: المؤلفات الموسوعية:

لم يظهر خلال هذه الفترة من الموسوعات في علوم القرآن عدا كتاب:

«فهم القرآن» للحارث بن أسد المحاسبي ت (243 هـ) (4). والله أعلم.

ثالثاً: مقدمات التفاسير:

إن المتابع للتأليف في هذه المرحلة يجد عناوين لكثير من التفاسير غير أن الوقوف على أغلب تلك التفاسير أمر متعذر إذ إن معظمها قد فقد ولم تصل إلينا لسبب أو لآخر، ولعل ما وصلنا من هذه التفاسير التي تحمل مقدمات هي:

ص: 196

-
- 1- انظر: شذرات الذهب لابن العماد: 131/3- وبروكلمان: 301/1- ومعجم مصنفات القرآن الكريم للشواخ: 146/1.
 - 2- انظر: إنباه الرواة للقفطي: 125/1- و خزانة الأدب للبغدادي: 282/1 (مطبوع).
 - 3- هو عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري، أديب شاعر، له يتيمة الدهر وغيره، توفي (430 هـ) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 437/17- و شذرات الذهب لابن العماد: 246/3 (مطبوع).
 - 4- انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي 110/12- و حلية الأولياء لأبي نعيم: 73/10.

(1) تفسير القرآن لعبد الرزاق بن همام الصنعاني المتوفى (211 هـ).

(2) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير الطبري ت (310 هـ).

(3) تفسير أبي الليث السمرقندي ت (373 هـ). وهي كلها مطبوعة، وسأتناولها في الباب الثاني إن شاء الله تعالى.

المرحلة الثانية: من نهاية القرن الرابع إلى بداية القرن العاشر:

إشارة

شهدت هذه المرحلة نهضة علمية كبيرة، واستمر نشاط العلماء وهاجا كالسابق، وازدهرت حركة التأليف والتصنيف حتى بلغت الذروة، فما تكاد تجد علما من تلك العلوم إلا وقد طرق العلماء أبوابه، وجالوا النظر في مبناه، حتى أطنبوا في البيان، وكشفوا عن دقائقه، وألفوا فيه المؤلفات التي شهدت لهم برسوخ القدم وعلو الكعب.

وقد تميزت هذه المرحلة بالتالي:

(1) تشعب العلوم واتساعها، فقد ظهرت مصنفات كثيرة في فنون علوم القرآن المتنوعة، وارتقت تلك المؤلفات في معالجتها للموضوعات عن المرحلة السابقة وتوسعت، كما توسعت في نظرتها لمادة تلك الموضوعات، حيث نهجت نهج الاستقراء والاستيعاب للأنواع التي ألفت فيها.

(2) التوجه لتحديد كثير من المفاهيم المتعلقة بعلوم القرآن، و تمحيص

الكتابات السابقة، فوضعت الضوابط والقواعد التي جعلت الكتابة أكثر موضوعية، والتي ساهمت إلى حد كبير في إسقاط ما كان حشواً وفضولاً من الأقوال والآراء التي وجدت في المراحل المتأخرة من المرحلة السابقة، عند بعض المنتسبين للعلم.

(3) ظهور المصنفات الموسوعية الجامعة في علوم القرآن، وكانت هي السمة الجديدة في التأليف في هذه المرحلة، وقد كانت في البدايات محاولات لضم مجموعة من العلوم الهامة والمشكلة، والتي كثرت في تفسيرها الأقوال وتعددت المذاهب، في مصنف واحد، وتضمنت تلك المصنفات علوماً بعدد، ثم سرعان ما اتجهت الهمم لجمع كل العلوم التي تخدم النص القرآني، أو تسهل سبل فهمه، بين دفتين، تسهيلاً لطالب العلم، وتنظيماً للمعرفة على غرار علوم الحديث. فبلغت على يد العالم الموسوعي جلال الدين السيوطي - رحمه الله - ثمانين نوعاً، على سبيل الإدماج، ولو نوعت باعتبار ما أدمجه في ضمنها لزادت على الثلاثمائة (1).

وسار التصنيف الموسوعي إلى جانب التصنيف الموضوعي جنباً إلى جنب، فمن العلماء من توجه للكتابة في علوم القرآن كفنّ مستقل، و منهم من كتب في نوع من أنواعه، وفن من فنونه.

ومع اعترافنا بأن غالب الذين صنفوا في هذا العلم قد أجادوا في

ص: 198

1- انظر: الإتقان للسيوطي: 20/1.

عرض الموضوعات و معالجتها- مع تفاوت بينهم في هذه الإجابة- غير أننا نقر و نعتز بالفضل للزركشي صاحب «البرهان» الذي جاء في منتصف هذه المرحلة، و الذي تولى ريادة هذا النهج العلمي الدقيق في عرض الموضوعات، الذي سار عليه جلّ من جاء بعده، حتى الحافظ السيوطي صاحب أشهر المصنفات في هذا الفن.

بل نقرّ للزركشي بأن من جاء بعده قد اعتمد على مادة كتابه العلمية، فكان الأساس الذي بنى عليه المتأخرون تأليفهم، حتى الأمثلة التي استشهد بها الزركشي نجدها هي نفسها التي اعتمدها المتأخرون. و لهذا لم يجد السيوطي بدا من الاعتراف للزركشي بهذا الفضل، و لم يزد على أن قال:

وربت أنواعه ترتيباً أنسب من ترتيب البرهان، و أدمجت بعض الأنواع في بعض، و فصلت ما حقه أن يبان، و زدته على ما فيه من الفوائد و الفرائد، و القواعد و الشوارد ما يشنف الأذن. (1)

و من أهم المصنفات التي ظهرت في هذه المرحلة:

أولاً: المؤلفات الموسوعية:

أ- التنبية على فضل علوم القرآن: للحسن بن محمد بن الحسن بن حبيب، أبو القاسم النيسابوري ت (402 هـ).

ص: 199

1- انظر: المرجع السابق: 16/1.

ب- أنوار الفجر: لأبي بكر محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الإشبيلي، المعروف بابن العربي ت (543 هـ) (1) يقول ابن جزى الكلبي في التسهيل: صنف ابن العربي كتاب «أنوار الفجر» في غاية الاحتفال و الجمع لعلوم القرآن، فلما تلف تلافاه بكتاب «قانون التأويل» (2).

و كتابه قانون التأويل قد ذكر فيه الحروف في أوائل السور، والأمثال في القرآن، والمحكم والمشابه، والنسخ في القرآن، وغير ذلك، وقد قال مصنفه في مقدمته: مختصر مجموع في علوم القرآن ليكون مفتاحا للبيان.

ج- فنون الأفتان في عجائب علوم القرآن: لأبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي ت (597 هـ).

د- المجتبى في علوم القرآن: لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ت (597 هـ).

هـ- مفتاح الباب المقفل لفهم الكتاب المنزل: لأبي الحسن علي بن

ص: 200

1- قاض من حفاظ الحديث، ولد في أشبيليا، برع في علوم عديدة، وبلغ رتبة الاجتهاد في علوم الدين، درس على أبي حامد الغزالي وغيره، وأخذ عنه السهيلي وغيره، مصنفاته كثيرة منها: الناسخ و المنسوخ. انظر: نفع الطيب من غصن أندلس الرطيب لابن المقري: 340/1- وفيات الأعيان لابن خلكان: 489/1- و العواصم من القواصم لابن العربي، تحقيق: محب الدين الخطيب: 9 و ما بعدها.

2- انظر: تسهيل السبيل لابن جزى: 17/1.

إبراهيم الحرالي ت (637 هـ) (1) قال الداودي: جعله قوانين كقوانين أصول الفقه (2).

و- جمال القراء وكمال الإقراء: لعلم الدين أبو الحسن علي بن محمد ابن عبد الصمد السخاوي ت (643 هـ) (3).

ز- المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز: لأبي شامة عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي ت (665 هـ) (4).

ح- الإكسير في علوم التفسير: لنجم الدين أبو الربيع سليمان بن

ص: 201

1- فلسفي متصوف، أخذ العربية عن ابن خروف، و جال البلاد، يضرب به المثل في الحلم، قال الذهبي: كان ابن تيمية يحط من كلامه، و يقول: تصوفه على طريقة الفلاسفة. من تأليفه: شرح أسماء الله الحسنى. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 47/23- و طبقات المفسرين للداودي: 392/1.

2- انظر: طبقات المفسرين للداودي: 392/1.

3- مقررئ مفسر نحوي لغوي، ولد بسخا من مصر، أخذ عن الشاطبي و التاج و الكندي و غيرهم و تصدر للتدريس بجامع دمشق، و زاحم عليه الطلبة، له تصانيف كثيرة منها شرح الشاطبية، و سفر السعادة و سفير الإفادة. انظر: غاية النهاية: 568/1- و بغية الوعاة: 192/2- و طبقات المفسرين للداودي: 429/1.

4- إمام حجة، قرأ القراءات على السخاوي، و سمع صحيح البخاري و مسند الشافعي، من مؤلفاته: شرح الشاطبية. انظر: معرفة القراء الكبار للذهبي: 537/2- و غاية النهاية لابن الجزري: 365/1.

عبد القوي ابن عبد الكريم الطوفي الصرصري ت (716 هـ). (1)

ط- مقدمة في أصول التفسير: لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم بن تیمیة ت (728 هـ). (2)

ي- الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان: لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي المعروف بابن قيم الجوزية ت (751 هـ). (3)

ك- البرهان في علوم القرآن: لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ت (794 هـ).

ل- مواقع العلوم عن مواقع النجوم: لجلال الدين عبد الرحمن بن عمر البلقيني ت (824 هـ).

م- التيسير في قواعد علم التفسير: لأبي عبد الله محي الدين

ص: 202

1- ولد بقرية طوفا من صرصر، و جالس العلماء، و عاشر فضلاء بغداد و سمع منهم، كما التقى ابن تیمیة و المزني و أبي حيان النحوي، و كان شيعيا سني الاعتقاد، أقيمت عليه البينة فعزر و شهّر به، من تصانيفه الرياض النواضر في الأشباه و النظائر. انظر: شذرات الذهب لابن عماد الحنبلي: 40/6.

2- انظر: طبقات المفسرين للداودي: 46/1- و البداية و النهاية لابن كثير: 163/14.

3- أصولي مفسر نحوي، لازم شيخ الإسلام ابن تیمیة، و أخذ عنه، و تفنن في علوم الإسلام، و كان ذا تهجد و عبادة، أؤذي في سبيل الله مرات عديدة، و سجن مع شيخه في سجن القلعة، قيل: ليس تحت أديم السماء أوسع علما منه. تصانيفه كثيرة منها زاد المعاد في هدي خير العباد. انظر: طبقات المفسرين للداودي: 93/2- و الدرر الكامنة لابن حجر: 21/4.

ن- التحبير في علوم التفسير: لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ت (911 هـ).

س- الإيقان في علوم القرآن: لجلال الدين السيوطي ت (911 هـ).

ثانياً: مقدمات التفاسير:

لقد سن عبد الرزاق الصنعاني، وابن جرير الطبري- رحمهما الله- سنة حسنة حين قدما لتفسيريهما مقدمات، وقد تبعهما جل الذين جاءوا من بعدهما، فحذوا حذوهم و قدموا لتفاسيرهم بمقدمات عن علوم القرآن المتنوعة، و من أهم تلك التفاسير التي ظهرت في هذه الفترة:

(1) مقدمة كتاب (المباني في نظم المعاني) لمؤلف مجهول، يعود تاريخ الكتاب إلى عام (425 هـ).

(2) مقدمة تفسير (الكشف و البيان عن تفسير القرآن): لأحمد بن محمد الثعلبي ت (427 هـ). [\(1\)](#)

ص: 203

1- هو أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الملقب بالثعلبي، وقيل الثعالبي، شيخ التفسير، و أحد أوعية العلم، له التفسير الكبير. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 435/17- و طبقات المفسرين للداودي: 66/1.

3) مقدمة التفسير (الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن و تفسيره و أحكامه و جمل من فنون علومه)، لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي ت (437 هـ) (1).

4) مقدمة تفسير (التحصيل لفوائد كتاب التفصيل الجامع لعلوم التنزيل)، لأبي العباس أحمد بن عمار المهدوي ت (440 هـ) (2).

5) مقدمة التفسير (النكت و العيون في تفسير القرآن) لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي ت (450 هـ).

6) مقدمة تفاسير الواحدي (البسيط و الوسيط الوجيز) لعلي بن أحمد بن محمد الواحدي النيسابوري ت (468 هـ).

7) مقدمة تفسير (معالم التنزيل) لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي ت (516 هـ).

ص: 204

1- هو مكي بن أبي طالب حموش بن محمد القيسي القيرواني، فقيه مقرئ أديب، من أوعية العلم، صاحب التصانيف الكثيرة في علوم القرآن، منها إعراب القرآن. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 591 / 17- و طبقات المفسرين للداودي: 331 / 2.

2- هو أحمد بن عمار بن أبي العباس المهدوي، نسبة إلى المهديّة بالمغرب، أستاذ و مقرئ مشهور، له التفسير، و الهداية في القراءات السبع. توفي بعد (340 هـ). انظر: غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري: 92 / 1- و طبقات المفسرين للداودي: 56 / 1.

8) مقدمة تفسير (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز): لأبي محمد عبد الحق ابن عطية الغرناطي ت (541 هـ).

9) مقدمة تفسير: (زاد المسير في علم التفسير) لأبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي ت (597 هـ).

10) مقدمة التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) لفخر الدين الرازي ت (606 هـ).

11) مقدمة تفسير (الجامع لأحكام القرآن و المبين لما تضمن من السنة و آي الفرقان)، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ت (671 هـ).

12) مقدمة تفسير (لباب التأويل في معاني التنزيل) لأبي الحسن علي بن محمد الشيعي المعروف بالخازن ت (741 هـ).

13) مقدمة تفسير (البحر المحيط) لأبي عبد الله محمد بن يوسف الغرناطي الشهير بأبي حيان ت (745 هـ).

14) مقدمة تفسير (القرآن العظيم)، للحافظ عماد الدين ابن كثير الدمشقي ت (774 هـ).

ثالثا: المؤلفات الموضوعية:

أ- أسباب النزول:

1) القصص و الأساليب التي نزل من أجلها القرآن: لأبي المطرف

ص: 205

عبد الرحمن ابن عيسى بن إصبع ت (402 هـ). (1)

(2) أسباب النزول: لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد علي النيسابوري الواحدي ت (468 هـ). (2)

(3) مدد الرحمن في أسباب نزول القرآن: زين الدين عبد الرحمن بن علاء الدين علي بن إسحاق التميمي المقدسي الشافعي ت (876 هـ). (3)

(4) لباب النقول في أسباب النزول: للحافظ عبد الرحمن السيوطي ت (911 هـ).

ب- إعجاز القرآن:

(1) إعجاز القرآن: لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلائي ت (403 هـ). (4)

(2) الانتصار لصحة نقل القرآن: لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلائي ت (403 هـ). (5)

ص: 206

1- انظر: الصلة لابن بشكوال: 303- و تاريخ قضاة الأندلس: 87- و معجم مصنفات القرآن الكريم للشواخ: 133/1.

2- انظر: النجوم الزاهرة لابن تغري بردي: 104/5- و إنباه الرواة للقفطي: 223/2- طبقات المفسرين للدواودي: 394/1- (مطبوع).

3- انظر: الضوء اللامع للسخاوي: 95/4- و إيضاح المكنون: 455/4- و معجم مصنفات القرآن الكريم للشواخ: 136/1.

4- انظر: تاريخ بغداد للخطيب: 379/5- و سير أعلام النبلاء للذهبي: 190/17.

5- انظر: تاريخ بغداد للخطيب: 379/5- و سير أعلام النبلاء للذهبي: 190/17 (حقق جزء منه في كلية أصول الدين بالرياض).

- (3) الكلام في وجوه إعجاز القرآن: لمحمد بن عبد السلام العكبري ت (413 هـ) (1).
- (4) المغني في إعجاز القرآن: للقاضي عبد الجبار بن أحمد الهمداني ت (415 هـ) (2).
- (5) الرسالة الشافية في الإعجاز: لعبد القاهر الجرجاني ت (471 هـ) (3).
- (6) دلائل الإعجاز: لعبد القاهر الجرجاني ت (471 هـ) (4).
- (7) الجمان في تشبيهات القرآن: لعبد الله بن محمد المعروف بابن نايقا البغدادي ت (485 هـ) (5).
- (8) أسرار التكرار في القرآن: لمحمود بن حمزة بن نصر الكرمانى ت (505 هـ) (6).

ص: 207

-
- 1- انظر: إيضاح المكنون: 375/4.
- 2- هو عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار، الهمداني، معتزلي متكلم، من كبار فقهاء الشافعية، له تنزيه القرآن عن المطاعن. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 244/17- و معجم مصنفات القرآن الكريم للشواخ: 166/1.
- 3- انظر: مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده: 165/1- و مرآة الجنان لليافعي: 101/3.
- 4- انظر: مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده: 165/1- و مرآة الجنان لليافعي: 101/3.
- 5- هو عبد الله بن محمد بن الحسين بن داود بن نايقا، أديب شاعر لغوي، تصانيفه كثيرة حسنة. انظر: لسان الميزان للذهبي: 384/3- و طبقات المفسرين للداودي: 261/1.
- 6- هو محمود بن حمزة بن نصر الكرمانى، تاج القراء، وأحد العلماء الفقهاء، له لباب التفاسير، وغيرها، توفي في حدود الخمسمائة. انظر: غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري: 291/2- و طبقات المفسرين للداودي: 312/2- و معجم مصنفات القرآن الكريم للشواخ: 143/1.

(9) إعجاز القرآن: لمحمد بن بابجوك البقالي الخوارزمي ت (562 هـ) (1).

(10) البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن: لعبد الواحد بن عبد الكريم الزملكاني ت (562 هـ) (2).

(11) بديع القرآن: لعبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر بن أبي الأصبع ت (654 هـ) وله التحبير في صناعة الشعر و النثر و بيان إعجاز القرآن (3).

(12) بديع القرآن: لهبة الله بن عبد الرحمن بن البارزي ت (738 هـ) (4).

ص: 208

-
- 1- هو محمد بن أبي القاسم بن بابجوك البقالي الأدمي، نحوي أديب حجة في لسان العرب، لقب بالأدمي لحفظه كتاب الأدمي في النحو، له تصانيف منها مفتاح التنزيل، تفسير للقرآن. انظر: طبقات المفسرين للسيوطي: 102- و طبقات المفسرين للداودي: 231/2.
 - 2- انظر: كشف الظنون لحاجي خليفة: 1/241- و معجم مصنفات القرآن للشواخ: 1/150.
 - 3- انظر: كشف الظنون لحاجي خليفة: 1/230- و معجم مصنفات القرآن للشواخ: 1/149.
 - 4- هو شرف الدين هبة الله بن عبد الرحيم بن إبراهيم الجهيني الحموي، المعروف بابن البارزي، قاضي حماة، كان معظما عند الناس، و جمع فنون عديدة، و صنف كتبا جما كثيرا. انظر: البداية و النهاية لابن كثير: 14/182- و إيضاح المكنون: 1/181.

13) الطراز في علوم حقائق الإعجاز: عماد الدين يحيى بن حمزة العلوي ت (745 هـ) (1).

14) تبصير الرحمن و تيسير المنان ببعض ما يشير إلى إعجاز القرآن:

لعلي بن أحمد بن علي المهائمي الهندي المعروف بالمجذوم ت (835 هـ) (2).

15) معترك الأقران في إعجاز القرآن: للحافظ عبد الرحمن السيوطي ت (910 هـ) (3).

16) بيان أسلوب الحكيم: لأحمد بن سليمان بن كمال باشا ت (940 هـ) (4).

ج- إعراب القرآن:

1) البيان في إعراب القرآن: لأحمد بن محمد المعافري الأندلسي (429 هـ) (5).

ص: 209

1- انظر: إيضاح المكنون: 82/4.

2- انظر: معجم المطبوعات: 1717- و معجم مصنفات القرآن للشواخ: 153/1.

3- انظر: معجم مصنفات القرآن الكريم للشواخ: 165/1.

4- هو أحمد بن سليمان الحنفي الشهير بابن كمال باشا، كان جده من أمراء الدولة العثمانية، اجتهد في طلب العلم كبيرا، حتى برع فيه، له رسائل كثيرة بلغت أكثر من مائة رسالة. انظر: شذرات الذهب لابن عماد الحنبلي: 238/8- و إيضاح المكنون: 69/3- و معجم مصنفات القرآن الكريم للشواخ: 151/1.

5- هو: أحمد بن محمد بن عبد الله المعافري الأندلسي، إمام حافظ، أول من أدخل القراءات إلى الأندلس، له الروضة في القراءات. انظر: غاية النهاية لابن الجزري: 120/1- و معجم مصنفات القرآن للشواخ: 181/1.

(2) إعراب القرآن: لأبي الحسن علي بن إبراهيم الحوفي ت (430 هـ)، مستخرج من تفسيره البرهان، استخرجه إسماعيل بن خلف المقري الأنصاري (1).

(3) مشكل إعراب القرآن: لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي ت (437 هـ) (2).

(4) الملخص في إعراب القرآن: لأبي زكريا يحيى بن علي التبريزي ت (502 هـ) (3).

(5) البيان في إعراب غريب القرآن: لعبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري ت (577 هـ) (4).

(6) التبيان في إعراب القرآن: ويسمى (إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن): لأبي البقاء عبد الله بن الحسين

ص: 210

1- انظر: طبقات المفسرين للداودي: 388/1- و معجم مصنفات القرآن للشواخ: 177/1.

2- انظر: مفتاح السعادة: 74/2- و معجم الشواخ: 192/1.

3- هو يحيى بن علي بن محمد الشيباني التبريزي، علم ثقة في علمه، مخلط في دينه، لم يكن بالصين، له تفسير القرآن. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 269/19- و طبقات المفسرين للداودي: 373/2- و مفتاح السعادة لطاش كبرى زادة: 202/1- و معجم مصنفات القرآن الكريم للشواخ: 190/1.

4- انظر: هدية العارفين: 519/1- و معجم مصنفات القرآن للشواخ: 181/1.

العكبري ت (616 هـ)، (1)، وله إعراب القراءات الشواذ (2).

(7) الفريد في إعراب القرآن المجيد: للمنتجب بن أبي العز الهمداني ت (643 هـ) (3).

(8) المجيد في إعراب القرآن المجيد: لإبراهيم بن محمد السفاقسي الفقيه المالكي ت (742 هـ) (4).

(9) إعراب القرآن: للحسن بن قاسم المرادي المصري ت (749 هـ) (5).

(10) إعراب القرآن الكريم: لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي

ص: 211

-
- 1- هو عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، مقرئ فقيه مفسر لغوي، له تصانيف كثير جدا منها إعراب الشواذ. انظر: طبقات المفسرين للداودي: 232/1- و معجم مصنفات القرآن الكريم للشواخ: 118/1.
 - 2- انظر: طبقات المفسرين للداودي: 232/1- و معجم مصنفات القرآن الكريم للشواخ: 174/1.
 - 3- هو منتجب بن أبي العز بن رشيد الهمداني، شيخ القراء، له شرح الشاطبية. انظر: طبقات المفسرين للداودي: 333/2- و نوادر المخطوطات لرمضان ششن: 445/2.
 - 4- هو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم السفاقسي، فقيه مالكي، جمع إعراب القرآن، له المجيد، وغيره. انظر: الدرر الكامنة لابن حجر: 1/55- و معجم مصنفات القرآن للشواخ: 194/1 (رسالة دكتوراه في جامعة الأزهر).
 - 5- هو الحسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي، نحوي لغوي فقيه، له شرح التسهيل، وغيره. انظر: طبقات المفسرين للداودي: 1/142- و معجم مصنفات القرآن الكريم للشواخ: 178/1.

(11) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: لأحمد بن يوسف بن عبد الدائم الحلبي، المعروف بالسمين ت (756 هـ) (2).

(12) إعراب مواضع من القرآن (المسائل السفرية) لأبي محمد عبد الله بن يوسف بن أحمد بن هشام الأنصاري ت (761 هـ) (3).

(13) تحفة الإخوان في إعراب بعض آيات القرآن: لعبد الرحمن بن محمد الجزائري المعروف بالثعالبي ت (875 هـ) (4).

(14) ضمائر القرآن: لمحمد بن يوسف بن علي بن سعيد الكرمانى ت (786 هـ) (5).

ص: 212

1- منه نسخة مخطوطة في جامعة الملك سعود بالرياض برقم: 2/475 ف.

2- انظر: طبقات المفسرين للداودي: 1/102- و معجم مصنفات القرآن الكريم للشواخ: 1/185.

3- هو عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام، جمال الدين النحوي، نحوي مشهور، انفرد بالفوائد الغريبة، و المباحث الدقيقة، قيل: كان أنحى من سيبويه، له قطر الندى و بل الصدى. انظر: الدرر الكامنة لابن حجر: 2/308- و معجم مصنفات القرآن الكريم للشواخ: 1/179.

4- انظر: إيضاح المكنون: 3/239- و معجم مصنفات القرآن الكريم للشواخ: 1/182.

5- هو محمد بن يوسف بن علي بن سعيد الكرمانى البغدادي، إمام لغوي، فقيه، محدث، مفسر، صنف في شتى العلوم، منها شرح البخاري. انظر: طبقات المفسرين 2/85- و معجم مصنفات القرآن الكريم للشواخ: 1/88.

15) إعراب القرآن: لشيخ الإسلام زكريا بن محمد الأنصاري ت (926 هـ) (1).

د- أمثال القرآن:

1) أمثال القرآن: لمحمد بن حسين السلمى النيسابوري ت (406 هـ) (2).

2) أمثال القرآن: علي بن محمد بن حبيب الماوردي ت (450 هـ) (3).

3) أمثال القرآن: محمد بن علي بن علي أبو طالب بن الخيمي ت (642 هـ) (4).

ص: 213

-
- 1- هو زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري الشافعي، حفظ الكتب، وجدّ في الطلب حتى فاق الأقران، مصنفاته كثيرة، منها شرح شذور الذهب. انظر: البدر الطالع للشوكاني: 1/252- و معجم مصنفات القرآن الكريم للشواخ: 1/175.
 - 2- هو محمد بن الحسين بن محمد بن موسى الأزدي السلمى، إمام حافظ محدث صوفي، له حقائق التفسير فيه أشياء لا تسوغ أصلا، عدّها بعض الأئمة من زندقة الباطنية. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 17/247- وكشف الظنون لحاجي خليفة: 1/1268- و معجم مصنفات القرآن للشواخ: 3/183.
 - 3- انظر: طبقات المفسرين للداودي: 1/428- والإتقان للسيوطي: 1/20- و معجم الدراسات القرآنية لابتسام الصفار: 94.
 - 4- هو محمد بن علي بن علي بن علي، أبو طالب، مهذب الدين، المعروف بابن الخيمي، إمام لغوي، و عالم أديب شاعر، مصنفاته كثيرة منها حروف القرآن، و أمثال القرآن. انظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة للسيوطي: 1/184- هدية العارفين-- للبيدادي: 2/121- و معجم الدراسات القرآنية لابتسام الصفار: 93.

- 1) مشكل غريب القرآن: لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي ت (437 هـ) (1).
- 2) مفردات غريب القرآن: لحسين بن علي المعروف بالراغب ت (502 هـ) (2).
- 3) تذكرة الأريب بما تفسير الغريب: لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ت (597 هـ) وله غريب الغريب.
- 4) تحفة الأريب بما في القرآن الكريم من الغريب: لأبي حيان الأندلسي ت (745 هـ) (3).
- 5) بهجة الأريب في غريب القرآن: لابن التركمان علي بن عثمان المارديني أبو الحسن ت (750 هـ) (4).

ص: 214

-
- 1- انظر: معجم الأدباء لياقوت الحموي: 170/19- وإنباه الرواة للقفطي: 317/3.
 - 2- انظر: مرآة الزمان: 483/8- وكشف الظنون لحاجي خليفة: 71/1- وهدية العارفين: 521/1.
 - 3- انظر: طبقات المفسرين للداودي: 290/2.
 - 4- هو: علي بن عثمان بن إبراهيم بن مصطفى المارديني، مفسر محدث فقيه صنف وأفتى ودرس، كان لا يمل الكتابة، له شرح الهداية، و مختصر علوم الحديث لابن الصلاح. انظر: طبقات المفسرين للداودي: 420/1- والدرر الكامنة لابن حجر: 84/3

(6) تفسير غريب القرآن: لأبي حفص عمر بن أبي الحسين علي بن أحمد الأنصاري، المعروف بابن الملقن ت (804 هـ).

و- القراءات القرآنية:

(1) المنتهى في القراءات: لأبي الفضل محمد بن جعفر الخزاعي ت (408 هـ) (1).

(2) الروضة: لأحمد بن محمد المعافري الطلمنكي ت (429 هـ) (2).

(3) التبصرة في القراءات السبع: لأبي محمد مكي بن أبي طالب ت (437 هـ) (3).

(4) الكشف عن القراءات السبع: لأبي محمد مكي بن أبي طالب ت (437 هـ) (4).

(5) التيسير في القراءات السبع: لأبي عمر عثمان بن سعيد الداني ت (444 هـ) (5).

ص: 215

-
- 1- هو محمد بن جعفر بن عبد الكريم الخزاعي الجرجاني إمام مقرئ حاذق، له المنتهى في القراءات جمع فيه مائتين و خمسين رواية. انظر: النشر لابن الجزري: 34/1- و غاية النهاية له: 109/2- وقد حقق الكتاب في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة- رسالة دكتوراه.
 - 2- انظر: النشر لابن الجزري: 34/1- و طبقات المفسرين للداودي: 79/1- و ترتيب المدارك للقاضي عياض: 749/4- حقق رسالة ماجستير في كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.
 - 3- انظر: النشر لابن الجزري: 34/1- و طبقات المفسرين للداودي: 331/2.
 - 4- انظر: النشر لابن الجزري: 34/1- و طبقات المفسرين للداودي: 331/2.
 - 5- انظر: النشر لابن الجزري: 34/1.

(6) التمهيد لأبي عمر عثمان بن سعيد الداني ت (444 هـ) (1).

(7) جامع البيان: لأبي عمر عثمان بن سعيد الداني ت (444 هـ) (2).

(8) الوجيز في القراءات: لأبي علي الحسن بن إبراهيم الأهوازي ت (446 هـ) وله «الإيجاز» و«الإيضاح» وغيره. (3) قال ابن الجزري: لم يلحقه أحد في هذا الشأن.

(9) الكامل في القراءات: ليوسف بن علي بن جبارة الهذلي. ت (465 هـ) (4).

(10) التلخيص في القراءات الثمان: لأبي معشر عبد الكريم بن عبد الصمد الطبري القطان ت (478 هـ)، وله «الرشاد في القراءة الشاذة»، و«سوق العروس» (5).

ص: 216

1- انظر: النشر لابن الجزري: 34/1- و طبقات المفسرين للداودي: 381/1.

2- انظر: النشر لابن الجزري: 34/1.

3- هو الحسن بن إبراهيم بن يزداد المقرئ الأهوازي، شيخ القراء في عصره، محدث من أهل الشام، قيل: ضعيف اتهم في لقي بعض الشيوخ، وقيل: بل ثقة ثقة. انظر: النشر لابن الجزري: 35/1- وغاية النهاية له: 220/1- و شذرات الذهب لابن العماد: 274/3.

4- هو يوسف بن علي بن جبارة بن المغربي المتكلم النحوي، علم كبير. قال ابن الجزري: لا أعلم أحدا في هذه الأمة رحل في القراءات رحلته. انظر: النشر لابن الجزري: 35/1- وغاية النهاية له: 397/2- و شذرات الذهب لابن العماد: 324/3.

5- هو عبد الكريم بن عبد الصمد بن محمد بن علي الطبري، مقرئ محدث، صاحب التصانيف الكثيرة. انظر: النشر لابن الجزري: 35- و طبقات المفسرين للداودي: 338/1.

ز - مبهمات القرآن:

(1) التعريف و الإعلام بما في القرآن من الأسماء و الأعلام: لعبد الرحمن بن عبد الله الخثعمي السهيلي ت (581 هـ) (2).

(2) التكميل و الإتمام لكتاب التعريف و الإعلام: لمحمد بن علي بن الخضر بن هارون الغساني المعروف بابن عسكرت (636 هـ) (3).

ص: 217

-
- 1- هو عيسى بن عبد العزيز بن عيسى اللخمي الشريشي الإسكندراني المقرئ، أحد الضعفاء المتهمين، رأس في القراءات. انظر: النشر لابن الجزري: 35/1- و معرفة القراء الكبار للذهبي: 614/2.
 - 2- هو عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أصبغ أبو القاسم السهيلي، عالم بالعربية و اللغة و القراءات و التفسير و الحديث، حافظ للتاريخ، له الروض الأنف. انظر: طبقات المفسرين للداودي: 272/1، و معجم مصنفات القرآن للشواخ: 113/3.
 - 3- هو محمد بن علي بن خضر الغساني، المشتهر بابن عسكرك، عالم اعتنى بالرواية على كبر، ملم بالفقه و النحو و الشعر. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 65/23- و معجم مصنفات القرآن للشواخ: 13/3- و حقق الكتاب في كلية أصول الدين - بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - رسالة دكتوراة - و تعمل دار الرفاعي للنشر حالياً على طباعته و نشره.

3) التبيان لمبهمات القرآن: لابن جماعة بدر الدين محمد بن إبراهيم ت (733 هـ). (1) وله: غرر البيان لمبهمات القرآن. و هو مختصر للسابق (2).

4) صلة الجمع وعائد التنزيل لموصول كتابي الإعلام والتكميل: جمع بين كتابي السهيلي وابن عسكر: لمحمد بن علي الأوسي المغربي (3).

5) مفحمت الأقران في مبهمات القرآن: لجلال الدين السيوطي ت (911 هـ). (4)

ج- المحكم و المتشابه:

1) حل الآيات المتشابهات: لمحمد بن الحسن بن فورك ت (406 هـ). (5)

ص: 218

1- هو محمد بن إبراهيم بن سعد بن سعد الله بن جماعة الشافعي الحموي، مفسر محدث فقيه، و خطيب شاعر، له مشاركات جيدة، مصنفاته عديدة منها كتاب علوم الحديث. انظر: طبقات المفسرين للداودي: 53/2، و هدية العارفين: 248/2، و معجم مصنفات القرآن الكريم للشواخ: 222/3.

2- و قال فضيلة الشيخ مناع القطان: حَقَّق و لَمَّا يطبع.

3- انظر معجم مصنفات القرآن الكريم للشواخ: 190/4.

4- انظر: معجم مصنفات القرآن الكريم للشواخ: 157/3.

5- هو محمد بن الحسن بن فورك الأصفهاني، متكلم أصولي نحوي، له ما يقرب من مائة مصتَف. انظر: النجوم الزاهرة لابن تغري بردي: 240/4 و طبقات المفسرين للداودي: 132/2- و معجم مصنفات القرآن الكريم للشواخ: 47/1 و 199/4- و تاريخ الأدب العربي لبروكلمان: 175/1.

(2) المتشابهات في القرآن: للشريف الرضي محمد بن الحسين ت (406 هـ). (1)

(3) متشابه القرآن: لعبد الجبار بن أحمد الهمداني الأسترآبادي ت (415 هـ).

(4) درة التنزيل و غرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز: لمحمد بن عبد الله المعروف بالخطيب الإسكافي ت (431 هـ). (2)

(5) مشكل القرآن: لمحمد بن أحمد بن مطرف الكناني أبو عبد الله ت (545 هـ).

(6) البرهان في مشكلات القرآن: لأبي المعالي عزيزي بن عبد الملك بن منصور الجيلي المعروف بشيدلة ت (494 هـ). (3)

(7) حل متشابهات القرآن: للراغب الأصفهاني الحسين بن

ص: 219

1- انظر: إيضاح المكنون: 4/426- و معجم مصنفات القرآن الكريم للشواخ: 4/204.

2- هو محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي، أبو عبد الله. أديب عالم باللغة، صاحب تصانيف، له شواهد سيبويه. انظر: بغية الوعاة للسيوطي: 1/149- و معجم مصنفات القرآن الكريم للشواخ: 4/200.

3- هو عزيز بن عبد الملك بن منصور الجيلي، المعروف بشيدلة، فقيه شافعي أصولي، كان يناظر بمذهب الأشعري، له مصنفات عديدة، انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان: 3/259- و شذرات الذهب لابن عماد: 3/401- و كشف الظنون لحاجي خليفة: 1/241- و معجم مصنفات القرآن للشواخ: 4/196.

(8) البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجّة و البيان: لبرهان الدين محمود بن حمزة بن نصر الكرماني المقرئ ت (505 هـ). (2)

(9) تأويل متشابهات القرآن: لمحمد بن علي بن شهراسوب ت (588 هـ). (3)

(10) تذكرة المنتبه في عيون المشتبه: لعبد الرحمن بن علي بن الجوزي ت (597 هـ). (4)

(11) الآيات المتشابهات: لأحمد بن يزيد بن بقي بن مخلد ت (625 هـ). (5)

ص: 220

-
- 1- انظر: معجم مصنفات القرآن للشواخ 199/4.
 - 2- انظر: كشف الظنون لحاجي خليفة: 1/241- و معجم مصنفات القرآن الكريم للشواخ: 4/195 وقد حقق الكتاب فضيلة الدكتور ناصر بن سليمان العمر، يحفظه الله.
 - 3- هو محمد بن علي بن شهراسوب السروري، أحد شيوخ الشيعة، و فقيه مذهبهم، اجتهد في التفسير و الفقه و النحو و القراءات، هو عند الشيعة كالخطيب البغدادي عند أهل السنة، انظر: طبقات المفسرين للداودي: 2/201 و معجم مصنفات القرآن للشواخ: 4/196.
 - 4- انظر: معجم مصنفات القرآن للشواخ 4/205.
 - 5- هو أحمد بن يزيد بن عبد الرحمن بن أحمد ابن شيخ الأندلس بقي بن مخلد، محدث مسند، و نحوي أديب من رجال الأندلس الظاهرين، اشتغل بالقضاء ثم بالتدريس. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 22/274- و معجم مصنفات القرآن للشواخ: 4/194.

(12) بيان مشتبّه القرآن: لعيسى بن عبد العزيز اللخمي الإسكندري ت (629 هـ). (1)

(13) ري الظمان في متشابه القرآن: لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأندلسي ت (634 هـ). (2)

(14) ملاك التأويل القاطع لذوي الإلحاد و التعطيل في توجيه المتشابه من آي التنزيل: لابن الزبير الغرناطي أحمد بن إبراهيم. ت (708 هـ). (3)

(15) رد معاني الآيات المتشابهات إلى معاني الآيات المحكمات: محمد بن أحمد بن عبد المؤمن الأسعدي المعروف بابن اللبان. ت (749 هـ). (4)

ط - مناسبات القرآن:

ص: 221

1- انظر: غاية النهاية لابن الجوزي: 609/1- و معجم مصنفات القرآن للشواخ: 196/4.

2- انظر: ايضاح المكنون: 604/3- و معجم مصنفات القرآن للشواخ: 200/4.

3- هو أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد الغرناطي، مفسر محدث، و نحوي مقرئ، له اهتمام بالتاريخ، تصانيفه كثيرة منها تعليق على كتاب سيبويه. انظر: طبقات المفسرين للداودي: 27/1- و شذرات الذهب لابن عماد: 16/6- و علوم القرآن للأستاذ عدنان زرور: 172.

4- هو محمد بن أحمد بن عبد المؤمن الإسعدي المعروف بابن اللبان مفسر محدث، فقيه أديب شاعر، جمع بين العلم و العمل، تصانيفه مفيدة، متشابه القرآن و الحديث. انظر: الدرر الكامنة لابن حجر: 73/3- و طبقات المفسرين للداودي: 80/2- و معجم المطبوعات: 229- و معجم مصنفات القرآن للشواخ: 200/4.

(1) نظم السور: لأبي العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري ت (449 هـ). (1)

(2) البرهان في ترتيب سور القرآن: لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي ت (708 هـ). (2)

(3) نظم الدرر في تناسب الآيات و السور: لبرهان الدين إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي ت (885 هـ) (3). وله دلالة البرهان القويم على تناسب آي القرآن العظيم (4).

(4) تناسق الدرر في تناسب السور: لجلال الدين السيوطي ت (911 هـ) (5).

(5) ربط السور والآيات: لمحمد بن مبارك المعروف بحكيم شاه

ص: 222

1- انظر: كشف الظنون لحاجي خليفة 2/ 1963- و معجم مصنفات القرآن للشواخ: 71 / 1.

2- انظر: طبقات المفسرين للداودي: 1 / 27- و شذرات الذهب لابن عماد: 6 / 16- و كشف الظنون لحاجي خليفة: 1 / 241- و معجم مصنفات القرآن للشواخ: 1 / 34.

3- هو إبراهيم بن عمر بن حسن بن الرباط بن أبي بكر البقاعي، درس على أكابر عصره، ففاق الأقران، و برع في شتى الفنون، نال منه ثلثة من علماء عصره و تعرضوا له إلى حد التكفير. انظر: شذرات الذهب لابن عماد: 7 / 340- و البدر الطالع للشوكاني: 1 / 19- و معجم مصنفات القرآن للشواخ: 1 / 71.

4- انظر: شذرات الذهب لابن عماد: 7 / 339- و إيضاح المكنون: 3 / 475.

5- انظر: معجم مصنفات القرآن للشواخ: 1 / 42.

القزويني ت (920 هـ) (1).

(6) نظم سور القرآن: لعبد العزيز بن عبد الواحد بن محمد المكناسي ت (964 هـ) (2).

ي - الناسخ و المنسوخ:

(1) الناسخ و المنسوخ: لعبد الرحمن بن محمد بن عيسى بن فطيس ت (402 هـ). (3)

(2) الناسخ و المنسوخ من القرآن العظيم: لأبي القاسم هبة الله بن عبد السلام البغدادي المفسر الضريير ت (410 هـ). (4)

ص: 223

-
- 1- هو محمد بن مبارك شاه بن محمد الهروي الرومي الحنفي، حكيم شاه القزويني، باحث كتب في التفسير و الشعر و الحكمة، له شرح حكمة العين للقزويني. انظر: هدية العارفين: 2/229- و الأعلام للزركلي: 7/17- و معجم مصنفات القرآن للشواخ: 1/51.
 - 2- هو عبد العزيز بن عبد الواحد بن محمد بن موسى المغربي المكناسي، عالم أديب مقرئ، صاحب عدة منظومات في علوم شتى، انظر: شذرات الذهب لابن عماد: 8/342- و معجم مصنفات القرآن للشواخ: 1/72- و تاريخ الأدب العربي لبروكلمان: 2/517.
 - 3- انظر: تاريخ قضاة الأندلس: 87- و معجم مصنفات القرآن للشواخ: 4/242.
 - 4- هو هبة الله بن سلامة بن نصر الضريير المقرئ، مفسر نحوي، قيل: كان من أحفظ الناس للتفسير و النحو، له التفسير وغيره. انظر: طبقات المفسرين للداودي: 2/348- و كشف الظنون: 2/1921- و معجم مصنفات القرآن للشواخ: 4/234.

(3) الناسخ و المنسوخ: لأبي منصور عبد القاهر بن طاهر الأسفراييني ت (429 هـ). (1)

(4) الإيضاح في ناسخ القرآن و منسوخه و معرفة أصوله و اختلاف الناس فيه: لأبي محمد مكّي بن أبي طالب القيسي ت (437 هـ).

(5) الناسخ و المنسوخ: لأبي محمد علي بن حزم الظاهري ت (456 هـ). (2)

(6) الناسخ و المنسوخ: لأبي الوليد سليمان بن خلف التجيبي الباجي ت (474 هـ). (3)

(7) الإيجاز في الناسخ و المنسوخ: محمد بن بركات بن هلال بن عبد الواحد السعيدي المصري ت (520 هـ). (4)

ص: 224

1- هو عبد القاهر بن طاهر بن محمد التميمي، أبو منصور البغدادي، عالم عظيم القدر، فقيه أصولي نحوي متكلم، قيل: كان يدرّس في سبعة عشر فنا، من تصانيفه التفسير، و فضائح المعتزلة. انظر: إنباه الرواة للقفطي: 185/2- و طبقات المفسرين للداودي: 332/1- و معجم مصنفات القرآن للشواخ: 242/4.

2- انظر: نفح الطيب: 364/1- و معجم مصنفات القرآن للشواخ: 243/4-.

3- هو سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب الباجي التجيبي، مفسر أديب، و أصولي متكلم، تصانيفه كثيرة جدا منها المعاني في شرح الموطأ. انظر: طبقات المفسرين للداودي: 208/1- و معجم مصنفات القرآن للشواخ: 243/4.

4- هو محمد بن بركات بن هلال بن عبد الواحد السعيدي، أديب نحوي لغوي، شيخ العربية و اللغة في مصر في عصره. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 455/19- و شذرات الذهب لابن عماد: 62/4- و معجم مصنفات القرآن للشواخ: 227/4.

8) ناسخ القرآن و منسوخه: لأبي بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري الإشبيلي ت (543 هـ). (1)

9) الموجز في النسخ و المنسوخ: لأبي القاسم محمود بن أبي الحسن النيسابوري الغزنوي ت (550 هـ). (2)

10) رسوخ الأخبار في النسخ و المنسوخ من الأخبار: لابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ت (597 هـ). (3)

11) النسخ و المنسوخ: لعلي بن محمد بن محمد الأنصاري الخزرجي الأندلسي المعروف بابن الحصار ت (611 هـ). (4)

ص: 225

1- انظر: الإتيان للسيوطي: 19/1- و معجم مصنفات القرآن للشواخ: 246/4- و الكتاب مخطوط بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية باسم: النسخ و المنسوخ

2- هو محمود بن أبي الحسن بن الحسين النيسابوري الغزنوي، الملقب بـ بيان الحق، فقيه مفسر لغوي بارع، له إيجاز البيان في معاني القرآن، و الموجز في النسخ و المنسوخ، [و هو مخطوط في جامعة الإمام برقم 3883 ف]. انظر: معجم الأدباء لياقوت: 124/19- و طبقات المفسرين للداودي: 311/2-.

3- انظر: معجم مصنفات القرآن الكريم للشواخ: 230/4- و مرآة الزمان لليافعي: 481/8- و الكتاب مطبوع باسم نواسخ القرآن 1405 و باسم: أخبار الرسوخ بمقدار النسخ و المنسوخ عام 1322- و باسم: المصنّف بأكفّ أهل الرسوخ من علم النسخ و المنسوخ تحقيق الأستاذ صالح الضامن.

4- هو علي بن محمد بن محمد بن إبراهيم الأنصاري الخزرجي، أبو الحسن المعروف بابن الحصار، فقيه فاضل صاحب تصانيف جيدة، له النسخ و المنسوخ سمعه منه الحافظ المنذري، و له غير ذلك. انظر: التكملة لوفيات النقلة للمنذري: 309/2- و الإتيان للسيوطي: 1/19- و معجم مصنفات القرآن للشواخ: 243/4.

(12) الطود الراسخ في الناسخ و المنسوخ: لعلم الدين السخاوي علي ابن محمد بن عبد الصمد ت (643 هـ). (1)

(13) رسوخ الأخبار في الناسخ و المنسوخ من الأخبار: برهان الدين إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل أبو إسحاق الشافعي ت (732 هـ).

(14) الناسخ و المنسوخ: لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الأسفراييني العامري. (2)

ص: 226

1- هو علي بن محمد بن عبد الصمد بن عبد الأحد. علم الدين أبو الحسن السخاوي، مفسر نحوي، شيخ القراء بدمشق في زمانه، له جمال القراء وغيره. انظر: طبقات المفسرين للداودي: 429/1- و كشف الظنون لحاجي خليفة: 1118/2- و معجم مصنفات القرآن للشواخ: 231/4.

2- مطبوع ملحق بلباب النقول للسيوطي. [قال فضيلة الشيخ مناع: لم نجد فيما اطلعنا عليه من كتب التراجم شخصا بهذا الاسم]. و المخطوط موجود في جامعة الإمام برقم 1860. قلت: هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن علي الأسفراييني، أورده الشواخ في معجمه، و ذكر أن له: الناسخ و المنسوخ، مخطوط بمكتبة الحرمين بمكة المحروسة برقم (15) تفسير دهلوي- معجم الشواخ: 246/4. و قد وقفت أخيرا في معجم الدراسات القرآنية للصفار، أن كتاب الأسفراييني هذا، حقق في جامعة الملك سعود بالرياض، رسالة ماجستير للباحث صالح بن عبد الله المحيمد. معجم الدراسات القرآنية: 631/1.

15) ناسخ القرآن العزيز و منسوخه: لشرف الدين هبة الله بن عبد الرحيم بن ابراهيم ابن البارزي ت (738 هـ). (1)

16) ناسخ القرآن و منسوخه: يحيى بن عبد الله الواسطي الشافعي ت (738 هـ). (2)

17) عقود القيان في الناسخ و المنسوخ في القرآن: محمد بن المطهر بن يحيى بن المرتضى ت (728 هـ). (3)

ص: 227

1- هو هبة الله بن عبد الرحيم بن ابراهيم بن هبة الله الجهنني الحموي، المعروف بابن البارزي، قاض راسخ في العلم، انتهت إليه مشيخة الشافعية ببلاد الشام، تصانيفه كثيرة، منها روضات الجنان في تفسير القرآن. انظر: طبقات المفسرين للداودي: 350/2- و البدر الطالع للشوكاني: 324/2- (مطبوع).

2- هو يحيى بن عبد الله بن عبد الملك الواسطي، فقيه بارز، قيل عنه: فقيه العراق في زمانه، له مؤلفات نافعة. انظر: الدرر الكامنة لابن حجر: 419/4- و إيضاح المكنون: 615/4- و معجم مصنفات القرآن للشواخ: 244/4.

3- هو محمد بن المطهر بن يحيى بن المرتضى، إمام زيدي بويع بالخلافة عند موت والده، له تصانيف تدل على علم واسع، منها السراج الوهاج في حصر مسائل المنهاج. انظر: البدر الطالع للشوكاني: 271/2- و إيضاح المكنون: 114/4- و معجم مصنفات القرآن الكريم للشواخ: 231/4.

18) الناسخ و المنسوخ: لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني ت (852 هـ). (1)

19) ناسخ القرآن و منسوخه: لشهاب الدين أحمد بن إسماعيل الأبيشيبي ت (883 هـ). (2)

20) الآيات التي فيها الناسخ و المنسوخ: لإبراهيم بن محمد المعروف بابن أبي شريف المقدسي ت (923 هـ). (3)

ك- الوجوه و الأشباه و النظائر:

1) الأشباه و النظائر في القرآن الكريم: لأبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي ت (429 هـ). (4)

2) وجوه القرآن: لإسماعيل بن أحمد الحيري النيسابوري الضرير

ص: 228

1- انظر: معجم مصنفات القرآن للشواخ: 246/4.

2- هو أحمد بن إسماعيل بن أبي بكر بن عمر بن بريدة، الشهاب الأبيشيبي، عالم برع في الفقه و أصوله و العربية و الفرائض و غيرها، و تصدى للإقراء مدة، له تصانيف منها شرح الرحبية. انظر: البدر الطالع للشوكاني: 37/1- و إيضاح المكنون: 615/4- و معجم مصنفات القرآن الكريم للشواخ: 244/4.

3- هو إبراهيم بن محمد بن أبي بكر بن علي المعروف بابن أبي شريف المقدسي، إمام محقق مدقق، ذو ذكاء مفرط، طار صيته و صار المعول عليه في الفتوى في مصر، انظر: شذرات الذهب لابن عماد: 118/8- و معجم مصنفات القرآن للشواخ: 233/4.

4- انظر: شذرات الذهب لابن عماد: 246/3- و معجم مصنفات القرآن للشواخ: 255/4.

(3) الوجوه و النظائر: للحسن بن أحمد بن البناء البغدادي الحنبلي: ت (471 هـ). (2)

(4) إصلاح الوجوه و النظائر في القرآن الكريم. للحسين بن محمد الدامغاني ت (478 هـ). (3)

(5) الوجوه و النظائر: لعلي بن عبيد الله الزاغوني الحنبلي: ت (527 هـ). (4)

ص: 229

1- هو إسماعيل بن أحمد بن عبد الله أبو عبد الرحمن الحيري النيسابوري، مفسر مقرئ ضرير، محدث، رحل لطلب الحديث كثيرا، له تفسير مشهور. انظر: طبقات المفسرين للداودي: 1/106- و شذرات الذهب لابن عماد: 3/338- و معجم مصنفات القرآن للشواخ: 4/263.

2- هو الحسن بن أحمد بن عبد الله بن البناء البغدادي، مقرئ محدث فقيه واعظ، عرف بصفاء الذهن و جودة القريحة، و دلت تصانيفه على علومه و فنونه، قيل: صنّف خمسمائة مصنف. منها شرح على الخرقى في الفقه. انظر: المقصد الأرشد لابن مفلح: 1/309- و كشف الظنون لحاجي خليفة: 2/2001- و معجم مصنفات القرآن للشواخ: 4/262.

3- هو الحسين بن محمد بن إبراهيم الدامغاني أبو عبد الله، فقيه حنفي، له سوق العروس و أنيس النفوس. انظر: كشف الظنون لحاجي خليفة: 2/1067- و إيضاح المكنون: 1/615- و معجم مصنفات القرآن للشواخ: 4/256.

4- هو علي بن عبد الله بن نصر بن السري الزاغوني البغدادي، فقيه محدث واعظ، من أعيان الحنابلة، تقنن في الأصول و الفروع و صنّف الكثير، له الإقناع و غيره. انظر: المقصد الأرشد لابن مفلح: 1/232- و شذرات الذهب لابن عماد: 4/80- و كشف الظنون لحاجي خليفة: 2/2001.

(6) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه و النظائر: لعبد الرحيم بن الجوزي ت (579 هـ). (1)

(7) الذخائر في الأشباه و النظائر: لعبد الرحمن بن علي بن إسحاق التميمي الداري ت (876 هـ). (2)

(8) كشف السرائر في معنى الوجوه و الأشباه و النظائر: لمحمد بن محمد بن علي البليسي المعروف بابن العمادات (887 هـ). (3)

(9) معترك الأقران في مشترك القرآن: لجلال الدين السيوطي ت (911 هـ). (4)

ص: 230

1- انظر: كشف الظنون لحاجي خليفة: 2/2001- و معجم مصنفات القرآن للشواخ: 4/260.

2- انظر الضوء اللامع للسخاوي: 4/95- و هدية العارفين: 1/533- و معجم مصنفات القرآن للشواخ: 4/258.

3- هو محمد بن محمد بن علي البليسي المعروف بابن العماد، فقيه شافعي، عمل ناسخا. انظر: الضوء اللامع للسخاوي: 9/162- و

معجم مصنفات القرآن للشواخ: 4/258، و كتابه كشف السرائر في معنى الوجوه و الأشباه و النظائر، مخطوط في خزانة السيد حسن

حسني عبد الوهاب الصمادحي بتونس، بخط المؤلف. الأعلام للزركلي: 7/50.

4- انظر: كشف الظنون لحاجي خليفة: 2/1732- و معجم مصنفات القرآن للشواخ: 4/260.

إشارة

وبعد هذه الجهود المباركة جاءت على المسلمين فترة ضعف خفت فيها تلك الجذوة الوهاجة التي شهدتها القرون السابقة، فضعف التأليف في العلوم عامة، وفي علوم القرآن خاصة، ولم يظهر في العالم الإسلامي الواسع من المصنفات إلا اليسير النادر بين الفينة والفينة، يعتمد مؤلفوها على جهود سابقهم ومصنفاتهم، فغلب على مؤلفاتهم النادرة صبغة الاختصار حيناً، والشرح والتبسيط حيناً آخر، وقد دامت مدة الفتور هذه أكثر من ثلاثة قرون، ولعل أسبابه تعود إلى ما تعرض له العالم الإسلامي من كيد الإعداء، والضربات الموجهة التي تلقاها في مواطن عديدة من دياره، كان أقواها تلك الحملة الصليبية الشرسة التي نكبت بديار الأندلس في المغرب العربي، والأندلس كما هو معروف مركز من مراكز الإشعاع الحضاري والعلمي الذي مد العالم الإسلامي خلال القرون الماضية بنخبة من المفسرين الذين لا يشق لهم غبار، بل يستطيع المرء أن يقرر هنا أن التفسير وعلوم القرآن نصجاً واستوى على سوقهما بالصورة المشرقة التي نراها من خلال جهود المفسرين من الديار المغربية وعلماؤها، وخاصة أهل الأندلس، غير أن الهجمة التي تعرض إليها أرض العلم ومأوى العلماء في الأندلس، والاحتلال الذي اغتصب أرض الخير هناك، جعل العلماء الذين هم القادة ينصرفون عن التعليم ليحملوا السلاح، ولیدافعوا عن ديار الإسلام لتطهير الأراضي كما كانوا يفعلون لتطهير القلوب، وحين سألت المؤرخ الإسلامي الأستاذ القدير/ محمود شاكر عن سبب فتور العلم في هذه المرحلة، وعدم

ظهور المصنفات، لم يتردد يحفظه الله في عزو ذلك إلى انشغال العلماء بالجهاد حيث قال: حين سقطت الأندلس عام 897 هـ، و بدأت سيطرة النصارى، توجه العلماء و طلبة العلم و الخيرون إلى المقاومة، و كان العلماء هم الذين يقودون المقاومة. و قد دامت هذه الفترة العصيبة مدة طويلة. قال:

و لهذا نجد حقد الصليبية على العلماء و على فكرهم إلى يومنا هذا.

و أضاف يقول: و هذه الظاهرة لم تقتصر على العلوم الدينية بل شملت العلوم التجريبية؛ و تابع قوله: و بعد سقوط الخلافة الإسلامية، انحصر كل مصر من أمصار المسلمين بنفسه، و استقل بذاته، و فصلت الديار الإسلامية. و حين رأى الخيرون من أبناء المسلمين أنهم أصبحوا في عزلة من إخوانهم اتجهوا مرة أخرى إلى الاهتمام بالعلم، فعقدت الحلقات العلمية في المساجد، و دفع الناس أبناءهم إليها، و تراحم الطلبة على أبواب من بقي من أهل العلم، ينهلون المعارف، حتى شهد العالم الإسلامي بفضل الله نهضة مباركة شملت كثيرا من ميادين الحياة، فكانت المرحلة الثالثة في العصر الحديث.

هذا و قد وجدت مجموعة مؤلفات هنا و هناك من ديار الإسلام بين الحين و الآخر، و من ذلك:

(1) قلاند المرجان في الناسخ و المنسوخ من القرآن: لمرعي بن يوسف

ص: 232

الكرمي ت (1033 هـ) وقد طبع. (1)

(2) تحفة الفقير ببعض علوم التفسير: لشمس الدين أبو عبد الله محمد ابن سلامة الإسكندري المالكي ت (1149 هـ) وقد طبع. (2)

(3) الزيادة والإحسان في علوم القرآن: لابن عقيلة محمد بن أحمد الحنفي المكي ت (1150 هـ). (3)

(4) الفوز الكبير في أصول التفسير: لولي الله الدهلوي ت (1176 هـ).

(5) إرشاد الرحمن لأسباب النزول و النسخ و المتشابهة و تجويد القرآن:

لعطية الله بن عطية البرهان الأجهوري ت (1190 هـ). (4)س.

ص: 233

1- هو مرعي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد الكرمي المقدسي الحنبلي، فقيه مؤرخ أديب، له نحو من سبعين مؤلفا، منها دليل الطالبين في الفقه. انظر: خلاصة الأثر للمحبي: 358/4- و إيضاح المكنون: 239/4- و الأعلام للزركلي: 203/7- و معجم مصنفات القرآن الكريم للشواخ: 232/4.

2- هو محمد بن سلامة بن إبراهيم بن خليل الضرير الإسكندري المصري، مفسر شاعر، له تفسير القرآن. توفي بمكة. انظر: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر للمراي: 123/4.

3- حقق الزيادة و الإحسان في كلية أصول الدين و نال به خمسة من الباحثين درجة الماجستير في القرآن- قسم القرآن و علومه، و كنت واحدا منهم فله الحمد و المنة ... انظر ترجمته: سلك الدرر للمراي: 30/4- و الزيادة و الإحسان في علوم القرآن لابن عقيلة/ تحقيق محمد صفاء حقي، قسم الدراسة: 45-17/1.

4- هو عطية الله بن عطية البرهان الشافعي مفسر فقيه تصدر للتدريس في جامع الأزهر له عدة مصنفات منها حاشية على تفسير الجلالين. انظر: سلك الدرر للمراي: 265/3- و إيضاح مكنون: 60/1- و قد حقق في الجامعة الزيتونية بتونس.

(6) لب التفاسير في معرفة أسباب النزول و التفسير: لمحمد بن عبد الله القاضي الرومي ت (1195 هـ) (1)

(7) عجيب البيان في علوم القرآن: للشيخ عبد الباسط بن رستم علي بن علي أصغر القنوجي ت (1223 هـ). (2)

(8) جواهر القرآن في التجويد: محمود بن محمد بن مهدي العلوي التبريزي ت (1287 هـ).

و كان الغالب على تلك المؤلفات سمة النقل و الانتخاب، يتخللها أحيانا تعليقات و إضافات هي الأخرى مختارة و منتقاة من علوم الأولين، و يستطيع المرء أن يؤكد هنا فقدان هذه الفترة لعنصر التجديد و الابتكار.

في عصرنا الحديث نهضت جملة من العلوم، و شهدت الساحة العلمية تنافسا قويا في شتى ميادين المعرفة، و قد كان للعلوم الإسلامية عامة و علوم القرآن بصورة خاصة حظ وافر، و نصيب كبير من ذلك الاهتمام، فظهرت المؤلفات التي تخصصت بالدراسات القرآنية، و أعاد ثلة من العلماء النظر في

ص: 234

1- انظر: إيضاح المكنون 4/400- و معجم مصنفات القرآن الكريم للشواخ: 1/135.

2- هو عبد الباسط بن رستم علي بن علي أصغر القنوجي، هندي مستعرب، عالم بالفرائض، له عجيب البيان في أسرار القرآن. انظر: الأعلام للزركلي: 3/271.

ذلك التراث الضخم الذي بقي مخطوطا و الذي أثقلت رفوف المكتبات العامة و الخاصة من حملته، فأخرجته أيدي المحققين، بعد أن نفضت عنه تراب السنين، و عكف الباحثون على تحقيقه و إخراجه بصورة مرضية، وفق أسس منهجية علمية، يعيدون النظر في المواضيع التي تحتاج منهم إلى إعادة نظر، فقوموا النص، و أخرجوه على أفضل صورة بعد أن وقفوا على النسخ المتعددة و قابلوا بينها، و لم يأل أولئك جهدا في إثبات التعليقات المفيدة، و الإضافات النافعة، و شرح الغامض من الألفاظ و العبارات، و خاصة تلك التي أصبحت غريبة على جيل العصر، فذيلت الأصول بحواش قربت البعيد، و يسّرت الصعب، و أصبح في إمكان طالب العلم فهم نصوص السلف على مرادهم بيسر و سهولة.

و اتجه فريق آخر من أهل العلم إلى الكتابة ابتداء، و رأى أن لكل جيل مفهومه و قدراته و حاجاته، و أن من حق أبناء العصر أن يقدم لهم العلم بالطريقة التي يفهمونها، و بالأسلوب الذي يرتاحون له، فظهرت المصنفات التي بدت عليها هذه السمات، مع التحقيق و التمحيص بين المنقولات، و يمثل كتاب الأستاذ الدكتور مصطفى زيد «النسخ في القرآن الكريم» واحدا من هذه المصنفات التي عالجت موضوعا قرآنيا بنظرة حديثة، و كذا كتاب الأستاذ غانم قدوري الذي أسماه: رسم المصحف، دراسة لغوية و تقويمية.

كما كان للاستحداث الذي حدث لأسلوب التعليم في الجامعات و الأكاديميات العلمية، أثر عظيم في نوعية التأليف التي ظهرت.

ولأن العصر الحديث قد أفرز على السطح علوماً تجريبية علمية، ووضعت النظريات العلمية الحديثة والتي على ضوئها شهدت الساحة هذا التفوق الحضاري في الميادين التجريبية، وكانت الحاجة لتفسير نصوص الشرع التي فيها إشارات قريبة كانت أم بعيدة تفسيراً علمياً يواكب التقدم ضرورة ملحة، فظهرت المؤلفات التي حاول مؤلفوها مواكبة هذا التطور، وظهر ما يسمى بالتفسير العلمي، فكان فناً من فنون علوم القرآن، وظهر التفسير الموضوعي الذي عالج موضوعاً معيناً من خلال القرآن كله، أو من خلال سورة منه، أو بتتبع لفظة من كتاب الله، وزاد الاهتمام بإظهار جوانب الإعجاز العلمي في القرآن، وظهرت المؤلفات في الإعجاز الطبي والكوني... وغير ذلك، والمؤلفات في ذلك كثيرة لعلنا نشير إلى بعضها في ختام هذا المبحث.

كما دعت الحاجة حين أصبح التواصل بين شعوب العالم يسيراً، إلى تقديم ترجمات ميسرة من معاني كتاب الله إلى تلك الشعوب، فأصبح البحث الدقيق في مسألة ترجمة معاني القرآن إلى تلك اللغات العالمية، أمراً في غاية الضرورة. وقل مثل هذا في عدد من العلوم التي دعت حاجة العصر إلى نشوئها أو التعمق فيها.

أريد أن أؤكد هنا أن العصر الحالي قد أوجد مجموعة من العلوم لم تكن موضع اهتمام العلماء السابقين لكونها لم تكن موجودة، أو لأنها لم تتضح لهم بمثل ما اتضح للجيل الذي عاصر التقدم العلمي في المجالات

وعلى العموم يستطيع المرء أن يؤكد أن التأليف في علوم القرآن في العصر الحديث قد اتصف بالآتي:

(1) عدم التجديد غالباً، والاعتماد الكبير على علوم الأقدمين وكتاباتهم.

(2) سهولة العبارة، وعدم التعمق، في الغالب أيضاً.

(3) التكرار، وعدم التوثيق.

(4) التركيز على بعض العلوم دون بعض.

(5) جودة التويب، وحسن العرض والترتيب.

(6) ظهور فنون جديدة لم تكن عند الأقدمين، أو لم تكن موضع عنايتهم.

ومن أهم المؤلفات التي ظهرت في العصر الحديث وهي كثيرة أذكر منها:

أولاً: المؤلفات الموسوعية:

إشارة

يغلب على المؤلفات الموسوعية في عصرنا الحالي سمة الانتخاب والاختصار، وقد اعتمد المؤلفون في كتاباتهم على كتابي الإتيان للسيوطي، والبرهان للزركشي، وكان السيوطي هو الأكثر اعتماداً.

وتفاوتت نظرة المؤلفين إلى الفنون التي اختاروها لدراستها، فربما كان

الاختيار خاضعا لأنظمة الجامعات التي تقرر بعض الموضوعات على طلبتها كمقررات دراسية، كما تفاوتت معالجتهم لتلك الفنون، إذ غالب المؤلفات الموسوعية في هذا العصر هي في الأصل محاضرات أُلقيت على الطلبة، ثم جمعها كاتبها ونشرها كتابا مستقلا، سواء أدخلت عليها التعديلات التي ترتقي بها إلى مستوى إخراجها كتابا مستقلا، أم لم تدخل.

و أود أن أشيد هنا ببعض تلك البحوث و الكتابات التي كانت جادة في معالجتها، قوية في مضامينها، رائدة في بابها، حملت لطلبة العلم نظرات علمية فاحصة، يشهد المرء لكاتبها بعمق التفكير، و سلامة الاختيار، و قوة الدليل و صحته، فيسلم لكثير من ترجيحاتهم، و تهدأ النفس لأدلتهم و طريقة معالجتهم، و لهذا ذاع صيتها و انتشرت بين طلبة العلم حتى صنفت في مستوى أمهات المؤلفات. و خير مثال تقدمه هنا هو كتاب «مناهل العرفان» للأستاذ عبد العظيم الزرقاني رحمه الله و كتاب «التفسير و المفسرون» للأستاذ محمد حسين الذهبي رحمه الله و «مباحث في علوم القرآن» للشيخ مناع القطان، و لصبحي الصالح، و «علوم القرآن، مدخل إلى تفسير القرآن و بيان إعجازه» للأستاذ عدنان زرزور، و «مدخل إلى علوم القرآن و التفسير» للدكتور فاروق حمادة، و غيرها.

و من أهم المؤلفات الموسوعية التي ظهرت في هذه المرحلة:

(1) الإيجاز و البيان في علوم القرآن: محمد صادق قمحاوي.

ص: 238

(2) تاريخ القرآن: د/ عدنان زرزور.

(3) البيان في علوم القرآن: محمد حسنين مخلوف العدوي.

(4) البيان في مباحث من علوم القرآن: الشيخ عبد الوهاب غزلان.

(5) التبيان في علوم القرآن: د/ القصيبي محمود زلط.

(6) التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن على طريقة الإتيان: الشيخ طاهر بن صالح بن أحمد الجزائري الدمشقي ت (1338 هـ).

(7) دراسات في أصول القرآن: د/ محسن عبد الحميد.

(8) دراسات في التفسير ورجاله: أبو اليقظان عطية الجبوري.

(9) دراسات في علوم القرآن: د/ أمير عبد العزيز.

(10) دراسات في علوم القرآن: د/ عبد القهار داود العاني.

(11) دراسات في علوم القرآن الكريم: د/ فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي.

(12) دراسات في علوم القرآن: د/ محمد أمين فرشوخ.

(13) دراسات في علوم القرآن: د/ محمد بكر إسماعيل.

(14) علوم القرآن: د/ أحمد عادل كمال.

- (15) علوم القرآن: د/ عبد المنعم النمر.
- (16) علوم القرآن: د/ عزت حسين.
- (17) علوم القرآن: د/ محمد الكومي، و د/ محمد القاسم.
- (18) علوم القرآن: مدخل إلى تفسير القرآن و بيان إعجازه: د/ عدنان زرزور.
- (19) علوم القرآن المنتقى: د/ فرج توفيق الوليد و د/ فاضل شاكر النعيمي.
- (20) علوم القرآن و الحديث: الشيخ أحمد محمد علي داود.
- (21) في علوم القرآن: كفاي الشريف.
- (22) القرآن المجيد، تنزيله، أسلوبه، أثره، جمعه: محمد عزة دروزة.
- (23) القرآن الكريم، تاريخه و آدابه: إبراهيم علي عمر.
- (24) لمحات في علوم القرآن و اتجاهات المفسرين: د/ محمد لطفي الصباغ.
- (25) مباحث في علوم القرآن: د/ صبحي الصالح.
- (26) مباحث في علوم القرآن: فضيلة الشيخ مناع بن خليل القطان.
- (27) المعجزة الكبرى القرآن (نزوله كتابته جمعه إعجازه جدله علومه تفسيره حكم الغناء به): محمد أبو زهرة.
- (28) مدخل إلى علوم القرآن و التفسير: د/ فاروق حمادة.

(29) المدخل لدراسة القرآن الكريم: محمد محمد أبو شهبه.

(30) المرشد الوافي في علوم القرآن: د/ محمود بسيوني فودة.

(31) المنار في علوم القرآن: د/ محمد علي الحسن.

(32) مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد بن عبد العظيم الزرقاني ت (1367 هـ).

(33) من علوم القرآن: د/ عبد الفتاح القاضي.

(34) من علوم القرآن: د/ فؤاد علي رضا.

(35) منهج الفرقان في علوم القرآن: محمد بن علي سلامة ت (1362 هـ).

(36) يتيمية البيان في شيء من علوم القرآن: محمد يوسف البنوري.

ثانياً: المؤلفات الموضوعية:

إشارة

فرق بين المؤلفات الموضوعية عند الأقدمين عنه عند المتأخرين، فالأقدمون كان اهتمامهم منصب إلى الموضوعات التي تخدم كتاب الله، و تيسر سبل فهمه، و تلك التي تهتم بتاريخ القرآن، فكانت ألصق بمصطلح علوم القرآن الذي أطلقناه من قبل بمفهومه الخاص، بخلاف المتأخرين الذين وجهوا اهتمامهم إلى الموضوعات و الدراسات القرآنية التي تتعلق بالنص القرآني، فقد لقيت هذه الموضوعات منهم عناية خاصة في هذه المرحلة، و كان حظها من التأليف أفضل من غيرها، و لعل سبب ذلك يعود إلى ما

ذكرنا من قبل من توجه المتأخرين إلى البحوث التخصصية الدقيقة التي تفي بحاجة العصر، فتوضح المشكل، و تقرب البعيد، و لعل آخر هذه البحوث التي وقعت في يدي ما كتبه الدكتور الفاضل عبد العزيز القارئ حول «حديث الأحرف السبعة»، و ما كتبه أستاذي الدكتور محمد بن عبد الرحمن الشائع عن «أسباب اختلاف المفسرين»، و ما كتبه الشيخ مساعد بن سليمان الطيار بعنوان «فصول في أصول التفسير».

إضافة إلى أن الجامعات و دور العلم في الفترة الأخيرة من العصر الحديث يسرت الدراسة في أقسام الدراسات العليا بكلياتها أكثر من ذي قبل، و التحق طلبة العلم بالتخصصات الدقيقة في علوم القرآن و التفسير، و قدمت البحوث التخصصية التي هي من متطلبات الحصول على الدرجات العلمية، تحت إشراف نخبة من أهل العلم، فظهرت بحوث قيمة هنا و هناك، و ظهر ثلة من الباحثين المتخصصين الذين قدموا بحوثا جلييلة غيرت كثيرا من المفاهيم السائدة و الخاطئة، و اشتهرت تلك الرسائل حتى أخذت مكانها بين أمهات الكتب، و إن كان أغلبها قد بقي مخطوطا.

و من الرسائل التي اشتهرت، «دستور الأخلاق في القرآن» للأستاذ القدير محمد عبد الله دراز رحمه الله، و كتاب «اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر» و «منهج المدرسة العقلية في التفسير» و كلاهما لفضيلة الدكتور/ فهد بن عبد الرحمن الرومي يحفظه الله، و «مدرسة التفسير في

الأندلس» للأستاذ مصطفى إبراهيم المشني، و«ابن جزى الكلبي و منهجه في التفسير» للأستاذ علي بن محمد الزبيري. وغيرها.

هذا و المؤلفات الموضوعية التي طبعت كثيرة، و أكثر منها تلك التي بقيت حبيسة الرفوف في الجامعات فلم تجد طريقها إلى النشر، و سأذكر هنا نماذج منها:

- (1) اتجاهات التفسير في العصر الراهن: د/ عبد المجيد المحتسب.
- (2) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر: د/ فهد الرومي.
- (3) الأحرف السبعة في القرآن الكريم: د/ حسن ضياء الدين عتر.
- (4) أسباب اختلاف المفسرين: د/ محمد بن عبد الرحمن الشائع.
- (5) أسباب النزول و أثرها في التفسير: الشيخ عصام عبد المحسن الحميدان.
- (6) استخراج الجدل في القرآن: د/ زاهر عواض الألمي.
- (7) الإعجاز العددي للقرآن الكريم: د/ عبد الرزاق نوفل.
- (8) إعجاز القرآن و البلاغة النبوية: مصطفى صادق الرافعي ت (1356 هـ).
- (9) الإعجاز النحوي في القرآن الكريم: د/ فتحي الدجني.
- (10) إعراب القرآن الكريم: محيي الدين درويش.

- (11) أمثال القرآن وأثرها في الأدب العربي إلى نهاية القرن الثالث الهجري: نور الحق تنوير.
- (12) الأمثال القرآنية دراسة وتحليل وتصنيف ورسم لأصولها وقواعدها و مناهجها: عبد الرحمن حبنكة الميداني.
- (13) بلاغة القرآن: محمد الخضر حسين.
- (14) تاريخ القرآن: إبراهيم الأبياري.
- (15) التجويد الميسر: عبد العزيز عبد الفتاح القارئ.
- (16) حديث نزول القرآن على سبعة أحرف: د/ عبد العزيز القارئ.
- (17) التفصيل و البيان عن تفصيل آي القرآن: محمد زكي صالح.
- (18) التصوير الفني في القرآن: سيد قطب ت (1385 هـ).
- (19) جواهر البيان في تناسب سور القرآن: عبد الله محمد صديق الغماري.
- (20) دراسات في أسلوب القرآن الكريم: محمد عبد الخالق عظيمة ت (1403 هـ).
- (21) دراسات الإحكام و النسخ في القرآن الكريم: محمد حمزة.
- (22) الرأي الصواب في منسوخ الكتاب: جواد موسى محمد عفانة.
- (23) رسم المصحف، دراسة لغوية و تقويمية: غانم قدوري.

24) الفروق اللغوية و أثرها في التفسير: د/ محمد بن عبد الرحمن الشائع.

25) في إعجاز القرآن، دراسة تحليلية لسورة الأنفال (المحتوى و البناء): د/ أحمد مختار البزرة. علوم القرآن من خلال مقدمات التفاسير ج 1 245 ثانيا: المؤلفات الموضوعية: ص : 241

(القصص القرآني: عماد زهير حافظ.

27) قصة التفسير: د/ أحمد الشرباصي.

28) اللامات في القرآن: عبد الهادي الفضلي.

29) مباحث في إعجاز القرآن: د/ مصطفى مسلم محمد.

30) متشابه القرآن دراسة موضوعية: عدنان زرزور.

31) المشاهد في القرآن الكريم: د/ حامد صادق قنبيبي.

32) مشاهد القيامة في القرآن: سيد قطب ت (1385 هـ).

33) المعجزة القرآنية: محمد العفيفي.

34) مناهج المفسرين من العصر الأول إلى العصر الراهن: د/ محمد النقراشي السيد علي.

35) نزول القرآن على سبعة أحرف: للشيخ مناع القطان.

36) النسخ في القرآن الكريم دراسة تشريعية تاريخية نقدية: د مصطفى زيد.

ص: 245

37) النسخ في القرآن الكريم مفهومه تاريخه دعاواه: د/ محمد صالح.

38) الوجوه والأشباه والنظائر في القرآن الكريم (دراسة موازنة):

د/ سليمان حمد القرعاوي.

أما الرسائل الجامعية التي لم تطبع فيما أعلم فهي كثيرة، أذكر منها بعض العناوين المسجلة في جامعات المملكة:

1) آيات البعث في القرآن الكريم: عبد العزيز بن راجي الصاعدي، جامعة أم القرى كلية الشريعة و الدراسات الإسلامية الدراسات العليا الشرعية رسالة ماجستير 1397 هـ.

2) آيات العتاب في القرآن الكريم، دراسة تحليلية موضوعية: نورة محمد الجليل الرئاسة العامة لتعليم البنات الآداب للبنات بالرياض الدراسات الإسلامية رسالة ماجستير 1408 هـ.

3) اختلاف المفسرين: أسبابه وآثاره: سعود عبد الله الفهيسان جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية كلية أصول الدين رسالة دكتوراة 1402 هـ.

4) اختلاف التنوع والتضاد في تفسير السلف: عبد الله بن عبد الله الأهدل، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية كلية أصول الدين رسالة دكتوراة 1408 هـ.

ص: 246

(5) أصول التفسير بين شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره من المفسرين:

عبد الله ديرية أبتدون الجامعة الإسلامية الدراسات العليا التفسير رسالة ماجستير 1403 هـ.

(6) الإمام الدهلوي، منهجه في التفسير وآراءه في مباحث من علوم القرآن: خليل الرحمن سجاد الجامعة الإسلامية الدراسات العليا التفسير رسالة ماجستير 1402 هـ.

(7) أمثال القرآن: منصور بن عون العبدلي، جامعة أم القرى، رسالة ماجستير، 1394 هـ.

(8) تاريخ علوم القرآن حتى نهاية القرن الخامس الهجري: أحسن بن سخاء محمد أشرف الدين الجامعة الإسلامية الدراسات العليا التفسير رسالة ماجستير 1405 هـ.

(9) تقاسير آيات الأحكام و مناهجها: علي بن سليمان العبيد جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية كلية أصول الدين رسالة دكتوراة 1407 هـ.

(10) التفسير بالرأي، ما له و ما عليه: أحمد بن عمر بن عبد الله الجامعة الإسلامية الدراسات العليا التفسير رسالة ماجستير 1401 هـ.

(11) التفسير بين الرأي و الأثر: محمد حلمي أبو غزالة جامعة أم

القرى كلية الشريعة و الدراسات الإسلامية الدراسات العليا الشرعية ماجستير، 1398 هـ.

(12) التفسير في عهد الصحابة، مصادره و مزاياه: ناصر بن محمد الحميد جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية كلية أصول الدين رسالة ماجستير 1399 هـ.

(13) التفسير في القرن الأول الهجري: فائقة إدريس عبد الله جامعة أم القرى كلية الشريعة و الدراسات الإسلامية الدراسات العليا الشرعية رسالة ماجستير 1404 هـ.

(14) دراسة تقويمية لكتاب مناهل العرفان للزرقاني: خالد بن عثمان السبت، الجامعة الإسلامية، رسالة ماجستير 1411 هـ.

(15) فواتح السور في القرآن الكريم: فاروق حسين محمد أمين الجامعة الإسلامية الدراسات العليا التفسير رسالة ماجستير 1403 هـ.

(16) قواعد الترجيح عند المفسرين: حسين بن علي الحربي كلية أصول الدين جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية كلية أصول الدين رسالة ماجستير 1416 هـ.

(17) المدرسة الأندلسية في التفسير: زيد عمر عبد الله جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية كلية أصول الدين رسالة دكتوراة 1404 هـ.

ص: 248

18) الوقف و أثره في التفسير: مساعد بن سليمان الطيار جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية كلية أصول الدين رسالة ماجستير 1414

.هـ

ص: 249

- 1- تفسير القرآن العزيز: لعبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعاني ت (211 هـ)
- 2- جامع البيان عن تأويل آي القرآن: لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ت (310 هـ)
- 3- تفسير القرآن العظيم: لأبي الليث نصر بن محمد السمرقندي ت (373 هـ)
- 4- النكت و العيون في تأويل القرآن الكريم: لأبي الحسن علي بن حبيب الماوردي ت (450 هـ)
- 5- الوسيط في تفسير القرآن المجيد: لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي ت (468 هـ)
- 6- معالم التنزيل: لمحيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي ت (516 هـ)
- 7- المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز: لأبي محمد عبد الحق بن عطية ت (546 هـ)
- 8- زاد المسير في علم التفسير: لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي الجوزي ت (597 هـ)
- 9- الجامع لأحكام القرآن و المبين لما تضمنه من السنة و آي الفرقان: لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن بكر بن فرج الخزرجي القرطبي الأندلسي ت (671 هـ)
- 10- تسهيل السبيل لعلوم التنزيل: لمحمد بن أحمد بن محمد بن جزّي الكلبي ت (741 هـ)
- 11- لباب التأويل في معاني التنزيل: لأبي الحسن علاء الدين علي بن محمد الشيعي البغدادي المعروف بالخازن ت (741 هـ)
- 12- البحر المحيط في التفسير: لأبي عبد الله محمد بن يوسف بن علي بن حيان الغرناطي الشهير بأبي حيان ت (745 هـ)
- 13- تفسير القرآن العظيم: للحافظ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ت (774 هـ)

1- تفسير القرآن العزيز لعبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعاني المتوفى سنة (211 هـ)

أولاً: التعريف بالمؤلف:

إشارة

مؤلف هذا التفسير هو الإمام الحافظ أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعاني المولود سنة ست وعشرين و مائة للهجرة (126 هـ) (1).

ولد المصنف في أسرة علم وفضل وصلاح، وتربى في حجر أبيه الذي أولاه الرعاية والاهتمام، وقد كان والده من أهل العلم، يروي الحديث عن سالم بن عبد الله (2) وغيره (3)، فنشأ عبد الرزاق نشأة سليمة، وانكب على الدرس والمطالعة، وصرف الوقت في طلب العلم، وارتحل لذلك فطاف الحجاز والشام والعراق (4)، حتى تصدر المجالس، ولقي الكبار، وأخذ عن

ص: 252

1- انظر سير أعلام النبلاء للذهبي: 563 /9- ووفيات الأعيان لابن خلكان: 216 /3.

2- هو سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، كان من خيار الناس وفقهائهم، توفي بالمدينة سنة (106 هـ). انظر: المعارف لابن قتيبة:

186- و سير أعلام النبلاء للذهبي: 475 /4.

3- انظر المعارف لابن قتيبة 226.

4- انظر سير أعلام النبلاء للذهبي 564 /9.

المشاهير، فحفظ نحوًا من سبعة عشر ألف حديث (1).

وثقه غير واحد من الأئمة، وحديثه مندرج في الصحاح (2)، و نعتة الذهبي بالحافظ الكبير وعالم اليمن (3)، وقد شهد المشاهير بعلمه و أشادوا بحفظه و علو منزلته، فعن علي بن المديني قال: قال لي هشام بن يوسف (4):

كان عبد الرزاق أعلمنا وأحفظنا. (5)

وقال شيخ عبد الرزاق معمر بن راشد، وهو أكثر من روى عبد الرزاق الحديث عنه، قال: أما عبد الرزاق فإن عاش فخليق أن تضرب إليه أكباد الإبل.

قال ابن السري: فوالله لقد أتعبها. (6)

شيوخه و تلاميذه:

أكثر عبد الرزاق الحديث عن معمر بن راشد، وهو شيخه في أغلب ما يرويه في تفسيره، كما حدث عن عبيد الله بن عمر و عن أخيه عبد الله،

ص: 253

1- انظر تهذيب التهذيب لابن حجر 314 / 6.

2- انظر تذكرة الحفاظ للذهبي 364 / 1.

3- انظر سير أعلام النبلاء للذهبي 563 / 9.

4- هو هشام بن يوسف الصنعاني، من أقران عبد الرزاق، ثقة متقن، توفي سنة (197 هـ). انظر: تهذيب الكمال للمزي: 265 / 30- و سير أعلام النبلاء للذهبي: 580 / 9-.

5- انظر سير أعلام النبلاء للذهبي: 566 / 9.

6- انظر تهذيب التهذيب لابن حجر 311 / 6.

وعن هشام بن حسان (1)، وابن جريج، والأوزاعي، وسفيان الثوري، وغيرهم من كبار التابعين. أما تلامذته، فقد صدق معمر حين قال: ستضرب إليه أكباد الإبل.

وقد عمّر عبد الرزاق طويلاً، وذاع صيته، وعلم الناس فضله وعلمه وكثرة تحمله، فشدوا إليه الرحال، وأقبلوا عليه من كل حدب وصوب، وكان منهم الأئمة المعتبرون كالإمام أحمد بن حنبل، وابن راهويه (2)، وابن معين (3)، وعلي بن المديني، وغيرهم، كما حدّث عنه شيخه سفيان بن عيينة. (4)

ص: 254

-
- 1- هو هشام بن حسان الأزدي، إمام حافظ محدث، قيل: رأى أنس بن مالك، كان من البكائين، توفي سنة (146 هـ). انظر: طبقات خليفة: 219- و سير أعلام النبلاء للذهبي: 355/6.
 - 2- هو إسحاق بن إبراهيم بن مخلد المروزي، الملقب بابن راهويه: أي المولود في الطريق. إمام كبير، و شيخ المشرق في عصره، و سيد الحفاظ، توفي سنة (237 هـ). انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان: 1/199- و سير أعلام النبلاء للذهبي: 358/11.
 - 3- هو يحيى بن معين بن عون العطفاني، إمام في الحديث، ثقة مأمون، له الكنى والأسماء، توفي سنة (233 هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 71/11- تاريخ بغداد للخطيب: 14/177.
 - 4- انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 9/564، و وفيات الأعيان لابن خلكان 3/216.

ذكر العلماء أن عبد الرزاق صنف كثيرا، وأن من أشهر ما صنفه:

«تفسير القرآن العزيز» و«المصنف الكبير» و«الجامع الكبير» و«السنن» في الفقه و«المغازي» و«الأمال في آثار الصحابة» (1).

وفاته:

فقد الحافظ الكبير بصره بعد المائتين للهجرة، وتوفي في منتصف شوال سنة إحدى عشرة ومائتين (211 هـ) عن عمر يناهز الخامسة و الثمانية باليمن، رحمه الله تعالى (2).

ثانيا: التعريف بالتفسير و المقدمة:

يمثل هذا التفسير نموذجا فريدا بين أيدينا من تفاسير القرن الثاني للهجرة، يعطي صورة واضحة عن لون التفسير السائد في ذلك العصر و هو

ص: 255

-
- 1- انظر كشف الظنون لحاجي خليفة: 452/1- وهدية العارفين لإسماعيل باشا: 566/5- و معجم المؤلفين لرضا كحالة: 219/5- و تاريخ التراث العربي لسزكين: 144/1.
 - 2- انظر سير أعلام النبلاء للذهبي: 580/9- ووفيات الأعيان لابن خلكان: 217/3-. و ينظر للمزيد في ترجمته: البداية و النهاية لابن كثير: 256/10- و تذكرة الحفاظ للذهبي: 364/1- و سير أعلام النبلاء للذهبي: 563/9- و شذرات الذهب لابن عماد الحنبلي: 2/27- و طبقات الحنابلة لأبي يعلى: 152- و طبقات المفسرين للداودي: 302/1- و الفهرست لابن النديم: 228- و ميزان الاعتدال للذهبي: 609/2- و النجوم الزاهرة لابن تغري بردي: 202/2- ووفيات الأعيان لابن خلكان: 216/3.

التفسير بالأثر المجرد عن الرأي، إذ ليس فيه إلا ما هو مروى عن رسول صلى الله عليه و سلم أو مسند إلى الصحابة و التابعين و تابعيهم، فهو من أقدم نصوص التفسير المسندة، و مصنفها متقدم على ابن جرير المتوفى سنة (311 هـ) بقرن كامل، فهو من أوثق ما وصل إلينا من غير تحريف و لا تبديل (1).

تتبع المصنف أقوال السلف في المعاني و أسباب النزول، و رواها بأسانيد مرتبة حسب ترتيب المصحف، و بالرغم من محاولة المصنف تجنب رواية الإسرائيليات، و خاصة ما تعلق منها بعصمة الأنبياء، أو تتنافى مع العقيدة، و ظاهر نصوص الشريعة، إلا أنه ذكر بعض الروايات الساقطة التي رواها القوم (2).

وقد قدم المصنف لتفسيره مقدمة موجزة ذكر فيها شيئاً من المروى في علوم القرآن، فهو بهذا يعد رائد هذا النهج، و أول من قدم للتفسير بعلوم القرآن.

وقد كان هذا التفسير إلى عهد قريب مخطوطاً حبيس المكتبات، طبع عليها الزمن آثاره، فوجد مبتوراً من أوله، مصاباً بالرطوبة في مواطن كثيرة منه، خاصة في بداياته، حتى قيض الله له من يفيض عنه غبار الأيام، و يخرج له للنور للمرة الأولى، فجزى الله القائمين على إحياء التراث خير

ص: 256

1- انظر تفسير القرآن لعبد الرزاق الصنعاني، مقدمة تحقيق الدكتور مصطفى مسلم: 5/1.

2- انظر: المصدر السابق: 32/1.

و حين صنف التفسير المرشحة للدراسة في هذا البحث جاء تفسير عبد الرزاق أول تفسير يحتوي مقدمة في علوم القرآن من حيث الترتيب الزمني للمؤلف، و حين عدت إلى التفسير بتحقيق الدكتور مصطفى مسلم وجدته- يحفظه الله- يذكر أن النسختين الوحيدتين للكتاب فيهما نقص من أولهما، مما اضطره الرجوع إلى تفسير الطبري و الدر المنثور ليسد النقص بنقل الروايات الثابتة فيها عن عبد الرزاق، حتى استخرج منها ما يتعلق بتفسير سورة الفاتحة و القسم المحذوف من سورة البقرة، (1) و تمنيت لو أن فضيلته أثبت شيئاً من المقدمة، فالروايات التي جاءت فيها هي الأخرى على الراجح مبثوثة في الطبري و الدر المنثور و غيرهما من كتب الأثر و علوم القرآن، ثم صدرت طبعة أخرى للتفسير نفسه بتحقيق الدكتور عبد المعطي قلنجي يحفظه الله فوجدت المحقق استطاع أن يثبت شيئاً من تلك المقدمة التي لم يعثر عليها الدكتور مصطفى.

و قد جاءت مقدمة عبد الرزاق موجزة في أربع صفحات، روى المصنف فيها بعض الآثار حول علوم القرآن بأسانيدھا، دون أن يعلق عليها، و هي طريقتة في التفسير كله، و مجموع ما أورده المصنف تسعة آثار، الأول منها حول جمع القرآن، و يحمل العنوان نفسه، و هي مقدمة مستقلة،

ص: 257

أما المقدمة الأخرى فتحمل عنوان ما جاء فيمن قال في القرآن برأيه وهذا العنوان هو من إطلاق المصنف كما يظهر من الصفحة الأولى من المخطوط، بخلاف العنوان الأول فغير مقروء وقد يكون من عمل المحقق.

والآثار الأخيرة أوردها المحقق مبتورة لصعوبة قراءة بعضها، ولآثار الرطوبة التي أتلفت بعضها الآخر، والكلمات المبتورة ليست كثيرة، و أظن أنه كان من الممكن إثباتها لو تتبع المحقق ذلك في كتب التفسير، والله أعلم.

ولم تطبع المقدمة إلا هذه الطبعة، التي صدرت عن دار المعرفة ببيروت عام 1411 هـ، وهي متأخرة عن تحقيق الدكتور مصطفى مسلم للتفسير الذي ظهر عام (1410 هـ) عن دار الرشد بالرياض، غير أن طبعة الدكتور مصطفى خالية من المقدمة.

ثالثاً: عرض موضوعات المقدمة:

ذكر المصنف في الرواية الأولى التي افتتح بها تفسيره جمع المصحف الذي تم على يد زيد بن ثابت، بأمر أبي بكر الصديق بناء على رأي من عمر رضي الله عنهم أجمعين وهو الجمع الأول لكتاب الله.

أعقب ذلك بباب مستقل عن القول في القرآن بالرأي، والتحذير الشديد الوارد في ذلك، ثم بين أن التفسير على أربعة وجوه على ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما. بعدها روى أثراً في المعاني التي نزل القرآن عليها، ثم تاريخ نزول القرآن والكتب السابقة، بعدها نزول القرآن جملة

واحدة ليلة القدر، ثم نزوله منجّما على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

رابعاً: منهج عبد الرزاق في مقدمته:

منهج عبد الرزاق في مقدمته أنه يسرد الروايات بسندها في المعنى الذي أراده دون أي تعقيب أو بيان، مكتفياً برواية واحدة في كل مسألة تعرض له.

ص: 259

2- جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ت (310 هـ)

أولاً: التعريف بالمؤلف:

إشارة

مؤلف هذا التفسير هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي الطبري، أبو جعفر (1).

ولد المفسر بآمل طبرستان (2) سنة أربع وعشرين و مائتين، وقيل: خمس وعشرين (3)، واستوطن بغداد إلى حين وفاته بها (4)، يتردد على موطنه بين فترة وأخرى.

ص: 260

-
- 1- انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي 267/14- و معجم الأدباء لياقوت: 40/18- و طبقات المفسرين للداودي: 110/2.
 - 2- هي من أكبر مدن طبرستان تقع في السهل، خرج منها كثير من العلماء غير أنهم ينسبون إلى طبرستان فيقال الطبري. انظر: معجم البلدان لياقوت: 75/1.
 - 3- سئل ابن جرير عن الخلاف الذي في مولده فقال: لأن أهل بلدنا يؤرخون بالأحداث دون السنين، فأرخ مولدي بحدث كان في البلد، فلما نشأت سألت عن ذلك الحادث فاختلف المخبرون لي فقال بعضهم: كان ذلك في آخر سنة أربع، وقال آخرون: بل كان أول سنة خمس وعشرين و مائتين. اه انظر: معجم الأدباء لياقوت: 48/18.
 - 4- انظر: معجم الأدباء لياقوت: 40/18- و سير أعلام النبلاء للذهبي: 267/14- و طبقات المفسرين للداودي: 110/2.

عاش ابن جرير حياته في عائلة ميسورة، ونشأ وترعرع في كنف والده الذي دفعه إلى التعليم منذ الصغر، ويسر له أسباب التلقي، فما كاد يبلغ سن الجلوس إلى أهل العلم حتى رأته أزرقة أمل متأبطاً دواته وقرطاسه، ملتحقاً بالكتاب ومنتقلاً من شيخ إلى آخر، ومن حلقة إلى أخرى، فحفظ كتاب الله وله سبع سنين، وصلى بالناس وهو ابن ثمان، وكتب الحديث وهو ابن تسع (1)، حتى إذا اشتد عوده، وفاق أقرانه، واعترفوا بتفوقه وأظهر الشيوخ إعجابهم به، لبي الأب طلب ولده ورغبته في الترحال لطلب العلم، وتوجه أولى وجهته إلى دار السلام، وأتى للأب أن لا يبارك الرحلة وهو الذي رأى ولده بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه مخللة مملوءة حجارة، وهو يرمي بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم. الرؤيا التي عبرت بأن الولد إذا كبر نصح في دينه، وذبت عن شريعته، يقول ابن جرير: فحرص أبي على معوتي على طلب العلم، وأنا حينئذ صبي صغير (2).

ويكثر ابن جرير من الترحال، ويلتقي نبلاء الرجال، فيقرأ القرآن، ويسمع الحديث في العراق والشام ومصر والمغرب العربي حتى غدا بفضل الله أحد الأئمة الأعلام، يحكم بقوله، ويرجع إلى رأيه لمعرفته وفضله. ولم يرض رحمة الله علينا بسيرته وأخباره، فطالما حدث الرجل تلامذته وطلبته

ص: 261

1- انظر: معجم الأدياء لياقوت: 49/18.

2- انظر: معجم الأدياء لياقوت: 49/18.

عن طفولته ونشأته وطلبه للعلم.

جمع علوما كثيرة، فإضافة إلى حفظ كتاب الله عرف القراءات القرآنية، واجتهد في الفقه فكان عالما بأحكام القرآن، بصيرا بمعانيه، عالما بالسنن وطرقها وصحيحها وسقيمها، ناسخها ومنسوخها، عارفا بأقوال الصحابة والتابعين (1)، حتى تفرّد بمسائل حفظت له (2) وعده السيوطي رأس المفسرين على الإطلاق (3) ولقبه المتأخرون بشيخ المفسرين.

شهد له البغدادي بأنه جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره (4)، وثقه الذهبي وعده حافظا رأسا في التفسير، إماما في الفقه والإجماع والاختلاف، علامة بالتاريخ وأيام الناس، عارفا بالقراءات وباللغة وغير ذلك. (5)

وكان ابن جرير شافعيًا ثم انفرد بمذهب مستقل، وله أقاويل واختيارات، حين ملك أدوات الاجتهاد، واحتج لمذهبه، وله أتباع

ص: 262

-
- 1- انظر: تاريخ بغداد للخطيب 2/ 163- و سير أعلام النبلاء للذهبي 14 / 269.
 - 2- انظر: معرفة القراء الكبار للذهبي: 1 / 264- طبقات المفسرين للداودي 2 / 110.
 - 3- انظر: طبقات المفسرين للسيوطي: 82.
 - 4- انظر: تاريخ بغداد للخطيب: 2 / 162.
 - 5- ومنها العروض والحساب والطب، انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 14 / 270.

وقد جمع ابن جرير إلى علمه ونبوغه الزهد والقناعة، والشجاعة والورع، وعفة النفس، والترفع عن الطلب، لا تأخذه في الله لومة لائم مع عظيم ما يلحقه من الأذى والشناعات من جاهل وحاسد وملحد (2).

وكتب التراجم تزخر بكم هائل من أخباره في هذا الشأ، ولعل في إيراد شيء من شعره الرائق إظهار لبعض تلك المعاني، روي أن ابن جرير أنشد لنفسه:

إذا أعسرت لم يعلم رفيقي وأستغني فيستغني صديقي

حيائي حافظ لي ماء وجهي ورفقي في مطالبتي رفيقي

ولو أني سمحت ببذل ماء وجهي لكنت إلى العلى سهل الطريق وله أيضا:

خلقان لا أرضى فعالهما بطر الغنى ومذلة الفقر

فإذا غنيت فلا تكن بطراو إذا افتقرت فته على الدهر (3)

ص: 263

1- انظر: طبقات المفسرين للسيوطي: 82.

2- انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 274/14- وطبقات المفسرين للداودي: 118/2.

3- انظر: تاريخ بغداد للخطيب: 165/2- و سير أعلام النبلاء للذهبي: 276/14- ومعجم الأدياء لياقوت: 43/18.

اتهم ابن جرير بموالاته الشيعة، وبمناصرة مذهبهم الفاسد، يقول أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي، وأصله من آمل، وكان يزعم أن أبا جعفر الطبري خاله:

بآمل مولدي و بنو جرير فأخوالي و يحكي المرء خاله

فها أنا رافضي عن تراث و غيري رافضي عن كلاله (1) و قد ذكر الذهبي (2) في الميزان أن فيه تشييعا يسيرا، و موالاته لا تضر، و قال:

أقذع أحمد بن علي السليماني الحافظ (3) فقال: كان يضع للروافض. كذا قال السليماني! وهذا رجم بالظن الكاذب، بل ابن جرير من كبار أئمة الإسلام و المعتمدين، و ما ندعي عصمته من الخطأ، و لا يحل لنا أن نؤذيه بالباطل و الهوى، فإن كلام العلماء بعضهم في بعض ينبغي أن يتأني فيه و لا سيما في مثل إمام كبير، فلعل السليماني أراد الآتي [يزيد محمد بن جرير بن رستم

ص: 264

1- انظر: معجم البلدان لياقوت: 57/1.

2- هو محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركماني، أبو عبد الله الذهبي، إمام محدث حافظ، من كبار المصنفين في الرجال، له ميزان الاعتدال، و سير أعلام النبلاء، توفي (748 هـ). انظر: فوات الوفيات للكتبي: 315/3- و الدرر الكامنة لابن حجر: 336/3.

3- هو أحمد بن علي بن عمرو السليماني البخاري، الإمام الحافظ، محدث ما وراء النهر، صاحب التصانيف الكبار، عمر طويلا و توفي (404 هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 200/17- و طبقات السبكي: 41/4.

قال الحافظ ابن حجر: ولو حلفت أن السليمانى ما أراد إلا الآتى لبررت. (3)

ولا شك أن ابن جرير المفسر قد اتهم بالتشيع فى حياته حتى إنه دفن بالليل خوفاً من العامة لهذه التهمة (4).

والذى أراه أن الأمر كان مجرد اتهام لا صلة له بالواقع، فابن جرير كما ذكر الذهبى من كبار أئمة الإسلام المعتمدين، غير أن الآثار والأحاديث التى رواها والتي تظهر مكانة آل البيت، وبحث على وجوب حبهم والثناء عليهم وهى كثيرة وما أملاه من فضائل أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه وهى كلها حق، ظن البعض أن ذلك ميل منه يرحمه الله إلى التشيع، والبون شاسع بين حب آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين جاء الأمر بالصلاة عليهم مقرنين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبين التشيع مذهباً عقدياً

ص: 265

-
- 1- هو محمد بن جرير بن رستم الطبري الرافضي، صنف كتباً كثيرة فى ضلالات الرافضة، له الرواة عن أهل البيت. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 282/14- وطبقات أعلام الشيعة: 250.
 - 2- انظر ميزان الاعتدال للذهبي: 499/3.
 - 3- انظر: لسان الميزان لابن حجر: 100/5.
 - 4- انظر: معجم الأدباء لياقوت: 40/18.

وفكرا منحرفا فاسدا.

والتهمة كما قال الذهبي رجم بالظن الكاذب، فابن جرير لم يترك أمل بعد أن عاد إليها عالما لا يشق له غبار إلا لما رأى من الرفض قد ظهر، و سب أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم بين أهلها قد انتشر، فانبرى لهم، وقام يملي فضائل أبي بكر و عمر رضي الله عنهما و هو خير دليل على دفع التهمة عنه يرحمه الله.

و حين سمع السلطان بما يمليه كره ذلك، و أرسل في طلبه يريد أن يؤذيه، فخرج من أمل مختفيا لم يشعر به أحد. (1)

شيوخه و تلامذته:

كانت همة ابن جرير في طلب العلم عالية، فتلقى العلم عن كثير من أعيان علماء عصره في المشرق و المغرب، الذين أتاح له الترحال اللقاء بهم، حتى ارتوى من مورد هم العذب الزلال، و هم كثير ذكر منهم الذهبي ما يربو على الخمسين، و ذكر غيره غيرهم، و أذكر منهم الشيخ يونس بن عبد الأعلى (2) و الشيخ محمد بن حميد الرازي (3)، و الشيخ سفيان بن

ص: 266

1- انظر: معجم الأدياء لياقوت: 40/18.

2- هو يونس بن عبد الأعلى بن ميسرة بن حفص الصديقي، شيخ الإسلام، ثقة مقرئ حافظ، توفي (264 هـ). انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان: 249/7- و سير أعلام النبلاء للذهبي: 348/12-

3- هو محمد بن حميد بن حيان الرازي، إمام علامة حافظ، قال الذهبي: و هو رغم إمامته منكر الحديث صاحب عجائب، و قال النسائي: ليس بثقة. توفي (248 هـ). انظر: تاريخ بغداد للخطيب: 259/2- و سير أعلام النبلاء للذهبي: 503/11.

وكيع (1)، وخلق كثير غيرهم من علماء الشام و مصر و العراق و المغرب (2).

و من تلامذته الذين تلقوا العلم عنه: ابن مجاهد، و أبو القاسم الطبراني (3)، و محمد بن أحمد الداجوني، و آخرون (4).

مصنفاته:

ذكر الخطيب في تاريخه أن محمد بن جرير الطبري مكث أربعين سنة يكتب كل يوم أربعين ورقة، (5) و هو خبر فيه مبالغة ظاهرة غير أنه يدل على عظيم ما صنفه ابن جرير، فالذي وصل إلينا من مصنفاته تؤكد أن

ص: 267

1- هو سفيان بن وكيع بن الجراح الكوفي الحافظ، محدث الكوفة، كان أحد أوعية العلم، لحقه لين، توفي (247 هـ) انظر: طبقات الحنابلة لأبي يعلى: 1/170- سير أعلام النبلاء للذهبي: 12/152.

2- انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 14/368- وإنباه الرواة للقفطي: 3/89- و معجم الأدياء لياقوت: 18/41- و طبقات المفسرين للسيوطي: 82- و للداودي: 2/117.

3- هو سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني، إمام، حافظ ثقة، محدث، سمع من ألف شيخ و يزيدون، و عنه خلق كثير، له تصانيف منها المعجم الكبير، توفي (360 هـ). انظر: ذكر أخبار أصبهان لأبي نعيم: 1/335- و المنتظم لابن الجوزي: 7/54- و سير أعلام النبلاء للذهبي: 16/119.

4- انظر المراجع السابقة.

5- انظر تاريخ بغداد للخطيب: 2/163- و سير أعلام النبلاء للذهبي: 14/272.

الرجل كان عالما كاتباً، شغوفاً بالعلم، لا يترك علماً يمكنه تحصيله إلا سعى له، وأعد له العدة، حدّث عن نفسه: أن رجلاً جاءه يسأله عن شيء في علم العروض ولم يكن قد نشط في هذا العلم فقال: إذا كان غداً تعال إليّ. قال:

وطلبت سفر العروض للخليل، فجاءوني به، فاستوعبته في ليلة واحدة، فأمسيت غير عروضي، وأصبحت عروضياً. (1)

و الناظر في مصنفات ابن جرير، إن أراد الفقه قال: هو فقيه فحسب، وإن أراد التفسير قال: هو رائد التفسير وفارسه بلا منازع. وإن أراد النحو والبلاغة والفصاحة قال: هو لغوي لا يحسن غيره. وكذا في القراءات والأحكام والحديث.

وإضافة إلى تفسيره الذائع الشهرة فقد صنف ابن جرير الآتي:

(1) أخبار الملوك والأمم، مصنف في التاريخ مطبوع متداول، تؤكد كل صفحة منه إلمام المصنف بتاريخ العالم وأيام الناس.

(2) تهذيب الآثار، قال الخطيب: لم أر سواه في معناه لكن لم يتمه (2).

وقال الفرغاني أبو محمد (3): هو من عجائب كتبه لكنه مات قبل تمامه (4).

ص: 268

1- انظر: معجم الأدباء لياقوت: 56/18.

2- انظر: تاريخ بغداد للخطيب: 163/2.

3- هو عبد الله بن أحمد بن جعفر خديان الفرغاني، عالم وثقه ابن سرور، له التاريخ المذيل على تاريخ ابن جرير، توفي (362 هـ). انظر:

تاريخ بغداد للخطيب: 389/9- وسير أعلام النبلاء للذهبي: 132/16.

4- انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 273/14.

(3) تاريخ الرجال، من الصحابة و التابعين و إلى شيوخه الذين لقيهم.

(4) لطيف القول في أحكام شرائع الإسلام، قال الفرغاني: هو مذهبه الذي اختاره و جوده، و احتج له، و هو في ثلاثة و ثمانين كتابا (1).

(5) القراءات و التنزيل و العدد.

(6) الخفيف في أحكام شرائع الإسلام، و هو مختصر.

(7) التبصرة، و هي رسالة إلى أهل طبرستان يشرح فيها ما وقع بين أهل طبرستان من الخلاف، و في مذاهب أهل البدع. (2)

(8) اختلاف علماء الأمصار، و هو مطبوع.

و غيرها من المؤلفات التي ذكرها الحموي في معجمه (3).

و قد تجلت شخصية ابن جرير في مؤلفاته واضحة بارزة، عكست بوضوح مدى ما وصل إليه من تحصيل العلوم، و قوة الحفظ و الاستنباط.

وفاته:

نذر الطبري حياته للعلم، و رأى أن المتعة الحقيقية إنما هي في تعلم

ص: 269

1- انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 273 / 14- و معجم الأدباء لياقوت: 80 / 8 و فيه: «البصير في معالم الدين».

2- انظر معجم الأدباء لياقوت: 63 / 18 و ما بعده.

3- انظر: معجم الأدباء لياقوت: 55 / 18.

آية، أو رواية أثر أو حل معضلة، و لم يلتفت رحمه الله إلى الدنيا وزخرفها، حتى الزواج أشغله طلب العلم ثم التعليم عنه، فكان من جملة العلماء العزاب، يقول عن نفسه: أنا لا ولد لي، و ما حللت سروالي على حرام ولا حلال قط. بل أفنى عمره الذي بلغ ستا وثمانين سنة على الراجح في طلب العلم و المدارس و التفقه في الدين و تعليمه.

وقد توفي يرحمه الله ببغداد في شهر شوال سنة عشر و ثلاثمائة، يوم السبت مساء، و دفن يوم الأحد (1) بداره برحبة يعقوب، و حضر وقت موته جماعة من أهل العلم فأوصاهم، و أكثر من التشهد و ذكر الله، و غمض بصره بيده. و رثاه خلق من الأدباء، و أهل الدين، منهم ابن دريد (2) في مرثية مبكية تدمي القلب، أظهر ما كان يحمل بين جنبيه من علم و فقه و فضل، و من آياتها:

إنّ المنية لم تتلف به رجلا بل أتلفت علما للدين منصوبا

أهدى الردى للثرى إذ نال مهجته نجما على من يعادي الحق مصوبا

كان الزمان به تصفو مشاربه فالآن أصبح بالتكدير مقطوبا

أودى أبو جعفر و العلم فاصطحبا أعظم بذا صاحبا أو ذاك مصحوبا (3) ك.

ص: 270

1- انظر: معجم الأدباء لياقوت: 40/18.

2- هو محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية البصري، شيخ الأدب، كان آية من آيات الله في قوة الحفظ، قيل عنه أشعر العلماء، و أعلم الشعراء، توفي (321 هـ). انظر: معجم الأدباء لياقوت: 127/18- و سير أعلام النبلاء للذهبي: 96/15.

3- انظر: ديوان ابن دريد: 67- و سير أعلام النبلاء للذهبي: 280/14. و ينظر للمزيد في ترجمته: إنباه الرواة للقفطي: 89/3- و البداية و النهاية لابن كثير: 145/11- و تاريخ بغداد للخطيب: 162/2- و تذكرة الحفاظ للذهبي: 410/2- و سير أعلام النبلاء للذهبي: 14/267- و شذرات الذهب لابن عماد الحنبلي: 260/2- و طبقات الحفاظ للسيوطي: 310- و طبقات الشافعية الكبرى للسبكي: 120/3- و طبقات المفسرين للدودي: 110/2- و طبقات المفسرين للسيوطي: 82- و لسان الميزان لابن حجر: 110/5- و معجم الأدباء لياقوت: 40/18- و معرفة القراء الكبار للذهبي: 264/1 و غير ذلك.

إن من بركة العلم أن يبسر الله للعالم من يحيي سيرته بعد وفاته، كأن يسخر من ينشر علمه بإحياء مؤلفاته و مصنفاته، وإخراجها لطلبة العلم و الباحثين في صورة تسهل الوقوف على مراده، و قد قيض الله لمفسرنا ابن جرير الطبري و لتفسيره فارسين من فرسان البلاغة و البيان فحققا أجزاء منه خير تحقيق، و يسراه لطلبة العلم، حتى عدّ بحق من أفضل التفاسير المحققة (1).

و تفسير ابن جرير «جامع البيان» يعد من أنفس الآثار في التفسير، لكونه قد حوى إلى جانب بيان معاني الآيات علوما كثيرة أخرى، أسس

ص: 271

1- لقد حقق الكتاب كاملا مؤخرا بتحقيق معالي الدكتور عبد الله بن عبد الحسن الذكي أمد الله في عمره و أبقاه و بارك في أعماله و خدماته للمسلمين و في شتى ديار الإسلام.

المصنف ببيانها، ووضع اللبنة الأولى، وساق الروايات والأقوال بأسانيدها، ولهذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: وأما التفاسير التي في أيدي العامة فأصحها تفسير محمد بن جرير الطبري، فإنه يذكر مقالات السلف بالأسانيد الثابتة، وليس فيه بدعة، ولا ينقل عن المتهمين. (1)

ويقول الإمام ابن عطية: إن محمد بن جرير جمع على الناس أشد التفسير، وقرب البعيد، وشفأ الإسناد (2).

وقد جود ابن جرير تفسيره «تفسير القرآن» وبيّن فيه أحكامه وناسخه ومنسوخه، ومشكله وغريبه، ومعانيه واختلاف أهل التأويل والعلماء في أحكامه وتأويله، والصحيح لديه من ذلك، وإعراب حروفه، والكلام على الملحدين فيه، والقصاص وأخبار الأمة والقيامة وغير ذلك (3).

وهو تفسير على ما قال الإمام النووي (4): أجمعت الأمة على أنه لم

ص: 272

1- انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: 385 / 13.

2- انظر المحرر الوجيز لابن عطية: 31 / 1.

3- انظر: طبقات المفسرين للداودي 114 / 2.

4- هو محيي الدين يحيى بن شرف بن مري النووي، إمام فقيه حافظ، ولي مشيخة دار الحديث، له تصانيف في الحديث والفقاه وغيرهما، توفي (676 هـ). انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي: 1470 / 4- وشدرات الذهب لابن عماد: 354 / 5.

يصنف في التفسير مثله. وعده السيوطي من أجَلِّ التفاسير لتمييز منهجه، (1) ولهذا أيضا استعاره ابن خزيمة (2) من ابن خالويه وأبقاه عنده عدة سنوات، ثم قال مقولته: ما رأيت على أديم الأرض أعلم من ابن جرير (3).

وقال عنه أبو حامد الأسفراييني (4): لو سافر الرجل إلى الصين حتى يحصل له تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيرا عليه (5).

وما من شك أن هذا التفسير يعد من أمهات كتب التفسير بالمأثور والرأي المبني على القواعد والأصول، وهو أمر مشاهد لكل مطلع عليه، قارئ فيه، متابع له، فمصنفه إمام مجتهد صاحب مذهب فقهي، وهو من أئمة الحديث، ومن رجال التاريخ واللغة، جمع علوما كثيرة فوعاها، وتفسيره بين أيدينا يشهد على تفوقه.

ص: 273

-
- 1- انظر: طبقات المفسرين للسيوطي: 82.
 - 2- هو محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري الشافعي، شيخ الإسلام، وإمام الأئمة، صاحب التصانيف، فقيه مجتهد عالم بالحديث، له الصحيح، توفي (311 هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 365/14- والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي: 209/3.
 - 3- انظر: معجم الأدباء لياقوت: 43/18- والتفسير والمفسرون للذهبي: 208/1.
 - 4- هو أحمد بن محمد بن أبي طاهر محمد الأسفراييني، شيخ الشافعية ببغداد، ثقة، قيل: إنه كان من أنظر الفقهاء، توفي (406 هـ). انظر: تاريخ بغداد للخطيب: 368/4- وسير أعلام النبلاء للذهبي: 193/17.
 - 5- انظر: معجم الأدباء لياقوت: 42/18- ومعرفة القراء الكبار للذهبي: 266/1.

و أود الإشارة هنا إلى أن المصنف يعد رائد الطريقة و المنهج الذي سار عليهما في تفسيره، و تبقى للزيادة و الأولوية مأخذها و نواقصها، و في مثل هذا يقول ابن الأثير (1): كل مبتدئ لشيء لم يسبق إليه، و مبتدع لأمر لم يتقدم فيه عليه فإنه يكون قليلا ثم يكثر، و صغيرا ثم يكبر (2)؛ و لهذا فإن القارئ المتفحص المتعمق لعلم التفسير قد يجد على هذا التفسير من الملحوظات و المآخذ التي ربما استدرکها كثير ممن جاء بعد ابن جرير، و من تلك المآخذ التطويل بإيراد الطرق العديدة لإفادة معنى لغوي واحد.

و بجانبه الصواب في بعض الآراء، كما أنه لم يخل من ذكر الإسرائيليات التي ينبغي أن يخلو منها كتب التفسير، إذ مظان ما سكت الشرع عنه منها، كتب القصص و الأساطير و الحكايات (3).

علمنا من خلال سيرة ابن جرير السابقة اهتمامه العظيم بالمأثور من الأحاديث و الآثار، و كيف أن العلماء يعدون تفسيره أفضل تفسير بالمأثور،.

ص: 274

1- هو أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري، المعروف بابن الأثير، عمل كاتبا و عرف عنه الذكاء، صنف كثيرا من ذلك المثل السائر، و النهاية في غريب الحديث. توفي (606 هـ) انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان: 141/4 - و سير أعلام النبلاء للذهبي: 488/21.

2- انظر: النهاية في غريب الحديث و الأثر لابن الأثير: 5/1.

3- انظر: تاريخ التفسير للقيسي: 147 و مثاله: إirاده سبعة عشر طريقا لإفادة أن الكأس الدهاق هي المتابعة، و هو معروف عند أهل اللغة، و لا يتعلق به حكم شرعي من حيث الحل و الحرمة.

وأصحّه، وما ذلك إلا لما حواه من الآثار التي رواها المصنف بسنده، وتحرّى صحتها بطريقته، وقد كان لهذا الكم الهائل الأثر الواضح في توسع ابن جرير في المقدمات التي قدمها بين يدي تفسيره، حيث وجد منها منطلقا فسيحا رحبا، للحدّث عن علوم القرآن التي يرى المصنف ضرورة إمام المفسر وقارئ التفسير بها، قبل الخوض في الطوال من المصنفات، وقد أضاف ابن جرير إلى ذخيرته من المأثور ما توصل إليه بإعمال الفكر، وإدانة النظر في النصوص، حتى فاق في مقدماته من جاء بعده، بل عدّ مرجعا يستند إليه المفسرون والمصنفون في علوم القرآن، خاصة في جانب الرواية، وعرض الآراء.

وكان لجهوده أثر بيّن واضح في خدمة هذا الفن - أقصد فن المقدمات - حتى نما وترعرع وضيقت مسائله، واتسعت مباحثه وعلومه.

وعدد هذه المقدمات التي قدمها المصنف بين يدي تفسيره بلغت عشر مقدمات، حسب تقسيم المصنف، يطول في بعضها نفس المؤلف طولاً ملحوظاً، في حين يقتصر في البعض الآخر على ذكر روايات بعدد، يرويها في المعنى الذي هو بصده.

وقد سوت المقدمات مائة وست صفحات من الطبعة التي اعتمدها أصلاً في هذه الدراسة، وهي الطبعة التي نحسبها خالية من الأخطاء بعناية الأخوين الفاضلين محمود وأحمد محمد شاكر.

وبالنظر في المقدمات العشر ودراستها يامعان يلحظ المرء أن ابن جرير

قد أدمج موضوعات، وأدخلها تحت مسمّى واحد، ربما لوحدة الموضوع، إلا أن من حقها أن تفرّد، فهي موضوعات مستقلة، قائمة بذاتها، لها آثارها ورواياتها، ولها ضوابطها المستقلة ما دنا قد ارتضينا فصل أو (نزع) علوم القرآن من علم الحديث والرواية وهو أمر تفهّمه المتأخرون وارتضوه، و ساروا عليه كالسيوطي وابن عقيلة و جل المعاصرين.

و مهما يكن الأمر؛ فإن هذه المقدمات تثبت بحق بلاغة المصنف الأدبية، و عظيم ما حصله من علم اللغة و البلاغة و الأدب، الأمر الذي مكّنه من صياغة هذه العلوم بأسلوب بليغ، و تقديمها قطعة أدبية لا يملّ القارئ النظر فيها، تجرّه كل عبارة للتي تليها، و إن كانت بعض عباراته تعصى بين حين و آخر على القارئ فيلتجئ إلى ما حشاه المحقق من بيان معاني الكلمات و توضيح العبارات، ليفهم النص على مراد المصنف.

هذا و قد طبعت المقدمات مع التفسير طبعات مختلفة في أقطار عديدة، نذكر منها:

(1) الطبعة الأميرية بولاق، مصر، الطبعة الأولى عام 1323 هـ.

(2) طبعة دار المعارف، مصر، ستة عشر مجلدا فقط، و هي بتحقيق الشيخين محمود و أحمد محمد شاكر، صدرت الطبعة الأولى منها عام 1374 هـ.

(3) طبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعات من الأولى إلى الثالثة عام 1388 هـ.

ص: 276

ثالثاً: عرض موضوعات المقدمة:

إشارة

استهل الطبري تفسيره و مقدماته التي قدمها بين يدي تفسيره بخطبة بليغة، ظهر فيها تعمقه في العلوم العربية، و النكات البلاغية، فبعد أن أثنى على الله بما هو أهله، و شكره على فضله، و نزهه عن الند و المثل، تحدث عن فضائل الأنبياء عامة و كيف أن الله سبحانه قد أبانهم عن سائر خلقه بأن أيدهم بالحجج البالغة، و الآي المعجزة، ثم خصّ نبينا صلى الله عليه و سلم فتحدث عن فضله و فضائله، و دعوته و رسالته، و ما خصّ أمته و شرفهم به على سائر الأمم من المنازل الرفيعة.

و تكلم عن معجزة الرسول الكبرى، و كيف أنه تقدست أسماؤه جعله دليلاً على حقيقة نبوته صلى الله عليه و سلم.

بعدها سأل الله سبحانه التوفيق لإصابة القول، و شكره على ما أنعم به عليه من حفظ كتابه و العلم بحدوده، ليؤكد أن أحق ما صرفت إليه الهمم هو كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

و ذكر أنه مقبل على شرح كتاب الله و تأويله و بيان معانيه، موضحاً منهجه و طريقته. ليبدأ بالمقدمات، و هي:

1) القول في البيان عن اتفاق معاني آي القرآن، و معاني منطق من نزل بلسانه القرآن من وجه البيان، و الدلالة على أن ذلك من الله تعالى ذكره هو الحكمة البالغة مع الإبانة عن فضل المعنى الذي به باين القرآن سائر الكلام.

أراد ابن جرير أن يؤكد بادئ ذي بدء أن من لم يعان رياضة العلوم العربية، و لم يعرف تصارييف و جودة هذا اللسان يقف عاجزا عن فهم معاني كتاب الله.

فذكر أن من أعظم نعم الله على خلقه- و نعمه لا تحصى- ما منحهم من فضل البيان حتى صاروا عن ضمائر صدورهم يبينون، و به إياه يوحدون و يسبحون و يقدسون، و جعلهم في هذا الفهم طبقات، و رفع بعضهم فوق بعض درجات، و جعل أعلى منازل البيان درجة أبلغه في حاجة المبين عن نفسه، و أبينه عن مراد قائله، و أقربه من فهم سامعه.

و أشار إلى أن ما تجاوز هذا المقدار، و ارتفع عن وسع الأنام كان حجة على من كانوا رؤساء صناعة الخطب و البلاغة، و قيل الشعر و الفصاحة، و السجع و الكهانة، و تدرج ابن جرير في القول على هذا المنوال ليثبت رسالة الرسول صلى الله عليه و سلم، و ليبين أن القرآن هو المعجزة الكبرى، و ليقر أصلا معلوما هو الإعجاز البياني، و كيف أن القوم كانوا عن الإتيان بمثل بعضه عجزة، و عن القدرة عليه نقصة، فأقروا بالعجز، و أذعنوا بالتصديق.

بعدها سقاه المصنف من تجاهل و تعامى، و استكبر و تعاشى، فحاول مجازاة النبي صلى الله عليه و سلم فيما أتى به من الحق المبين، فقال من الحماقات المشبهة

وليؤكد المصنف أن معاني كتاب الله المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هي لمعاني كلام العرب موافقة، و ظاهره لظاهر كلامها ملائمة، ولأساليبه في أساليبها نظير ومثيل وإن كان مباينة كتاب الله بالفضل والفضيلة ظاهر أثبت منطقيا أنه تعالى يتعالى أن يخاطب خطابا أو يرسل رسالة لا توجب فائدة لمن خوطب أو أرسلت إليه، فالمخاطب والمرسل إليه إن لم يفهم ما خوطب به أو أرسل إليه يكون حاله قبل الخطاب وبعد مجيئه سواء، إذ لم يفده الخطاب والرسالة شيئا، ولهذا كان كل كتاب أنزل وإنما هو بلسان قوم من أنزل عليه، و عليه فالقرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين.

(2) القول في البيان عن الأحرف التي اتفقت فيها ألفاظ العرب و ألفاظ غيرها من بعض أجناس الأمم.

ما أقره الطبري في الباب السابق من تنزيه الله جل ذكره مخاطبة أحد من خلقه إلا بما يفهمه وهو أمر مسلم لا ينازع فيه بصير يثبت عربية جميع ألفاظ القرآن الكريم ومعانيه، ولأنه ورد في بعض الآثار ما يوحى بأعجمية شيء من ألفاظ القرآن الكريم، وأنه بلغات أقوام و أجناس غير العرب وهو أمر مشكل يفيد ظاهره أن في القرآن من غير لسان العرب خصص المصنف الموضوع بحديث مستقل لتجلية الأمر، و توضيح المراد.

فبعد أن عرض جملة من تلك الآثار المشككة في ظاهرها، والتي لم يكثر منها إيمانا منه أن في ذكرها إطالة للكتاب دونما فائدة، بين أن ما ورد في هذه

الآثار لا تخالف ما انتهى إليه في الباب السابق، ولا تخرج عن معناه، لكون ما جاء فيها لم تنف عربية تلك الكلمات، بل غاية ما دلت عليه هو وجود اتفاق بين الأجناس في معنى هذه الألفاظ، وهو أمر يقره المصنف، وعلى ذلك سرد احتمالات وأوجه ما قد يبين أصول تلك الألفاظ، وانتهى إلى أن من يدعي أحقيته بأصل هذه الألفاظ، وأنه مصدرها ومخرجها إلى الأجناس الأخرى كان مستجهلاً ومدع أمراً لا يوصل إلى حقيقة صحته إلا بخبر يوجب العلم، ويزيل الشك، وهو أمر متعذر.

ويرى المصنف أن القول هو أن تضاف هذه الألفاظ إلى كل جنس من الأجناس المشتركة فيها، وكونها موجودة في لغة العرب لا تعني بالضرورة عدم وجودها في لغات أخرى، وضرب لذلك مثالا، فقال: إن الدرهم والدينار والدواة والقلم، كلمات اتفقت ألسن العرب و الفرس فيها بالألفاظ الواحدة، والمعنى الواحد.

بعدها رد المصنف على من يدعي استحالة هذا الاجتماع في المنطق قياساً على استحالة ذلك في الأنساب فأفسد القياس واعوجاج المنطق الذي قالوا به. لينتقل لعرض فهمه من قولهم: إن في القرآن من كل لسان، أي أنّ فيه من كل لسان اتفق فيه لفظ العرب وغيرها من الأمم التي تنطق به، لكون الاعتقاد بأن بعض القرآن فارسي لا عربي، أو نبطي لا عربي ...

إلخ، فيه نفي عن بعض القرآن أنه عربي، والله يصف القرآن كله بأنه عربي قُرْآنًا عَرَبِيًّا [يوسف: 2] فالعربية صفة شاملة لا يجوز لأحد أن يخصص

شمولها على بعض القرآن دون بعض. و لكون البعض يقرون بإمكانية الاشتراك غير أنهم يدعون أن الأصل لجنس دون آخر، و أن الآخر إنما نطق بها، رد المصنف هذا الادعاء و أبطل هذا الزعم بالزام المدعي بدليله.

(3) القول في اللغة التي نزل بها القرآن من لغات العرب:

و يعدّ هذا الموضوع نموذجاً للموضوعات التي طال فيها نفس المصنف، فقد شغل أكثر من ثمان و أربعين صفحة من مجموع صفحات مقدمته البالغ مائة و ست صفحات.

و سبق أن أشرت بأن ابن جرير إذا أراد إثبات أمر أو أراد نفيه تدرج في القول لتحقيق المراد بأيسر السبل و على أحكم الوجوه، و جاء هذا التدرج في المقدمات التي ذكرها بين يدي تفسيره، و التي سميتها أنواعاً اقتداء بأصحاب الموسوعات في علوم القرآن، فبعد أن أثبت المصنف في النوع السابق عربية كل ما جاء في كتاب الله، و لكون السنة العرب كثيرة بكثرة قبائلها و أحيائها، أراد أن يبين في هذا النوع اللسان الذي نزل عليه القرآن من تلك الألسنة، فسرد الأخبار التي تظاهرت عنه صلى الله عليه و سلم في اللغات التي نزل بها القرآن، و التي بلغت ستة و ستون أثراً، رواها كلها بسنده، بينت بمجموعها نزول القرآن على سبع لغات، و الاختلاف في قراءة الصحابة، و ما أقرّ الرسول صلى الله عليه و سلم منها، و ما غضب لأجلها، و اختلاف السلف في تفسير هذه اللغات، و الأوجه و الأحرف، ليؤكد أن القرآن نزل على بعض ألسن العرب دون الجميع، فألسنتها أكثر من سبعة.

عقب ذلك انتقل المصنف للتفريق بين اللغات السبع أو (الأحرف السبعة) و الأبواب السبعة، و به ردّ على من تأول اللغات بالأبواب، و ناقشهم في أدلتهم، و أكد نقلا و عقلا صحة ما تبناه، و خطأ ما ذهبوا إليه.

و لما ترجح لديه اقتناع القارئ بما ذهب إليه تساءل ليزيل احتمال شكّ يعلق ببعض الأذهان إيجاد لفظة في القرآن تقرّأ بسبع لغات، فقال نافيا ذلك: إنا لم ندّع أن ذلك موجود اليوم.... و لم ننسخ فترفع، و لا ضيعتها الأمة و هي مأمورة بحفظها، و لكن الأمة أمرت بحفظ القرآن و خيّرت في قراءته و حفظه بأي تلك الأحرف السبعة شاءت.... فرأت قراءته بحرف، و رفض القراءة بالأحرف السبعة الباقية.

أتبع ذلك بيان العلة التي أوجبت الثبات على حرف واحد دون سائر الحروف، و استهمل ذلك بذكر جملة من الآثار مشيرا إلى كثرتها في هذا المعنى، و موضحا أن عثمان بن عفان رضي الله عنه هو الذي جمع الأمة على حرف واحد إشفاقا عليهم و رأفة بهم لما رأى التكذيب ببعض الحروف رغم حداثة عهدهم بنزول القرآن، فاستوثقت له الأمة على ذلك بالطاعة، و رأت في فعله الرشد و الهداية، و تركت القراءة بالأحرف الستة.

و لهذا يرى الطبري أنه لا سبيل لأحد القراءة بها لأنها درست من الأمة معرفتها، و تعفّت آثارها، و تتابع المسلمون على رفض القراءة بها من غير جحود منها.

و ليسوغ المصنف عمل سيدنا عثمان رضي الله عنه في إلغاء الأحرف الستة على

اعتقاده وقبول الأمة ذلك منه، وتركهم قراءة أقرأهموها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرهم بقراءتها، بين أن الأمر كان أمر إباحة و رخصة، لا أمر إيجاب وفرض، وبين دليل التخيير.

وقبل أن يختم حديثه ببيان الألسن السبعة التي نزل عليها القرآن، وتحديدتها أشار إلى ما أشكل على بعض العامة حين ظنوا أن الأحرف السبعة هي القراءات السبع، فنفى الإشكال وأبطل الظن، وأكد أنه بمعزل عن قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «أمرت أن أقرأ القرآن على سبعة أحرف».

وجاءت الخاتمة ليقرر المصنف أنه لا فائدة اليوم من معرفة تلك الأحرف لكونها لا يقرأ بها أحد، وليسرد بعض الأخبار الموضحة لها من غير أن يرجح بينها.

(4) معنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «أنزل القرآن» من «سبعة أبواب الجنة» و ذكر الأخبار الواردة في ذلك:

حين أكد المصنف في النوع السابق أن اللغات السبعة التي نزل بها القرآن، هي غير الأبواب السبعة التي نزل منها القرآن، وبين هناك المراد بالأحرف السبعة، خصّ هذا الباب لبيان المراد بالأبواب السبعة.

فاستهل الحديث بذكر اختلاف النقلة في ألفاظ الخبر الوارد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الدال على نزول القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف، وهي ألفاظ متقاربة المعنى، وأشار في ثنايا حديثه إلى أن نزول

القرآن على النحو المذكور خاصة خصّ الله بها أمة محمد صلى الله عليه وسلم دون سائر الأمم.

ويبين الفرق بين النزول على سبعة أحرف والنزول من سبعة أبواب، وقال: إن الكتب السابقة كانت تنزل على حرف واحد بلسان واحد، متى حوّل إلى غير اللسان الذي أنزل عليه كان ذلك ترجمة وتفسيرا لا تلاوة، أما القرآن الكريم فبأي السبعة تلاه التالي كان تاليا للقرآن، لا مترجما ولا مفسرا حتى يحوله عن تلك الألسن. وهي معنى نزوله على سبعة أحرف، أما من سبعة أبواب فلكون الكتب السابقة كانت تنزل خالية من الحدود والأحكام، والحلال والحرام (1)، وكانت تنزل ببعض المعاني السبعة التي يحوي جميعها كتابنا الذي خص الله به نبينا صلى الله عليه وسلم وأمه وهي: الأمر، والزجر، والحلال، والحرام، والمحكم، والمتشابه، والأمثال.

وبذلك أوضح أنّ من سبقنا من الأمم كانوا يتعبدون الله بهذا الوجه، ويستوجبون منه القرب، أما أمة محمد صلى الله عليه وسلم التي أنزل كتابها من سبعة أبواب فإنهم يتقربون إلى الله بالأوجه السبعة، وبه يأملون إدراك الفوز بالجنة، ويبين كيفية حصول ذلك. ولأنه ورد في بعض ألفاظ الخبر أن لكل آية حد ومطلع، وظهرض.

ص: 284

1- ذكر المصنف مثال ذلك زبور داود عليه السلام، وقال: إنه تذكير ومواعظ، وإنجيل عيسى عليه السلام كان تمجيذا ومحامدا وحضا على الصفح والإعراض.

و بطن، بيّن المصنف المراد بذلك و المقصود منه، و بذلك أنهى المبحث.

5- القول في الوجوه التي من قبلها يوصل إلى معرفة تأويل القرآن:

قدم المصنف لهذا النوع خلاصة ما توصل إليه في الأنواع السابقة، من عربية القرآن كله، و نزوله بألسن العرب، و أنها تقرأ اليوم ببعض الألسن دون جميعها، ثم تحدث عن الموضوع الذي هو بصدده، فبين أن أقسام التفسير- و هو ما عبر عنه بالوجوه التي من قبلها يصل إلى معرفة تأويل القرآن- فاستهله بسرد الآيات الدالات على أن تبيان الذكر هو من خاصيات الرسول صلى الله عليه و سلم، و أن هذه الوظيفة- وظيفة البيان- هو فيما أمره الله أن يبينه، و أن من الآيات ما هو محكم، و آخر متشابه لا يعلم تأويله إلا الله، و به وضّح أن التفسير ثلاثة أقسام:

(1) قسم لا يوصل إلى تأويله إلا ببيان رسول الله صلى الله عليه و سلم، إما بنص منه عليه، أو بدلالة قد نصبها دالة أمته على تأويله، و هو ما لا يجوز لأحد القول فيه.

(2) قسم لا يعلم تأويله إلا الله، استأثر سبحانه بعلمه على خلقه.

(3) قسم ثالث يعلم تأويله كل ذي علم باللسان الذي نزل به القرآن، و هذا يختلف فيه الناس و يتفاوتون حسب صلتهم بلغة القرآن.

و ضرب المصنف الأمثلة على ما ذكره و ختم المبحث ببيان ما جاء عن ابن عباس- رضي الله عنهما- في بعض الروايات من كون الأقسام

أربعة، وأن الرابع هو ما لا يعذر أحد بجهالته، فأوضح أن ما ذكره لا يعد وجهاً يوصل إلى معرفة تأويله، وإنما هو إخبار عن ابن عباس بأن تأويله لا يجوز لأحد الجهل به.

وما ذكره المصنف تخريج جيد، وفهم مقبول لمقولة ابن عباس السابقة.

6- ذكر بعض الأخبار التي رويت بالنهي عن القول في تأويل القرآن بالرأي:

لما كان من تأويل القرآن ما لا يدرك علمه إلا بنص بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو نصبه صلى الله عليه وسلم الدلالة عليه - وهو الأمر الذي أقره المصنف في الباب السابق - عمد المصنف في هذا النوع إلى سرد جملة من الآثار المحذرة من القول في القرآن بغير علم، وأكد أن وعيدا ورد في حق من يقول في القرآن برأيه بعد أن ثبت قول الرسول صلى الله عليه وسلم فيه، وإن أصاب القائل الحق في مقولته، وعلل إصابة القول من مثله بأنها إصابة خارص ظان ليس موقن، والظان قائل على الله ما لم يعلم.

وأوضح أن ما ذهب إليه هو مراده صلى الله عليه وسلم من قوله: * «من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ». وخطأه هو فعله من القول على الله بغير علم.

7- ذكر الأخبار التي رويت في الحض على العلم بتفسير القرآن و من كان يفسره من الصحابة:

انتهى بنا المصنف في النوع السابق إلى تأثيم من تقول على الله، فقال

في القرآن برأيه بغير علم و لم يتتبع الوارد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولأنه صلى الله عليه وسلم لم يفسر القرآن كله، بل «فسر آيا بعدد علمه إياهنّ جبريل»، كما ورد ذلك عن السيدة عائشة- رضي الله عنها- و لكون المصنف ذكر من أقسام التفسير ما يعلمه كل ذي علم باللسان العربي، فقد كان من اللزوم أن يزيل المصنف ما قد يحصل من التباس و تعارض، و لهذا خص هذا النوع لذكر الأخبار التي رويت في الحض على التفسير و إعمال الفكر لفهم مراد الله العظيم، و ذكر المبرزين من الصحابة في هذا الشأن.

بدأه بذكر الأخبار المروية، و أنهاه بفساد قول من أنكر تفسير المفسرين فيما لم يحجب عن الخلق تأويله، و بين البداية و النهاية أكد أن معرفة تأويل آي القرآن واجبة على الأمة، فقد حثّ سبحانه على ذلك، و أمر عباده بالاعتناض بأمثال القرآن و الاعتبار بها، و الاعتناض و الاعتبار لا يكون إلا عن طريق معرفة تأويل ما لم يحجب عنهم، لأنه محال أن يقال لمن لا يفهم ما يقال له و لا يعقله: اعتبر بما قيل لك.

و إذا كان ذلك كذلك علم أنه سبحانه لم يأمر عباده بتدبر كلامه، و يحثهم على تفهم معانيه إلا و هم بما يدلهم عليه عالمون، و منه صح أنهم بتأويل ما لم يحجب عنهم علمه من آية عارفون.

و بهذا جوّز المصنف التفسير بالرأي على ما بينه، و لأنه تبقى بعض الآثار التي تفيد ظاهرها خلاف ما أقره المصنف هنا، خص لذلك النوع التالي، و هو:

8- ذكر الأخبار التي غلط في تأويلها منكر و القول في القرآن:

بعد أن سوغ المصنف التفسير بالرأي المبني على القواعد، وأثبت ذلك نقلا، وبين ضرورته عقلا، انتقل ليزيل الالتباس، ويوضح تلك الآثار التي تدل على إحجام ثلة من الصحابة والتابعين - رضي الله عنهم - عن القول في القرآن وتفسيره بالرأي، وتؤكد وقوفهم عند المأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوجه الآثار، وخرج الأقوال، وبين المراد منها، وعلل أن إحجام من أحجم عن خوض هذا الميدان إنما هو إحجام حذر أن لا يبلغ أداء ما كلف من إصابة صواب القول فيه، لا على أن تأويل ذلك محبوب عن علماء الأمة، غير موجود بين أظهرهم، تماما كإحجام بعض التابعين عن الفتيا في النوازل والحوادث، مع إقراره بأن الله جل ثناؤه لم يقبض نبيه إليه إلا بعد إكمال الدين لعباده، وعلمه بأن لله في كل نازلة وحادثة حكما موجودا بنص أو دلالة.

وهكذا استند المصنف في بيانه هذا إلى المنقول من الأثر، والمعقول من صريح الرأي.

9- ذكر الأخبار عن بعض السلف فيمن كان من قدماء المفسرين محمودا علمه بالتفسير، و من كان منهم مذموما علمه به:

عرف بالتفسير من المتقدمين صنفان:

صنف نقل عنه التفسير المحمود المقبول المعتمد على القواعد

ص: 288

و الأصول، و الصادر عن علم و دراية، مثل ابن عباس و مجاهد.

و صنف أقحم نفسه هذا الميدان و ليس له فيه ناقة و لا جمل، فهذر و تقوّل حتى نقل عنه المذموم المستنكر، مثل باذام (1) و السدي.

ذكر ابن جرير - رحمه الله - في هذا النوع نتفا من أخبار الصنفين المذكورين، روى الأخبار بإسناده، و أكد ما سبق أن يئنه من وجوه تأويل القرآن، موضحا أن أحق الناس بالتفسير و إصابة الحق أوضحهم حجة فيما تأوّل و فسّر، مبينا أن وضوح الحجة يكون من جهتين:

الأولى: معرفته بالثابت عنه صلى الله عليه و سلم من أي جهة كان ثبوته (2).

الثانية: معرفته باللسان من جهة علمه بالشواهد من الأشعار، و منطق العرب و لغاتهم المعروفة.

مؤكد أن من كانت هذه صفته كان تفسيره معتمدا لا يخرج عن تفسير الصحابة و التابعين.ه.

ص: 289

1- هو باذام، و قيل: باذان، أبو صالح مولى أم هانئ بنت أبي طالب، قال ابن معين: ليس به بأس. و قال أبو حاتم: يكتب حديثه و لا يحتج به. و قال النسائي: ليس بثقة. ذكره البخاري فيمن توفي بين سنة (90-100 هـ). انظر: تهذيب الكمال للمزي: 6/4- و تاريخ البخاري الكبير: 444/1/2.

2- كالنقل المستفيض، و النقل عن العدول و الأثبات، أو من جهة الدلالة المنصوبة على صحته.

10- القول في تأويل أسماء القرآن و سوره و آية:

أورد المصنف في هذا النوع الأسماء التي سُمي المنزل سبحانه بها تنزيله، فذكر «القرآن» و «الفرقان» و «الكتاب» و «الذكر»، كما ذكر لكل تسمية دليلها من كتاب الله، ووجه التسمية من كلام العرب، و الخلف في ذلك.

انتقل بعدها لعرض أسماء سور القرآن التي سماها بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، و عرض الآثار الواردة في ذلك، و توجيه تلك الأسماء و معانيها في كلام العرب، كتسميته صلى الله عليه وسلم بعض السور بالمفصل و المئين و السبع المثاني و غيرها.

و ثلث الحديث ببيان معنى السورة في اللغة، ثم أصل الاشتقاق، و المعنى على كل أصل، مدعماً قوله بكلام العرب و أشعارها.

و أخيراً بيّن معنى الآية في اللغة و ما تحمله من وجوه.

و بهذا الموضوع ختم ابن جرير مقدماته، لبدأ بمقدمات سورة الفاتحة، أول سورة في الترتيب العثماني.

رابعاً- منهج ابن جرير في مقدمته:

أوضح ابن جرير السمات الأساسية لمنهجه حين ذكر في مقدمته أنه مقبل على إنشاء كتاب في شرح القرآن و تأويله، و بيان معانيه، مبيناً أن منهجه فيه هو بيان ما اتفق عليه العلماء و ما اختلفوا فيه، و ذكر أدلة كل

مذهب مع بيان الصحيح منه والسقيم، بعبارة موجزة، واختصار غير مخلّ.

وهو نهج قويم لو التزمه المصنف وسار عليه باطراد، غير أن المتابع يلحظ أن المؤلف يخلّ بنهجه من حين لآخر، وإن كان هذا الإخلال في التفسير أكثر منه في المقدمة، التي التزم فيها إلى حد كبير بما ذكره، ولعل الإطالة في ذكر طرق بعض الروايات في أحيان كثيرة، وعدم بيان درجة كثير من الآثار خير شاهد على هذا الأمر، ولست أزعج وحدة المنهج بين المقدمة وصلب التفسير إلا في كليات المنهج، أما في الجزئيات فالفرق والتباين بين طبيعة الموضوعين يستدعي الاختلاف في نهج المعالجة.

هذا وقد جاءت مقدمة الطبري بمقدماته العشر، كمقدمة واحدة، وهو أمر أراداه المصنف، فقد ربط كل مقدمة بالتالي قبلها، وصلها بالتالي تليها، وعلى المتقدم بنى المتأخر (1)، وهو نهج اتبعه ابن جرير - يرحمه الله - حتى ضمن النوع الواحد، فإن انتصر لفكرة أو رأي، سعى لإثبات ذلك منطقياً، ينطلق من أمر هو من البدهيات، ثم يتدرج في الجزئيات، كل جزئية تكون نتيجة للتالي قبلها، حتى إذا اكتمل العقد صرّح المصنف بمراده، وأظهر ما أضمره ويريد لإثباته، ويمكن ضرب المثل على هذا المنهج بالمقدمة الأولى.

فلكي يثبت المصنف أن القرآن الكريم نزل على أساليب كلام العرب ومعانيها، بين أولاً أن من أعظم نعم الله على عباده ما منحهم من فضلة.

ص: 291

1- انظر امثلة ذلك في الصفحات: 13-21-73 من المقدمة.

البيان الذي به يعبرون عن ما في صدورهم، وأنهم في هذا البيان متفاوتون، ما بين خطيب مسهب و عي لا يبين، وأن أعلى مراتب البيان أيّنه عن مراد قائله، وأبلغه عن حاجة المبين عن نفسه، وأقربه إلى فهم سامعه، فإن تجاوز هذا المقدار، وعجز أن يأتي بمثله العباد كان حجة وعلما للرسول.

وعلى ذلك بين أن القرآن هو في أعلى درجات البيان لأنه تعالى تحدى به قوما كانوا رؤساء الفصاحة، وقيل: الشعر والسجع والكهانة، فأقروا بالعجز وأذعنوا بالتصديق، فكان فضل كلام الله على كلام غيره كفضله جلّ و علا على عباده.

وإذا كان الأمر كذلك، فإن من خاطب غيره بما لا يفهمه لم يكن مبينا عن نفسه، وعليه بنى المصنف استحالة مخاطبة الله جلا و علا أحدا، من خلقه بما لا يفهم، أو إرساله رسولا لقوم لا يفهمون خطابه، إذ إن ذلك لا يوجب فائدة، وهو أمر يستحيل على الله سبحانه، وعلى ذلك فكل رسول أرسل بلسان قومه، و كل كتاب أنزل بلسان من نزل عليه، وعليه فالقرآن الكريم نزل بلسان محمد صلى الله عليه وسلم، فبين أن القرآن عربي.

ويستوجب ذلك أن تكون معاني كتاب الله تعالى المنزّل على محمد صلى الله عليه وسلم لمعاني كلام العرب موافقة، و ظاهره لظاهر كلامها ملائم. (1)

ولطول باع ابن جرير، و تمكنه في فنون العلم المتنوعة، فإن كل ما يملية.

ص: 292

1- انظر الصفحات: 8-12 من المقدمة.

يؤيده بالأدلة والحجج، فيستشهد بالآيات والأحاديث والآثار واللغة والشعر، فإن كانت طويلة أو عديدة أحال القارئ إلى موطنها من صلب التفسير، أو اعتذر عن ذكرها خشية الإطالة والسآمة، مصرحاً بذلك من حين لآخر. (1)

يبدأ ابن جرير حديثه عن الموضوع الذي هو بصدد بيان القول فيه بذكر الروايات والآثار، ثم يعقب بالمناقشات وبيان الآراء والاتجاهات، ثم الرد على المخالفين، والتصريح برأيه. (2)

ولعل أظهر سمة لمنهج ابن جرير في مقدمته هو ما عمد إليه في عرض الموضوعات والمناقشات بأسلوب علمي هادئ يكفي القارئ مؤنة السؤال والاستفسار، فللوصول إلى بيان الفكرة التي يريد إثباتها، يطرح المصنف سؤالاً على لسان قائل، ثم يجيب عنه، أو يورد معضلة أو إشكالا يعقبه بالتوضيح المدعوم بالأدلة، وهذا الفن هو ما يسمى بفن (الفنقلة) (3)، وهو أسلوب جيد يربط القارئ بالنص ويشده إليه، وبعده عنه السآمة والملل، يلجأ إليه كثيرون في حل المسائل العويصة والطويلة المملة. (4)

ص: 293

1- انظر مثال ذلك الصفحات: 14-15.

2- انظر مثال ذلك الصفحات: 16-17-19-57.

3- أي المراد: إن قيل: .. قلت: ..

4- انظر الصفحات: 15-16-21-47-55-59.

و من منهج ابن جرير يرحمه الله يضيف إلى أدلته العقلية أدلة عقلية قوية، فيجمع بذلك بين العقل و النقل في مناقشاته، و هو منهج قوي و يزيد القارئ قناعة، و يلزم على المصنفين نهجه إن كان الموضوع محلاً لذلك، و إلا بقي في نفس القارئ ما قد يضعف الاقتناع، و الأمثلة على هذا المنهج عديدة (1).

و المستغرب في منهج المصنف أنه لا يعين القائل عند ذكره للأقوال، و لا ينسب الآراء أثناء مناقشاته، بل يكتفي بقوله: فإن قال لنا قائل. أو بقوله: قال بعض من خفت معرفته. أو قوله: قال جماعة. إلى غير ذلك من العبارات التي لا تبين القائل. (2)

و إذا ارتضينا بعدم تعيين المصنف للقائل عند إيراد الإشكالات، و قلنا: إنه أسلوب كتابي يقصد منه التوضيح بعد إيراد اعتراض يورده الكاتب على نفسه، لعلمه أن ذلك قد يورد في ذهن القارئ، فإننا لا نرتضي ذلك للمصنف في الحالات التي ينبغي بل يتعين فيها تعيين القائل، فمن حق أولئك أن يعينوا و يذكروا، حتى يعرفوا و حتى يوثق القارئ بالمعلومة و يطمئن إليها، و يتأكد منها، ثم إن من بركة العلم أن يضاف القول إلى قائله. هذا و الله أعلم.

ص: 294

1- انظر الصفحات: 48-49-50-82-83.

2- انظر الصفحات: 47-64-65-103.

خامسا: مصادر المؤلف:

لم يذكر الطبري في مقدمته التي بلغت مائة وست صفحات مصدرا واحدا من مصادره، ولا صرح باسم قائل خلا أولئك الذين يذكروهم في أسانيد الروايات، وكان من حق القارئ على المصنف أن يذكر مصدر معلوماته، وأن يحيل القارئ إلى مظان تلك المعلومات، بأن يذكر بعض من ألف في الموضوع الذي يريد طرقة ليرشد من أراد التوسع إلى منابعه، وهو ما تقطن له كثير من المصنفين، من أقران المصنف و من المتأخرين، فصنّعه هذا إذا ليس عائدا إلى منهجية التأليف زمن المصنف كما يرى بعض الباحثين.

سادسا: أهم مزايا مقدمة ابن جرير:

أومات قبل أن الريادة في أي فن من الفنون لا بد أن تترك جوانب نقص، يأتي المتأخر فيكمل ويضيف ويتم حتى يستوي على سوقه، و تبقى المزية والفضل للرائد الذي بذر البذرة، ووضع الأساس، وعلى هذا كان من أهم مزايا مقدمة ابن جرير هو الريادة بوضع مقدمة تضم علومها يحتاج إليها المفسر، كما يحتاج إليها القارئ للتفسير، فلم يسبقه فيما أعلم في هذا المجال أحد، إلى جانب مزايا أخرى امتاز بها المصنف:

(1) حسن الترتيب والتبويب، حيث تدرّج المصنف في ذكر العلوم بأن بنى كل علم على الذي قبله.

ص: 295

(2) احتكام المصنف إلى الرواية أصلاً وأساساً في تصويب الآراء.

(3) إيراد المصنف للإشكالات التي قد ترد على المسألة بشكل تفصيلي، والرد عليها تفصيلاً نقلاً وعقلاً.

سابعاً: أظهر المآخذ على المقدمة:

فلعل أكثر ما يؤخذ على المصنف في مقدمته:

(1) هو عدم ذكره لموضوعات تعد من أهم ما يجب على قارئ علم التفسير الاطلاع عليه، وللمفسر الإمام به، لتتم الفائدة ويكتمل المقصود، كعلم المكي والمدني و علم الناسخ والمنسوخ وغير ذلك.

(2) إغفال المصنف لكثير من العلوم التي تدخل تحت مسمى أصول التفسير.

(3) ومن المآخذ: التطويل بإيراد الطرق العديدة لإفادة معنى واحد.

(4) الإكثار من الأدلة في المسألة الواحدة.

(5) عدم بيان درجة كثير من الروايات. والله أعلم.

ص: 296

3- تفسير القرآن العظيم لأبي الليث نصر بن محمد السمرقندي المتوفى سنة (373 هـ)

أولاً: التعريف بالمؤلف:

إشارة

مصنف هذا التفسير هو إمام الهدى، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد ابن إبراهيم السمرقندي البلخي (1) المولود بسمرقند (2) من خراسان.

لم تذكر المصادر سنة ولادته، وإن كان بعضهم قد أشار أنه عاش قريباً من سبعين عاماً، و لكون وفاته كانت عام (373 هـ) على الراجح يتبين من ذلك أنه ولد في مطلع القرن الرابع الهجري، والله أعلم. (3)

تربى أبو الليث في أسرة مغمورة لم تعرف بالعلم، وإن كان والده من المحبين لمجالس العلماء، فقد روى الابن بعض المرويات عن أبيه خاصة تلك المتعلقة بالوعظ، وقد استطاع الوالد أن يدفع بولده إلى مجالس العلم حتى حقق ما حققه من تقدم في العلوم والفنون، ساعده في ذلك أن أبا الليث

ص: 297

1- انظر: الجواهر المضوية للقرشي: 3/ 544- و تاج التراجم لابن قطلوبغا: 310.

2- سمرقند بلد مشهور من خراسان، قيل: من أبنية ذي القرنين بما وراء النهر. انظر: معجم البلدان لياقوت: 3/ 246.

3- انظر: تفسير القرآن الكريم لأبي الليث، تحقيق عبد الرحيم الزقة: 1/ 49.

عاش في فترة انتشرت فيها العلوم انتشارا عظيما، بالرغم من الحالة السياسية المضطربة التي شهدتها خراسان و سائر البلاد الإسلامية، فالسامانيون (1) الذين كانوا يحكمون سمرقند، كانوا يكرمون أهل العلم و يقربونهم، و يحثون الطلبة بشتى الوسائل إلى التعمق و النبوغ في العلوم، فتحوا لذلك معاهد العلم، و ازدهرت المكتبات، و نسخت المصنفات و توزعت، حتى كان هذا الإقليم من أجل الأقاليم و أكثرها أجلة و علماء. (2)

عاش السمرقندي بدايات حياته في هذا الجو المفعم بالنشاط العلمي، و إكرام أهل العلم و ذويه، و رغم ذلك لم تذكر كتب التراجم غير أبي جعفر الهنداوي المتوفى (362 هـ) شيخا لأبي الليث. و كان الهنداوي و اسمه محمد ابن عبد الله إماما في عصره و على جانب عظيم من الفقه و الذكاء و الزهد و الورع (3).

ص: 298

-
- 1- السامانيون نسبة إلى (سامان الفارسي)، و هو جد الأسرة السامانية، أسلم في أواخر العهد الأموي، و هو من أصل فارسي. انظر: اللباب لابن الأثير: 524 /2، و تاريخ الإسلام السياسي و الديني و الثقافي لحسن إبراهيم: 71 /3.
 - 2- انظر: اللباب لابن الأثير: 524 /2- و تاريخ الإسلام السياسي و الديني و الثقافي لحسن إبراهيم: 332 /3- 334.
 - 3- انظر: الجواهر المضية للقرشي: 192 /3 و 544- و تاج التراجم لابن قطلوبغا: 264 و 310- و الفوائد البهية: 179- و مفتاح السعادة لكبرى زاده: 277 /2، و الشذرات لابن العماد: 41 /3.

كما توصل بعض الباحثين (1) إلى معرفة أسماء عدد من شيوخ أبي الليث وذلك بتتبع مصنفاته، أذكر منهم:

الحاكم أبو الفضل محمد بن الحسين بن محمد الحدادي (2)، و الخليل بن أحمد السجزي (3)، هذا إضافة إلى والده وغيره من أهل العلم.

وقد استفاد أبو الليث من تلك الكوكبة استفادة عظيمة، فتكونت لديه منذ الصبا ملكة البحث و التحقيق، حتى غدا علما يشار إليه في الفقه و التفسير و الوعظ، فعرف بإمام الهدى، و لقب بالفقيه حتى أصبح هذا اللقب ملازما له، فلا يذكر إلا به.

أما تلامذة أبي الليث فقد اقتصدت المصادر بذكرهم أيضا، و منهم أبو عبد الله

ص: 299

1- هو الزميل / صالح يحيى صواب، انظر تحقيقه لتفسير أبي الليث: 20/1.

2- انظر: تنبيه الغافلين لأبي الليث: 81. و الحدادي هو محمد بن الحسين بن محمد بن مهراڻ المرزوي الحدادي، شيخ مروفي الحديث و الفقه و الفتيا، توفي (388 هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 470/16- الجواهر المضية للقرشي: 144/3.

3- انظر: تنبيه الغافلين لأبي الليث: 88 و السجزي هو الخليل بن أحمد بن محمد السجزي، شيخ أهل الرأي في زمانه، و من أعظم الناس كلاما في الوعظ، توفي (378 هـ). انظر: تاج التراجم لابن قطلوبغا: 167- و سير أعلام النبلاء للذهبي: 437/16- و الجواهر المضية للقرشي: 178/2.

طاهر بن محمد بن أحمد الحدادي صاحب عيون المجالس (1)، و لقمان بن حكيم الفرغاني (2)، وقد أخذ هؤلاء وغيرهم العلم عن المصنف كما أخذوا عن مصنفاته، حيث اشتهرت مؤلفاته حتى نعته القرشي (3) في جواهره بقوله: هو الإمام الكبير صاحب الأقوال المفيدة، و التصانيف المشهورة (4).

و الذي يظهر أن المصنف اشتغل بالتأليف دهرا من الزمن، و ترك ثروة علمية ضخمة بلغت في تعداد بعضهم (5) أكثر من ثلاثين تصنيفا في فنون العلم المتعددة، أذكر منها:

خزانة الفقه (مطبوع)، و مختلف الرواية في الخلافات (قدمت رسالة علمية في جامعة الإمام كلية الشريعة)، و عيون المسائل في الفروع (مطبوع)،

ص: 300

-
- 1- انظر: الأنساب للسمعاني: 81 / 4- و تفسير القرآن لأبي الليث (رسالة علمية)، تحقيق/ صالح صواب: 22 / 1.
 - 2- انظر: الجواهر المضية للقرشي: 718 / 2- و تفسير القرآن لأبي الليث (رسالة علمية)، تحقيق صالح صواب: 22 / 1- و ينظر تفسير القرآن الكريم لأبي الليث، تحقيق عبد الرحيم الزقة (مطبوع): 53 / 1- 66.
 - 3- هو عبد القادر بن محمد بن محمد بن نصر الله القرشي، فقيه ماهر، عنى بالطلب و كتب كثيرا، جمع طبقات الحنيفة، و خرج أحاديث الهداية، توفي (775 هـ). انظر: الدرر الكامنة لابن حجر: 392 / 2- و شذرات الذهب لابن العماد: 238 / 6.
 - 4- انظر الجواهر المضية للقرشي: 544 / 3.
 - 5- انظر: تفسير القرآن لأبي الليث (رسالة علمية) تحقيق صالح صواب: 27 / 1.

ورسالة في أصول الدين، و تنبيه الغافلين (مطبوع)، قرة العيون و مفرح القلب المحزون (مطبوع). و غيرها من التأليف المفيدة. (1)

وفاته:

اتفق المترجمون لأبي الليث أنه توفي ليلة الثلاثاء الحادي عشر من شهر جمادى الثانية، و اختلفوا في تحديد العام الذي توفي فيه، و الراجح أنه عام (373 هـ) (2) لكونه يوافق الحادي عشر من شهر جمادى الثانية في سنة (373 هـ) دون غيرها من السنوات المذكورة. (3)

ثانيا: التعريف بالتفسير و المقدمة:

ص: 301

-
- 1- انظر: تاج التراجم لابن قطلوبغا: 310- و الجواهر المضوية للقرشي: 3/ 545- و كشف الظنون لحاجي خليفة: 1/ 487- 703- 1183- و مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده: 2/ 277.
 - 2- انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، 16/ 322- و الجواهر المضوية للقرشي: 3/ 545- و الفوائد البهية: 220- و كشف الظنون لحاجي خليفة: 1/ 243- و مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده: 2/ 278.
 - 3- انظر: تفسير القرآن لأبي الليث (رسالة علمية)، تحقيق صالح صواب: 1/ 18. و ينظر للمزيد في ترجمته: الأعلام للزركلي: 8/ 27- و تاج التراجم لابن قطلوبغا: 310- و التفسير و المفسرون للذهبي: 1/ 225- و الجواهر المضوية في تراجم الحنفية للقرشي: 3/ 544- و سير أعلام النبلاء للذهبي: 16/ 322- و طبقات المفسرين للداودي: 2/ 346- و الفوائد البهية: 220- و كشف الظنون لحاجي خليفة: 1/ 441- و معجم المؤلفين لرضا كحالة: 13/ 91- و مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده: 2/ 277- و هدية العارفين للبغدادي: 6/ 490.

لقي هذا التفسير الاهتمام والعناية منذ عهد قديم، حين ترجمه إلى التركية ابن عريشاه الحنفي (1)، وحين خرّج أحاديثه الشيخ زين الدين قاسم بن قطلوبغا الحنفي (2) (3).

وقد اختلف في عنوانه، فذهب بعضهم إلى تسميته (بحر العلوم) وهو العنوان الذي اشتهر به، و حملته النسخة المطبوعة من التفسير، غير أنه ترجح لدى ثلثة من المعنيين بهذا التفسير والمشتغلين به، أن هذه التسمية وردت خطأ على بعض نسخ الكتاب المخطوط، وهو من عمل المتأخرين، فبحر العلوم تفسير لسمرقندي آخر غير أبي الليث، ورأى هؤلاء أن الصحيح هو أن يقال: (تفسير القرآن لأبي الليث السمرقندي) أو نحو ذلك. (4)

ص: 302

1- هو أحمد بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم، المعروف بابن عريشاه، مؤرخ له اشتغال بالأدب، كان مجيدا للعربية والفارسية والتركية، ترجم بعض المصنفات، له منتهى الأرب في لغات الترك والعجم والعرب، توفي (854 هـ). انظر شذرات الذهب لابن عماد: 280/7- و البدر الطالع للشوكاني: 109/1.

2- هو قاسم بن قطلوبغا بن عبد الله المصري الحنفي، عالم متفنن أثنى عليه مشايخه، سما في العلم وانتشر صيته، له تاج التراجم وغيره، توفي (879 هـ). انظر: شذرات الذهب لابن عماد: 326/7- و البدر الطالع للشوكاني: 45/2.

3- انظر: البدر الطالع للشوكاني: 110/1- وكشف الظنون لحاجي خليفة: 441/1.

4- حول تسمية الكتاب انظر: تفسير القرآن الكريم لأبي الليث، تحقيق عبد الرحيم الزقة (مطبوع): 92/1- و تفسير القرآن لأبي الليث تحقيق: الشيخ صالح يحيى صواب: 34/1، والأعلام للزركلي: 28/8.

يعدّ تفسير أبي الليث مصدرا من مصادر التفسير بالمأثور حيث اعتمد المصنف تفسير القرآن بالقرآن، ثم بالسنة، ثم بأقوال الصحابة و التابعين، كما أورد أقوال أهل العلم السابقين، وأعمل الرأي واجتهد في تفسير بعض الآيات، وبين رأيه غير أن اعتماده المأثور كان الغالب، وبالرغم من أن أبا الليث لم يذكر تفسير ابن جرير في تفسيره غير أنه سلك المسلك نفسه في نقل المأثور من الروايات والأقوال، وإن كان ابن جرير قد ساق ذلك بأسانيده فحصر تفسيره على المختصين، بخلاف أبي الليث الذي حذف الأسانيد فجعله للعامّة والخاصة.

وكما أفاد ابن جرير من اللغة وجهود أهلها في بيان المعاني والتراكيب كذلك أفاد أبو الليث، فاعتمد كثيرا على الزجاج والفراء وابن قتيبة وغيرهم.

كما أولى المصنف اهتماما بالقراءات القرآنية، ومعاني القرآن وإعرابه، وأحكام القرآن، والمغازي والسير، والوعظ، والزهد، والحكم.

وطريقة أبي الليث أنه يفسر القرآن بالجزء، ويسرد الأقوال في بيان المعاني، ولكنه نادرا ما يرجح بين الأقوال، وقليل ما يذكر اختياره.

وبالرغم من تأثر بعض الأعلام بالمصنف، والنقل عنه، واعتماده أقواله، كالقاضي عياض (1)، والكرماني (2)، والقرطبي ت (671 هـ)،

ص: 303

1- هو عياض بن موسى بن عياض بن عمرو واليحصبي، إمام في الحديث وعلومه، والنحو واللغة، وأيام العرب وأنسابها، تصانيفه عديدة منها المدارك، توفي (544 هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 20/212- والبداية والنهاية لابن كثير: 12/225.

2- هو محمود بن حمزة بن نصر الكرماني، المعروف بتاج القراء، له تفسير فيه آراء مستكرة، توفي (505 هـ). انظر: بغية الوعاة للسيوطي: 2/277- وطبقات المفسرين للداودي: 2/312.

و السيوطي ت (911 هـ) و البرسوي ت (1127) (1) وغيرهم، فإنه يؤخذ على هذا التفسير مأخذ عديدة أشار إليها المشتغلون به (2)، من أهمها الركافة في العبارة، و الضعف في التعبير، الذي ظهر في مواطن عديدة منه، و الإسهاب و الاستطراد في سرد الحكاية التي لا فائدة منها، إضافة إلى اعتماده بعض الأحاديث الضعيفة.

وقد جاءت مقدمة أبي الليث قصيرة موجزة، أشار المصنف فيها لمسألتين فقط، الأولى في بيان الحاجة إلى علم التفسير، و الأخرى في إباحة التفسير بالرأي المبني على وجوه اللغة و أحوال التنزيل، و استدل على ما ذهب إليه ببعض الآثار روى بعضها بسنده.

وقد طبعت المقدمة ثلاث طبعات، الأولى منها نسخت على الآلة الكاتبة، و قدمت رسالة علمية من (أول الكتاب إلى نهاية سورة الأنعام)،

ص: 304

1- هو إسماعيل حقي بن مصطفى الإسلامبولي الحنفي، تركي مستعرب، له روح البيان في التفسير، توفي (1127 هـ) انظر: الأعلام للزركلي: 313/1.

2- انظر: تفسير القرآن لأبي الليث (رسالة علمية)، تحقيق صالح صواب: 73/1.

إلى جامعة القاهرة، كلية دار العلوم عام 1983 م، نال بها الباحث عبد الرحيم أحمد الزقة، درجة الدكتوراة.

ثم طبعت بمطبعة الإرشاد في بغداد عام 1405 هـ 1985 م، الطبعة الأولى في ثلاثة مجلدات.

و الطبعة الأخرى أيضا نسخت على الآلة الكاتبة مع سورتي الفاتحة و البقرة، قدمت رسالة علمية إلى كلية أصول الدين، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، نال بها الباحث الدكتور/ محمد آل عبد القادر درجة الدكتوراة في القرآن و علومه.

و طبعت طبعة ثالثة و ظهرت كاملة غير منقوصة، في ثلاثة مجلدات، و صدرت عن دار الكتب العربية في بيروت، عام 1413 هـ، بتحقيق علي محمد عوض و عادل أحمد عبد الموجود، و زكريا عبد المجيد النوتي.

ثالثا: عرض موضوعات المقدمة:

على غير عادة المفسرين الذين يستهلون تفاسيرهم بخطبة موجزة يثنون فيها على المنعم الذي جعلهم من أهل القرآن، و وفقهم للتأليف في تفسيره، كما يبينون مناهجهم و مصادرهم و الباعث على التأليف و غير ذلك قبل الشروع في المقدمة التي تخصص في العادة للبحث في بعض المسائل الهامة للمفسر، على غير هذا النهج استهل أبو الليث مقدمته بسرد شيء من الآيات و الآثار التي تحث على طلب علم التفسير، و تبين مدى الحاجة

إليه لمن أراد فهم مراد الله تعالى، ليقدر بذلك أن طلب التفسير والتأويل واجب ما دام أنه تعالى أنذرهم بهذا الوحي وأوجي إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ [الأنعام: 19].

وليس معنى هذا أن لكل أحد أن يطرق باب التفسير من ذات نفسه برأيه، بل من اللزوم معرفة وجوه اللغة وأحوال التنزيل، فقد ورد التحذير الشديد من الشارع في حق من يقدم على مثل ذلك، وروى المصنف في هذا المعنى بعض الآثار التي تبين تحرج جماعة من الصحابة من القول في القرآن بالرأي. وبه ختم المقدمة، ليشرع في تفسير البسمة فالفاتحة.

ص: 306

4- النكت و العيون في تأويل القرآن الكريم لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري المتوفى سنة (450 هـ)

أولاً: التعريف بالمؤلف:

إشارة

مصنف هذا التفسير هو أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري (1). و الماوردي بفتح الميم و الواو و سكون الراء في آخرها دال مهملة نسبة إلى بيع الماورد و عمله. (2) و البصري نسبة إلى موطنه.

عاش الماوردي ستة و ثمانين عاماً، و لم يذكر المترجمون تاريخ ميلاده، غير أن حسم هذا العمر من سنة الوفاة الذي هو عام (450 هـ) يوضح لنا أنه ولد عام (364 هـ). (3)

تربى الماوردي في موطنه البصرة، في أسرة يغلب عليها الاهتمام بالعلم، و تلقى تعليمه الأولي برعاية والده الذي دفعه إلى حلقات العلم، و كانت البصرة في عهده مركزاً للعلم و الحضارة، و على درجة عالية من

ص: 307

1- انظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي: 267/5- و معجم الأدباء لياقوت: 52/15- و شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي: 3/285.

2- انظر: الأنساب للسمعاني: 181/5- و شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي: 287/3.

3- انظر: تاريخ بغداد للخطيب: 102/12- و طبقات المفسرين للداودي: 429/1- و انظر ما كتبه أستاذي الدكتور محمد بن عبد الرحمن الشائع في مقدمة تحقيقه للنكت و العيون: 8/1.

التقدم العلمي والحضاري، وهو السر الذي دفع قوافل طلبة العلم التوجه إليها، وكانت الثانية بعد بغداد، وحين استكمل البدايات، وتقدم في التحصيل، وتضلع من ينابيع البصرة العلمية، وجه النظر إلى بغداد، العاصمة العلمية، فشد الرحال وودع الأهل لينضم إلى حلقات العلم هناك، ولينتظم بها، وما أن أخذ مكانه، حتى انكبّ على الدرس والمطالعة في جو مفعم بالحركة والنشاط والحيوية، وزاحم مئات الطلبة في مدينة تعجّ بأهل العلم، علماء ومتعلمين، في زمن كان لأهل العلم عامة والعلم الشرعي على الخصوص مكانتهم ومنزلتهم و تقديرهم الخاص، حتى كان السلاطين والأمراء يتباهون بأصحاب العمائم في مجالسهم، ويقربونهم ويغدقون عليهم العطايا والهبات، و قلّمًا يردون أحكامهم.

وظل الشيخ ينتقل في هذا الخضم الهائل من أهل العلم من عالم إلى آخر حتى حصل غايته، ونال مبتغاه، وتخرّج على أيدي ثلّة من أولئك المبرزين في علوم عديدة، فقدم للتدريس، وقرر العودة إلى موطنه معلما بعد أن كان تركها طالب علم، وتصدّر للتدريس هناك مدة ثم عاد الكرّة إلى بغداد ليستقر به المقام، دون أن يغادره الشوق والحنين إلى مراتع الصبا، وكانت المراسلات بينه وبين أحبته هناك تسد مسد الرؤية.

بقي في بغداد مدرسا ففاضيا ثم أفضى القضاة، وانكبّ على التأليف والتصنيف حتى اشتهر صيته وذاع اسمه، و انتهت إليه رئاسة وإمامة

لقي الماوردي تقديرا وإكراما واضحين من أهل عصره، لما امتاز به يرحمه الله من علو الهمة وطول الباع في العلوم والمعارف، ولما عرف به من الوقار والأدب، يقول السبكي: كان إماما جليلا رفيع الشأن، له اليد الباسطة في المذهب، و المتفنن في سائر العلوم. (2)

ويقول ابن كثير: كان حليما وقورا أديبا. (3) و يقول تلميذه ابن خيرون (4): كان رجلا عظيم القدر، متقدما عند السلطان، أحد الأئمة، له التصانيف الحسان في كل فن من العلم. (5)

و حين يصف عبد الملك الهمداني (6) و هو تلميذ له أدبه الجم و حياؤه

ص: 309

1- انظر: تاريخ بغداد للخطيب: 102/12- و طبقات الشافعية الكبرى للسبكي: 267/5-269- و شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي: 285/3-287.

2- انظر طبقات الشافعية الكبرى للسبكي: 268/5.

3- انظر البداية و النهاية لابن كثير: 80/12.

4- هو أحمد بن الحسن بن خيرون، المعروف بابن الباقلاني، محدث بغداد، كان ثقة عدلا واسع الرواية، توفي (488 هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 105/19- و لسان الميزان لابن حجر: 155/1.

5- انظر طبقات الشافعية الكبرى للسبكي: 268/5- و شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي: 286/3.

6- هو عبد الملك بن إبراهيم بن أحمد الهمداني، عرف عنه العلم بالفرائض و القسمة و التركات، عرض عليه القضاء فامتنع، توفي (489 هـ). انظر: طبقات السبكي: 162/5- و سير أعلام النبلاء للذهبي: 31/19.

وقاره يقول: لم أر أوقر منه، ولم أسمع منه مضحكة قط، ولا رأيت ذراعه منذ صحبته إلى أن فارق الدنيا. (1)

وقد عرف عن الماوردي إلى جانب الرسوخ في العلم، الجراءة في قول الحق و الصراحة فيه فهو لا يخشى في الله لومة لائم، وعظيم التقدير لأهل العلم، والتواضع والبعد عن العجب بالذات، كما عرف عنه أنه كان أواباً، متى عرف الخطأ تراجع عنه، وسيرته مليئة بأخبار تحكي هذه المعاني. (2)

وأشيع عن الماوردي أنه معتزلي، يقول ببعض مقولاتهم، وأول من اتهمه بذلك ابن الصلاح (3) المحدث عفا الله عنه (4) وتبعه آخرون، وتصدى للتهمة ثلثة من أهل العلم (5)، وبقي الاتهام مدار البحث بين مثبت و نافع،

ص: 310

1- انظر: معجم الأدباء لياقوت: 54/15.

2- انظر طبقات الشافعية الكبرى للسبكي: 270/5 -272- وأدب الدنيا و الدين للمصنف: 81.

3- هو عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان الكردي الشهرزوري، المعروف بابن الصلاح، أحد فضلاء عصره في التفسير و الحديث، له معرفة أنواع علوم الحديث، توفي (643 هـ) انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان: 243/3- و سير أعلام النبلاء للذهبي: 140/23.

4- انظر طبقات الشافعية الكبرى للسبكي: 270/5.

5- انظر لسان الميزان لابن حجر: 260/4.

إلى أن جاء الأستاذ عدنان زرزور ليذهب بعيدا فيجعل تفسيره من تقاسير المعتزلة، و ليقول مقولته: و أيا ما كان الأمر فإن الماوردي وضع تفسيره على أصول المعتزلة و منهجهم في التفسير، سواء خالفهم في بعض المسائل أم لا، و سواء أ جاهر بالاعتزال أم لا، و إن كنا لا ندرى ما هو (حد) الجهر عند ابن الصلاح. (1)

و قد قيض الله للماوردي بعض أهل العلم، ردوا على الأستاذ عدنان زرزور، و بينوا أن ما قاله اتهام لا محل له من الصحة، و أنه حكم متسرع يعوزه التحقيق، و أن الماوردي و إن وافق القوم في القول بالقدر فإن ذلك لا يعني أنه معتزلي، بل غاية ما يقال فيه أن له مسائل وافق اجتهاده فيها مقالات المعتزلة، و لا ينبغي أن يطلق عليه اسم الاعتزال، كما قال ابن حجر. (2)

شيوخه و تلاميذه:

تلمذ الماوردي على خلق كثير من أهل موطنه البصرة، و مهجره بغداد، و زاحم الركب في حلقات عديدة، و من شيوخه:

ص: 311

-
- 1- انظر الحاكم الجشمي و منهجه في التفسير، للدكتور/ عدنان زرزور: 143.
 - 2- انظر: العز بن عبد السلام حياته و آثاره و منهجه في التفسير، للدكتور/ عبد الله بن إبراهيم الوهبي: 192- و انظر: ما كتبه أستاذي الدكتور محمد بن عبد الرحمن الشائع في مقدمة تحقيقه للنكت و العيون: 141/1 - 156.

أبو القاسم عبد الواحد الصميري (1)، وأبو حامد أحمد بن أبي طاهر محمد بن أحمد الأسفراييني وغيرهما.

أما الذين تلقوا العلم عن الماوردي فهم أيضا خلق كثير، فالماوردي كما علمنا من سيرته عمل بالتدريس ردحا من الزمن في البصرة و بغداد، كما أن عمله في سلك القضاء و حيازته لقب أفضى القضاة، و إسناد رئاسة و إمامة مذهب الشافعية له، جعل الطلبة يحرصون على التلقي عنه.

فمن تلامذته:

أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (2)، و علي بن سعيد العبدري ت (493 هـ) (3) وغيرهما.

ص: 312

1- هو عبد الواحد بن الحسين بن محمد القاضي الصميري، أحد أئمة الشافعية، نسبة إلى صمير أحد أنهار البصرة، من تصانيفه الإيضاح في المذهب، توفي (386 هـ). انظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي: 339/3- و معجم البلدان لياقوت: 439/3.

2- هو أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، المعروف بالخطيب، حافظ ناقد مؤرخ، مصنفاته كثيرة جدا، منها تاريخ بغداد، أطال الذهبي في ترجمته، توفي (463 هـ) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 270/18- تذكرة الحفاظ للذهبي: 317/3- و البداية و النهاية لابن كثير: 12/101.

3- هو علي بن سعيد بن عبد الرحمن بن محرز العبدري، عالم عارف باختلاف العلماء، صاحب الفتيا، توفي (493 هـ) انظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي: 257/5.

مؤلفاته:

للماوردي تصانيف حسان في كل فن، كما قال ياقوت في معجمه (1)، فهو مصنف موسوعي، وقد وصل عدد مؤلفاته إلى ثمانية عشر مؤلفاً، نذكر منها: الأحكام السلطانية، ولأهميته ترجم إلى عدد من اللغات، وهو من أشهر مصنفات المؤلف (2)، وأمثال القرآن، ويعد الماوردي أول من أفرد هذا الفن بتأليف مستقل، و الحاوي الكبير في الفقه (مطبوع)، الاقناع، وهو مختصر للحاوي، مجرد عن الأدلة، و كتاب في البيوع، وقوانين الوزارة وسياسة الملك (مطبوع)، وأدب الدنيا والدين (مطبوع). إضافة إلى تفسيره النكت والعيون، وغيرها من المصنفات. (3)

وفاته:

توفي الماوردي رحمه الله يوم الثلاثاء، آخر شهر ربيع الأول سنة 450 هـ، ودفن في بغداد، وحضر جنازته جمع غفير من أهل العلم و الريادة. (4)

ص: 313

- 1- انظر: معجم الأدباء: 54/15.
- 2- انظر: مقدمة تحقيق النكت والعيون للدكتور الشائع: 59/1.
- 3- ينظر: أدب الدنيا والدين للمصنف: 81- وطبقات المفسرين للداودي: 428/1- و شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي: 286/3- و انظر ما كتبه الدكتور الشائع عن مصنفات الماوردي في مقدمة تحقيقه للنكت والعيون: 24/1-66.
- 4- انظر: تاريخ بغداد للخطيب: 102/12. و طبقات الشافعية الكبرى للسبكي: 269/5. قد أورد فضيلة الدكتور محمد بن عبد الرحمن الشائع، في المقدمة التي قدمها بين يدي تحقيقه للنكت والعيون: 1/1-66 قائمة طويلة بالمصادر التي ترجمت للماوردي بلغت ستا و أربعين مرجعاً، نختار منها ما رجعت إليه وهي: الأنساب للسمعاني: 181/5- البداية و النهاية لابن كثير: 80/12- و تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: 102/12- و شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي: 285/3-287- و طبقات الشافعية الكبرى للسبكي: 167/5-185- و طبقات المفسرين للداودي: 427/1-429- دار الكتب العلمية- بيروت- و طبقات المفسرين للسيوطي: 71- و لسان الميزان لابن حجر: 260/4- و معجم الأدباء لياقوت الحموي: 52/15.

إشارة

حصر الأقوال، و حسن العرض، مع جمال الأسلوب، و دقة العبارة و الإيجاز، كلها نعوت تنطبع في فكر الناظر في النكت و العيون للماوردي منذ الوهلة الأولى، و هي كلها تدل على ما أوتي المصنف من قوة البيان و سلامة الفكر التي مكنته من تقديم مادة تفسيره بصورة تترك ذلك الانطباع الجميل لدى القارئ.

فالقارئ للماوردي في تفسيره لا يجد الاستطراد الذي قد يبعد بالمعاني، و ينأى بالقريب، كما هو الحال عند بعض المفسرين، مع أن المصنف قلماً يهمل قولاً ذي بال دون أن يذكره.

لقد اقتصر الماوردي في تفسيره على بيان الغامض الخفي من آيات الذكر الحكيم، دون الظاهر الجلي إذ هو مفهوم من التلاوة، جمع لبيان ذلك

أقوال أهل العلم من السلف والخلف، وأضاف ما سنج به الخاطر مما توصل إليه بإعمال الفكر، والنظر في الأدلة، متبعا لإيجاز و الاختصار في نقل الأقوال والأخبار، وعرضها بأسلوب بديع وعبارة زادت المعاني جلاء ووضوحا، دون أن يغفل عن التصريح بالقائل، أو التعقيب على الرديء المتكلف من الأقوال أحيانا كثيرة.

و اهتم المصنف في تفسيره أيضا ببيان أسباب النزول والقراءات غالبا، كما أولى الجانب اللغوي اهتماما عظيما، وخاصة الفروق اللغوية بين المفردات التي يظن أنها مترادفة، وكذا اهتم ببيان الأحكام الفقهية، واستطاع أن يعالج الأحكام معالجة قرآنية بعيدا عن الاستطرادات الفقهية، رغم أن الماوردي عرف فقيها أكثر منه مفسرا.

وقد استمد المصنف مادة تفسيره من مصادر عديدة ومتنوعة، في شتى فنون، من الأثر والمعقول. و بين في الخطبة التي قدمها بين يدي تفسيره منهجه في التصنيف فقال:

(ولما كان ظاهر الجليّ مفهوما بالتلاوة، وكان الغامض الخفيّ لا يعلم إلا من وجهين: نقل واجتهاد، جعلت كتابي هذا مقصورا على تأويل ما خفي علمه، و تفسير ما غمض تصوّره وفهمه، وجعلته جامعا بين أقاويل السلف والخلف، و موضحا عن المؤتلف والمختلف، و ذاكرا ما سنج به الخاطر من معنى يحتمل، عبّرت عنه بأنه محتمل، لتمييز ما قيل مما قلته، و يعلم ما استخرج مما استخرجته، و عدلت عمّا ظهر معناه من فحواه، علوم القرآن من خلال مقدمات التفاسير ج 1 316 ثانيا: التعريف بالتفسير والمقدمة: ص: 314

ص: 315

اكتفاء بفهم قارئه و تصوّر تاليه، ليكون أقرب مأخذاً، و أسهل مطلباً). (1)

و طريقة المصنف يرحمه الله أنه يسرد الآية أو الجزء من الآية التي هو بصدد بيان غامضه، و تأويل خفيّه، ثم يعقب ذلك بالبيان بعبارة موجزة، فإن كان هناك اختلاف بين أهل العلم في تعيين المراد، يصرّح بذلك في الغالب ثم يقول: (فيه أقوال)، أو يقول: (فيه قولان)، أو (ثلاثة أقوال) ...

و هكذا. ثم يقول: (القول الأول) و يذكره، ثم (الثاني) و يذكره .. و هكذا.

و لتفسير الماوردي أثر واضح في كثير من التفاسير التي جاءت بعده كابن الجوزي و القرطبي و أبي حيان، و غيرهم و إن كان الأول أكثرهم تأثيراً، فقد التزم منهج الماوردي و طريقته في العرض و الإيجاز.

و سبق أن أشرت إلى ما أشيع حول الماوردي من تهمة الاعتزال، و عدّ تفسيره واحداً من تفاسير القوم، و بينت أن ذلك اتهام لا يخرج التفسير من تفاسير أهل السنة بأية حال و إن وافق بعض اجتهاداته مقولات القوم.

و على العموم يستطيع المرء أن يلخص القول في هذا التفسير و يقول:

(1) إنه مختصر كامل للقرآن، و تفسير للغامض من ألفاظ و معاني الذكر الحكيم.

(2) إنه تفسير جمع المصنف فيه بين الرواية و الدراية، و جعله جامعاً

ص: 316

(3) إن المصنف اهتم بذكر اللغة و القراءات و أسباب النزول و الأحكام الفقهية.

(4) امتاز هذا التفسير بحسن عرض الآراء و الأقوال و حصرها، مع نسبتها إلى قائلها، بأسلوب جميل و عبارة دقيقة موجزة.

و قد قدم الماوردي لتفسير القرآن (فصولا تكون لعلمه أصولا، يستوضح منها ما اشتبه تأويله، و خفي دليله) (1) بهذه العبارة نعت الماوردي المقدمة التي قدمها بين يدي تفسيره و التي استغرقت ما يربو على عشرين صفحة من القطع المتوسط، و جاءت كالتفسير تماما من حيث البلاغة و البيان و قوة العبارة و الإيجاز.

تعرض المصنف لعدة موضوعات، و أسماها فصولا، سلك فيها مسلك الإيجاز فيما يتعلق بنقل الأقوال و الآراء، و ذكر الأدلة باختصار، دون اعتماد الردود و المناقشات، مع تجنب ذكر الأقوال الضعيفة و المردودة.

و امتازت المقدمة بحسن السبر و التقسيم للأقوال و الموضوعات، و هو أمر أجلى الموضوعات المطروقة و بيّنها، فكانت في غاية الوضوح، و هذه الموضوعات هي:

ص: 317

1- أسماء القرآن.

2- أسماء سور القرآن.

3- معنى السورة والآية.

4- الأحرف السبعة.

5- إعجاز القرآن.

6- حكم التفسير بالرأي أو الاجتهاد.

7- أقسام التفسير.

8- الظهر و البطن و الحد و المطمع.

وقد طبعت المقدمة فيما أعلم ثلاث طبعات، إحداها بالآلة الكاتبة، و الطبعات على النحو التالي:

1) طبعت على الآلة الكاتبة، مع دراسة للمؤلف و للكتاب، و تحقيق أجزاء منه، بتحقيق فضيلة الدكتور محمد بن عبد الرحمن الشائع، بعنوان:

تفسير الماوردي النكت و العيون في تأويل القرآن الكريم، قدمت رسالة علمية لنيل درجة الدكتوراة في كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

2) قامت وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية بدولة الكويت بطباعة و نشر الكتاب بتحقيق السيد خضر محمد خضر، و مراجعة الدكتور/ عبد

ص: 318

الستار أبو غدة. وعلى الطبعة ملحوظات وفيها سقط أشار إليها فضيلة الدكتور الشائع في دراسته للكتاب. (1)

(3) صدرت أخيراً طبعة علق عليها وراجعها السيد عبد المقصود بن عبد الرحيم، وقامت دار الكتب العلمية، و مؤسسة الكتب الثقافية ببيروت بطباعتها ونشرها. وهي التي اعتمدها في هذه الدراسة.

ثالثاً: عرض موضوعات المقدمة:

أسدى الماوردي الشكر للمنعم الذي هداه والمسلمين للدين القويم، ومنّ عليهم بالكتاب المعجز المبين، ولأن من الكتاب ما هو ظاهر جلي مفهوم بالتلاوة يفهمه العامة فضلاً عن الخاصة، ومنه الغامض الخفي الذي خص الله لتأويله العلماء دون غيرهم، جعل المصنف كتابه هذا مقصوراً على تأويل ما خفي علمه، وتفسير ما غمض فهمه.

كان هذا في التقديم الذي قدمه المارودي بين يدي تفسيره، كما بيّن فيه منهجه في التفسير، و ما قدّم بين يدي تفسيره من مقدمات هي كالأصول له، يستوضح منها ما اشبه تأويله، و خفي دليله. ثم سأل الله العون والسداد، و شرع في بيان المقصود.

فذكر أنه تعالى جلّت قدرته سمى كتابه المنزل بأسماء، هي القرآن

ص: 319

1- انظر النكت والعيون تحقيق الدكتور محمد بن عبد الرحمن الشائع: 47/1-53.

و الفرقان و الكتاب و الذكر، فبين دليل كل تسمية من آيات الذكر الحكيم، ثم شرع في بيان تأويل تلك التسميات، و بيان أقوال العلماء فيها، و كان هذا هو مضمون الفصل الأول من المقدمات.

في حين خصص الفصل الذي يليه لبيان تأويل أسماء كتب الله المنزلة، التوراة و الزبور و الإنجيل.

و انتقل عقب ذلك إلى قوله صلى الله عليه و سلم في الحديث الذي رواه واثلة بن الأسقع رضي الله عنه (1): أعطاني ربي مكان التوراة السبع الطوال، و مكان الإنجيل المثاني، و مكان الزبور المثين، و فضلني ربي بالمفصل. (2)

فذكر ما هي السبع الطوال، كما ذكر سبب التسمية، و بين ما هي المثين، ثم المثاني و الأقوال الواردة في بيانها، و أخيرا المفصل و سبب التسمية و الخلاف في تحديد أول المفصل.

ثم بين في الفصل الذي يليه معنى السورة و الآية، فبين أولا أن

ص: 320

1- هو واثلة بن الأسقع بن كعب الليثي، صحابي شجاع فاضل، أحد فقراء الصفة، قدم المدينة و رسول الله صلى الله عليه و سلم يتجهز لغزوة تبوك فأسلم، و عاد إلى قومه فأسلمت أخته، ثم عاد فشهد تبوك مع رسول الله صلى الله عليه و سلم، توفي (85 هـ). انظر: طبقات ابن سعد: 1/305- و الإصابة لابن حجر: 3/626.

2- رواه الطبري في التفسير: 1/100، قال الأستاذ شاكر- يرحمه الله-: رواه الطبري هنا بإسنادين، أحدهما صحيح، و الآخر ضعيف. و رواه الطبراني في الكبير: 22/75.

السورة وردت بالهمز وبغير همز، وبيّن خلاف أهل العلم على كلّ، ثم أوضح معنى الآية وتأويلها وسبب التسمية.

عقب ذلك انتقل إلى الحديث عن الأحرف السبعة، فذكر الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في نزول القرآن على سبعة أحرف. (1) واختلاف المفسرين في تأويل السبعة أحرف التي نزل القرآن بها، فذكر أن الأقوال أربعة، سردها بعبارة مختصرة وذكر الأدلة بإيجاز، ودون أن يرجح شيئاً منها.

ثم كان الحديث عن إعجاز القرآن الذي عجزت العرب عن الإتيان بمثله، فذكر ثمانية وجوه للإعجاز، هي حصيلة أقوال أهل العلم في المسألة، وهي:

(1) أن وجه إعجازه هو الإعجاز والبلاغة.

(2) أنه البيان والفصاحة.

(3) وقيل: بل هو الرصف الذي تنقضي به العادة، حتى صار خارجاً

ص: 321

1- قال صلى الله عليه وسلم: «نزل القرآن على سبعة أحرف والمرء في القرآن كفر (ثلاث مرات) فما عرفتم منه فاعملوا به، وما جهلتم فردوه إلى عالمه». أخرجه الطبري في تفسيره: 21/1، والإمام أحمد في المسند: 300/2 ط الحلبي. وأورده الهيثمي في المجمع: 7/151.

عن جنس كلام العرب من النظم و النثر و الخطب ... و غير ذلك.

(4) أن وجه إعجازه هو أن قارئه لا يكَلِّ و أن سامعه لا يملّ.

(5) أنه لما فيه من الأخبار بما كان مما علموه أو لم يعلموه، و إذا سألوا عنه عرفوا صحته.

(6) هو ما فيه من علم الغيب، و الإخبار بما يكون.

(7) كونه جامعاً لعلوم لم تكن فيهم آلتها، و لا تتعاطى العرب الكلام فيها، و لا يحيط بها من علماء الأمم واحد، و لا يشتمل عليها كتاب.

(8) أن وجه إعجازه هو في الصّرفة بأحد وجهيه، إما أن العرب صرفوا عن القدرة عليه، و لو تعرضوا لعجزوا عنه، أو أنهم صرفوا عن التعرض له.

و انتهى المصنف إلى القول بأن القرآن معجز بكل تلك الوجوه. و يعد رأيه هذا بمثابة قول تاسع، و هو أبلغ في الإعجاز و أبدع في الفصاحة و الإيجاز.

انتقل المصنف بعد هذا للحديث عن التفسير بالرأي و الاجتهاد، فبيّن أن كون القرآن في تلك المنزلة من الإعجاز في النظم و المعنى يستدعي لمن أراد العمل بموجبه ضرورة استخراج معاني ألفاظه، و هو أمر يحتاج إلى زيادة تأمل في الألفاظ و الآيات ليصل المرء إلى جميع ما تضمنته تلك الألفاظ من المعاني، و احتملته من التأويل، و لهذا لا مناص من القول بضرورة

الاجتهاد في فهم النص، وهو أمر تعبد الله تعالى به خلقه في خطابهم بلسان عربي مبين، فقال تعالى لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ [النساء: 83].

ثم عرض بأولئك الذين فهموا قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه جندب بن عبد الله رضي الله عنه (1): «من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ» (2) فهما خاطئاً، فظنوا أنه الإحجام عن التفسير وإن كانت الشواهد واضحة، وأمروا الحديث على ظاهره، فوصفهم بقلة العلم، وعتهم بضعف الخبرة.

بعدها بين تأويل الحديث على الوجه الصحيح الذي رآه، فقال: ولهذا الحديث إن صح تأويل معناه: أن من حمل القرآن على رأيه، ولم يعمل على شواهد ألفاظه فأصاب الحق فقد أخطأ الدليل. (3) وهو فهم معتبر للنص ارتضاه خلق ممن جاء بعده كابن عطية والقرطبي وغيرهما.

إثرها ذكر المصنف المروي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن

ص: 323

-
- 1- هو جندب بن عبد الله بن سفيان البجلي العلقمي، صحابي سكن الكوفة والبصرة، توفي في فتنة الزبير فيما بين (60-70 هـ) انظر: الاستيعاب لابن عبد البر: 217/1- والإصابة لابن حجر: 248/1.
 - 2- رواه الطبري في التفسير: 79/1، والبغوي في شرح السنة: 259/1، والنسائي في فضائل القرآن: 114، والترمذي في سننه: 200/5، وقال: وقد تكلم بعض أهل الحديث في سهيل بن أبي حزم. وقال الحافظ في التقریب: 338/1 عن سهيل بن أبي حزم: ضعيف.
 - 3- انظر النكت والعيون: 35/1.

رسول الله صلى الله عليه وسلم: «القرآن ذلول ذو وجوه فاحملوه على أحسن وجوهه». (1)

فبين تأويل مفردات الأثر، وقال: وهذا دليل على أن تأويل القرآن مستنبط منه. (2)

انتقل المصنف بعد هذا لبيّن أقسام التفسير، فأوضح أنه إذا جاز الاجتهاد في استخراج معاني القرآن من فحوى ألفاظه، وشواهد خطابه الأمر الذي أقره قبل قليل فإن الحبر ابن عباس رضي الله عنهما قسم التفسير أربعة أقسام، ذكرها وارتضاها، وعقب على الأخير منها وهو القسم الذي لا يعذر أحد بجهالته، فبين أنه داخل في جملة ما يعلمه العلماء، وبذلك يصير التفسير عنده ثلاثة أقسام:

(1) قسم اختص الله تعالى بعلمه، واستأثر به ولم يطلع عليه عباده.

(2) قسم يرجع في معرفته إلى لسان العرب.

(3) وقسم ثالث يرجع فيه إلى اجتهاد العلماء، وهو تأويل المتشابه، واستنباط الأحكام، وبيان المجمل وما إلى ذلك.

و بين أن العلماء قد يختلفون في تأويل بعض المعاني للألفاظ المحتملة لأكثر من معنى، وحينئذ لا مناص للترجيح بين الأقوال من التعويل على

ص: 324

1- رواه الدارقطني في السنن عن ابن عباس: 4/ 145، وفي إسناده زكريا بن عطية، قال عنه أبو حاتم: منكر الحديث. انظر ميزان الاعتدال: 74/2.

2- انظر: النكت والعيون: 36/1.

الضوابط التي وضعها العلماء، لهذا ذكر المصنف ما الذي يفعل في مثل هذه الحالات.

وجاء الختام لبيان معنى الحد والمطلع، والظهر والبطن، وهي المفردات الواردة في الأثر الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم: «ما نزل من القرآن من آية إلا لها ظهر وبطن، ولكل حرف حدّ، ولكل حدّ مطلع».(1)

رابعاً: منهج الماوردي في مقدمته:

قسم الماوردي المقدمة التي قدمها بين يدي تفسيره والتي جعلها أصولاً فصولاً، خصّ كل فصل لأصل من تلك الأصول التي رأى أنها توضح المشتبه، وتظهر الدليل للناظر في التفسير.

وقد اقتصد المصنف في القول والبيان، لكل ما رأى بحثه من الأصول والفنون، فقدم ما أراد تقديمه بعبارة موجزة رصينة، متبعاً نهجاً يعدّ الرائد فيه، ومن أبرز ملامح هذا النهج:

ص: 325

1- رواه ابن حبان في صحيحه برقم 74: 157/1، عن ابن مسعود. وذكره الهيثمي في المجمع: 152/7 ونسبه للبخاري وأبي يعلى والطبراني في الأوسط. وقال: رجال أحدهما ثقات. وأخرجه الطبري في التفسير: 22/1 عن ابن مسعود بلفظ: أنزل القرآن على سبعة أحرف لكل حرف منها ظهر وبطن، ولكل حرف حد، ولكل حد مطلع. قال أحمد شاكر: روي بإسنادين ضعيفين، أما أحدهما فلانقطاعه بجهالة راويه. وأما الآخر فمن أجل إبراهيم الهجري.

1- حسن عرض الأقوال في المسائل المختلف فيها، فتراه يجمل الأقوال ويحصرها في عدد، ثم يفصلها بعد ذلك بذكر الأول فالثاني فالثالث ... ذاكرا ما قد يتفرع على ما سبق أن ذكره من أقوال مع نسبة الأقوال إلى قائلها من الصحابة و التابعين و الأئمة المعبرين.

2- إيجاز العبارة، و دقة التعبير، و جمال الأسلوب. (1)

فقد أحسن المصنف القول، و أحكم العبارة، و هو أمر يعزو فضيلة الدكتور محمد عبد الرحمن الشائع التوفيق فيه بعد الله إلى موسوعية المصنف، و سعة علمه، و تنوع ثقافته، الأمر الذي مكّن المصنف من صياغة تفسيره و منها المقدمة بأسلوب أدبي رفيع أظهرت تمكنه من ناصية اللغة، و البراعة في اختيار المفردات و التراكيب، حتى إنك نادرا ما تجد عبارة أو جملة يمكن حذفها أو الاستغناء عنها غيرها، و هو بهذا جمع بين دقة عبارة الفقيه، و جمال أسلوب الأديب. (2)

و من منهج المصنف ذكر الأدلة لأغلب الأقوال و الآراء التي يوردها، آية كانت أم حديثا أم شاهدا من كلام العرب و أشعارها، و هو في استشهاده بالأثر لا يذكر صحة ما يستشهد به، إلا نادرا. (3)

ص: 326

1- انظر: النكت و العيون بتحقيق الدكتور محمد بن عبد الرحمن الشائع 1- 124.

2- انظر: النكت و العيون بتحقيق الدكتور محمد بن عبد الرحمن الشائع 1/ 124.

3- انظر: النكت و العيون: 35/ 1.

و للماوردى اختياراته فى بعض المسائل، فهو قد ىرد على بعض الأقوال و يضعفها، و قد ىصرح برأيه فى بعض الأحيان. (1)

تلك هى السمات البارزة لمنهج الماوردى. (2)

خامسا: مدى التزام المصنف فى تفسيره بما ذكره فى مقدمته:

الناظر فى خطبة الماوردى التى قدم بها تفسيره ىجده حدد ملامح منهجه بوضوح، فهو قد حصر تفسيره على بيان الغامض إذ هو محل بحث العلماء، دون الظاهر الذى يفهمه كل عارف بلغة العرب، و هذا شرط التزمه و سار عليه. (3)

و من شرطه جمع أقوال علماء السلف فى بيان هذا الغامض، و عرضها، و هذا الآخر التزمه المصنف فهو لا ىتوانى عن عرض أقوال السلف فى بيان معانى الألفاظ و مدلولاتها، و نسبة ذلك إىهم فى الغالب، كما أنه ىصرح بموقفه و رأيه فى كثير منها، معللا رأيه أحيانا، و تاركا التعليل فى أحياء أخرى. (4)

ص: 327

1- ىنظر مثال ذلك: 26/1 - 28.

2- انظر أمثلة ذلك: 30/1 - 32 - 34 - 36.

3- انظر: أمثلة ذلك: 139/1 - 259 - 466.

4- انظر: أمثلة ذلك: 187/1 - 263 - 410 - 461.

كما اشترط الماوردي أن يضيف إلى أقوال السابقين ما سنج به خاطره من المعاني. (1)

سادسا: مصادر الماوردي في مقدمته:

لم يصرح الماوردي في مقدمته باسم مصدر واحد من مصادره التي استمد منها مادة مقدمته، وإن كان قد صرح بذكر أسماء بعض الأعلام ممن لهم اختيارات في بعض المسائل، وتأويل لبعض الآثار، وهي سمة لمنهج الماوردي كما ذكرت ذلك قبل قليل، وقد عزا جملة من الأقوال إلى قائلها سواء من الصحابة كابن عباس رضي الله عنهما (2)، أو التابعين كسعيد بن جبير (3)، والحسن البصري (4)، وفتادة (5)، كما عزا إلى أبي عبيد القاسم بن سلام في أكثر من موضع (6)، والأصمعي. (7)

ص: 328

1- انظر أمثلة التزام المصنف بمنهجه في: 1/ 370-465.

2- انظر مثاله الصفحات: 1/ 23-26-27-35-36.

3- انظر مثاله الصفحات: 1/ 26.

4- انظر مثاله: 1/ 26.

5- انظر مثاله: 1/ 24.

6- انظر مثاله الصفحات: 1/ 30-41.

7- انظر مثاله: 1/ 31، والأصمعي هو عبد الملك بن قريب بن عبد الملك الأصمعي، نحوي لغوي إخباري، نعتة الذهبي فقال: حجة الأدب، لسان العرب، توفي (215 هـ). انظر: طبقات النحويين واللغويين للزبيدي: 167- و سير أعلام النبلاء لذهبي: 10/ 175.

وطريقته في العزو في الغالب أنه يذكر القول، ثم يقول: وهو قول فلان. أو وهذا قاله فلان (1). أو أن يحكي القول أو الحكاية ثم يقول: حكاة فلان. (2)

سابعاً: أهم مزايا مقدمة الماوردي:

إشارة

يعدّ الماوردي من المفسرين المتقدمين الذين قدموا بين يدي تفاسيرهم مقدمات في علوم القرآن، وهي في حد ذاتها ميزة لها أهمية خاصة إذ هم الذين أصلوا فن المقدمات.

و قد امتازت المقدمة بميزات أظهرها:

- 1- تناوله جملة من الموضوعات التي لها أهميتها في عصر المؤلف، كموضوع الإعجاز والتفسير بالرأي.
- 2- حسن السبر والتقسيم، مع الشمول والحصر للأقوال في المسائل المطروقة، وعرضها بعبارة موجزة جميلة وأسلوب أدبي رصين.
- 3- عزو الأقوال إلى قائلها في الغالب.

ص: 329

1- انظر: النكت والعيون: 1/ 24-26-41.

2- انظر: النكت والعيون: 1/ 30-31.

ثامنا: أهم المآخذ على المقدمة:

- 1) عدم تناول بعض الموضوعات الهامة كالمحكم و المتشابه، و الناسخ و المنسوخ، و أحسن طرق التفسير، و حكم تفسير الصحابي، و التابعي، و غير ذلك مما هو من صلب أصول التفسير.
- 2) القصور في معالجة بعض المسائل التي كان من المفترض بيانها بصورة أفضل، كالأحرف السبعة، الموضوع الذي تعددت فيه الأقوال حتى في زمن المصنف بل قبله، و تباينت بصورة ملحوظة، فكان من حق القارئ أن يبين المصنف الرأي الراجح فيه.
- 3) عدم بيان درجة الآثار التي استشهد بها المصنف عند ذكره للأقوال و سرده للآراء.

5- الوسيط في تفسير القرآن المجيد (1) لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي المتوفى سنة (468 هـ)

أولاً: التعريف بالمؤلف:

إشارة

5- الوسيط في تفسير القرآن المجيد (1) لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي المتوفى سنة (468 هـ)

مؤلف هذا التفسير هو الإمام أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي بن متّويه الواحدي (2) النيسابوري المولود عام (398 هـ) (3).

ص: 331

1- ورد في تاريخ الأدب العربي لبروكلمان: 730/1 تسميته: «الوسيط بين المقبوض والبيسط».

2- متّويه- بفتح الميم و تشديد التاء المثناة من فوقها و ضمها و سكون الواو و بعدها ياء مفتوحة مثناة من تحتها ثم هاء ساكنة- نسبة إلى الجد المنتسب إليه. انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان: 304/3- و الأنساب للسمعاني: 194/5- و الواحدي: قال ابن خلكان: لم أعرف هذه النسبة إلى أي شيء هي، و لا ذكرها للسمعاني، ثم وجدت هذه النسبة إلى الواحد بن الديلم بن مهرة، ذكره أبو أحمد العسكري. انظر: وفيات الأعيان: 304/3- و مرآة الجنان لليافعي: 96/3.

3- انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 339/18- و طبقات المفسرين للسيوطي: 66- و وفيات الأعيان لابن خلكان: 303/3.

نشأ الواحدي ميسورا في رغد من العيش، ضمن أسرة عرفت بالتجارة، واشتهرت بالثراء، وعرف أنه ثالث أخويه، عبد الرحمن (1) الفقيه المحدث، وسعد السمسار المتفقه، انضم إلى الكتاتيب في نيسابور، وندبه أهله للعلم فتلقى على أفاضل البلدة التعليم الأولي، ثم التحق بدار السنّة في نيسابور نفسها طالب علم مجدّد، فأخذ عن علمائها سماعا وإملاء، وهو لا يزال في مقتبل العمر، لم يتجاوز الثانية عشرة (2)، ودأب على تحصيل العلوم بنهم وجلد، فكلما أتيح له فرصة اللقاء بعالم أسرع إليه، يختار النخبة، وينتقي الفضلاء، ويشد الرحال فينتقل من مصر إلى آخر يتلقى عن الشيوخ، حتى أكثر منهم، وعرف بعلو السند، يقول عن شيوخه يرحمه الله:

ولو أثبت المشايخ الذين أدركتهم واقتبست عنهم هذا العلم يعني علم التفسير من مشايخ نيسابور وسائر البلاد التي وطئتها لطلال الخطب، وملّ الناظر. (3) ومن شيوخه:

شيوخه:

ص: 332

- 1- هو عبد الرحمن بن أحمد الواحدي، ثقة صادق معمر، أملى مجالس، توفي (487 هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 342/18- و النجوم الزاهرة لابن تغري بردي: 104/5.
- 2- انظر أسباب النزول للواحدية: 306- و سير أعلام النبلاء للذهبي: 342/18.
- 3- انظر: البسيط للواحدية: المقدمة.

أبو إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي (1)، وأبو الفضل أحمد بن محمد العروضي الصفّار (2)، وغيرهم. (3)

تبحّر الواحد في الفنون والعلوم، وأحرز ما عجز غيره عن تحصيله، فكان مفسراً واحداً عصره في التفسير، وإمام علماء التأويل (4)، أثنى عليه أهل الفضل من العلماء، نعته ابن قاضي شهبة بقوله: كان فقيهاً إماماً في النحو واللغة وغيرهما، شاعراً، وأما التفسير فهو إمام عصره.

(5)

وقال ابن خلكان (6): كان أستاذاً عصره في النحو والتفسير. (7)

ص: 333

1- هو أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري، شيخ التفسير، أحد أوعية العلم، صاحب التفسير، توفي (427 هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 435/17- و طبقات المفسرين للداودي: 66/1.

2- هو أحمد بن محمد بن عبد الله بن يوسف النيسابوري، شيخ النحو، وأديب نيسابور، توفي (416 هـ). انظر: معجم الأدباء لياقوت: 4/261- و سير أعلام النبلاء للذهبي: 389/17.

3- انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 339/18- و طبقات المفسرين للسيوطي: 66.

4- انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 339/18- و طبقات المفسرين للسيوطي: 66.

5- انظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة: 257/1.

6- هو أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلكان البرمكي، أديب مؤرخ، صاحب أشهر المصنفات في التراجم، توفي (681 هـ). انظر: طبقات الشافعية للسبكي: 14/5- و شذرات الذهب لابن العماد: 371/5.

7- انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان: 303/3.

ونقل الذهبي عن السمعاني قوله: كان الواحدي حقيقاً بكل احترام وإعظام لكن كان فيه بسط لسان في الأئمة. قال الذهبي: وهو لكونه قال في تفسير السلمى: ولو قال ذلك تفسير القرآن لكفرته. قال الذهبي: الواحدي معذور مأجور. (1)

وقال غيرهم غير ذلك، فأجمع الجميع على إمامته، وقعد للتدريس وتخرج به طائفة من الأئمة، ولهذا شد طلبه العلم الرحال إليه زرافات ووحداً، واعتكفوا بين يديه، يتلقون عنه سماعاً وإملاءً، وكان منهم أئمة أعلام ومن هؤلاء التلاميذ:

تلاميذه:

عبد الجبار بن محمد الخواري ت (536 هـ) (2)، وعلي بن سهل بن العباس النيسابوري ت (491 هـ)، وأحمد عمر بن عبد الله بن أحمد الأرغواني ت (534 هـ) وطائفة غيرهم. (3)

وقد صنف الواحدي كثيراً، ورزق السعادة فيها، وأمتع الناس على

ص: 334

1- انظر سير أعلام النبلاء للذهبي: 342/18.

2- هو عبد الجبار بن محمد بن أحمد الخواري، ثقة خير، توفي (536 هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 71/20- وطبقات السبكي: 144/7.

3- انظر: طبقات المفسرين للداودي: 394/1- وطبقات الشافعية لابن قاضي شعبة: 256/1.

حسنها، وذكرها المدرسون في دروسهم (1)، ومن ذلك:

اليسيط في تفسير القرآن الكريم، والوسيط في تفسير القرآن المجيد، والوجيز في تفسير القرآن العزيز، قال الذهبي: وبتلك الأسماء سمي الغزالي تواليفه الثلاثة في الفقه. (2)، وله أسباب النزول، وهو أعظم ما ألف في هذا الباب كما قال الزركشي (3)، ورسالة في شرف علم التفسير، وشرح ديوان المتنبي (مطبوع). وغير ذلك. (4) وبعد رحلة علمية مباركة دامت ما يقرب من سبعين عاما توفي الواحدي، وانتقل إلى جوار ربه في شهر جمادى الأولى سنة (468 هـ) بعد أن عانى من مرض عضال ألم به طويلا. (5)

ص: 335

-
- 1- انظر وفيات الأعيان لابن خلكان: 303 / 3.
 - 2- انظر: سير أعلام النبلاء: 340 / 18.
 - 3- انظر البرهان في علوم القرآن:
 - 4- انظر سير أعلام النبلاء للذهبي: 340 / 18- و طبقات المفسرين للسيوطي: 67- و للداودي: 394 / 1.
 - 5- انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 339 / 18- و وفيات الأعيان لابن خلكان: 303 / 3- و شذرات الذهب لابن العماد: 330 / 3- و ينظر للمزيد في ترجمته: البداية و النهاية لابن كثير: 114 / 12- و سير أعلام النبلاء للذهبي: 339 / 18- و شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي: 330 / 3- و طبقات الشافعية لابن قاضي شهبه: 256 / 1- و طبقات الشافعية الكبرى للسبكي: 240 / 5- و طبقات المفسرين للداودي: 394 / 1- و طبقات المفسرين للسيوطي: 66- و غاية النهاية لابن الجزري: 523 / 1- و الكامل في التاريخ لابن الأثير: 10 / 101- و وفيات الأعيان لابن خلكان: 303 / 3. و ترجم له الدكتور جودة محمد المهدي ترجمة وافية حقق فيها كثيرا من المسائل في كتابه: الواحدي و منهجه في التفسير: 55.

امتاز الواحدى بأنه الوحيد الذى صنّف تفسير القرآن على ثلاث مراحل، مراعيًا قدرات المتلقين عنه و مستوياتهم، و قد جاءت تفاسيره الثلاثة فى قالب عكست بوضوح ثقافته الواسعة و إمامه بالعلوم المتنوعة، كما أظهرت براعة يراعه.

و يغلب على الواحدى اهتمامه بالنقل و الأثر، كما أعطى المصنّف لإعمال الفكر مجالاً رحباً، فاستخرج كثيراً من دقائق المعانى، و صاغها بعبارة رصينة محكمة، زانها بالمأثور المنقول عن سلف الأمة.

و قد اخترت الوسيط من بين تفاسيره، لكونه ينحط عن درجة البسيط الذى تجرّ فيه أذيال الأقوال، و يرتفع عن مرتبة الوجيز الذى اقتصر على الإقلال، و هكذا عرّف الواحدى الوسيط الذى أعفاه من التطويل و إكثار الأقوال، فجاء أسلم من خلل الوجازة و الاختصار، و أتى على النمط الأوسط، و القصد الأقوم، حسنة بين السيئتين، و منزلة بين المنزلتين، لا إقلال و لا إملال. (1)

و الوسيط تفسير بالجزء، و يعد من التفاسير التى اهتمت بالأثر و اللغة

ص: 336

و النحو و الغريب غير أنه لم يطنب في ذلك كما فعل في البسيط، كما أولى الواحدى المسائل الفقهيّة شيئاً من الاهتمام، و كذا أسباب النزول.

و طريقته أنه يذكر الكلمة القرآنية أو الجزء من الآية ثم يبدأ الحديث عنها من ناحية اللغة فيبين المراد و الأصل اللغوي للكلمة، و قد يتكلم على نحوها ثم يسرد الأثر المحفوظ فيها و يتبعها بنقل أقوال السلف دون ذكر الأسانيد إلا نادراً، و يذكر ما استخرجه بإعمال الفكر.

هذا و للوسيط قدر و اعتبار خاص عند أهل العلم فهو غاية في بابه، و قد حظي باهتمام بالغ من طلبة العلم، حتى أن السهروردي أبو النجيب المتوفى (563 هـ) (1) حفظه فقال: و حفظت و سيط الواحدى في التفسير (2).

و قد جاءت المقدمة مع خطبة الكتاب في ست صفحات، و لا تعد من المقدمات التي أولت علوم القرآن اهتماماً خاصاً، و لعل ذلك يعود إلى كون المصنف قد أفرد شيئاً من ذلك في تصانيف خاصة كأسباب النزول، و الرسالة التي خصها لبيان شرف علم التفسير.

ثالثاً: عرض موضوعات المقدمة:

إشارة

ص: 337

-
- 1- هو عبد القاهر بن عبد الله بن محمد بن عموية، أبو النجيب السهروردي، زاهد عابد من أعلام الصوفية، له مصنفات، و أملى مجالس، و أوذي و أهين في نهاية عمره، توفي (563 هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 475/20- و طبقات الشعراني: 140/1.
 - 2- انظر: طبقات الشافعية للسبكي: 175/7.

حمد المصنف الله القادر العليم، وصلى على نبيه الكريم وعلى آله وصحبه الأخيار، ثم بين أن العلم أشرف منقبة، وأجل مرتبة، وأن العلماء هم خواص عباد الله، وهم ورثة الأنبياء يحبهم أهل السماء، وساق لبيان ذلك أثران بسنده، أحدهما صحيح أخرجه البخاري والآخر فيه من هو ضعيف، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات (1).

عقب ذلك بين أن أم العلوم الشرعية كتاب الله، وأن العلم بتفسيره وأسباب تنزيله ومعانيه وتأويله هو أشرف العلوم، وأن من شرفه أنه يعتمد على السماع والنقل من الشارع وممن شاهدوا التنزيل من الصحابة ومن جاء بعدهم من التابعين الذين جعلوا المصيب فيه برأيه مخطئاً، وأورد بسنده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ورد من التحذير في القول بالرأي، وما يبين أن خير ما يتمسك به العبد هو كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، إشارة إلى وجوب اعتماد ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في التفسير وغيره، فهو يذكر المعنى ثم يورد ما يعضده من الأثر.

وختم المقدمة ببيان جهده في خدمة كتاب الله وما سبق أن صنفه في التفسير، ثم بيان غايته من الوسيط الذي أقدم عليه طالباً العون من الله.

و قد طبعت المقدمة مع التفسير طبعان:

الأولى: على آلة النسخ، قدمت رسائل علمية إلى كلية أصول الدين -

ص: 338

1- انظر: مجمع الزوائد للهيتمي: 1/126- والموضوعات لابن الجوزي: 1/263.

بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، لنيل درجة الماجستير.

والثانية: ظهرت مطبوعة في أربع مجلدات، بتحقيق مجموعة من الباحثين، صدرت عن دار الكتب العلمية في بيروت عام 1415 هـ.

رابعاً: منهج الواحدي في تفسيره:

نهج الواحدي في مقدمته منهجاً واضحاً، فهو يذكر المسألة التي يريد عرضها بعبارته مبيناً رأيه، ثم يذكر أثاراً في المعنى الذي أشار إليه، ذكراً سنده في الرواية (1).

خامساً: بيان مدى التزام المصنف في تفسيره بما ذكره في مقدمته:

اشترط الواحدي على نفسه أن ينهج في تدوين تفسيره منهجاً متوسطاً، لا بالطويل الممل، ولا القصير المقل، يعفيه من إكثار الأقوال و التظويل، ويسلمه من خلل الوجازة والاختصار.

وهذا الشرط التزمه المصنف في تفسيره، و سار عليه باضطراد، و يظهر هذا الالتزام جلياً للناظر في تفسير المصنف البسيط و الوسيط (2).

سادساً: مصادره:

ص: 339

1- انظر أمثلة ذلك: 1/ 45-47-49.

2- انظر مثال ذلك في الوسيط: 1/ 112-247-281.

لم يذكر الواحدي مصدرا لمقدمته لكونه لم يذكر قولاً أو رأياً لغيره.

سابعاً: أهم الميزات و أظهر المآخذ:

لا يستطيع المرء أن يصنف مقدمة الوسيط للواحدي في المقدمات التي اهتمت بعلوم القرآن، فالمصنف ما أراد إلا التنبيه إلى بعض الأمور بشكل مختصر، لذا لا يمكن ذكر شيء من الميزات أو المآخذ.

ص: 340

6- معالم التنزيل لمحيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي المتوفى سنة (516 هـ)

أولاً: التعريف بالمؤلف:

إشارة

مؤلف هذا التفسير هو: أبو محمد، الحسين بن محمد بن مسعود بن محمد المعروف بابن الفراء البغوي (1) الشافعي، المتوفى سنة (510 هـ) (2)، والذي لم تشر إليه معظم المصادر التي ترجمت له إلى سنة ولادته، غير أن ياقوت صاحب المعجم قال: إنه ولد سنة 433 هـ (3)، كما ذكر الزركلي في الأعلام أن ولادته كانت عام 436 هـ (4).

و لم تسعفنا المصادر التي وقفت عليها بشيء من المعلومات عن نشأة

ص: 341

-
- 1- (البغوي) نسبة إلى (بغشور)- بضم الشين المعجمة، وسكون الواو، وراء- بليدة بين هراة و مرو الروذ من مدن خراسان، نسبوا إليها على غير القياس، وقيل (بغشور) اسم الولاية، و اسم المدينة (بغ) انظر: معجم البلدان لياقوت: 467/1- وفيات الأعيان لابن خلكان: 2/137- و مفتاح السعادة لطاش كبرى زادة: 91/2.
 - 2- اختلف في سنة وفاته، فقيل: إنه توفي سنة (515 هـ)، وقال ابن خلكان: وقد رأيت في كتاب (الفوائد السفرية) التي جمعها الشيخ الحافظ زكي الدين عبد العظيم المنذري أنه توفي سنة ستة عشر و خمس مائة. انظر: وفيات الأعيان: 2/136.
 - 3- انظر معجم البلدان لياقوت: 467/1.
 - 4- انظر الأعلام للزركلي: 2/259.

الإمام، ولا وضعت بين أيدينا أخبارا عن حياته زمن الطلب، ومزاحمة الركب، فهي الأخرى إذا مرحلة مجهولة لنا، غير أننا نستطيع أن نعتقد بأن البغوي عاش حياته كغيره من طلبة العلم الذين تنقلوا بين حلقات العلم، يلتقون الشيوخ و يسمعون منهم، غير أنه كان مثابرا جادا ذا نظر ثاقب، بشهادة العلماء المشهود لهم بالصلاح والعلم، وبأمانة المكانة التي تبوأها بين أهل العلم حتى حصلت له من الألقاب ما لم يحصل لغيره.

يقول الذهبي: كان عالما، علامة، زاهدا، قانعا باليسير، بورك في تصانيفه، ورزق فيها بالقبول التام، لحسن قصده، وصدق نيته (1).

وقال الحافظ ابن كثير: برع في التفسير والحديث والفقهاء، وكان علامة زمانه فيها (2).

وقال السيوطي: كان من العلماء الربانيين، ذا تعبد ونسك وقناعة باليسير. (3) وقال: كان إماما في التفسير، إماما في الحديث، إماما في الفقه. (4)

وعن ابن الأهدل (5): هو صاحب الفنون الجامعة، والتصانيف

ص: 342

1- انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 439/19.

2- انظر: البداية والنهاية: 193/12.

3- انظر: طبقات الحفاظ للسيوطي: 456.

4- انظر: طبقات المفسرين للسيوطي: 38.

5- هو حسين بن عبد الرحمن بن محمد الحسيني العلوي، مفتي الديار اليمنية، وشيخها بلا مدافع، صنف كثيرا، ومن تصانيفه القول النضر على دعاوى الفارغة بحياة الخضر، توفي (855 هـ). انظر: البدر الطالع للشوكاني: 218/1- والأعلام للزركلي: 240/2.

وقد نشأ البغوي شافعيًا في الفروع، سلفيًا في الأصول، ولم يكن ليتعصب لرأي إمامه، بل كان يتبع الدليل والحجة، كما كان يدعو إلى الاعتصام بالكتاب والسنة، ولهذا عرف عن الإمام سلامة العقيدة، وقوة الحجّة، ودقة العبارة، ووضوح المعنى، وكان لهذه السمات الأثر الكبير لدى العلماء حتى نعتوه بالإمام، وبشيخ الإسلام، وركن الدين، ومحبي السنة (2).

عقيدته:

يعدّ البغوي من أئمة السلف المتبعين للكتاب والسنة، والنصوص الموثوقة في ثانيا تأليفه إضافة إلى شهادة العلماء التي تشهد له على هذه الحقيقة، ومن هذه النصوص:

روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما من قلب مؤمن إلا وهو بين إصبعين من أصابع رب العالمين، إذا شاء أن يقيمه أقامه، وإذا شاء أن يزيغه»

ص: 343

1- انظر: شذرات الذهب لابن عماد: 48/4.

2- لقب ب «محبي السنة» وذلك حين صنف كتابه الشهير «شرح السنة» رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وقال له: لقد أحييت سنتي بشرح أحاديثي. فلقب بمحبي السنة.

قال البغوي في شرحه لهذا الحديث: والأصبع المذكور في الحديث صفة من صفات الله عز وجل وجل، وكذلك كل ما جاء به الكتاب أو السنة من هذا القبيل في صفات الله تعالى كالنفس، والوجه، والعين، واليد، والرجل، والإتيان، والمجيء، والنزول إلى السماء الدنيا، والاستواء على العرش، والضحك، والفرح.

إلى أن قال: فهذه ونظائرها صفات لله تعالى، ورد بها السمع، يجب الإيمان بها وإمرارها على ظاهرها، معرضا فيها عن التأويل، مجتبا عن التشبيه، معتقدا أن الباري سبحانه وتعالى لا يشبه شيء من صفاته صفات الخلق، كما لا تشبه ذاته ذوات الخلق، قال الله سبحانه لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ [الشورى: 11] وعلى هذا مضى سلف الأمة و علماء السنة، تلقوها جميعا بالإيمان والقبول وتجنبوا فيها عن التمثيلي.

ص: 344

1- أخرجه البغوي عن النواس بن سمرعان الكلابي، شرح السنة: 166/1، وأحمد في المسند: 182/4. وأوردها السيوطي في الجامع الصغير بلفظ: بين إصبعين من أصابع الرحمن. وعزاه لأحمد وابن ماجة والحاكم، وحسنه. قال المناوي: وأخرجه النسائي في الكبرى عن عائشة، قال الحافظ العراقي: وسنده جيد. فيض القدير: 493/5. وقد أخرجه الحاكم في المستدرک: 525/1 و 321/4 وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. وأقره الذهبي.

كما امتلأ تفسير المصنف بالأقوال التي انتصر فيها لمذهب أهل السنة والجماعة و تصدى لأهل البدع والأهواء. (2)

شيوخه و تلاميذه:

أخذ البغوي العلم عن ثلة من العلماء البارزين، و الشيوخ المجيدين في صنوف العلم المعتمدة، في بلاده و خارج دياره، و من هؤلاء:
القاضي حسين بن محمد المروزي، و قد تفقه عليه البغوي قبل عام (460 هـ) (3)، و أبو بكر يعقوب بن أحمد النيسابوري (4)، و أبو تراب عبد

ص: 345

-
- 1- انظر: شرح السنة: 168 / 1.
 - 2- ينظر تفسير قوله تعالى لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ [الأنعام: 103]، وقوله تعالى لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَ زِيَادَةٌ [يونس: 26]، وقوله وَ جُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ [القيامة: 22]
 - 3- هو القاضي حسين بن محمد بن أحمد المروزي، وقيل: المروزي، شيخ الشافعية بخراسان، قيل: كان من أنبل شيوخ محيي السنة، توفي (462 هـ). انظر: سير أعلام النبلاء: 261 / 18 و 440 / 19 و طبقات المفسرين للداودي: 161 / 1.
 - 4- هو يعقوب بن أحمد بن محمد الصيرفي النيسابوري، الشيخ الرئيس الثقة المسند، قال الذهبي: كان صحيح الأصول. توفي (466 هـ) انظر: سير أعلام النبلاء: 245 / 18 و 440 / 19 و شذرات الذهب: 325 / 3.

الباقى المراغى، مفتى نىسابور (1)، و غير هؤلاء كثر (2).

أما تلامذة البغوى فهم أيضا كثر، نذكر منهم:

أبو منصور محمد بن أسعد بن العطارى ت (571 هـ) (3)، و أبو المكارم فضل الله بن أبى سعيد التوقانى (4)، و غيرهما.

مؤلفاته:

ترك الإمام البغوى آثارا مفيدة من علوم التفسير و الحديث و الفقه، و امتازت مؤلفات المصنف بسهولة العبارة، و قوة الدليل و صحته، و إسقاط الحشو و التطويل، و من تلك المصنفات:

ص: 346

1- هو عبد الباقي بن يوسف بن علي المراغى الشافعى، إمام فقيه قدوة، عرف عنه حب النفع للخلق، توفي (492 هـ). انظر: سير أعلام النبلاء: 170/19 و 440/19 و شذرات الذهب: 398/3.

2- ينظر: سير أعلام النبلاء: 440/19.

3- هو محمد بن أسعد بن محمد بن الحسين العطارى المعروف بحفدة، فقيه واعظ، سمع من البغوى تفسيره و شرح السنة و كتبهما، توفي (571 هـ). انظر: سير أعلام النبلاء: 539/20 و 440/19 و طبقات المفسرين للداودى: 161/1.

4- هو فضل الله بن محمد بن أحمد النوقانى الشافعى، فقيه عالم، أخذ له والده من محيي السنة إجازة بمروياته، توفي (600 هـ). انظر: سير أعلام النبلاء: 413/21 و 440/19 و طبقات المفسرين للداودى: 161/1.

(1) التهذيب في فقه الشافعية، وهو من الكتب المحررة والمعتمدة عند الشافعية، نقل النووي منه مرارا في الروضة (1).

(2) معالم التنزيل: وهو تفسيره المشهور الذي نحن بصدد الحديث عنه.

(3) شرح السنة: وهو من أجلّ شروح السنة التي وصلت إلينا، انتقى المؤلف الأحاديث التي شرحها بدقة تامة، وأولى هذا الكتاب عناية خاصة، فجاء مليئا بالفوائد.

(4) مصابيح السنة: ضمن المصنف هذا الكتاب مجموعة من الأحاديث الصحاح والحسان، وعنى بالصحاح الأحاديث التي أخرجها البخاري ومسلم، وبالحسان التي أخرجها أصحاب السنن، وقد حذف الأسانيد.

(5) الأنوار في شمائل النبي المختار - صلى الله عليه وسلم (2).

(6) مجموعة من الفتاوى الفقيهية: سأل عنها شيخه أبا علي المروزي (3). وغيرها.

وفاته:

ص: 347

1- انظر: روضة الطالبين وعمدة المفتين للنووي: 9/1.

2- انظر: كشف الظنون: 1/195- والرسالة المستطرفة للكتاني: 105.

3- انظر: شرح السنة: 1/29- وطبقات المفسرين للداودي: 1/161.

توفي رحمه الله تعالى بمروفي شهر شوال سنة ست عشرة و خمس مائة للهجرة (516 هـ)، على الراجح من أقوال أهل العلم (1).

ثانياً: التعريف بالتفسير و المقدمة:

أثنى شيخ الإسلام ابن تيمية على تفسير البغوي حين سئل يرحمه الله عن أقرب التفاسير إلى الكتاب و السنة: الزمخشري أم القرطبي أم البغوي؟

و كانت إجابته أن: (أسلمها من البدعة و الأحاديث الضعيفة البغوي، لكنه مختصر من تفسير الثعلبي، و حذف منه الأحاديث الموضوعية، و البدع التي فيها، و حذف أشياء غير ذلك) (2). وقال: صان تفسيره عن الأحاديث الموضوعية و الآراء المبتدعة. (3)

وقد ألف البغوي تفسيره هذا استجابة لجماعة من أصحابه المخلصين

ص: 348

1- انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان: 136/2. و للمزيد في ترجمته ينظر: البداية و النهاية للحافظ ابن كثير: 12/193- و سير أعلام النبلاء للذهبي: 19/439-440 و شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي: 4/48- و طبقات الحفاظ للسيوطي: 456- و طبقات الشافعية للسبكي: 7/57- و طبقات المفسرين للداودي: 1/160- و طبقات المفسرين للسيوطي: 38- و مرآة الجنان لليافعي: 3/213- و مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده: 2/91 و 2/129- و وفيات الأعيان لابن خلكان: 2/136.

2- انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية: 31/386.

3- انظر: مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية: 76.

الذين طلبوا إليه تفسيراً لكتاب الله. فصنف هذا التفسير الذي جاء متوسطاً بين الطويل الممل، والقصير المخمل.

كما صرح المصنف بأن ما ضمنه هذا التفسير ليس زيادة على من سبقوه من المفسرين، ولا إضافة إلى ما قدموه، ولكنه جاء تلبية لحاجة زمانه من التجديد الذي طال به العهد، وتنبها للمتوفقين، و تحريضا للمتثبتين (1).

وقد جاء هذا التفسير الذي هو في الأصل مختصر لتفسير الثعلبي في أجمل صورة، وأحلى زينة، فكان -على حد قول الخازن- من أجلّ المصنفات في علم التفسير وأعلاها وأنبها وأسناها، جامعا للصحیح من الأقاويل، عاريا عن الشبه والتصحيف والتبديل، محلي بالأحاديث النبوية مطرزا بالأحكام الشرعية، موشى بالقصص الغريبة، وأخبار الماضين العجيبة، مرصعا بأحسن الإشارات، مخرجا بأوضح العبارات، مفرغا في قالب الجمال بأفصح مقال (2).

هذا وقد طعن البعض في هذا التفسير الجليل، وأفاد بأنه يوجد فيه من المعاني والحكايات ما يحكم بضعفه أو وضعه (3). وهو ما يفهم من ظاهر

ص: 349

1- ينظر مقدمة التفسير: 33/1.

2- انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن: 3/1.

3- انظر: الرسالة المستطرفة للكتاني: 78، يقول الدكتور محمد إبراهيم شريف: لقد نقل الذهبي هذه العبارة من الكتاني، و تبعه الشيخ د/ عبد الله شحاتة في كتابه تاريخ القرآن و التفسير؛ انظر: البغوي الفراء و تفسيره للقرآن الكريم: 104.

تلك الجملة الموهمة التي أطلقها الخازن قبل قليل، والتي تفيد بأن البغوي جاء في تفسيره بالقصص الغربية التي لا أصل لها.

و هو زعم باطل في رأي بعض الدارسين (1)، الذين يرون أن الناس قد تلقوا هذا التفسير بقبول حسن، وأن أرباب الصناعة قد شهدوا له بالإعجاب والتقدير، وأن ما لقيه من الرواج والانتشار بين أهل العلم ينفي عنه هذه التهمة.

والحق والتفسير بين أيدينا يشهد على البغوي أنه أورد بعض الإسرائيليات التي نص أئمة الحديث على أنها أخبار موضوعة، كالذي أورده في قصة هاروت وماروت، ولا يعفيه من المسؤولية- وهو المفسر المحدث- أنه تابع في ذلك ما جاء في كتب التفسير بالمأثور، وإن كان تفسيره أسلم في هذا من غيره.

ص: 350

1- أشار الدكتور محمد إبراهيم الشريف إلى أنّ البغوي الذي عناه الكتاني في رسالته هو بغوي آخر غير محيي السنة واسمه عبد الله بن محمد، المعروف بالبغوي الكبير وأن المعنيّ توفي سنة (317 هـ) وأورد نص الكتاني وتوصل منه إلى ما أقره من نفي هذه الشبهة وردّها. انظر: البغوي الفراء وتفسيره للقرآن: 104. قلت: كلام الكتاني هو عن التفسير المسمى «معالم التنزيل» و معروف أنه للبغوي محيي السنة، ولا نعلم للبغوي الكبير تفسيراً بهذا الاسم، وإنما جاء الخطأ من الكتاني الذي نسبته للبغوي الكبير، ثم إن تفسير البغوي «معالم التنزيل» موجود بين أيدينا يشهد له أو عليه.

مهما يكن الأمر فإن ما جاء من هذا القبيل في هذا التفسير هو أقل بكثير مما جاء في غيره من التفاسير السابقة عليه واللاحقة. كما أن ما جاء فيه لا ينقص من قدره وقيمه، لكونه لا يذكرها في مناط الجزم والاعتماد لتوجيه الآية، و لكون رواية الإسراييليات المسكوت عنها أمر لا حرج فيه.

و امتاز تفسير البغوي بسهولة العبارة بعيدا عن التكلف والتطويل، ثم الاعتماد على أحسن الطرق في التفسير وهو التفسير بالمأثور، كما يلاحظ أن تفسيره قد امتأأ بالمواطن التي انتصر فيها المصنف لأهل السنة والجماعة، فهو لهذا يعد واحدا من التفاسير الهامة التي تحوي آراء أهل السنة.

وقد قدم البغوي تفسيره بمقدمة مختصرة، بين فيها منهجه في الكتابة ودواعي التأليف، كما ذكر مصادره من كتب التفسير بالمأثور و كتب الأخبار والسير والقراءات والحديث، وعقد فصولا لبعض موضوعات علوم القرآن.

قدم الإمام البغوي لتفسيره مقدمة استغرقت أربع عشرة صفحة من القطع الكبير، بين فيها الدواعي إلى تأليف هذا التفسير، كما بين فيها مصادره من الصحابة والتابعين وأئمة السلف، وتعرض لثلاثة موضوعات من موضوعات علوم القرآن، وأفردها بالحديث، وجعل كل موضوع في فصل مستقل، وهي:

(1) فضائل القرآن و تعليمه.

(2) فضائل تلاوة القرآن.

(3) وعيد من قال في القرآن برأيه من غير علم.

كما تعرض لبيان معنى التفسير و التأويل، و نزول القرآن على سبعة أحرف.

و قد انتخب المصنف لكل موضوع جملة من الآثار، و لم يكثر منها، و أوردها بأسانيد، و ذكر من خرجها من الأئمة، و بين حكمها و درجتها.

و قد طبعت بعدد طبعات الكتاب، نذكر منها: (1) طبعة حجرية عام 1285 هـ، مكونة من أربعة أجزاء، عليها بعض التعليقات.

(2) طبع على هامش تفسير ابن كثير في تسعة مجلدات، بمطبعة المنار بمصر عام 1343 هـ.

(3) طبع على هامش تفسير الخازن في أربعة مجلدات عام 1375 هـ.

(4) طبع طبعة جيدة بتحقيق الأستاذين: خالد بن عبد الرحمن العك، و مروان سوار، و نشر دار المعرفة- بيروت- لبنان عام 1406 هـ.

(5) طبع طبعة ممتازة، و من أفضل طبعات الكتاب بتحقيق الأساتذة:

محمد عبد الله النمر، و عثمان جمعة ضميرية، و سليمان مسلم الحرش،

ص: 352

ثالثاً - عرض موضوعات المقدمة:

إشارة

استهل المصنف مقدمته بحمد الله و الثناء عليه، و الصلاة و السلام على نبيه و صفيه محمد صلى الله عليه و سلم خاتم النبيين، ثم وضح مهمة الرسول صلى الله عليه و سلم، و إنزال الكتاب عليه الذي كان به الإعجاز و التحدي للخليقة أجمع، لذا كان في اتباعه النجاة و في الإعراض عنه الخسارة و الضياع، و بين ما اشتمل عليه القرآن الكريم من أمور العقيدة و الفقه و القصص و الأمثال، و الذي يفهم بمعرفة تفسيره.

و أشار إلى أن السابقين قد بذلوا جهوداً مباركة في تفسير كتاب الله، و ألفوا الكتب لبيان علومه و فنونه، ثم نقل لنا دواعي تأليفه لهذا التفسير و أجملها في أمرين:

الأول: استجابة لجماعة من أصحابه من طلبة العلم، و يقول في ذلك:

فسألني جماعة من أصحابي المخلصين، و على اقتباس العلم مقبلين كتاباً في معالم التنزيل و تفسيره، فأجبتهم إليه معتمداً على فضل الله تعالى و تيسيره... (1)

الثاني: اقتداء بأئمة السلف الذين رأوا في تقييد العلم بالكتاب إبقاء للخلف.

ص: 353

ثم صرح بأنه اختار لتفسيره طريقة بين الطويل الممل و القصير المخمل، فجاء متوسطا كما أراد.

بعدها بيّن المصنف أن التعبد يكون بتلاوة الكتاب كما يكون باتباع أحكامه، على أن تكون التلاوة وفق رسم المصحف الإمام الذي اتفقت الصحابة عليه و أن لا- تتجاوز بأية حال قراءة أحد القراء المعروفين الذين خلفوا الصحابة و التابعين و اتفقت الأئمة على اختياراتهم و إمامتهم و ذكر أسانيدهم في القراءة.

وقبل أن يتعرض لموضوعات علوم القرآن الثلاثة التي قدمها بين يدي تفسيره، بيّن منهجه في الاستشهاد بالأحاديث و الآثار النبوية.

الفصل الأول: فصل في فضائل القرآن و تعليمه:

اكتفى المصنف في هذا الفصل بسوق مجموعة من الآثار الدالة على فضل القرآن بأسانيده، مع عزوها إلى من أخرجها من أئمة الحديث في مصنفاتهم، و لم يشأ المصنف بيان النصوص المشككة، و لا شرح غريبها على عادة العلماء، و هو منهج اتخذه في الفصول اللاحقة أيضا.

الفصل الثاني: فصل في فضائل تلاوة القرآن:

كان من حق هذا الفصل أن يدمج مع سابقه غير أن المصنف فصل بينهما، فأورد في هذا الفصل تسعة آثار ساقها بسنده بينت فضل تالي القرآن، و ما ينتظره من الأجر و المثوبة، و لم أر مسوغا لصنيع المصنف هذا

بفصل الموضوعين و هما موضوع واحد، و لهذا أدمجهما الخازن في تفسيره.

الفصل الثالث: فصل في وعيد من قال في القرآن برأيه من غير علم:

ثلاثة آثار هي التي أوردها المصنف ليبين الوعيد الشديد الذي ورد في حق المتقوّل على كتاب الله برأيه، كما ذكر أثرين عن الصحابة يؤكدان ما أحدثه الوعيد الوارد من خشية في نفوس الصحابة حتى أحجموا عن خوض هذا المضمار.

ولأن المصنف يرى جواز التأويل في كتاب الله، و خشية أن يلتبس ذلك بالقول في القرآن بالرأي أشار المصنف إلى أن التأويل لا يدخل تحت هذا الوعيد، كما بين معنى التفسير بأنه الكلام في أسباب نزول الآية و نشأتها و قصتها، و أن ذلك يكون بالسمع بعد ثبوته بالنقل.

و ختم الفصل بسوق الأثر الذي رواه عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه- عن رسول الله صلى الله عليه و سلم و الذي يبين نزول القرآن على سبعة أحرف و أن لكل آية ظهر و بطن، و حد و مطلع. كما ذكر اختلاف العلماء في تأويلهم للظهر و البطن و الحد و مطلع.

رابعا- منهج البغوي في مقدمته:

منهج البغوي في المقدمة أنه يبدأ الفصل بسرد الآثار التي اختارها مما يليق بموضوع الباب، و ذلك بذكر الأثر بإسناده إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم. ثم يبين من أخرجه من الأئمة في الغالب، و إن كان المخرج قد قال فيه مقولة، نقله،

أو حكما أورده، وإلا حكم هو على المروي بالصحة أو الغرابة أو غير ذلك- في الغالب- أيضا. وقد يترك الرواية دون أن يذكر من خرجها من الأئمة، وفي الغالب يكون له أصل أو شاهد قوي في الصحيح.

وقد أعفى البغوي نفسه تتبع الغريب من الألفاظ بالبسط والشرح، ولهذا لم نجده وقف عند لفظة غريبة، وهو الأمر الذي دعا الخازن- مختصر الكتاب- إلى استدراكه، واستبدال الغريب بالأسانيد، وأن البغوي استغنى عن شرح الغريب لكونه قد خصص لذلك كتابه الحافل الجامع شرح السنة.

هذا ولم يخرج البغوي عن هذه القاعدة في مقدمته إلا عند حديثه عن الحد والمطلع، والظهر والبطن، حيث بين اختلاف أهل العلم في تفسير هذه الألفاظ (1).

خامسا- بيان مدى التزام البغوي في تفسيره بما ذكره في مقدمته:

بين البغوي منهجه الذي انتهجه في تفسيره، فوصفه بالتوسط والاعتدال في ذكر الأقوال وبسطها، والإعراض عن ذكر المناكير من الأحاديث والآثار، وما لا يليق بحال التفسير، والاكتفاء بما ثبت في الكتب

ص: 356

1- ينظر أمثلة المنهج في: 38/1-39.

المسموعة للحفاظ و أئمة الحديث، كما تعهد المصنف بذكر القراءات القرآنية للقراء المشهورين واختياراتهم.

وهي ضوابط التزامها المصنف في تفسيره على العموم، فالقارئ في معالم التنزيل يجد البغوي قد تحاشى مثلا النكات البلاغية، و المباحث اللغوية، إلا ما كان ضروريا منها لأجلاء المعنى (1)، و يجده تجنب ذكر ما ولع به أصحاب المطولات في التفسير كالرازي و غيره من المباحث التي لا صلة لها بعلم التفسير.

كما يلاحظ أن المصنف قد أورد أقوال العلماء في بيان معنى الآية، و اقتصد في ذلك، و ذكر الاختلاف من غير إطالة في الغالب، و لا ترجيح (2).

و كذا التزامه بذكر القراءات، فهو يتعرض للقراءات من غير إسراف منه في ذلك (3).

أما ما ذكره من الالتزام بالإعراض عن المناكير، و الاعتماد على الثابت عند الحفاظ، فقد التزمه إلى درجة كبيرة، و إن كان قد وقع في شيء

ص: 357

1- انظر مثال ذلك: 160-181.

2- انظر مثال ذلك: 121-279.

3- انظر مثال ذلك: 117-212-258-336.

منها، فذكر بعض الإسرائيليات دون أن يعقب عليها، أو يبين ما فيها (1).

سادسا- مصادر البغوي في مقدمته:

رغم التزام البغوي بالتهج الذي انتهجه من رواية الأحاديث والآثار بأسانيده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد ذكر من خرج الروايات التي ساقها من الأئمة في كتبهم، وهي وإن كانت لا تعد مصادر للبغوي لكونه لم يعتمد عليها غير أن ذكره لها، واعتماده حكم أصحابها يجعلنا نعدّها بمثابة مصادر في المقدمة وهي:

(1) صحيح البخاري (2).

(2) صحيح مسلم (3).

(3) سنن الترمذي (4).

سابعا- مزايا المقدمة و المآخذ عليها:

لا يستطيع المرء اعتبار مقدمة البغوي هذه مقدمة في علوم القرآن

ص: 358

1- انظر مثال ذلك: 1/ 298-302.

2- انظر مثاله صفحة: 1/ 39-42.

3- انظر مثاله صفحة: 1/ 41.

4- انظر مثاله صفحة: 1/ 39-41.

بالمصطلح المعروف، و ذلك لكونه لم يقدم لنا إلا أحاديث بعدد انتقاها ليؤكد على أهمية تلاوة كتاب الله، و فضل التلاوة و التعليم، و النهي عن التفسير بالرأي ليؤكد به أن ما نهجه من التفسير بالأثر هو المطلوب و السالم عن المعارضة، فهو لم يتعرض لموضوعات هامة في علوم القرآن، كما أنه لم يفصل - و لو بقدر - في الموضوعات الثلاثة التي تعرض لها، و لهذا فإننا لا نستطيع أن نحكم على هذه المقدمة فنذكر ما لها من المزايا، أو عليها من المآخذ اكتفاء بما سبق من الحديث عنها.

ص: 359

إشارة

7- المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز (1) لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي المتوفي سنة (546) هـ

مصنف هذا التفسير الجليل هو القاضي أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن عبد الرؤوف بن تمام بن عبد الله بن تمام ابن عطية بن خالد بن عطية المحاربي الداخل (2)، المولود سنة (481 هـ).

وينحدر المصنف - رحمه الله - من سلالة عربية أصيلة، فقد كان جدهم جندياً من جنود الفتح الإسلامي للأندلس، وهو عطية بن خالد بن خفاف

ص: 360

-
- 1- إطلاق هذه التسمية على التفسير ليس من صنع ابن عطية - رحمه الله - بل جاء متأخراً، فقد ذكر المترجمون أن له تفسيراً جيداً، غير أنهم لم يسموه، كما أن المصنف لم يسمه، وهذه التسمية التي عرف بها التفسير، أطلق جزءاً منها لسان الدين الخطيب ت (776 هـ) فقال: (الوجيز)، ثم جاء ملا كاتب جلبي ت (1067 هـ) فأطلق عليه اسم الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، اقتبسها من قول المصنف في مقدمته: و قصدت فيه - أي في التفسير - أن يكون جامعاً وجيزاً محرراً. هذا وقد عالج الأستاذ عبد الوهاب فائد هذه التسمية معالجة علمية. انظر: مختصر الإحاطة: 165 / 2 - وكشف الظنون: 1613 / 2 - و منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم للدكتور عبد الوهاب فائد: 82.
 - 2- انظر: فهرس ابن عطية: 59 - و الصلة لابن بشكوال: 431 تحقيق عزت العطار.

المحاربي، نازل قرية (قشتالة) (1). أنسل - كما يقول ابن فرحون - كثيرا لهم قدر وفيهم فضل (2). وعن ابن خاقان قوله في أحد رجالات هذه الأسرة: نشأ في بيئة كريمة، وأرومة من الشرف غير مرومة، لم يزل فيها على وجه الزمان أعلام علم، وأرباب مجد ضخم، قد قيدت مآثرهم الكتب، وأطلقتهم.

التواريخ كالشهب (3).

نشأ ابن عطية في كنف أبيه، وتربى منذ الصغر على تعاليمه وتوجيهاته، محيطا بعنايته، وفر له - رحمه الله - أسباب الراحة، ويسر له النجاح، فاجتمعت الرعاية الحسنة وصدق التوجه وقوة العزيمة، مع سلالة الأرومة، حتى سعى لطلب العلم منذ اليفاعه ولازمه هذا الطموح حتى برزت مواهبه، وغدا شخصية علمية يشار إليها بالبنان، فكان رحمه الله يتوقد ذكاء، سابق الأمجاد فاستولى على الأمد بغلابة، ولم ينض ثوب شبابه، أدمن التعب في السؤدد جاهدا حتى تناول الكواكب قاعدا (4).

سما إلى رتبة الكهول صغيرا، وشنّ كتيبة ذهنه على العلوم

ص: 361

1- انظر: الإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب: 133 / 1.

2- انظر الديباج المذهب لابن فرحون: 174 ط عباس بن شقرون، عام 1351 م.

3- انظر: فلاند العقيان لابن خاقان: 216.

4- انظر: المراجع السابق: 217.

مغيرا، فسبأها معنا وفضلا، و حواها فرعا و أصلا. (1)

و يرجع نبوغ المصنف إلى الاهتمام العظيم الذي أولاه والده- رحمه الله كما ذكرنا قبل قليل - فقد كان من علماء غرناطة المعتبرين، و المشهود لهم برسوخ القدم في العلوم الشرعية، دفع بولده إلى حلقات العلم المنتشرة في أنحاء المدينة العامرة، كما كانت لحلقات والده، و أرتال الطلبة في غدو و رواح، متناوين لحضور تلك الحلقات، و والده يتوسطهم يعلم و يربي و يوجه، كان لهذا المشهد البديع أثره الكبير في نفس ابن عطية، و شغوفه بالعلم، حتى دفعه هذا الهيام إلى الانخراط في ذلك الجمع المبارك، حتى فاق أقرانه، يتصيد العلماء الواردين على غرناطة و ينتقيهم، فما أن يسمع بوجود أحدهم في المدينة حتى يعزم لقاءه، و التلقي عنه، و قد روي أن محمد عبد العزيز بن عبد الوهاب القيرواني، دخل غرناطة، و كان عالي الرواية، قديم السماع، فأسرع إليه ابن عطية حين علم بوجوده، رغم صغر سنه، و طلب الإجازة، و حين رآه الشيخ أهلا كتب له بخطه إجازة علمية (2). و كذا فعل مع غير واحد كالحافظ أبي علي الغساني، و غيره. (3)

كما كان لترحاله في أنحاء الأندلس طالبا للعلم، دور في علو قدره، ت.

ص: 362

1- انظر: نفع الطيب للمقري: 279 /3.

2- انظر: فهرس ابن عطية: 94.

3- ينظر فهرس ابن عطية فهو مليء بمثل هذه الروايات.

فمن لم يلتق به في غرناطة من العلماء شد الترحال إليه حيث وجد من ديار الأندلس، قصد أرباب العلم في كافة عواصم الأندلس و حواضرها، مثل قرطبة و أشبيلية و مرسية و بلنسية و غيرها، و كان في ذلك عوضا له من الترحال إلى المشرق الذي كان يومها مصدر إشعاع حضاري في كثير من العلوم. (1)

مكانته العلمية:

كان ابن عطية- رحمه الله- فقيها عالما بالتفسير و الأحكام، محدثا عالي السند، لغويا عارفا بالنحو و الأدب، مقيدا حسن التقييد، له نظم رائق، و نثر محكم رصين، ولي القضاء بالمرية، فكان غاية في الدهاء و الذكاء، و التهّم بالعلم، سري الهمة في اقتناء الكتب (2).

و كان رحمه الله من الرجال البارزين الذين أسهموا إسهاما فعالا في نشر العلم في ديار الأندلس حتى قال عنه السيوطي: هو الإمام الكبير، قدوة

ص: 363

1- يعلل بعضهم عدم توجه ابن عطية للمشرق طالبا للعلم انشغاله- يرحمه الله- بالجهاد و الدفاع عن ديار الأندلس، حيث كانت مهددة بالسقوط آنذاك، [انظر: منهج ابن عطية في تفسير القرآن العظيم للدكتور عبد الوهاب فائد: 55] و يدل على ذلك أن المصنف- يرحمه الله- قد اشترك في عدة غزوات، و دافع عن الديار، كما أن لبعض شعره و قصائده و رسائله إلى الملوك و الأمراء دورا عظيما في تثبيت الهمم.

2- انظر: الإحاطة للسان الدين بن الخطيب: 539/3- و الديباج المذهب لابن فرحون: 174.

وقال صاحب البحر المحيط أبو حيان عنه وعن الزمخشري: إنهما أجل من صنف في علم التفسير، وأفضل من تعرض للتتقيح فيه و التحرير، وقد اشتهرا ولا كاشتهار الشمس.

إلى أن قال: وفي خطبتي كتابهما وفي غضون كتاب الزمخشري ما يدل على أنهما فارسا ميدان، و ممارسا فصاحة و بيان.

و يتابع فيقول: إذ هذان الرجلان هما فارسا علم التفسير، و ممارسا تحريره و التحبير، نشره نشره، و طار لهما به ذكرا، و كانا متعاصرين في الحياة، متقاربين في الممات. (2)

وقال ابن عاشور عنه و عن الزمخشري: كلاهما عضاداتا الباب، و مرجع من بعدهما من أولي الألباب. (3)

و يقول ابن خاقان (4): فيه نبعة روح العلا، و محرز ملابس الثنا، فذ الجلالة، و واحد العصر و الأصالة، و قار كما رسا الهضب، و أدب كما أطرد السلسل العذب، أثره في كل معرفة، علم في رأسه نار، و طوالعه في آفاقها

ص: 364

1- انظر: بغية الوعاة للسيوطي: 295.

2- انظر: البحر المحيط لأبي حيان: 20/1 - 21.

3- انظر: التحرير و التنوير لابن عاشور: 16/1.

4- هو الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان، كاتب مؤرخ، من أذكى الأدباء، كثير الأسفار، كان لعبا مستهترا، له قلائد العقيان، توفي مقتولا (535 هـ). انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان: 23/4 - الأعلام للزركلي: 134/5.

إن هذه النصوص تؤكد المنزلة العلمية، و المكانة المرموقة التي شغلها ابن عطية- رحمه الله- كما أن تفسيره و هو شاهد بين أيدينا، خير دليل على نبوغ المصنف، و ما اتكال جل المفسرين من بعده عليه، مع الإكثار من الاستشهاد بنصوصه، و ترجيح اختياراته إلا تعزيز لتلك المكانة. (2)

شيوخه و تلاميذه:

يعد العلماء المعتبرين ابن عطية من أعيان غرناطة، و علما من أعلامها البارزين في القرن السادس الهجري، خاصة في علم التفسير، و من كبار العلماء الذين صدرتهم الأندلس الحبيب، و لا شك أن استحقيق هذا الثناء أن يكون من الواردين على أكثر من نبع يتلقى العلم و يتصلع منه، كما كان لدور والده أثر كبير في كثرة شيوخه، و علو مكاتبتهم، و لهذا فلا غرو أن نجد من بين شيوخ ابن عطية من اشتهر بالعلم و الفضل، و علو الكعب، و سمو القدر، و من قصدهم الغريب البعيد، و فهرس شيوخه الذي أعده و ضمنه

ص: 365

1- انظر: البحر المحيط لأبي حيان: 20/1.

2- سيرد مزيد من النصوص عند الحديث عن تفسيره بمشيئة الله.

أسماءهم دليل و شاهد على ما ذكرنا.

كما كان للطرق التي تتبعها المصنف في تحصيل العلوم الأثر الواضح في كثرة الشيوخ، و الإفادة منها، فقد تلقى العلم - يرحمه الله - سماعاً و قراءة و مناولة و إجازة، حتى بلغ عدد شيوخه الذين هم من أهل الذروة في العلم، في شتى ميادينه تفسيراً و حديثاً و أدباً و لغة و فقهاً و غيرها، أكثر من ثلاثين شيخاً، ضمنهم فهرسه، و من هؤلاء:

والده الإمام غالب بن عطية (1)، و الحسين بن محمد الغساني (2)، و غيرهم كثير ينظر فهرس ابن عطية للوقوف عليهم.

أما تلاميذه:

فكثيرون بلا شك تلقوا العلم عن المصنف، منهم المواظبون على مدرسة أبيه - رحمه الله - حيث تلقوا عنه أمداً من الزمن، و منهم الذين شاركوا المصنف في ساحات الجهاد، و أسفار الغزو، كما أن الأمراء الذين

ص: 366

1- هو غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي، إمام ناقد موجود، حافظ للحديث و طرقه و علله، عارف بالرجال، له اهتمام بالأدب و الشعر، توفي (518 هـ). انظر: قلائد العقيان لابن خاقان: 215- و سير أعلام النبلاء للذهبي: 586/19.

2- هو الحسين بن محمد بن أحمد الغساني الجبالي، حافظ حجة ناقد أديب شاعر، محدث الأندلس في عصره، مصنفاته كثيرة منها تقييد المهمل، توفي (498 هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 148/19- و تذكرة الحفاظ للذهبي: 1233/4- و الصلة لابن بشكوال: 142.

عرفوا قدره، و كانوا محبين للعلم سمعوا منه، و من هؤلاء: الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن خير الإشبيلي (1). و الإمام الحافظ أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد الأنصاري (2) وغيرهم.

مؤلفاته:

كان مما جاء في التقديم الذي قدمه المصنف بين يدي تفسيره: رأيت أن من الواجب على من احتبى، و تخير من العلوم و اجتبى، أن يعتمد على علم من علوم الشرع، يستنفد فيه غاية الوسع، يجوب آفاقه، و يتبع أعماقه، و يضبط أصوله، و يحكم فصوله، و يلخص ما هو منه، أو يؤول إليه، و يفي بدفع الاعتراضات عليه.... إلى أن قال: فلما أردت أن أختار لنفسي، و أنظر في علم أعد أنواره لظلم رمسي؛ سبرتها بالتنوع و التقسيم، و علمت أن شرف العلم على قدر شرف المعلوم، فوجدت أمتها جبالا، و أرسخها جبالا، و أجملها آثارا، و أسطعها أنوارا: علم كتاب الله جلت قدرته... فثنت

ص: 367

-
- 1- هو محمد بن خير بن عمر بن خليفة الإشبيلي، حافظ مجود مقرئ أديب، تلقى العلم عن كثيرين، توفي (575 هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 85/21- و فهرس ابن خير: 22- و التكملة لابن الأبار: 524.
 - 2- هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن يوسف الأنصاري، المعروف بابن حبيش، فارس من فرسان الحديث بالأندلس، بارع في اللغة، تصانيفه كثيرة منها المغازي، توفي (584 هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 118/21- و تذكرة الحفاظ للذهبي: 1353/4- و شذرات الذهب: 280/4.

إليه عنان النظر، وأقطعتة جانب الفكر، وجعلته فائدة العمر. (1)

يتبين من هذا النص أن ابن عطية- رحمه الله- قد انتهج لنفسه منهجا خاصا، وهو أنه رأى أن الفائدة تكون أعظم حين ينصرف كل عالم إلى فرع من فروع العلم يفني في مسائله العمر، ويجعل همه ضبط أصوله، وهو منهج آل إليه أهل العصر، وأسموه التخصص الدقيق.

ولهذا الأمر لا يقف الناظر في ترجمة ابن عطية على مؤلف له غير التفسير الذي ذكر أنه أفنى فيه العمر، وكانت حصيلة جده واجتهاده، كما يجد القارئ أن المترجمين يذكرون للمصنف فهرسا أثبت فيه- يرحمه الله- أسماء شيوخه الذين تلقى العلم عنهم، وقد بلغ عددهم ثلاثون شيخا، والفهرس مطبوع متداول.

وفاته:

اختلف في تحديد سنة وفاة ابن عطية، والراجح أنه توفي سنة (546 هـ) (2) في منتصف شهر رمضان المبارك، في مدينة (لورقة)، غرب

ص: 368

1- انظر: المحرر الوجيز: 8/1-9.

2- انظر: المعجم في أصحاب أبي علي الصدفي لابن الأثير: 261 ط مدريد 1885 م- و الصلة لابن بشكوال: 368- و الديباج المذهب لابن فرحون: 175- و نفح الطيب للمقري: 279/3- و طبقات المفسرين للسيوطي: 50- و للداودي: 265. و ينظر للمزيد في ترجمته: الإحاطة في أخبار غرناطة، للوزير لسان الدين الخطيب: 133/1- و الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون: 174- و الصلة لأبي القاسم بن بشكوال: 431- و طبقات المفسرين للداودي: 1/265 طبعة دار الكتب العلمية، طبقات المفسرين للسيوطي: 50- و فهرس ابن عطية- وقلاند العقيان لأبي نصر بن خاقان: 215- و المعجم في أصحاب أبي علي الصدفي، لابن الأبار: 261- و منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم، د/ عبد الوهاب فاند- و نفح الطيب من غصن أندلس الرطيب للمقري: 279/3.

مرسية، وقد بلغ ستين عاما، رحمه الله رحمة واسعة، وغفر الله لنا وله.

ثانيا: التعريف بالتفسير و المقدمة:

لم يحظ تفسير ابن عطية بالاهتمام المطلوب من أهل عصرنا، حيث تأخر ظهوره مطبوعا عن تفاسير كثيرة لا تدانيه مرتبة، ولا تقربه منزلة، بل اعتمد كثير منهم على ابن عطية وآرائه في قضايا مشكلة في التفسير، مع أن جلّ العلماء المعتمدين قد أشادوا بهذا التفسير وبمصنّفه، قديما وحديثا، حتى قيّض الله لإخراجه وتحقيقه - بعد أن طبعت مقدمته طبعة مستقلة - ثلة من أهل التحقيق، فأخرجوه في طبعة أنيقة، و حلّة قشبية، و تكرم بعض من رجا الخير من وراء طبعه، فطبعها على نفقته الخاصة، و وزع على طلبة العلم و المكتبات الخاصة و العامة فانتشر بذلك انتشارا عظيما عم به النفع.

و القارئ في تفسير ابن عطية يستشعر أمرين ربما امتاز بهما المصنّف عن غيره ممن سبقوه، أكسبا التفسير قوة و حظوة، أولهما ما يلاحظه القارئ من العناية الفائقة بالتحقيق و التدقيق في المسائل العلمية، و تحري ما هو أقرب

ص: 369

إلى الصواب، وأبعد عن البدع، إضافة إلى النفس الطويل الذي يظهر بوضوح في معالجته للنصوص المشككة، والمسائل المعضلة، و الغوص في خبايا النص، وهو أمر غير مستغرب إذا علمنا أن هذا التفسير كان أثرا من آثار الشباب، فقد أفنى المصنف فيه عمره، ورسم بداياته منذ اليقظة، فكم أيقظه والده وهو شاب من النوم في أنصاف الليالي يقول له: قم يا ولدي اكتب كذا وكذا في موضع كذا من تفسيرك (1).

و الأمر الآخر الملاحظ في هذا التفسير هو قوة البيان، وسلامة العبارة وسلاستها، والنصوص الأدبية المحبوكة كأفضل ما يكون، والمنسجمة بقوة، وهي كلها أعطت لهذا التفسير قدرا خاصا عند المشتغلين باللغة، وربما يعود سبب هذا التفوق والله أعلم إلى عروية المصنف، فقد أفادته طبعا أصيلا، وسليقة صافية حتى فاض بيانه قويا سائغا سلسلا (2).

وقد سار المصنف في تفسيره على منهج السلف، حيث جعل ظاهر الآيات هو مدار البحث والدرس، دون القول بالرمز والإشارة، الذي يلجأ إليه أهل الزيغ والضلالة (3).

ص: 370

1- انظر: بغية الملتمس: 427.

2- انظر: التفسير ورجاله لابن عاشور: 92.

3- انظر: المحرر الوجيز: 11 / 1.

و هو أمر جعل للتفسير قدرا و اعتبارا عند أهل العلم، حتى أغدقوا عليه الثناء، يقول ابن عميرة الضبي ت (599 هـ) (1): ألف ابن عطية في التفسير كتابا ضخما أربى فيه على كل متقدم. (2)

و يقول ابن جزى الكلبي ت (741 هـ): و أما ابن عطية فكتابه في التفسير أحسن التآليف و أعدلها، فإنه اطلع على تآليف من كان قبله فهذبها و لخصها، و هو مع ذلك حسن العبارة، مسدد النظر، محافظ على السنة. (3)

و قال أبو حيان عنه و عن تفسير الزمخشري أنهما: قد أنجدا و أغارا، و أشرقا في سماء هذا العلم بدرين و أنارا، و تنزلا من كتب التفسير منزلة الإنسان من العين، و الذهب الإبريز من العين ... إلى أن قال: و كتاب ابن عطية أنقل و أجمع و أخلص. (4)

هذا و قد كان لإخلاص ابن عطية، و الغاية التي لها صنف كتابه، أثره البالغ في انتشاره، و قبوله عند الخاصة من أهل العلم، حتى صار أصدق

ص: 371

1- هو أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبي، مؤرخ من علماء الأندلس، كان يعمل وراقا، آية في سرعة الكتابة، له بغية الملتمس في تاريخ الأندلس، توفي (599 هـ). انظر: الأعلام للزركلي: 268 / 1.

2- انظر: بغية الملتمس: 376.

3- انظر: التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى: 17 / 1.

4- انظر البحر المحيط لأبي حيان: 20 / 1.

شاهد على إمامته، فحين ذكر المصنف الغاية التي لها صنف قال: ورجوت أن الله تعالى يحرم على النار فكرا عمرته أكثر عمره- معانيه، ولسانا مرنا على آياته و مثنائه، و نفسا ميزت براعة رصفه و مبانئه (1).

و المحرر الوجيز تفسير جمع بين مدرستي التفسير، التفسير بالأثر، و التفسير بالرأى المحمود. و طبقا للمنهج الذي انتهجه المصنف، و هو تحقيق الغرض المراد بإيجاز و توسط، فقد حذف يرحمه الله أسانيد الروايات التي استشهد بها في مواضعها المتعددة.

و جاء اهتمام المصنف باللغة و القضايا اللغوية في المرتبة الأولى، فقد أولى هذا الجانب اهتماما خاصا، تمثلت في شرح المفردات القرآنية، و الآراء النحوية و قصدت تتبع الألفاظ حتى لا يقع طفر (2) كما في كثير من المفسرين (3).

كما اهتم المصنف بالقراءات القرآنية، حتى الشاذة منها، يوجهها أو ينقدها و قصدت إيراد جميع القراءات، مستعملها و شاذها (4).

ص: 372

1- انظر: المحرر الوجيز: 9 / 1.

2- الطفر: و ثبة في ارتفاع، و طفر الحائط: و ثبه إلى ما وراءه. و المراد هنا: أنه تتبع ألفاظ الآيات عكس بعض المفسرين الذين تركوا بعض الألفاظ. انظر: لسان العرب لابن منظور (طفر): 597 / 2.

3- انظر: المحرر الوجيز: 11 / 1.

4- انظر: المحرر الوجيز: 11 / 1.

ولم يغفل الأحكام القرآنية المستفادة من الآيات، ولا المسائل الفقهية، دون الإكثار منها متمشيا مع الدليل.

هذا ولم يسلم تفسير ابن عطية- رغم الحيطة- من بعض الإسرائيليات، فقد اشترط المصنف على نفسه أن لا يذكر منها إلا ما لا تنفك الآية إلا به (1)، غير أنه وقع في المحذور الذي حذر منه في بعض المواضع- وسيأتي بيان ذلك إن شاء الله- وهو مع هذا يبقى الرائد الذي خلص التفسير من كثير من الدخيل، يقول الأستاذ عبد الوهاب فائد: إن ابن عطية في تفسيره على وجه العموم قد اتخذ لنفسه منهجا علميا دقيقا بالنسبة للروايات الإسرائيلية، و من هنا يرتقي ابن عطية إلى مصاف المفسرين الذين احتاطوا في الأخذ بالإسرائيليات، وقاموا بمحاولات جديّة ومشكورة لتصفية التفسير من هذا الهشيم الإسرائيلي المركوم، الذي يشوه كتاب الله تعالى. (2)

وهو الأمر الذي حدا بابن خلدون إلى القول: فلما رجع الناس إلى التحقيق والتمحيص، وجاء أبو محمد بن عطية من المتأخرين بالمغرب، فلخص تلك التفاسير كلها، و تحرى ما هو أقرب إلى الصحة منها، ووضع ذلك في كتاب متداول بين أهل المغرب والأندلس حسن

ص: 373

1- انظر: المحرر الوجيز: 10/1.

2- انظر: منهج ابن عطية في تفسير القرآن، د/ عبد الوهاب فائد: 185.

هذا وقد استحوذت مقدمة ابن عطية- رحمه الله- على اهتمام العلماء، حيث كانت محل عناية المفسرين و المهتمين بعلوم القرآن، فلم تخل كتاباتهم و مصنفاتهم من نصوص ابن عطية و آرائه، و ما ذلك إلا لأهمية ما أثبتته المصنف في مقدمته، و لهذا الأمر وجدنا الأيدي تمتد لإخراجها مستقلة عن أصلها منفصلة عنه، فقد كانت هذه المقدمة أول مقدمة في علوم القرآن تطبع مستقلة، و كان ذلك عام 1954 م على يد المستشرق (آرثر جفري) حيث ضمها إلى مقدمة كتاب «المباني»، و أخرجهما معا بعنوان «مقدمتان في علوم القرآن»، و نال الشهرة و الانتشار بين طلبة العلم.

و قد جاءت مقدمة المصنف- حسب النسخة التي اعتمدها، المثقلة بالهوامش- في أربع و ستين صفحة من القطع المتوسطة، شغلت الهوامش ما يربو على نصفه، شارحة لعباراته، مخرجة لرواياته، معرّفة برجالاته.

قسم ابن عطية مقدمته إلى تسعة أبواب، إضافة إلى التقديم الذي بين فيه أهمية علم التفسير، و الأسباب الداعية للتصنيف، و المنهج المتبع في التأليف، و هذه الأبواب هي:

(1) ما ورد عن النبي صلى الله عليه و سلم و عن الصحابة و نبهاء العلماء- رضي الله عنهم- في فضل القرآن المجيد و صورة الاعتصام به.ة.

ص: 374

1- انظر: مقدمة ابن خلدون: 314 طبعة دار المصحف بالقاهرة.

(2) في فضل تفسير القرآن، والكلام على لغته. و النظر في إعرابه و دقائق معانيه.

(3) ما قيل في الكلام في تفسير القرآن، والجرأة عليه، و مراتب المفسرين.

(4) معنى قول النبي: «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فافرقوا ما تيسر منه».

(5) ذكر جمع القرآن، و شكله، و نقطه، و تحزيبه، و تعشيره.

(6) في ذكر الألفاظ التي في كتاب الله و للغات العجم بها تعلق.

(7) نبذة مما قال العلماء في إعجاز القرآن.

(8) في الألفاظ التي يقتضي الإيجاز استعمالها في تفسير كتاب الله تعالى.

(9) في تفسير أسماء القرآن، و ذكر السورة و الآية.

و هذه الأبواب كما يظهر من عناوينها قد حوت موضوعات أربت على عدد الأبواب، و هي من الموضوعات التي ينبغي أن تكون راسخة في حفظ الناظر في التفسير، مجتمعة لذهنه، بذل فيها المصنف جهدا عظيما حتى استوى على سوقه، فأكثر من الروايات و الآثار بقدر ما تدعو إليه الحاجة، و بين اختلاف أهل العلم في المعضلات و المشكلات، بعبارة رصينة محكمة، عصمته من التطويل الذي اشترط على نفسه تجنبه.

و قد وقفت على ثلاث طبعات للمقدمة، إحداها مستقلة طبعت

ص: 375

بعناية المستشرق (آرثر جفري) وهي التي أشرت إليها قبل قليل، طبعت قبل طباعة صلب التفسير بأكثر من ثلاثة عقود، واعتمدها طلبة العلم بتحريفاتها وأغلاطها التي ربما كان بعضها متعمدة من المحقق، بل يجزم الأستاذ عبد الوهاب فاند في دراسته لتفسير ابن عطية بأنها تحريفات مقصودة، أراد منها المحقق الدس في هذا التفسير العظيم. (1)

و الطبعتان الأخريتان هما اللتان طبعتا مع صلب التفسير، الأولى من إصدارات المجلس العلمي بفاس، عام 1395 هـ، صدرت على أجزاء متفرقة في عدة سنوات على نفقة ملك المغرب.

و الثانية عام 1398 هـ طبع على نفقة أمير دولة قطر، بتحقيق الأساتذة الرحالي الفاروق- و عبد الله بن إبراهيم الأنصاري- و السيد عبد العال السيد إبراهيم- و محمد الشافعي صادق العناني.

و هذه الطبعة هي التي اعتمدها في هذه الدراسة وهي قليلة الأخطاء، مثقلة بالحواشي.

ص: 376

1- ذكر ابن عطية في معرض حديثه عن البسملة أثارن يقتضيان أن البسملة آية من الحمد، ثم قال: ويرد ذلك حديث أبي بن كعب الصحيح وجاءت هذه العبارة في نسخة آرثر جفري على النحو التالي: (و يبين ذلك حديث أبي بن كعب الصحيح). انظر المقدمة: 287، و انظر المحرر الوجيز: 79/1، و قد ذكر الأستاذ الفايذ أكثر من تحريف في هذه المقدمة، انظره في: منهج ابن عطية في تفسير القرآن: 84.

إشارة

بدأ ابن عطية- يرحمه الله- تفسيره بالحمد لله، و الشكر له على تفضله و امتنائه، حيث جعل أمة محمد صلى الله عليه و سلم أمة وسطا بين الأمم، و ألهمها من العوارف و المعارف ما يوصلها إلى معرفته جلّت قدرته.

و أسدى التزكيات المباركات على رسول الله صلى الله عليه و سلم الذي نهض بأعباء الرسالة حتى بلغها أتم تبليغ.

بعدها بين- رحمه الله- أنه تحمل المتاعب الجمة، و ركب الصعاب، فأوصل الليل بالنهار طالبا للعلم، و باحثا عن المعرفة، حتى نال ما سعى إليه و تمناه، فأخذ من العلوم ما قدر عليه، ثم إنه حين رأى تنوع العلوم و كثرتها، و تشعبها، أراد أن يختار لنفسه علما يقضي في بحث مسانله جلّ أوقاته، و يفني فيه العمر، فكان أن هداه الله إلى علم كتابه جلّت قدرته، أمتن العلوم و أرسخها و أسطعها، فجعله مدار بحثه و درسه، و أثنى إليه عنان النظر، و أقطعه جانب الفكر.

ثم عرض المصنف منهجه في كتابه، فوصفه بالتوسط و الإيجاز، على مذهب السلف في النظر إلى ظواهر النصوص، دون الخوض في الرمز و الإيحاء على مذهب أهل الزيغ و الإلحاد.

و قبل أن يقدم بين القول في التفسير الأشياء التي ينبغي أن تكون راسخة في حفظ الناظر في هذا العلم، مجتمعة له، قبل ذلك رجا الله الثواب

من وراء العمل، وأن يبارك له في الذي فعل.

الباب الأول: ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة ونبهاء العلماء - رضي الله عنهم - في فضل القرآن المجيد و صورة الاعتصام به

ذكر المصنف في هذا الباب جملة من الأحاديث والآثار وأقوال أهل العلم، في فضل القرآن الكريم، أراد من خلالها بيان فضل كتاب الله تعالى، وأن المتمسك به لن يضل أبداً، كما أشارت تلك الآثار إلى العديد من خواص كتاب الله، وكان من جملة تلك الآثار التي أوردتها تلك التي أكدت على فضل تلاوة القرآن الكريم، وفضل تعلمه وتعليمه، وما يلقاه التالي له من النور، وما ينتظره من الوعد المقيم.

أعقب ذكر الآثار التنبيه إلى أن التلاوة الحقة تقتضي العمل بالمتلو، فذكر أن مراد الحق تعالى من تقيلاً في قوله **إِنَّا سَدَّ نُلُقِي عَلَيْكَ قَوْلًا تَقِيلاً** [المزمل: 5] هو العلم بمعانيه والعمل به، والقيام بحقوقه.

وقد جاء هذا الباب في اثني عشرة صفحة.

الباب الثاني: في فضل تفسير القرآن، والكلام على لغته، والنظر في إعرابه و دقائق معانيه

جاء هذا الباب مختصراً، أكد فيه المصنف أن إعراب القرآن أصل في الشريعة لأن به تقوم معانيه، وروى في ذلك حديثين للدلالة على أهمية

ص: 378

الموضوع، و عدة آثار عن كبار الصحابة و التابعين تبين مكانة العارف بتفسير كتاب الله، و مدى حرص السلف رضوان الله عليهم على تعلم علم القرآن، و النظر في دقائق معانيه.

وقد اختار المصنف الآثار التي ذكرها كنماذج للدلالة على ما أراد بيانه، و لم يكثر من ذلك تمشياً مع المنهج الذي رسمه لنفسه، و هو الإيجاز و الاختصار غير المخل، و إلا فالآثار الواردة في هذا الباب كثيرة.

الباب الثالث: ما قيل في الكلام في تفسير القرآن، و الجرأة عليه، و مراتب المفسرين

في هذا الباب تحدث المصنف عن ثلاثة موضوعات كما يظهر من عنوانه:

(1) الكلام في تفسير القرآن.

(2) التفسير بالرأي، و هو ما عبر عنه بالجرأة عليه.

(3) مراتب المفسرين.

أورد المصنف للموضوع الأول، الأثر الوارد عن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- و هي تؤكد أن رسول الله صلى الله عليه و سلم لم يفسر القرآن كله، و إنما فسر آياً بعدد علمه إياهن جبريل؛ ثم تحدث عن تأويل ذلك و بين أنه وارد في مغيبات القرآن، و تفسير مجمله، مما لا سبيل إليه إلا بتوفيق من الله تعالى.

انتقل عقب ذلك إلى الموضوع الثاني، فأورد عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه

قال: «من تكلم في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ»، وذكر أن مراده صلى الله عليه وسلم أن يسأل الرجل عن معنى في كتاب الله فيتسور عليه برأيه دون نظر فيما قاله العلماء، ولهذا فإن التفسير المبني على النظر في الأدلة لا يدخل في هذا الحديث، وأن من السلف من كان يتخرج من الخوض في تفسير الآيات بالرأي تورعا واحتياطاً، وأن آخرين منهم فسروا كثيراً من الآيات بعد أن ملكوا أدوات التفسير، وهؤلاء كانوا أشفق على الأمة في ذلك، إذ بينوا الغريب من الألفاظ، والغامض من المعاني.

وبذلك انتقل للحديث عن الموضوع الثالث، وهو الأخير في هذا الباب، فذكر- يرحمه الله- نماذج ممن برزوا في جانب التفسير، من الجيل الأول، وإلى عصره، وقال معقبا: وكلهم مجتهدون مأجورون. وقد جاء هذا الباب في أربع صفحات.

الباب الرابع: معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم: «القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقراءوا ما تيسر منه»

هذا أطول باب تعرض له المصنف في مقدمته، فقد جاء في خمس عشرة صفحة، قرر المصنف في بدايته اختلاف الناس فيه اختلافا شديداً، ثم ذكر بعض تلك الآراء في بيان معنى الأثر الوارد فيه، يعقب على كل قول يورده، فيضعف بعضها، ويجوز غيرها، ويناقد القائل.

وارتضى من الأقوال اختيار أبي عبيد وغيره من أهل العلم، وهو أن

معنى الحديث أنه سبع لغات لسبع قبائل، ورجح الرأي وانتصر له، ثم سعى لتحديد القبائل التي نزل القرآن على لغاتها، فذكر أنها قريش، وكنانة، وأسد، وهذيل، وتميم، وضمّة و ألفافها، وقيس، وهي القبائل التي انتهت إليها الفصاحة، وسلمت لغاتها من الدّخل.

ولكون أبي عبيد و المبرد وغيرهما من الفائلين بهذا القول كانوا قد ذكروا أن عرب اليمن من القبائل التي نزل القرآن بلسانها، لهذا الأمر أول المصنف قولهم، وقال: ذلك عندي إنما هو فيما استعمله عرب الحجاز من لغة اليمن، فأما ما انفردوا به فليس في كتاب الله منه شيء، فقد أفسد كلام اليمن خلطة الحبشة والهنود.

بعد هذا ذكر من أفسد لغة شرقي الجزيرة مما والى العراق، وشمال الجزيرة مما والى الشام، وذكر أن ما يقوي هذا المنزع أنه حين اتسع نطاق الإسلام، وتجرد أهل البصرة والكوفة لحفظ لسان العرب، وكتب لغتها، لم يأخذوا إلا عن هذه القبائل الوسيطة المذكورة، وتجنبوا اليمن والعراق والشام، كما تجنبوا لغة الحواضر مكة والمدينة والطائف، لأن السبي والتجار من الأمم كثروا فيها، فأفسدوا اللغة، وقد كانت في مدة النبي صلى الله عليه وسلم سليمة لقلة المخالطة.

إذا سبع قبائل عربية، بلغة جملتها نزل القرآن، هو التفسير الراجح لدى المصنف في معنى الحديث الوارد في هذا الباب.

و حين انتشرت الروايات الكثيرة في القراءات التي وردت على لسان

رسول الله صلى الله عليه وسلم وافتترقت الصحابة رضوان الله عليهم في البلدان، ووقع بين أهل الشام والعراق ما وقع من الخلاف في القراءة، ونقل حذيفة الأمر لعثمان بن عفان- رضي الله عنهما- رجاء أن يدرك الأمة قبل أن يشتد الخلاف، استتاب عثمان الكفاءات العلمية الفصحاء ليكتبوا القرآن، ويجعلوا ما اختلفت القراءة فيه على أشهر الروايات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأفصح اللغات، فترك الناس ما خرج عنه مما كان كتب، سدا للذريعة، و تغليبا للمصلحة.

بعدها ذكر المصنف مصحف ابن مسعود- رضي الله عنه- وأن العلماء تركوه سدا للذريعة و لكونه حوى أشياء على جهة التفسير، كما ذكر قراءات القراء السبع المشتهرة، وشاذ القراءة، وقراءة أبي السمال.

و ختم الباب بالإشارة إلى أن ما تعرض له في هذا الباب قد وقع فيه خلاف غير أنه أعرض عن ذكره والغوص فيه تجنباً و كراهية للإطالة، و التزاماً بالمنهج.

الباب الخامس: ذكر جمع القرآن، و شكله، و نقطه، و تحزيبه، و تعشيره

أشار المصنف في بداية حديثه أن القرآن كان مجموعاً في صدور الرجال، كما كان مكتوباً في الصحف و اللخاف و غيرها من وسائل حفظ المكتوبات، فلما استحر القتل بالقراء يوم اليمامة، جمع المصحف بإشارة من عمر- رضي الله عنه- و ندب من أبي بكر رضي الله عنه- فجمعت الصحف على

يد زيد رضي الله عنه، و بقيت تلك الصحف مجموعة إلى خلافة عثمان - رضي الله عنه حين اختلف الناس في المصاحف التي انتشرت على الأحرف السبعة، كمصحف ابن مسعود، و مصحف أبي بن كعب و غيرهما، فندب عثمان - رضي الله عنه زيد بن ثابت و غيره بإيحاء من حذيفة - رضي الله عنه إلى جمع الناس على مصحف واحد، و وضع لهم عثمان منهج الجمع و التدوين، فنسخت الصحف، عدة نسخ، و أرسلت إلى الأمصار لاعتمادها، و أمر بما سواها أن تحرق أو تخرق.

بعدها تحدث المصنف عن ترتيب السور، لكونها مختلفة في مصاحف الصحابة، فذكر قول الباقلاني و غيره بأن ترتيب السور كان من زيد و من معه، بمشاركة من عثمان رضي الله عنه و هو رأي مكّي بن أبي طالب، أما ترتيب الآيات و وضع البسملة فهي توقيفية من النبي صلى الله عليه و سلم، خلا براءة التي أرجأ المصنف الحديث عنها إلى حينه.

ثم بيّن أن ظواهر الآثار تؤكد أن السبع الطول و الحواميم و المفصل كان مرتبا في زمن النبي صلى الله عليه و سلم، و كان من السور ما لم يرتب، فذلك هو الذي رتب وقت الكتب.

و ختم الحديث عن شكل المصحف و نقطه و تحزيبه و تعشيره، فصرح أن العلماء مختلفون في تعيين أول من أقدم على ذلك.

وقد جاء هذا الباب في سبع صفحات.

الباب السادس: في ذكر الألفاظ التي في كتاب الله و للغات العجم بها تعلق

بدأ المصنف هذا الباب بذكر اختلاف العلماء في هذه المسألة، فذكر أنهم فريقان، الأول يرى أن في كتاب الله من كل لغة، والآخر يرى أن القرآن ليس فيه لفظة إلا وهي عربية صريحة، وذكر الأمثلة على الكلمات التي وقع الخلاف فيها. علوم القرآن من خلال مقدمات التفاسير ج 1 384 الباب السادس: في ذكر الألفاظ التي في كتاب الله و للغات العجم بها تعلق ص : 384

صرح باختياره، فبين أن تلك الألفاظ في أصلها أعجمية، لكن استعملتها العرب وعربتها، فغيرت بعضها بالنقص من حروفها، و جرت إلى تخفيف العجمة، و استعملتها في أشعارها و محاوراتها، حتى جرت مجرى العربي الأصيل، و وقع بها البيان.

و ختم الباب بالرد على ابن جرير رائد الفريق الثاني، و القائل أن اللغتين اتفقتا في لفظة لفظة، فاستبعد ذلك، و أكد أن إحداها أصل و الأخرى فرع.

الباب السابع نبذة مما قال العلماء في إعجاز القرآن

ذكر المصنف أن الناس اختلفوا في إعجاز القرآن بأي شيء هو؟

فأورد بعض تلك الأقوال، و بين أن التحدي وقع بنظمه، و صحة معانيه، و توالي فصاحة ألفاظه، و في ذلك ردّ على القائلين بالصرفة.

ثم أوضح أن كلام البشر لا يمكن أن يصل إلى الإحكام الذي هو في كلام منزل الكتاب، و ضرب الأمثلة من كلام الفصحاء و الشعراء، و كيف أن

ص: 384

كلامهم يميّز رغم تنقيحه مدة طويلة، و لذلك أذعنت العرب للأمر، و تأكدت أنه لا يمكن لبشر أن يأتي بمثل ما أتى به محمد صلى الله عليه و سلم، فكان سبب إيمان بعضهم.

ولهذا فإنه تعالى اختار معجزة كل نبي بالوجه الشهير في زمانه، و عليه كانت معجزة موسى عليه السلام للسحرة، و عيسى عليه السلام للطب، و محمد صلى الله عليه و سلم للفصاحة.

الباب الثامن في الألفاظ التي يقتضي الإيجاز استعمالها في تفسير كتاب الله تعالى

أراد المصنف من وراء هذا الباب في مقدمته أن يبين موقفه من إسناد بعض الأفعال إلى الله، و هي لم تثبت بتوقيف من الشارع، فذكر أن جلة من المفسرين قد أبوا حوا ذلك، و فعلوه، و ذلك جريا على عادة العرب في استعمال ذلك في سياق كلامها، و هي محمولة على المجاز، كقولهم: حكى الله تعالى عن أم موسى أنها قالت قُصِّيهِ [القصص: 11] و كقولهم: وقف الله ذرية آدم على ربوبيته بقوله أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ [الأعراف: 172] و نحو ذلك.

يريد المصنف بذلك الاحتراز من الخوض في مثل هذا الأمر، فكلام الله صفة قديمة من صفاته، و الحكاية عن المذكورين أمر محدث، و هو يقتضي تأخير المحكي.

أوضح يرحمه الله أنه يتحفظ من مثل هذا الأمر، و هو يخشى أن يقع منه ذلك، مع أنه جار في كلام العرب، و هو الأمر الذي يبرر للمفسرين

الذين وقعوا فيه، ولهذا اعتذر لإخوانه من المفسرين فعلتهم، وذكر أدلة كثيرة من كلام فصحاء العرب، وشعر شعرائها.

الباب التاسع في تفسير أسماء القرآن، وذكر السورة والآية

ذكر للقرآن أربعة أسماء: القرآن، والكتاب، والفرقان، والذكر، وهي الأسماء الأربعة المشهورة، ويبين أصل تلك التسميات، والأدلة عليها.

ثم انتقل لذكر السورة، فذكر الاختلاف المشهور فيها حول كونها مهموزة أو غير مهموزة، وكذا سبب إطلاقها على ذلك المجموع من كلام الله.

كما بين معنى الآية في كلام العرب، وسبب إطلاقها على الجملة التامة من القرآن، والخلاف في ذلك، وأصل اللفظة واشتقاقها.

تلك هي المقدمات التي بدأ بها ابن عطية كتابه، ليدل على أن الدواعي إلى معرفة هذه العلوم قوية، وأن الحاجة إليها ماسة لمن أراد فهم كتاب الله على الشكل الصحيح المبني على القواعد السليمة.

رابعا: منهج ابن عطية في مقدمته:

إشارة

الإيجاز وحذف فضول القول كانت السمة الأساسية لمنهج ابن عطية يرحمه الله- فقد ظهر ذلك جليا في مادة مقدمته كلها، والإيجاز قد يكون مخالفاً للمادة العلمية أحيانا، فيظهر القصور في العبارة، والغموض في القول، والنقص في الأدلة، غير أن الأمر يختلف إذا كان الموجز من فرسان البلاغة، صاحب عبارة رصينة، وأسلوب بياني محكم كابن عطية.

لقد استطاع المصنف أن يوجز دون أن يخل، و يوضح دون أن يطيل، حتى جاءت المقدمة غاية في الدقة والإيجاز، عبارة و منهجا.

و يتلخص منهج المصنف في مقدمته في الآتي:

- 1) ذكر أقوال أهل العلم في المسائل منسوبة إليهم (1)، و هو النهج الذي ألزم المصنف نفسه به، و قد التزمه في الغالب، غير أنه قد يخرج عن نهجه هذا فيطلق نسبة القول، و يقول: قال بعض العلماء، أو نحو ذلك. (2)
- 2) إيراد الخلاف في المسائل الهامة، مع عرض الآراء بعبارة موجزة. (3)
- 3) التصريح بموقفه من الخلاف و بيان رأيه و مناقشة الآراء الوجيهة بعبارة مختصرة (4).
- 4) عدم الإكثار من الآثار و الأدلة على المسألة الواحدة، و الاكتفاء بما يبين المقصود.
- 5) و من منهج المصنف الاستشهاد بالحديث و الأثر و اللغة و الشعر

ص: 387

-
- 1- انظر أمثلة ذلك في الصفحات: 14، 15، 20، 21، 37، 38، 55، 57، 68، 71.
 - 2- انظر أمثلة ذلك في الصفحات: 19، 20، 35، 38.
 - 3- انظر أمثلة ذلك في الباب الرابع و السادس و السابع، من المقدمة.
 - 4- انظر أمثلة ذلك في الصفحات: 28، 35، 51، 52، 53، 54، 57، 59.

لتأكيد معنى، أو تأييد رأي (1).

(6) عدم ذكر سند الرواية، و الاكتفاء بذكر الصحابي الذي روى الحديث في الغالب (2)، وقد يحذف الصحابي أيضا (3).

(7) وهذا و المصنف يرحمه الله- قد يحيل القارئ في المسائل الهامة التي تحتاج إلى بسط القول فيها إلى موضعه من التفسير، خصوصا تلك التي تعرض لها، و لها تعلق بالسور و الآيات. (4)

خامسا: بيان مدى التزام المصنف في تفسيره بما ذكره في مقدمته:

أما ما يخص التزام المصنف في تفسيره بما ذكره في مقدمته، فقد ذكر المصنف أنه قصد من تفسيره أن يكون جامعا للأقوال و العلوم، و جيزا بحذف فضول القول، مبينا أن العناصر التي سيذكرها عند حديثه عن الآية أو الآيات هي النحو و اللغة و المعنى و القراءة. و هو أمر يجده القارئ بوضوح في تفسيره، فقد راعى المصنف ذلك إلى حد كبير.

كما ذكر المصنف أنه سيسقط القصص الإسرائيلي، و لن يذكر منه إلا ما لا تنفك الآية إلا به، و هو أمر حاول المصنف الالتزام به، فكثيرا ما نجده

ص: 388

1- انظر أمثلة ذلك في الصفحات: 14، 25، 26، 46، 69، 70، 71.

2- انظر أمثلة ذلك في الصفحات: 17، 18، 22، 25، 27.

3- انظر أمثلة ذلك في الصفحات: 13، 14، 23، 26.

4- انظر: المحرر الوجيز: 54/1.

يذكر القصة ثم ينبه إلى أن المروي في الباب أكثر، غير أنه اختصرها لكونه لا يقطع منها بشيء، أو يقول في نحو قوله تعالى: **إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ** [البقرة: 248] و كثر الرواة في قصص التابوت و صورة حملة بما لا أرى لإثباته و جها للين إسناده، أو نحو ذلك (1).

غير أنه لم يلتزمه دائما، فقد يجد القارئ ابن عطية في أكثر من موضع و هو يورد الرواية الإسرائيلية و يتركها دون تعقيب و بيان لحالتها (2).

و من شرطه في كتابه أيضا إثبات أقوال العلماء في المعاني منسوبة إليهم على ما تلقى السلف الصالح رضوان الله عليهم كتاب الله من مقاصده العربية السليمة من إلحاد أهل القول بالرموز، و أهل القول بعلم الباطن. و هذا مما التزمه المصنف بشكل تام، فهو إذا شرع في تفسير الآية و كان لأصحاب المنحى الإشاري قول فيه ذكره أو أشار إليه مستبعدا له، (3) و خاصة من أولئك الذين قال عنهم في مقدمته: فمتى وقع لأحد من العلماء الذين حازوا حسن الظن بهم لفظ ينحو إلى شيء من أغراض الملحدين نبهت عليه.

و من شرطه أيضا ذكر القراءات المستعملة منها و الشاذة، و يقصد بالمستعملة التي ثبتت بالإجماع و التي يقرأ بها في الصلاة، و الشاذة التي لا

ص: 389

1- انظر مثاله: 2/360-371-4/284.

2- انظر مثاله: 3/95-131.

3- انظر مثاله: 5/122-223-8/158-416.

يصلى بها لأنها لم تثبت بالإجماع. و الناظر في المحرر الوجيز يجد أن المصنف قد التزم هذا الشرط، و سار عليه من بداية تفسيره إلى منتهاه. (1)

سادسا: مصادر المؤلف في مقدمته:

إشارة

اعتمد ابن عطية يرحمه الله في مقدمته على عدد من المصادر الهامة، و المعتمدة لدى المشتغلين بعلوم القرآن، و قد اختلف منهجه في الاستفادة منها، فهو مرة ينقل النص من المصدر و يذكر ذلك، و حينما يذكر نصا و ينسبه إلى قائله، و يكون القائل صاحب تصنيف مشهور في الباب، و هذا الأخير هو الغالب عليه، و الأمثلة على ذلك كثيرة.

و من أهم مصادر ابن عطية:

محمد بن جرير الطبري. (2)، و أبو بكر بن الطيب الباقلائي، و قد اعتمد أقواله في باب الأحرف السبعة، و جمع القرآن و هي مما جاء في كتابه الانتصار لصحة نقل القرآن (3)، و أبو عبيدة صاحب مجاز القرآن (4) و أبو عبيد القاسم

ص: 390

1- انظر مثاله: 407 /2 -401 /4 -147 /7.

2- انظر مواضع النقل عنه في الصفحات: 51، 52، 57.

3- انظر مواضع النقل عنه في الصفحات: 36، 37، 38، 41، 53.

4- انظر مواضع النقل عنه في الصفحة: 57-70.

بن سلام، صاحب فضائل القرآن، (1) والإمام المقرئ أبو عمرو الداني (2) وأبو علي الفارسي (3) والإمام البخاري (4) و ثابت بن قاسم، صاحب كتاب الدلائل في شرح الحديث، هو من الكتب القليلة التي صرح المصنف بالأخذ عنه. (5)

وعدد آخر لم يرد ذكرهم إلا قليلاً كأبي المعالي الجويني و كتابه الإرشاد (6) و مكّي ابن أبي طالب (7)، و الفراء (8) و الإمام مسلم القشيري صاحب الصحيح (9)، و الجاحظ في كتاب الأمصار (10)، و الزبيدي في كتاب

ص: 391

-
- 1- انظر مواضع النقل عنه في الصفحات: 41، 43.
 - 2- انظر مواضع النقل عنه في الصفحات: 21، 56.
 - 3- انظر مواضع النقل عنه في الصفحات: 64، 65، 72.
 - 4- انظر مواضع النقل عنه في الصفحات: 45، 46، 47، 51.
 - 5- انظر موضع النقل عنه في الصفحات: 35، 38، 42.
 - 6- انظر موضع النقل عنه في الصفحة: 63.
 - 7- انظر موضع النقل عنه في الصفحة: 72.
 - 8- انظر موضع النقل عنه في الصفحة: 72.
 - 9- انظر موضع النقل عنه في الصفحة: 35.
 - 10- انظر موضع النقل عنه في الصفحة: 55.

الطبقات (1) و أبو الفرج صاحب الأغاني (2) وغيرهم.

سابعاً- أهم مزايا المقدمة:

لمقدمة ابن عطية يرحمه الله مزايا عديدة، ربما تفرد ببعضها، وأذكر منها:

(1) تنوع الموضوعات التي اختارها المصنف، وقدمها بين يدي تفسيره.

(2) الإيجاز والاختصار في عرض الموضوعات، وكذا في سرد الأقوال.

(3) الإعراض عن الأقوال الساقطة، وفضول القول.

(4) الرد التفصيلي على بعض الأقوال المرجوحة ومناقشة قائلها.

ثامناً- أظهر المآخذ على المقدمة:

(1) إغفال بعض أصول التفسير، وعدم التوسع فيما ذكر منها.

(2) عدم بيان درجة كثير من الآثار المستشهد بها.

(3) القصور في معالجة بعض الموضوعات مثل إعجاز القرآن.

هذا ما قلته في تفسير ابن عطية وأستغفر الله من الزلل.

ص: 392

1- انظر موضع النقل عنه في الصفحة: 55.

2- انظر موضع النقل عنه في الصفحة: 55.

8- زاد المسير في علم التفسير لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي المعروف بابن الجوزي المتوفى سنة (597 هـ).

أولاً: التعريف بالمؤلف:

إشارة

مؤلف هذا الزاد العظيم هو الإمام أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله الجوزي القرشي البغدادي، و المعروف بابن الجوزي (1).

اختلف أهل العلم في تحديد العام الذي ولد فيه الإمام (2) والذي يترجح أنه كان عام (510 هـ) أو قريباً منه كما يظهر من كلام الإمام نفسه،

ص: 393

1- انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 365/21- ووفيات الأعيان لابن خلكان: 140/3- و الجوزي نسبة إلى جدهم، وقد عرف بذلك؛ قيل: لجوزة كانت في دارهم بواسطة لم يكن بها جوزة سواها، وقيل غير ذلك. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 372/21- و طبقات المفسرين للداودي: 276/1.

2- انظر سير أعلام النبلاء للذهبي: 366/21- و طبقات المفسرين للداودي: 276/1- و ذيل الطبقات الحنابلة لابن رجب: 400/1- و فنون الأفتان لابن الجوزي- مقدمة المحقق: 26.

فقد سئل يرحمه الله عن ذلك فقال: لا أتحقق مولدي. (1) ثم قال في موضع آخر: يكون تقريبا في سنة عشر (2). أي وخمس مائة.

و الإمام ابن الجوزي منسوب لخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أمير المؤمنين أبي بكر الصديق رضي الله عنه فهو ينحدر من أرومة شريفة، ونسب عظيم، ظهر أثره في حياته الخاصة و العامة.

نشأ الإمام يتيما، حيث توفي والده وهو لم يتجاوز ربيعة الثالث، وانصرفت عنه الأم في وقت هو أحوج ما يكون فيه إليهما، فتلقته العناية الإلهية، وحاشا لله الرحيم أن يترك أحبابه، لقد سخر الله للصغير عمه فاضلة، نهضت وانتصبت لتحتضن اليتيم، ولتقوم على رعايته و الاهتمام به، وألقى الله في روعها أن تهبه للعلم الشرعي، فحملته لتلقيه في حضن مربّ فاضل، وعالم نحير، هو الإمام أبو الفضل بن ناصر، فتوسم فيه خيرا، وأجلسه موضع التعليم، وأولاه العناية والرعاية، بجد و اهتمام، وجعله الله سببا لإرشاده، فحمله مرارا إلى المشايخ، وأسمعه مسند الإمام أحمد وهو في سنّ لا يدري ما العلم من الصّغر، فكان بديلا عن أبيه، كما كانت العمه خير بديلة عن أمه، حتى غدا بفضل الله أولا، ثم برعاية العمه والأستاذ ثانيا، ثم بما غرس الله في نفسه من حب العلم ثالثا، كأفضل من كان في

ص: 394

1- انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان: 142/3.

2- انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 368/21.

زمانه، أدبا و سلوكا و تحملا و خلقا و علما.

ذاق ابن الجوزي الصعاب في تلقي العلم، و منع نفسه متع الدنيا، و أجمها من البحث عن ملذاتها، حيث وجد المتعة الحقيقية في الدرس و طلب العلم (و لقد كنت في حلاوة طلبي للعلم ألقى من الشدائد ما هو عندي أحلى من العسل، لأجل ما أطلب و أرجو). (1) و رأى أن ذلك كان سببا لفلاحه في العلم و تحصيله (كنت زمان الصبا آخذ معي أرغفة يابسة فأخرج إلى طلب الحديث، و أقعد على نهر عيسى فلا أقدر على أكلها إلا عند الماء، فكلما أكلت لقمة شربت عليها، و عين همتي لا ترى إلا لذة تحصيل العلم، فأثمر ذلك عندي أنني عرفت بكثرة سماعي لحديث سير رسول الله صلى الله عليه و سلم و أحواله و آدابه...) (2) و لم تدفعه حاجته إلى أن يمد يده للناس أو ينظر إلى الذي في أيديهم، فعاش عفيفا، و طلب العلم لله و من يتق الله يجعل له مخرجا. وَ يَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ [الطلاق: 2]

انكب ابن الجوزي على العلم، و انتقل من شيخ لآخر، و من كتاب إلى آخر حتى طالع أكثر من عشرين ألف مجلد، و هو لا يزال في طلب العلم (3).

و هكذا حتى انتهت إليه معرفة الحديث و علومه، و الوقوف على صحيحه

ص: 395

1- انظر: صيد الخاطر لابن الجوزي: 213.

2- المصدر السابق: 213.

3- انظر: المصدر السابق: 375.

من سقيمہ، فكان من أحسن الناس كلاما، وأتمهم نظاما، وأعذبهم لسانا، وأجودهم بيانا (1)، يسير على منهج السلف و يلتزمه سلوكا و عملا و عبادة، و يرشد إليه أعز الناس، كتب لولده تصنيفه القيم «لقتة الكبد» حثه فيه مرارا و تكرارا على التزام هذا المنهج، و الاقتداء بسيرة السلف، و الالتزام بسلوكهم.

كما (كان بحرا في التفسير، علامة في السير و التاريخ، موصوفا بحسن الحديث و معرفة فنونه، فقيها عليما بالإجماع و الاختلاف، جيد المشاركة في الطب، ذا تفنن و فهم و ذكاء و حفظ و استحضر و إكباب على الجمع و التصنيف مع التصون و التجمل، و حسن الشارة و رشاقة العبارة، و لطف الشمائل، و الأوصاف الحميدة، و الحرمة الوافرة، عند الخاص و العام، ما عرفت أحدا صنف ما صنف). (2)

شيوخه و تلامذته:

تضمن (مشيخة ابن الجوزي) أسماء شيوخه و ترجمة وافية لهم، كما ذكر يرحمه الله في (صيد الخاطر) جملة من أخبارهم و قال: لقيت مشايخ أحوالهم مختلفة، يتفاوتون في مقاديرهم في العلم، و كان أنفعهم لي في صحبته

ص: 396

1- انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 373/21.

2- قاله الإمام الذهبي: انظر سير أعلام النبلاء: 367/21.

العامل منهم بعلمه، وإن كان غيره أعلم منه (1).

و من شيوخه الذين تتلمذ عليهم، وأخذ عنهم:

أبو الفضل محمد بن ناصر السلامي ت (550 هـ) (2)، وأبو الحسن علي بن عبيد الله الزاغوني ت (527 هـ) (3)، وأبو منصور موهوب بن أحمد الجواليقي ت (540 هـ) (4).

أما تلامذته فهم كثر، منهم الأئمة والعلماء، وقد أورد الذهبي نصافيه ذكر بعضهم، منهم: الشيخ موفق الدين ابن قدامة (5)، وابن النجار (6) وخلق سواهما. (7)

ص: 397

1- انظر: صيد الخاطر: 140.

2- انظر: لفظة الكبد لابن الجوزي: 30- و المنتظم له: 162/10- و ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب: 401/1.

3- انظر: المنتظم لابن الجوزي: 32/10- و ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب: 180/1- و طبقات المفسرين للداودي: 276/1.

4- انظر: صيد الخاطر لابن الجوزي: 140- و ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب: 204/1.

5- هو موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، فقيه زاهد عابد مجاهد، قيل: كان أعلم أهل الشام في زمانه، له مصنفات مشهورة منها المغني في الفقه، توفي (620 هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 165/22- و ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب: 133/4.

6- هو محمد بن محمود بن الحسن ابن النجار، مؤرخ حافظ للحديث، رحل في طلب العلم واستمر في رحلته (27) سنة، اشتملت مشيخته على ثلاثة آلاف شيخ، له ذيل تاريخ بغداد، توفي (643 هـ) انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي: 1428/4- و شذرات الذهب- لابن عماد: 226/5.

7- انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 367/21.

قال الحافظ ابن كثير عن الإمام ابن الجوزي أنه جمع المصنفات الكبار والصغار، ونحوها من ثلاثمائة مصنف، وكتب بيده نحوًا من مائتي مجلدة. (1)

وقال سبطه أبو المظفر: سمعت جدي علي المنبر يقول: يا صبيّ هاتين كتبت ألفي مجلدة... إلى أن قال: و مجموع تصانيفه مائتان وثيّف وخمسون كتابا (2).

وقد نالت مصنفات الإمام شهرة واسعة، وتلقّتها الأمة في جملتها بقبول حسن، ولا زالت تعول على كثير منها، وهي متنوعة شملت كل الفنون، فله في التفسير والحديث والفقّه والوعظ واللغة والتاريخ والسير وغير ذلك، ومنها أنه صنف في التفسير أربعة تصانيف، (المغني) وهو كتاب واسع مبسوط، و (زاد المسير) وهو كتاب وسيط، و (تيسير البيان) كتاب وجيز، و (تذكرة الأريب في تفسير الغريب) مقتصر على تفسير الغريب.

وله في علوم القرآن (فنون الأفتان) وغيره.

وفي الحديث صنف الكثير، منها (جامع المسانيد بالخص الأسانيد)

ص: 398

1- انظر البداية و النهاية لابن كثير: 31/13.

2- انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 370/21.

و (الضعفاء و المتروكين) و (الموضوعات) و غيرها.

و كتب في اللغة و التراجم و السير و التاريخ و المواعظ و من ذلك: كتاب (صفوة الصفوة) (و صيد الخاطر) و (مناقب بغداد) و غيرها.

هذا و قد ألف الأستاذ عبد الحميد العلوجي كتابا في مصنفات ابن الجوزي أسماه (مؤلفات ابن الجوزي) طبع في بغداد 1965 م شمل جميع ما كتبه الإمام، كما اهتم فضيلة الدكتور حسن ضياء الدين عتر، بذكر مؤلفات الإمام، المطبوع منها و المخطوط و أماكن وجودها في تحقيقه لفنون الأفتان للمصنف، فجزاهما الله خير الجزاء.

وفاته:

كان آخر ما خطه يراع الإمام ابن الجوزي من النظم أبيات عظيمة غلب عليها جانب الرجاء، و هي تدل على حسن ظنه بالله:

يا كثير العفو عن كثر الذنب لديه

جاءك المذنب يرجو الصفح عن جرم يديه

أنا ضيف و جزاء الضيف إحسان إليه بقي الإمام مريضا بعدها خمسة أيام إلى أن توفي ليلة الجمعة بين المغرب و العشاء عام سبع و تسعين و خمسمائة للهجرة (1)، رحمه الله رحمة

ص: 399

-
- 1- انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 379/12- و طبقات المفسرين للداودي: 280/1- و ينظر للمزيد في ترجمته: البداية و النهاية لابن كثير: 28/13- و ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب: 399/1- و سير أعلام النبلاء للذهبي: 365/21- و شذرات الذهب لابن عماد الحنبلي: 329/4- و طبقات المفسرين للداودي: 275/1- و طبقات المفسرين للسيوطي: 50- و صيد الخاطر لابن الجوزي: 140-213- و فنون الأفتان لابن الجوزي، مقدمة المحقق.- و وفيات الأعيان لابن خلكان: 140/3.

واسعة، وأدخله مدخلا كريما.

ثانيا: التعريف بالتفسير و المقدمة:

يعتبر زاد المسير في نظر كثير من أهل العلم من أجلّ التفاسير التي وصلت إلينا من حيث سلامة عقيدة المصنف، و من حيث المنهج و الترتيب الذي سار عليهما المصنف في تفسيره، فقد حاول يرحمه الله تجنب ما وقع فيه أسلافه من عيوب في التصنيف، فتلافى ذلك بحسن العرض للأقوال و المعاني، و هو منهج سار عليه من قبله الماوردي المتوفى سنة (450 هـ) رحمه الله.

لقد حرص المصنف على أن يجعل تفسيره هذا مختصرا وافيا، حاويا لما أثر عن رسول الله صلى الله عليه و سلم، جامعا لأقوال علماء الصحابة و نبهاء التابعين، مشتملا لما نقل عن السلف في بيان المعاني، ضم إلى ذلك القراءات القرآنية المشهور منها و الشاذ، فجاء تفسيراً في غاية الإحكام و الإقتان، و في ذلك يقول المصنف: لا يعتقدن من رأى اختصارنا أننا أقللنا، فإننا قد أشرنا بما

ص: 400

ذكرنا إلى ما تركنا و دللنا، فليكن الناظر في كتابنا متيقظا لما أغفلنا، فإننا ضمنا الاختصار مع نيل المراد، وقد فعلنا. (1)

وقد تأثر ابن الجوزي في منهجه كما ذكرت بالماوردي، حتى أنه قد يصعب على القارئ التمييز بين منهجيهما، وطريقتيهما في عرض الأقوال، وسرد المعاني.

أما من حيث المعاني فقد اعتمد ابن الجوزي كثيرا على شيخ المفسرين ابن جرير الطبري، وعلى ابن قتيبة في كتابيه (مشكل القرآن) و (غريب القرآن) كما اعتمد على غيرهما كالزجاج والفراء وأبي عبيدة وغيرهم، وهو يذكر أنه انتقى تفسيره من أنقى التفاسير، فأخذ منه الأصح والأحسن والأصون، ونظم ذلك في عبارة مختصرة (2).

وقد كان المفترض من ابن الجوزي، وهو المفسر المحدث، تلافي ما وقع فيه السابقون من إيراد بعض الأحاديث الضعيفة والمنكرة، أو الاستشهاد بالإسرائيليات التي أغنانا الله عنها بما هو أصح، غير أن المصنف وقع في ذلك، وفي مواضع عديدة، وكان ذلك من أشد ما يؤخذ على المصنف، كما يؤخذ عليه عدم الترجيح بين الأقوال في الغالب، فهو حين يذكر المفردة القرآنية، أو الآية فإنه قد يذكر لها خمسة أقوال في بعض الأحيان، دون أن

ص: 401

1- انظر: زاد المسير: 380 /9.

2- انظر: زاد المسير: 7 /1.

يبين الراجح منها، أو الذي يميل إليه على أقل تقدير، وبذلك يترك القارئ حائراً لا يعرف الراجح من المرجوح.

وقد جاءت مقدمة (زاد المسير) على وفق ما ذكر المصنف من الاختصار والإيجاز، فسودت أربع صفحات ونصف من القطع المتوسط، تعرض المصنف فيها لعدة فنون من فنون علوم القرآن دون أن يتعمق في البحث، وما ذكره هو حصيلة أقوال أهل العلم السابقين عليه.

وقد طبعت المقدمة مع التفسير طبعة واحدة فيما أعلم، ثم تم تصويرها عدة مرات بأحجام مختلفة، واعتبر الناشر كل تصوير بمثابة طبعة مستقلة، وهي طبعة المكتب الإسلامي ببيروت: 1384 هـ 1964 م، بعناية الأستاذ زهير الشاويش، وكانت الطبعة الرابعة مصغرة وهي التي اعتمدها، وكانت في عام 1407 هـ 1987 م.

ثالثاً: عرض موضوعات المقدمة:

افتتح المصنف كتابه بحمد الله، والثناء عليه، وإسداء الشكر له تعالى الذي شرف الأمة بخير نبي أرسله، جعله سراجاً منيراً، ولم يجعل له من أرباب جنسه نظيراً، وأنزل عليه الكلام الذي كان التحدي به.

ثم بين يرحمه الله أن شرف العلم من شرف المعلوم ولذلك كان علم القرآن من أشرف العلوم، وهو الأمر الذي دعاه إلى النظر في كتب التفسير التي تناولت بيان معاني كلماته فوجدها بين كبير ينس الحافظ منه، وصغير

لا يستفاد كل المقصود منه، فكان هذا المختصر اليسير الذي وسمه به (زاد المسير في علم التفسير) ورجا الله أن يكون قد أدى المطلوب.

ثم ذكر فصلاً في فضيلة علم التفسير، فأورد فيه ما روي من أن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكونوا يتجاوزون عشر آيات من كتاب الله، حتى يعلموا ما فيها من العلم والعمل، كما بين حرص الصحابة على معرفة كل ما يتصل بالقرآن من الأمور والأحوال التي تعين على فهم معانيه.

انتقل بعدها للموضوع الآخر وهو معنى التفسير والتأويل والفرق بينهما، فأورد اختلاف أهل العلم في ذلك بعبارة مختصرة، ذكراً قول الجمهور.

ثم ذكر المدة التي نزل فيها القرآن على قلب النبي صلى الله عليه وسلم مبيناً تعدد الأقوال في ذلك.

تعرض بعدها لذكر أول ما نزل من القرآن وآخر ما نزل، والخلاف في ذلك مع ذكر الروايات المبيّنة لها، مرجحاً بينها، وجاء الختام ببيان غايته من التصنيف في التفسير، واهتمامه بمسائل علوم القرآن، فذكر أن جمهور كتب المفسرين لا يكاد الكتاب منها يفني بالمقصود بمفرده، وأن المتابع يحتاج إلى التنقل بينها حتى يحصل مراده، وأنه بسبب ذلك أدرج في كتابه هذا جلّ تلك الفنون بحيث يستغني الناظر فيه عن غيره.

كما بين الخطوط الرئيسة لمنهجه، وأوماً إلى نوعية مصادره وقيمتها.

رابعاً: منهج ابن الجوزي في مقدمته:

أما منهج ابن الجوزي فإنه يذكر الروايات التي تتحدث عن الموضوع المطروح للبحث، مع التصريح بذكر الراوي أو القائل، وإن كان في المسألة خلاف أشار إلى ذلك وقد يرجح حينئذ بينها، وقد يكتفي بذكر الروايات دون الترجيح. (1)

خامساً: بيان مدى التزام المصنف في تفسيره بما ذكره في مقدمته:

نعت المصنف تفسيره بأنه تفسير وسط بالغ في اختصار ألفاظه، مرتب ترتيباً سهلاً فهمه، أوضح الألفاظ المشككة، وشرح الغريب منها. و هي كلها نعوت التزامها المصنف، فالتفسير كما ذكر من أجود التفاسير ترتيباً وتنسيقاً، وهو مختصر بعبارة موجزة، لا يتوانى المفسر من شرح غريب الألفاظ، وتوضيح المشكل، والأمثلة على ذلك كثيرة (2).

هذا وذكر المصنف أنه أتى بما لم يأت به بعض المفسرين من إغفال لبعض المسائل والعلوم كالناسخ والمنسوخ، أو أسباب النزول، أو بيان المكي من المدني أو غير ذلك مما بيانه من مهام المفسر، ولا يستغني عنه

ص: 404

1- انظر: زاد المسير: 5/1.

2- انظر: زاد المسير: 1/113-183-337-435.

وقد التزم المصنف هذه الشروط أيضا في تفسيره، فهو يبين الناسخ و المنسوخ، و يذكر الأقوال في ذلك (1)، و يتحدث عن أسباب النزول (2)، و يبين مكية السورة أو مدنيها فيبين إن كانت السورة بتمامها مدنية، أو بتمامها مكية، أو أن بعضا منها مكي و الآخر مدني، أو العكس (3).

و من شروط ابن الجوزي أنه لا يعيد تفسير الكلمات التي سبق أن فسرها إلا على وجه الإشارة، و أنه لا يترك الأقوال المعتمدة بل يذكرها، و قد يترك فرش الآيات لأحد الأمرين، إما أن يكون قد سبق، أو يكون ظاهرا لا يحتاج إلى تفسير.

و هذه الضوابط التزمها المصنف في الغالب أيضا، كما فعل في أول سورة آل عمران حيث أغفل تفسير الآية الأولى منها مكتفيا بما قال في البقرة من تفسير الأحرف المقطعات التي في أوائل السور، و كذا تفسير الْحَيِّ الْقَيُّومِ من الآية نفسها مكتفيا بما ذكره في تفسير آية الكرسي. (4)

سادسا: مصادره في المقدمة:

ص: 405

1- انظر: زاد المسير: 1/ 275-305-365.

2- انظر: زاد المسير: 1/ 133-218-223.

3- انظر: زاد المسير: 1/ 19-349-267/2.

4- انظر: زاد المسير: 1/ 20 و 349.

غالب النصوص والآثار التي استشهد بها المصنف جاءت معزوة لأصحابها، وهم في جملتهم من الصحابة والتابعين، كابن مسعود وابن عباس و جابر بن عبد الله وعكرمة و الشعبي وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين

أما مصادر المصنف من الكتب، فالمصدران الوحيدان اللذان وردا في مقدمة ابن الجوزي، هما صحيحا البخاري و مسلم، ذكر البخاري في موضعين، و مسلما في موضعين قرن بينهما في أحد الموضعين، و أحال إليهما الروايات الواردة في أول ما نزل، و آخر ما نزل (1).

سابعاً: أهم المميزات و أظهر المآخذ:

مقدمة (زاد المسير في علم التفسير) من المقدمات المختصرة التي لم تخصص لما هدف إليه أصحاب المطولات من إثبات ما يلزم أن يكون في ذهن طالب العلم الناظر في التفسير حتى يفهمه على النحو الصحيح، فالمصنف قد أفرد لعلوم القرآن و أصول التفسير كتاباً مستقلاً، و ما ذكره في هذه المقدمة تذكير بفضيلة التفسير و نزول القرآن، و لهذا الأمر لا يحسن الحكم على هذه المقدمة بالميزان الذي حكم به على غيرها. و الله أعلم

هذا ما عرفته عن تفسير ابن الجوزي، و أستغفر الله من التقصير أو

ص: 406

الخطأ في القول.

ص: 407

9- الجامع لأحكام القرآن و المبين لما تضمنه من السنة و آي الفرقان لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح
الخزرجي الأندلسي القرطبي المتوفى سنة 671 هـ

أولاً: التعريف بالمؤلف:

إشارة

مؤلف هذا السفر العظيم هو: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح بسكون الراء و الحاء المهملة الأنصاري الخزرجي المالكي، أبو عبد الله القرطبي.

ولد في قرطبة من بلاد الأندلس، ونشأ وترعرع في كنف أبيه ورعايته، ولم تشر المصادر التي وقفت عليها إلى سنة ولادته، غير أن أستاذي الدكتور علي بن سليمان العبيد حفظه الله و بارك فيه استدل من خلال نصوص وردت في ثنايا التفسير أن ولادته ربما كانت في بداية القرن السابع الهجري (1).

و الذي يظهر من سيرة القرطبي رحمه الله أنه تلقى العلم في مقتبل العمر، فزاحم الركب، وأخذ عن جلة من العلماء، و صفوة من الأخيار

ص: 408

1- انظر: تقاسير آيات الأحكام للدكتور علي بن سليمان العبيد: 313/1 رسالة دكتوراه كلية أصول الدين جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

المشاهير من أهل العلم وصلاح في وقته، من أهل قرطبة و ما جاورها من منابر الإشعاع، و لازمهم حتى حصّل ما عجز غيره عن تحصيله في القرآن و القراءات و الحديث و النحو و الفقه و البلاغة، و غيرها من علوم العربية، حتى كان عام 627 هـ حين قتل والده، و سقطت قرطبة في أيدي القشتاليين سنة 633 هـ قرر الرحيل، و ترك مراع الصبا، ليتوجه إلى الإسكندرية و ليتم ما بدأه في دياره، فجلس إلى علمائها يتلقى العلم طالبا.

و قد عرف عن القرطبي الصلاح و التقى، و الإكثار من العبادة و النوافل حتى ذكر المترجمون له بأن أوقاته كانت معمورة ما بين توجهه و عبادة و تصنيف، و ذكروا من مآثره البعد عن التكلف و ما يشغل أهل الدنيا و طلابها، و من نعوته أنه كان شيخا صالحا و قافا عند حدود الله، يحرص على السنة و يحارب البدعة و المبتدعين. (1)

شيوخه و تلاميذه:

يقول ابن خلدون: إن البشر يأخذون معارفهم و أخلاقهم، و ما ينتحلون به من المذاهب و الأخلاق، تارة علما و تعليما و إلقاء، و تارة محاكاة و تلقينا بالمباشرة، إلا أن حصول الملكات عن المباشرة و التلقين أشد

ص: 409

1- انظر: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقري: 412/2- و الديباج المذهب لابن فرحون: 317- و شجرة النور الزكية: 2/197، و تفاسير آيات الأحكام و مناهجها للدكتور علي سليمان العبيد: 313/1.

استحكاما، وأقوى رسوخا، فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها (1).

وقد تلقى القرطبي رحمه الله ثقافته وعلمه من شيوخ أجلاء تأثر بهم، وتكونت شخصيته على أيديهم، وتحت أنظارهم، ومن هؤلاء: الشيخ أبو العباس أحمد بن عمر القرطبي (2)، والشيخ عبد العظيم بن عبد القوي المنذري (3)، وغيرهم من شيوخ قرطبة ومصر والإسكندرية وغيرها.

والأمر الذي يدعو إلى الاستغراب في سيرة القرطبي رحمه الله أن لا يذكر له تلميذ واحد، سوى ما روى أن ابنه شهاب الدين أحمد قد روى عنه وبالإجازة.

وهو أمر يدعو إلى التعجب حقا، وربما علل بعض الباحثين ذلك لانشغاله بأمر نفسه، وانصرافه إلى تلقي العلم ومجالسة العلماء، وتأليف

ص: 410

1- مقدمة ابن خلدون: 1245 / 4، تحقيق علي عبد الواحد.

2- هو أحمد بن عمر بن إبراهيم الأنصاري القرطبي، محدث مالكي، من كبار الأئمة في الحديث، اختصر الصحيحين، وألف المفهم في شرح صحيح مسلم، توفي (656 هـ). انظر: طبقات المفسرين للداودي: 70 / 2- و شذرات الذهب لابن عماد: 273 / 5.

3- هو عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله المنذري، حافظ حجة، برع في العربية والفقه والحديث حتى قيل: كان عديم النظير في معرفة علم الحديث، له مختصر مسلم وغيره، توفي (656 هـ)، انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي: 143 / 6- و شذرات الذهب: 277 / 5.

الكتب، وإلى العبادة، إضافة إلى عدم مشاركته في أعمال القضاء والتدريس (1).

وهو تعليل لا- يشفي الغليل، إذ كيف يترك عالم جليل دل كتابه الجامع لأحكام القرآن فضلا عن موسوعاته الأخرى على علو كعبه في المنقول والمعقول، و سمو مكانته و تبحره في العلم، فمثله يهرع إليه طلبه العلم، و يجلسون على بابه لتلقي كلمة أو سماع أثر، بل كان الأمر يصل ببعضهم أن يعمل ما يزوج به في السجن ليلتقي عالما قد حكم عليه بالسجن فيأخذ عنه فيتحمل العذاب المصنني لتلقي العلم، فكيف أغفله طلاب العلم و لم يتلقوا عنه؟!

و بالنظر إلى الفترة التي عاشها القرطبي في مصر، و ما عرف عنه يرحمه الله من مناهضة الرافضة و الرد عليهم، و إشهار سيف الحق في وجوههم، و بيان زيفهم و انحرافهم و ضلالهم (2)، و كأني و أنا أقرأ في سيرة القرطبي و شيئا من مقدمته التي أفاض فيها التصدي للقوم و مواقفهم المخزية من القرآن الكريم، و كأني أرى أنه منع نتيجة ذلك من التدريس و منع عنه الطلبة فتفرغ للتأليف منعزلا حتى أخرج لنا هذا التراث العظيم وَ اللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ [الصف: 8]، فالتعليل الأقرب إذا لعدم وجودم.

ص: 411

1- انظر: تفاسير آيات الأحكام للدكتور علي بن سليمان العبيد: 313 / 1.

2- ينظر مقدمة التفسير للوقوف على بعض ردوده عليهم.

تلاميذ للقرطبي عائد و الله أعلم إلى التسلط السياسي الذي مارسته الفئة الباغية على أهل العلم، وهو ما يسمى في عصرنا الحالي ب (الإقامة الجبرية) فلا- التدريس و التعليم مسموح به، ولا- الهجرة و السياحة في الأرض مسموحة. وَيَمَكُرُونَ وَيَمَكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ [الأنفال: 30].

تصنيفه و مؤلفاته:

روى غير واحد عن الإمام الذهبي قوله في القرطبي: إمام متفنن متبحر في العلم، له تصنيف مفيدة تدل على كثرة اطلاعه و وفور عقله و فضله. (1).

و صدق الذهبي فيما قال فإن المطلع على النتاج العلمي الذي خلفه القرطبي ليشهد بقوة على هذه الحقيقة، فهي كالشمس في رابعة النهار.

و من مؤلفاته:

(1) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى.

(2) التذكار في أفضل الأذكار.

(3) التذكرة في أحوال الموتى و أمور الآخرة.

(4) قمع الحرص بالزهد و القناعة و رد ذل السؤال بالكتب و الشفاعة.

ص: 412

1- قاله الذهبي في تاريخ الإسلام، و انظره في نفع الطيب للمقري: 414/2- و طبقات المفسرين للداودي: 69/2.

إضافة إلى تفسيره الذي هو موضوع دراستنا هنا، وغير ذلك من التصانيف (1).

وفاته:

و لكل شروق غروب، ففي ليلة الاثنين، التاسع من شوال سنة 671 هـ أفل نجم القرطبي ليلقى وجه ربه في النعيم المقيم إن شاء الله الغفور الرحيم، وكانت وفاته في منية ابن خصيب، مستقره من الصعيد الأدنى من ديار مصر، وهي المسمى حالياً ببلدة، المنيا (2) رحمه الله رحمة واسعة.

ص: 413

1- انظر: الديباج المذهب لابن فرحون: 317- و طبقات المفسرين للداودي: 69/2- و نفح الطيب للمقري: 413/2- و هدية العارفين: 129/6.

2- انظر: طبقات المفسرين للداودي: 69/2- و شذرات الذهب: 335/5. و ينظر للمزيد في ترجمته: تفاسير آيات الأحكام و مناهجها، للدكتور/ علي بن سليمان العبيد: 313/1، رسالة دكتوراه بكلية أصول الدين جامعة الإمام محمد بن مسعود الإسلامية. و التفسير و المفسرون، لمحمد بن حسين الذهبي: 457/2- و الديباج المذهب، لابن فرحون: 317- و الذيل و التكملة لكتابي الموصول و الصلة- السفر الخامس- القسم الثاني: 585- و شجرة النور الزكية، محمد مخلوف: 197- و شذرات الذهب، لابن عماد الحنبلي: 335/5- و طبقات المفسرين، للداودي: 69/2- و طبقات المفسرين، للسيوطي: 28- و من الجامع لأحكام القرآن، د/ محمد أديب الصالح: 8- و نفح الطيب

حين سئل شيخ الإسلام ابن تيمية يرحمه الله عن خير تفسير بين تفاسير ثلاثة ذكرت له، تفسير الزمخشري و القرطبي و البغوي، كان جوابه يرحمه الله- أن: تفسير القرطبي خير من تفسير الزمخشري، و أنه أقرب إلى طريقة أهل الكتاب و السنة، و أنه أبعد عن البدع. (1)

و لهذه المزية و غيرها انتقاه العلماء و طلبة العلم، فطالما ارتووا من مورده العذب الزلال، و هو تفسير عظيم الشأن سار بذكره الركبان، و هو كما قال الذهبي: تفسير لا نظير له، فضله الأشياخ المتأخرون على أكثر ما بالأيدي من التفاسير. (2)

و الذي أراه أنه لو ادعى من اقتنى هذا التفسير الجليل من طلبة العلم أنه قد يستغني به عن غيره من التفاسير لما حقَّ لأحد أن يستنكر عليه قوله، فهو تفسير جامع شامل لجميع اتجاهات التفسير، من المأثور و الرأي، لا يستغني عنه مغرم باللغة و النكات البلاغية، و لا فقيه باحث عن الأحكام القرآنية، و لا مهتم بالعقائد، فالكل يجد فيه بغيته و مبتغاه، ناهيك عن شيوخ

ص: 414

1- انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: 387/31.

2- انظر: الذيل و التكملة لكتابي الموصول و الصلة- السفر الخامس- القسم الثاني: 585- و نفع الطيب للمقري: 414/2 نقلا عن الذهبي في تاريخ الإسلام.

القراءات الذين يعدون هذا السفر الجليل مرجعا هاما في فنههم، خاصة في توجيه القراءات القرآنية.

ولهذه المزاياء ولغيرها عدّ المترجمون للقرطبي تفسيره هذا من أجل التفاسير وأعظمها نفعا، فقد أسقط يرحمه الله القصص والتواريخ، و أثبت عوضها أحكام القرآن مع استنباط الأدلة، كما ذكر القراءات والإعراب والناسخ والمنسوخ، (1) كل ذلك دون أن يخرج عن الهدف الذي رسمه وهو تفسير كتاب الله، وتوضيح ألفاظه، وبيان معانيه.

وقد تأثر القرطبي بسلفه ابن عطية تأثرا واضحا، خصوصا في تمحيص الآثار الواردة عن أهل الكتاب، وتلك التي هي محل نظر مما ابتليت به التفاسير عامة، ولهذا ذكر ابن خلدون أن القرطبي قد تأثر بابن عطية في منهجه وطريقته في هذا المنحني (2).

هذا وقد استطاع المصنف بعبارته السهلة، وتقسيمه الدقيق للموضوعات، ومنهجه التميز في هذا الشأن، أن يقدم للقارئ نصا يرتاح معه، فلا يكمل من دراسته، ولا يملّ النظر فيه، وهي الأخرى ميزة عظيمة لهذا التفسير الجليل.

أما ما يخص التعريف بالمقدمة فلا أظنني جانب الصواب حين ادعيتها.

ص: 415

1- انظر: الديباج المذهب: 317.

2- انظر: مقدمة ابن خلدون: 314 ط دار المصحف القاهرة.

في مقدمة هذه الرسالة أن كثيرا من المفسرين ضمنوا مقدمات تفاسيرهم خلاصة أفكارهم، وزبدة آرائهم حول علوم القرآن، وأنهم بنوا هياكل تفاسيرهم على هذه الآراء.. ولا حين ادعيت أن من الأهمية دراسة هذه المقدمات دراسة تحليلية جادة، والغوص فيها لإبراز الدقائق العلمية في ثناياها.. لأنني كنت أعني وأعني ما أقول، فقد كنت على علم بكثير من هذه المقدمات، وعلى دراية بإحداها على الأقل، دراية تامة، طالما أشار إليها أساتذتنا الأفاضل، ونبه على أهميتها شيوخنا الأجلاء، أقصد بذلك مقدمة الجامع لأحكام القرآن، تلك المقدمة التي ما فتأت أرجع إليها بين الحين والحين في البحث الذي أعدته في المرحلة العلمية السابقة لهذه المرحلة.

لقد حوت مقدمة تفسير الإمام القرطبي خلاصة فكره حول كثير من علوم القرآن، عرضها بأسلوب يجمع بين الغزارة العلمية، والطراوة الأدبية، تبنى المصنف كثيرا مما نقله ممن سبقوه، وما لم يرتضه عقب عليه وناقش صاحبه وقدم أدلته ليفند حجج مخالفه، جمع فيه بين مآثور النصوص وقوة الاستنباط والتحليل.

إن هذه المقدمة تعد بحق من أوفى المقدمات التي وقفت عليها في علوم القرآن، من نشأة التفسير وحتى نهاية القرن الثامن الهجري وهي الفترة التي يتناولها هذا البحث جاءت في ست وثمانين صفحة من القطع المتوسطة، مسطرتها 17/24، عدد الأسطر من 19 إلى 22 سطرا.

وقد جاءت هذه المقدمة قليلة الأخطاء بالنظر إلى الطبقات الأخرى

التي وقفت عليها.

أما عدد طبعات المقدمة فهي بعدد طبعات التفسير نفسه، فلم تطبع منفردة، ربما لأنه تيسر لهذا التفسير أن يطبع قبل مثيلاته، فلم تكن هناك حاجة لعزله عن أصله، أو ربما لأن عزله عن أصله يخلّ ببعض ما فيه، فقد أراد المصنف أن يربط المقدمة بالتفسير ربطاً محكماً ليكتمل العقد، ولتحقق الغاية التي لأجلها قدم هذه المقدمة. يدل على هذا أن المؤلف كثيراً ما يحيل قارئ المقدمة إلى صلب التفسير بقوله: و سيأتي مزيد بيان في سورة كذا (1)

بل قد يترك البيان كله فيقول: و بيان ذلك في سورة كذا .. (2) و كأنه يريد أن يقول: لا تغفل عن التفسير إنّ فيه خيراً كثيراً، فهو بهذا العمل يريد أن تكون المقدمة و التفسير صنوان.

و هذا و قد طبع الكتاب عدة طبعات منها:

(1) طبعة دار الكتب المصرية.

(2) طبعة دار الكتاب العربي - القاهرة 1387 هـ الطبعة الثالثة مصورة عن طبعة دار الكتب. قام بتصحيحه و التعليق عليه: أبو إسحاق إبراهيم أطفيش، و أحمد عبد العليم البردوني، و مصطفى السقا.

ص: 417

1- انظر: مثال ذلك: 20/1 - 58 - 86.

2- انظر: 39/1 - 49 - 53 - 59 - 83.

(3) طبعة دار إحياء التراث- بيروت، الطبعة الثانية.

(4) طبعة دار الكتب العلمية- بيروت 1408 هـ، الطبعة الأولى.

ثالثاً: عرض موضوعات المقدمة:

إشارة

قدم الإمام القرطبي بين يدي تفسيره مقدمة مطولة حوت تسع عشرة مقدمة جزئية باعتبار أن كل باب ذكره يعد بمثابة مقدمة مستقلة، هذا على سبيل الإجمال و الإدماج، وإلا فإن الموضوعات التي طرحها للبحث و النقاش تربو على هذا العدد بقدر الضعف.

قدم المصنف تلك المقدمات بكلمة بليغة موجزة، غير أنها كافية ضافية، تحدث فيها عن بلاغة الكتاب المبين، و علو قدر حفظته و العاملين به، ثم بين الباعث إلى التأليف و الكتابة، و الأمور التي اعتزم أن يضمها تفسيره، و ختم الكلمة ببيان شرطه في كتابه، ليبدأ بالتفصيل في الأبواب التي رأى أنه يحسن لطالب التفسير و المشتغل به الإحاطة بها، و هي:

باب: ذكر جمل من فضائل القرآن، و الترغيب فيه، و فضل طالبه، و قارئه و مستمعه و العامل به:

بدأ المصنف هذا الباب بالحديث عن أهمية الموضوعات المطروقة، و عن فضل كلام الله تعالى، و أشار في ثنايا حديثه إلى أن علماء كثر كتبوا فيه تأليف مستقلة، كما أوما إلى مسألة خلق القرآن غير أنه لم يفصل، و اكتفى ببيان مذهب أهل السنة و الجماعة بإيجاز، و حسن فعل. فالخوض في مثل

ص: 418

هذه المسائل يكون في موضعه من التأليف المختصة، ولا حاجة من طرفه في مثل المقدمات.

وذكر المصنف فضل الله سبحانه وتعالى وتكرمه حيث منّ على الأمة الإسلامية بتيسير القرآن للذكر، فجعل الناس قادرين على حمله و حفظه حين عجزت السماوات والأرض عن حمله، ولو لا هذا الفضل لما استطاع الإنسان حمله، قال تعالى: لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ [الحشر: 21].

ثم ذكر في ختام هذا الباب جملة من الآثار الواردة في فضائل القرآن، ليختتم الباب بقوله: والآثار في معنى هذا الباب كثيرة وفيما ذكرنا كفاية، والله الموفق للهداية.

باب: كيفية التلاوة لكتاب الله تعالى، وما يكره منها وما يحرم، و اختلاف الناس في ذلك:

تعرض القرطبي لهذا الموضوع في ثماني صفحات، و ذكر فيه نيفا وعشرين حديثا و أثرا، بدأه بالصحيح الذي رواه البخاري عن قتادة في وصف أنس رضي الله عنه لقراءة النبي صلى الله عليه وسلم بأنه كان يمد مدا.

وقد حلّق المصنف في هذا الباب و سما في الذي ذكره، و أنهاه بعد أن أسبغ عليه الحلل، فما ترك مسألة بحاجة إلى نقاش إلا و قد أشبعها درسا حتى أفنع القارئ حجة.

ثم تحدث عن كيفية قراءة النبي صلى الله عليه وسلم فأورد من الأثر الصحيح ما لا يحتاج معه إلى مزيد بحث، وعن حسن صوت من قرأ وهو يخشى الله، وشين رفع الصوت والتطريب بالقراءة والنبير، خاصة من كان حادّ النبرات رفيع الصوت منكره. مدعماً ما ذكره بالأدلة، وذاكراً من كرهوا ذلك من الأئمة.

ثم عاد مرة أخرى إلى ما ذكره أولاً من كراهية رفع الصوت والتطريب فذكر الخلاف في المسألة بين مجيز ومانع، ذاكراً أدلة ذلك والقائلين بكل قول، دون أن يبخسهم حقهم في العرض والبيان، حيث عرض الأدلة بأمانة وصدق، حتى إن القارئ حين يقرأ له وهو يورد أدلة مخالفيه يذهب به الظن إلى أن المصنف يتبنى هذا الرأي، وبمثل هذه المواقف التي يقفها القرطبي بين الفينة والفينة، كان الحق في جانب أولئك الذين ينفون التعصب المذهبي عن القرطبي، ويذكرون أنه إنما يتبع الدليل بغض النظر عن قائله ومذهبه.

فهو حين ذكر أدلة المجيزين سماهم، وذكر منهم أرباب الفصاحة وفسان البيان، ومن شهدت لهم الأمة بالإمامة كأبي حنيفة والشافعي وابن المبارك والطبري وابن بطلال (1) والقاضي المالكي ابن العربي، وغيرهم. وكل واحد ممن ذكره يكفي بنفسه أن يرفع بسهم الطائفة عالياً، فكيف بهم

ص: 420

1- هو علي بن خلف بن بطلال البكري القرطبي، محدث من أهل العلم والمعرفة، شرح صحيح البخاري، توفي (449 هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 47/18- والديباج المذهب لابن فرحون: 302.

أقول هذا لأدلل على قوة القرطبي في اختياراته، فهو مع الدليل، ولهذا ظهر رسوخ قدمه، وعلو كعبه حين أعلن بعد أن ذكر أدلة المجيزين، وهم من هم، أعلن أنه يرى كراهية التطريب، وأنه الأصح من الأقوال مدللاً ومعللاً لما ذهب إليه، وأن تزيين الصوت يكون بقراءة القرآن، وليس تزيين القرآن بالصوت الحسن كما يراه المخالفون، ورد على المخالفين بأدلة قوية.

كما رأى أن التغني هو تحسين الصوت بالقرآن، ليس التطريب، أو أن يكون بمعنى الاستغناء ضد الافتقار، وهو التأويل الذي ارتضاه سفيان بن عيينة (1)، ووكيع بن الجراح (2)، وهو المروي عن سعد بن أبي وقاص. أو يكون بمعنى الاستغناء به عن سواه من الأحاديث، وهو مذهب البخاري صاحب الصحيح ...

وهكذا نقل ما تأوله العلماء في معنى التغني، فذكر منها التحزن به الذي هو إظهار الحزن ضد السرور، وذكر حسن الصوت بالترجيع، أو أنه بمعنى الجهر بالقرآن.

ص: 421

1- هو سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي، ثقة ثبت حافظ فقيه، تغير حفظه بأخرة، توفي (198 هـ). انظر: طبقات القراء لابن الجزري: 1/308، و ميزان الاعتدال للذهبي: 170/2.

2- هو وكيع بن الجراح بن مليح بن عددي الكوفي، إمام حافظ، كان من بحور العلم و أئمة الحفظ، توفي (197 هـ) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 140/9- و شذرات الذهب لابن عماد: 1/349.

ثم انتقل إلى الحديث عن الترجيع، وصفته، وعلل دعوى أن النبي صلى الله عليه وسلم رجّع في قراءته، بأنه محمول على إشباع المد في موضعه، أو أنه حكاية عن صوته عند هزّ الراحلة. وصرح أثناء حديثه بأن المبالغة في الترجيع والترديد حرام لكون من يفعل ذلك إنما يقصد به الزجر والجوائز، كالذي يقرأ أمام الملوك والجنائز، فضللّ سعيهم، وخبب عملهم، وأنكر عليهم بشدة استحلالهم تغيير كتاب الله، والاجترار عليه سبحانه لأجل غرض زائل من الدنيا، يزينه الشيطان لهم، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، وهم في غيهم يترددون، و بكتاب الله يتلاعبون، وصدق الصادق المصدوق، بأن ذلك سيكون: «اقرأوا القرآن بلحون العرب وأصواتها، وإياكم ولحون أهل الفسق ولحون أهل الكتابين، وسيجيء قوم يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والنوح، لا يجاوز حناجرهم، مفتونة قلوبهم وقلوب الذين يعجبهم شأنهم». (1)

وأنهى القرطبي الباب بتعريف اللحن والترجيل والترتيل ليختمه بالأثر الوارد في نعت قراءته صلى الله عليه وسلم بأنها كانت مفسرة حرفا حرفا. ولأن حفظ كتاب الله، وحسن الصوت قد يلقي في النفس البشرية شيئا من الإعجاب، وحظوظ النفس، وخشية أن ينقلب ذلك إلى الرياء والعياذ بالله فيضيعم.

ص: 422

1- أخرجه البيهقي في الشعب: ح (641)، 1087/3) والمروزي في قيام الليل، انظر المختصر: 119، وأبو عبيد في فضائله: ح 232 ص 99، والهيثمي في المجمع: 179/7 ونسبه للطبراني وقال: وفيه بقية وراولم يسم.

الأجر، خصص يرحمه الله الباب الثاني للتحذير من ذلك وغيره.

باب: تحذير أهل القرآن من الرياء وغيره:

روي عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تخادع الله، فإنه من يخادع الله يخدعه الله، ونفسه يخدع لو يشعر». قالوا: يا رسول الله، وكيف يخادع الله؟ قال: «تعمل بما أمرك الله به، وتطلب به غيره، واتقوا الرياء فإنه الشرك، وإن المرأئي يدعى يوم القيامة على رءوس الأشهاد بأربعة أسماء ينسب إليها: يا كافر، يا خاسر، يا غادر، يا فاجر، ضلّ عملك، و بطل أجرك، فلا خلاق لك اليوم، فالتمس أجرك ممن كنت تعمل له يا مخادع».

هذا باب عظيم، وخطره جسيم، وقد أحسن القرطبي رحمه الله عملاً حين أفرده بباب مستقل، ولم يكتف بما يمكن التحدث به من أمر التحذير من الرياء في صلب التفسير، كما أشار إلى ذلك.

استهل القرطبي رحمه الله هذا الباب الذي جاء في ثلاث صفحات، لتقرير ما ضمنه بقوله تعالى وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا [النساء: 36]، وقوله فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا [الكهف: 110] ليشير بذلك إلى أن من تعلم العلم وعلّمه، وقرأ القرآن وأقرأه، ليقال عالم وقارئ للقرآن قد ارتكب إثماً عظيماً، ولهذا استحق مرتكبه أن يسحب في النار على وجهه حتى يلتقى في

وأورد- رحمه الله- من الأحاديث والآثار ما يؤكد هذا المعنى، ويحذر القراء من الغرور والرياء الذي قد ينفذ إلى النفس فيعرض صاحبه للخطر، ويحرمه من عرف الجنة، ويدخله جب الحزن يوم القيامة.

وانتقل بعد هذا ليقدم العلاج الذي يقى القارئ من الوقوع في المهالك، فيذكره أولاً وأخراً بتقوى الله بأن يتقي الله في نفسه، ويخلص العمل لله، ويوجه من أصابه شيء مما يكره إلى الإسراع في التوبة والإنابة إلى الله، وأن يبدأ بالإخلاص في الطلب والعمل. وليؤكد أن هذا الأمر خير له، أورد من الأثر ما يؤكد أن على قارئ القرآن وحامله أن يتحفظ أكثر من غيره لأن له من الأجر أكثر من غيره.

وختم بوعده للقارئ بمزيد بيان مما يتعلق بالموضوع في صلب التفسير.

باب: ما ينبغي لصاحب القرآن أن يأخذ نفسه به، ولا يغفل عنه:

أكد القرطبي في هذا الباب أن أهم ما ينبغي لصاحب القرآن الأخذ به، وعدم الإغفال عنه هو الإخلاص لله.

بدأ الباب بالتنبيه إلى ذلك، وختمه بالتأكيد على إخلاص النية لله أولاً وأخراً، وبين البداية والختام ذكر جملة من الصفات التي يجب على حامل القرآن أن يتحلى بها، كالقراءة في الليل والنهار، في الصلاة وخارجها، وكالشكر لله، والخوف من ذنوب النفس، والرجاء في عفو الله

و مراقبته جلت قدرته في أوامره و مناهيه، و الاتصاف بالحلم و الأناة و الوقار ... و غير ذلك من صفات الكمال.

ثم شرع المصنف في ذكر المسائل العلمية التي ينبغي لقارئ القرآن معرفتها كالمكي و المدني، و الإعراب، و اللغة، و غير ذلك من العلوم المطلوبة.

يريد بذلك التأكيد على أن العلم لا ينتفع به إن لم يصحبه خلق و أدب و إخلاص للنية، كما أن تلك النعوت الحميدة لا تنفع صاحبها إذا كان مجردا عن العلم خاويا. فما أقبح لحامل القرآن الذي يتلو فرائضه و حدوده و أحكامه و هو لا يفهم معنى ما يتلوه، إذ كيف يعمل بما لا يفهم معناه!!

بعدها ختم المصنف هذا المبحث حيث أرشد طالب العلم الذي يريد بعلمه المباهاة و الشرف في الدنيا إلى تغيير النية لينتفع بما تعلم، (كنا نطلب العلم للدنيا، فجزنا إلى الآخرة).

باب: ما جاء في إعراب القرآن و تعليمه و الحث عليه، و ثواب من قرأ القرآن معربا:

عشرون أثرا عن النبي صلى الله عليه و سلم و صحابته و التابعين أوردها القرطبي في هذا الباب، الذي جاء في ثلاث صفحات، حثت كلها على تعلم الإعراب و العربية، و دلت بمجموعها على ذم اللحن و كراهيته، مما يوجب على قراء كتاب الله و حفظته أن يأخذوا أنفسهم بالاجتهاد في تعلمه.

وقد دَعَم القرطبي ما ذكره قبل أن يختم هذا المبحث بالأمثلة التي تؤكد

المعنى المراد، وكيف أن اللحن يغير المقصود، وبين كيف أن الصحابة فهموا مراد الله بما أوتوا من العلم بالعربية وأشعارها، وأن الشعر ديوان العرب لا ينبغي إغفاله.

باب: ما جاء في فضل تفسير القرآن و أهله:

علي بن أبي طالب- رضي الله عنه- وهو من هو في علو منزلته، وعظيم قدره، يذكر عنده جابر بن عبد الله- رضي الله عنه- فيصفه بالعلم مثنيا عليه، فيقوم رجل مستغربا يقول: جعلت فداءك، تصف جابرا بالعلم وأنت أنت؟! فيقول كرم الله وجهه معللا: إنه كان يعلم تفسير قوله تعالى إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ [القصص: 85].

استدل القرطبي بهذا الأثر وسبعة آثار أخرى عن الصحابة والتابعين وهي مجموع ما أورده في هذا الباب على فضل التفسير، ومكانة المفسر، وعلو منزلته وقدره.

وقد جاء هذا الباب موجزا بخلاف المباحث السابقة، حيث اقتصر المصنف على ما لم يذكره سابقا.

باب: ما جاء في حامل القرآن، و من هو، و فيمن عاداه:

سبق أن حذر المصنف قارئ القرآن من الرياء والغرور في باب خاص، وعاد ليثبت في هذا الباب أن من امثل ذلك من القراء، وابتعد عن

الرياء حقا استحق الفوز في الدنيا بإكرام الناس له، والخوف والخشية من معاداته، وفي الآخرة بالنعيم المقيم، وقد جاء هذا الباب في أقل من نصف صفحة.

باب: ما يلزم قارئ القرآن و حامله من تعظيم القرآن و حرمة:

إشارة

كان عمدة القرطبي في هذا الباب هو الحكيم الترمذي، فقد نقل عنه ما أورده في نوادره من آداب التلاوة، وقد استغرق هذا النقل أربع صفحات احتوى على أكثر من أربعين أدبا من آداب التلاوة، وما يلزم حامل القرآن من تعظيمه و حرمة، و بعد أن أنهى نقل ما ذكره صاحب نوادر الأصول أتبع ذلك باستدراك ما قد فاته من تلك الآداب كاستحباب جمع الأهل عند ختم القرآن، و كراهية اتخاذ التعاويذ و غير ذلك.

و لم يكن القرطبي رحمه الله مجرد ناقل في ذكره لتلك الآداب، بل تجده يتدخل في المنقول بالتعقيب حيناً و بالمناقشة حيناً آخر، فيخالف الحكيم الرأي مدللاً على ما ذهب إليه بما ثبت، و هو مسلك حسن يذكر للمصنف فيشكر.

و قد شمل هذا الباب ثلاثة أمور:

الأول: الآداب المطلوبة قبل البدء في التلاوة،

كاستحباب الاستياك قبل البدء، و اتخاذ الزينة، و استقبال القبلة و غير ذلك.

ص: 427

الثاني: ما يستحب أثناء التلاوة، وما يكره،

فذكر للأول القراءة المرتلة واستعمال الذهن وغير ذلك، وذكر للثانية كراهية قطع القراءة بكلام الأدميين وغير ذلك.

الثالث: آداب عامة لتعظيم القرآن،

كتحريم توسّد المصحف، وتحريم كتابته

على الأرض وغير ذلك.

باب: ما جاء من الوعيد في تفسير القرآن بالرأي، والجرأة على ذلك، ومراتب المفسرين:

إشارة

القارئ لهذا الباب يلاحظ للوهلة الأولى أن المصنف اتكأ على ابن عطية رحمه الله فيما أورده في مقدمة تفسيره حول هذا الموضوع، وكان لسان حاله يقول: لم يترك هذا المفسر شيئاً أريد ذكره إلا سبقني إليه، ولا شك أن نقل القرطبي عن ابن عطية على هذا النحو، واعتماد كثير من آرائه يعد بحق شهادة للأول برسوخ القدم وعلو الكعب في تلك العلوم.

جاء هذا الباب في أكثر من خمس صفحات، أشار المصنف في بدايته إلى أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يفسر من القرآن إلا آي بعدد، علمه إياهن جبريل، ووقف بذلك مع جمع غفير من المفسرين الذين رأوا أن الرسول صلى الله عليه وسلم بين ما احتاج إليه الصحابة من المعاني، وما استشكل عليهم من الألفاظ وتعذر فهمها، وأن ما سوى ذلك تركه لاجتهادهم ولغتهم وفهمهم.

وما ذهب إليه المصنف فيه إشارة وإيحاء إلى جواز التفسير بالرأي، وهو

أمر يعارض ظاهر جملة من النصوص الواردة في التحذير من القول في القرآن بمجرد الرأي، لذلك ذكر القرطبي جملة من تلك الآثار مع تأويلات ثلثة من العلماء من الصحابة وغيرهم لها، وانتهى إلى أن الراجح هو أن التحذير وارد بحق من قال في القرآن قولاً يعلم أن الحق غيره، أو قال قولاً يوافق فيه هواه.

بعد هذا ذكر رحمه الله شيئاً من شروط التفسير بالرأي، كأن يملك الأدوات اللازمة للتفسير، وأن يكون تفسيره عن علم ونظر فيما قاله العلماء، واقتضته قوانين العربية، لا أن يتصور على كتاب الله برأيه بغير بصيرة ولا تدبر، فيضل بنفسه و يضل غيره.

ولأنه قد يفهم بعضهم أن التفسير كله موقوف على السماع فهما منهم لقوله تعالى فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ [النساء: 59] لذلك ردّ المصنف على هذا الفهم و بين وجه الحق و عاد ليؤكد من جديد أن النهي في التفسير بالرأي محمول على وجهين:

(1) أن يكون له في الشيء رأي، وإليه ميل في طبعه و هواه، فيتأول القرآن على وفق رأيه و هواه، ليحتج على تصحيح غرضه.

وفصّل القول في هذه المسألة تفصيلاً بين فيه جميع احتمالات الرأي و الميل إليه. و حذر من هذا الأمر، كما أكد على أن ذلك من دأب الباطنية لتغريب الناس و دعوتهم إلى مذاهبهم الباطلة، فينزلون القرآن على وفق رأيهم و مذهبهم، و هم يعلمون أنها غير مرادة.

(2) أن يفسر كتاب الله بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرائب القرآن.

وصرح بأن سوى هذين الوجهين لا يتطرق النهي إليه، غير أنه يبقى مسألة في غاية الأهمية وهي:

هل كل من ملك هذه الشروط، جاز له أن يفسر كتاب الله و يقول فيه برأيه؟

ذكر المصنف تخرج بعض السلف من ذلك، وأنهم كانوا يحجمون عن القول في كتاب الله، ويتوقفون تعظيماً للقرآن، واحتياطاً لأنفسهم، مع أنهم كانوا يملكون أدوات القول بالرأي. وذكر لهذا مقولة أبي بكر الصديق رضي الله عنه المشهورة: أي سماء تظلني، وأي أرض تقلني، وأين أذهب، وكيف أصنع، إذا قلت في حرف من كتاب الله بغير ما أراد الله تبارك وتعالى.

وأنهى المصنف الباب بالحديث عن التفسير والمفسرين، فذكر من المفسرين في الصدر الأول ثلثة، وجماعة من المشهورين من بعدهم الذين تتلمذوا على أيديهم، ومن جاء بعدهم، إلى أن ذكر من ألف في التفسير كتباً مستقلة ممن ذكرهم ابن عطية في تفسيره من المجتهدين.

باب: تبيين الكتاب بالسنة، وما جاء فيه:

إشارة

لما بين المصنف في الباب السابق أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يفسر من القرآن إلا آي بعدد، وأجاز لذلك التفسير بالرأي المبني على العلم، خشى أن يعدل

ص: 430

البعض عن بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم في تفسير القرآن برأيه، لذا خصص هذا الباب للحديث عن وجوب طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم واتباعه فيما أمر وبيّن، ومن ذلك ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم من تفسير لبعض الكلمات والآيات القرآنية، فإن الأخذ به واعتماده واجب، كما أن العدول عنه عدول عن اتباع الحق الذي لا مرأى فيه.

وقد جاء هذا الباب في أكثر من صفحتين، سرد المصنف في أوله جملة من الآيات الدالة على لزوم اتباعه صلى الله عليه وسلم، والتحذير من مخالفته، ثم ذكر شيئاً من الآثار الواردة عن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم بينت التزامهم بما ورد عنه صلى الله عليه وسلم في بيان الآيات الكريمة.

بعد هذا بين أهمية اتباع السنة، وأن مخالفتها تؤدي إلى الضلال، كما حدث للخوارج والروافض الذين تعلقوا بظاهر القرآن وتركوا السنن.

و صرح المصنف أن بيان السنة لكتاب الله كان على ضربين:

(1) بيان لمجمل ما في الكتاب، كبيان الصلوات الخمس وأوقاتها... إلخ.

(2) بيان زاد به على حكم الكتاب، كتحريم نكاح المرأة على عمتها وخالتها..

ثم تحدث عن مسألة احتياج القرآن إلى السنة، أو السنة إلى القرآن، وأيهما القاضية.

ص: 431

باب: بيان كيفية التعلم و الفقه لكتاب الله تعالى و سنة نبيه صلى الله عليه و سلم و ما جاء أنه سهل على من تقدم العمل به دون حفظه:

أشار المصنف في هذا الباب إلى مسألتين:

الأولى: أن الصحابة رضي الله عنهم تعلموا العلم و العمل معا، فلم يكونوا ليتجاوزوا القدر الذي يحفظونه حتى يعملوا به، و جاء هذا القدر في قول بعضهم عشر آيات، و أورد من أقوال الصحابة ما يؤكد هذا المعنى.

الثانية: أن من فضل الله على الصحابة رضوان الله عليهم أن يسر لهم العمل بما في كتاب الله، و إن وجد بعضهم صعوبة في حفظ بعض ألفاظه.

و لهذا الأمر حث القرطبي في نهاية هذا الباب على ضرورة اتباع الإرشادات السليمة التي تجعل الإنسان يعمل بما في الكتاب ليتعلم العلم و العمل معا، و جاء ختام هذا الباب بنظم رائع ورد في بيان أجل العلوم و أنفعها.

باب: معنى قول النبي صلى الله عليه و سلم: «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرأوا ما نيسر منه»:

نزول القرآن على سبعة أحرف مبحث عظيم، كثر في بيان مفهومه التأويلات، و اشتد الخلاف حتى أفرده بعضهم بتأليف مستقلة، بل إن ابن حبان البستي ذكر في بيان معناه خمسة و ثلاثين قولاً.

ص: 432

وقد شغل هذا المبحث عند القرطبي ثمان صفحات من مقدمته، ذكر فيها الخلاف حول معنى الأحرف السبعة، مقتصرًا على إيراد خمسة من تلك الأقوال التي ذكرها البستي، موردا دليل كل قول، ذاكرا من قال به من العلماء، و من تبناه، ثم الرد عليهم.

ولأن كثيرا من العامة، بل حتى بعض طلبية العلم يستشكل عندهم الأمر عند ذكر المسألة، فينصرف ذهنهم إلى القراءات السبع، ولا يفرقون بينها وبين تلك القراءات المنسوبة لأئمة القراءات، لذلك أفرد المصنف فصلا خاصا مستقلا لدفع هذا الإشكال، و بيان أن القراءات السبع راجع إلى حرف واحد من الأحرف السبعة، وهو الذي جمع عليه عثمان رضي الله عنه المصحف.

كما أكد في ثنايا حديثه عدم قرآنية القراءات الشاذة، و أنها في أحسن محاملها تأويل لمن ينسب إليه القراءة.

و أفرد المصنف فصلا مستقلا للحديث عن الاختلاف في قراءة بعض الصحابة، و إقرار النبي صلى الله عليه و سلم لكل واحد بأنها نزلت وفق قراءته، كالمشهور المروري عن عمر و هشام رضي الله عنهما أراد بذلك التأكيد على معنى هام هو ما أشار إليه ابن عطية رحمه الله حيث نبه إلى أن الله سبحانه أباح لنبيه صلى الله عليه و سلم هذه الحروف السبعة، و عارضه بها جبريل عليه السلام على الوجه الذي فيه الإعجاز، و لم تقع الإباحة في قوله: «فأقرءوا ما تيسر منه». بأن يكون كل واحد من الصحابة إذا أراد أن يبدل اللفظة من بعض هذه

اللغات جعلها من تلقاء نفسه، إذ لو كان هذا لذهب إعجاز القرآن، و لكان فيه ما نزل من عند غير الله، وإنما الإباحة وقعت في الحروف السبعة ليوسع بها على أمته، فأقرأ مرة لأبيّ بما عارضه جبريل، و مرة لابن مسعود بما عارضه جبريل أيضا، و هكذا، و لو كان التبديل لكل أحد لبطل معنى قوله تعالى إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ [الحجر: 9].

وقد أنهى الباب بما يزيل الريب و الشك الذي قد يحصل في بعض النفوس بسبب هذا الاختلاف، حيث أورد ما روي أن بعض الصحابة رضي الله عنهم سألوا رسول الله صلى الله عليه و سلم بأنهم يجدون في أنفسهم ما يتعاضم أحدهم أن يتكلم به. فقال صلى الله عليه و سلم: «وقد وجدتموه؟» قالوا: نعم. قال «ذلك صريح الإيمان». يريد بذلك أن ما اعتراهم من الحيرة و الدهشة أن منشأها نزعة من الشيطان.

باب: ذكر جمع القرآن، و سبب كتب عثمان المصاحف و إحراقه ما سواها، و ذكر من حفظ القرآن من الصحابة رضي الله عنهم في زمن النبي صلى الله عليه و سلم:

ديدن أعداء الإسلام البحث عن منفذ ينفذون منه للطعن في دين الله، و لأنه كثر الحديث حول جمع عثمان للمصاحف، و إحراقه ما سواها، و وجود بعض الأدعية، و ما ليس بقرآن في مصاحف بعضهم، فقد حسب أعداء الإسلام من الفرق الضالة، و النحل الهدامة، أن في هذا الأمر منفذا للطعن في صحة نقل القرآن، و هي مسألة تصدى لها أعلام علماء،

قبل القرطبي وبعده، وقد نال قصب السبق والريادة في هذه المسألة الباقلائي - رحمه الله - وأدلى القرطبي بدلوه فيها على عجلة بقدر ما يسمح به في مثل هذه المقدمة، بيانا لأهمية الأمر، وعظيم خطورته، فذكر الأدلة المؤكدة لمذهب أهل السنة والجماعة، وسلامة كتاب الله من الزيادة والنقصان إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ [الحجر: 9].

وقد استهل المؤلف هذا الباب بذكر الداعي إلى جمع القرآن وكتابه زمن الصديق أبي بكر رضي الله عنه لما استحرّ القتل بالقراء، وكيف تم تكليف زيد بن ثابت بالجمع، وما أحيط بالتكليف من إشكالات وملاسات، ثم ذكر الجمع الآخر الذي جاء على يد عثمان بن عفان رضي الله عنه بإشارة من حذيفة بن اليمان رضي الله عنه خوف الاختلاف والتنازع.

ولأنه استشكل على بعضهم تكليف زيد بالجمع وابن مسعود سابق عليه، تطرق القرطبي لهذا الإشكال، وأورد من الجمع ما يفيد أن الاختيار كان موقفا، وأن تكليف زيد لا يعني البتة الحط من قيمة ابن مسعود، الذي شهد له الجميع بالأسبقية والأفضلية، وإنما هو الحفظ، فبينما حفظ زيد القرآن كله زمن النبي صلى الله عليه وسلم، فإن ابن مسعود على الأرجح من الأقوال أنه لم يحفظه كاملا عن ظهر غيب إلا بعد وفاته صلى الله عليه وسلم.

بعد هذا تحدث المصنف عن عدد المصاحف التي أمر عثمان رضي الله عنه بنسخها وإرسالها إلى الأمصار، والاختلاف الواقع في عدد تلك المصاحف، وفي كتابتها، ومصير المصاحف السابقة، ولكون عثمان رضي الله عنه قد أمر أن تحرق

بقية المصاحف، وجد القرطبي مجالاً للحديث عن مسألة حرق المصحف، وما فيه لفظ الجلالة، أو آيات من القرآن الكريم، وخشية من أن يقع في النفس شيء من حرق المصحف، أورد المصنف من أقوال السلف ما ينفي أية تهمة عن عثمان رضي الله عنه الذي أمر بالحرق.

وقد تصدى القرطبي في هذا الباب للفرق الهدامة، كالحشوية والحلولية، القائلين بقدم الحروف والأصوات، وأن القراءة والتلاوة قديمة، حيث جعل من فعل عثمان رضي الله عنه وإجماع الصحابة على سلامة عمله، ما يفند به مزاعم الطائفة الضالة، ويدحض حججهم، ويردهم بالدليل على أعقابهم خاسرين.

كما تصدى للرافضة، الذين رأوا أن في قول زيد بن ثابت عند ما كلف بجمع المصحف: حتى وجدت من سورة التوبة آيتين مع خزيمة الأنصاري، لم أجدهما مع غيره. ما يفيد بأن خبر الواحد يكفي في نقل الآية والحرف، فردّ عليهم، وأورد الإجماع في ذلك، ليبطل مقصدهم في تأييد انحرافات مذهبهم في هذا الباب.

وختم الباب بذكر أسماء من جمعوا القرآن، وحفظوه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

باب: ما جاء في ترتيب سور القرآن، وآياته، وشكله، ونقطه، وتحزيبه، وتشييره، وعدد حروفه، وأجزائه، وكلماته، وآية:

قسم القرطبي هذا الباب إلى عدة فصول، خص كل موضوع بفصل مستقل، استهله بالحديث عن ترتيب السور والآيات ليقرر بعد أن أورد الأدلة توقيف ذلك الترتيب على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثم ذكر مصاحف الصحابة واختلاف تلك المصاحف في الترتيب، وأورد من أقوال الأئمة ما يجب معها اتباع ترتيب المصحف الذي جاء هكذا من رب العزة، وأكد أنه لا التفات إلى تاريخ النزول ما دام أن الله سبحانه قد ارتضى لكتابة هذا الترتيب.

وتطرق إلى مسألة قراءة القرآن منكوسا، وهو مبحث كان موضعه آداب التلاوة لو لا أن الاختلاف في ترتيب السور جعل القرطبي يذكره هنا أيضا، كما بين أن كون ترتيبه توقيفيا لا- يعني أن القراءة والحفظ على الترتيب نفسه، إذ حكم التلاوة والحفظ مختلف عن حكم الترتيب.

بعدها تطرق المصنف للمكي والمدني من السور، فعرف بهما، وذكر السور المدنية بأسمائها المشهورة، ثم أعلن أن ما عداها مكي بالطبع.

وفي الفصل الثاني خص الحديث عن شكل المصحف ونقطه، وذكر أول من أمر بذلك، والخلاف فيه.

كما خص التعشير و التحزيب بحديث مستقل، ذاكرا أول من عَشَّر القرآن و حَزَّبَه، و من أمر بذلك، و من كرهه من الصحابة، و من أجازَه.

ثم انتقل للحديث عن حروف المصحف و أجزاءه و أشار إلى أن في مصنف أبي عمرو الداني المسمى (البيان) تفصيل ما أجمله هنا.

و كان الفصل الأخير لكلمات القرآن و عدد آياته و حروفه، ذكر فيه العدد المدني الأول و الأخير، و عد المكيين و الكوفيين، معرفا بهم، و عد البصريين و الشاميين، و أنهى الباب بذكر الخلاف في عدد الكلمات و الحروف.

باب: ذكر معنى السورة، و الآية، و الكلمة، و الحرف:

جاء هذا الباب في ثلاث صفحات، خصها جميعها لبيان معاني مدلول الكلمات الأربع: السورة، الآية، الكلمة، الحرف. فعرف بها لغة ثم اصطلاحا، و ذكر ما يتعلق بها من اختلاف بين النحويين، و في بيان معنى الكلمة ذكر أطول كلمة في كتاب الله، و أقصر كلمة، و إمكانية أن تكون الكلمة الواحدة آية مستقلة، و أنهى الباب بالحرف، و العلاقة بين الحرف و الكلمة، و ما يواكب هذه العلاقة من إشكالات.

باب: هل ورد في القرآن كلمة خارجة عن لغات العرب أو لا؟

أثبت المصنف رحمه الله أن الأئمة متفقون على أنه ليس في القرآن كلام مركب على أساليب غير العربية، و أنهم متفقون على أن في القرآن

أسماء أعلام لمن لسانه غير لسان العرب.

ثم تعرض بعد هذا إلى ما يمكن أن يكون موضوع الخلاف، وهو هل وقع في القرآن الكريم ألفاظ من غير كلام العرب- غير الأعلام- فذكر أن الخلاف أنشأ فريقين:

الأول وفيهم القاضي أبو بكر الباقلاني، والإمام ابن جرير الطبري، قالوا: إن القرآن عربي صريح، ليس فيه ما هو غير عربي، وما وجد من ألفاظ يشبه أنها غير عربية فإنما هي مما تواردت عليه اللغات.

والفريق الثاني رأوا في القرآن ألفاظ غير عربية، وهي قليلة بحيث لا تخرج القرآن عن كونه عربياً مبيناً، وتعليل وجودها مخالطة العرب لغيرهم من الأقوام، حتى أصبحت تلك الألفاظ عربية بالاستعمال، وذكر المصنف شيئاً من تلك الألفاظ مع أدلة القائلين به، وردهم على المانعين.

باب: ذكر نكت من إعجاز القرآن، و شرائط المعجزة و حقيقتها:

إعجاز القرآن موضوع في غاية من الأهمية، وهو من الأدلة على صدق ما دعى إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولهذا حين وقف عليه العقلاء من القوم الذين أرسل فيهم النبي صلى الله عليه وسلم لم يجدوا بدا من الإيمان به، ودخلوا في دين الله أفواجا.

وقد خص القرطبي هذا الموضوع بحديث مستقل، فذكر المعجزة،

ص: 439

وعرفها، وبين شروطها التي إذا اختل واحدة منها لم تكن معجزة، كما بين أهمية هذه الشروط، ضاربا لذلك الأمثلة، من المعقول، والأدلة من المنقول.

ولكون خوارق العادات تشترك والمعجزة في بعض الوجوه، ولأنها ستظهر على يد المسيح الدجال، وهو أمر ثابت جاء في المروي عن الصادق المصدوق، لذا نبه المصنف إلى ذلك، وأزال ما قد يلتبس على البعض من أمر هذا المسيح الذي يدعي الربوبية، في حين أن أصحاب المعجزات، وهم الأنبياء عليهم السلام يدعون الرسالة والنبوة، وهو فرق لا يغفل عنه عاقل.

بعد هذا بين المصنف أنواع المعجزات، وصنفها ضربين، ما اشتهر نقله وانقرض عصره بموت النبي صلى الله عليه وسلم، وما تواترت الأخبار بصحته وحصوله، وتناقله جمع عن جمع يستحيل في العادة تواطؤهم على الكذب، وهي المعجزة الباقية إلى قيام الساعة لنبينا صلى الله عليه وسلم، في الوقت الذي انقرضت معجزة كل نبي بانقراضه، وأدخلها التبديل والتغيير، كالتوراة والإنجيل.

وذكر المصنف أن العلماء قد ذكروا وجوها لإعجاز القرآن وقع بها التحدي للمشركين، فكان إفحاما لهم، عجزوا، وهم أرباب الفصاحة والبلاغة، أن يأتوا بشيء من مثله.

وقد اختار المصنف عشرة من وجوه الإعجاز، مما استحسناها العلماء، فكان ناقلا أمينا لها، وأضاف إليها ما جادت به قريحته مما فتح الله به عليه، ثم تصدى لما قالته بعض الفرق الضالة، ونظقت به الألسن المضللة، في إعجاز القرآن، ففند بحمد الله آراءهم بالدليل والحجة، ورد على النظام

الذي تولى كبر القول بالصرفة، وعلى أتباعه من القدرية، وأثناء الرد ذكر المصنف تنفاً من فصاحة القرآن، وبلاغته الذي به كان معجزاً.

وأنهى الباب بعد أن أثبت أن بلاغة الكتاب في أعلى طبقات الإحسان، وأرفع درجات الإيجاز والبيان، بل إنه متجاوز للإحسان والإجادة إلى حيز الإرباء والزيادة. ومعجزة كل رسول هي من جنس أبرع ما اشتهر به عصره، وكان العرب أصحاب فصاحة وبيان، فكان الإعجاز في البلاغة والبيان.

باب: التنبيه على أحاديث وضعت في فضل سور القرآن وغيره:

حذر رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام، من الكذب عليه فقال:

«اتقوا الحديث عني إلا ما علمتم، فمن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»؛ الحديث، ولذا بين القرطبي أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يعلم أنه سيكذب عليه، لهذا خوف أمتة وحذرهم من ذلك.

فأشار في هذا الباب إلى أن أغراض الواضعين على رسول الله صلى الله عليه وسلم متفاوتة، وأهدافهم متباينة، وهم أصناف أربعة:

صنف أراد بعمله إيقاع الريب في قلوب المؤمنين، وتشكيك الناس بأمر دينهم، وهؤلاء هم قوم فسدت قلوبهم، وهم الزنادقة ومن شايعهم.

وصنف وضعوا ذلك لهوى يدعون الناس إليه، كما فعلت الخوارج.

وصنف ثالث حسنت نواياهم و ساء فعلهم حسبوا أنهم يحسنون صنعا، كذبوا على رسول الله صلى الله عليه و سلم حسبة و تقربا إلى الله بزعمهم، كما فعل أبي عصمة و غيره، حين وضعوا لكل سورة فضيلة.

وصنف رابع أرادوا أن يسترزقوا، فوضعوا على رسول الله صلى الله عليه و سلم أحاديث اختلقوا ألفاظها، و وضعوا لها أسانيد صحيحة حفظوها، يقفون في الأسواق و المساجد يتقوّلون على رسول الله صلى الله عليه و سلم.

وقد ذكر المصنف لكل نوع أمثلة، و أنهى الباب بالتنبيه إلى الاعتصام بالسنة و بما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه و سلم ففيه الغنية عن غيره.

باب: ما جاء من الحجة في الرد على من طعن في القرآن، و خالف مصحف عثمان بالزيادة و النقصان:

أجمع أهل السنة و الجماعة على أن من ادعى أن في القرآن زيادة أو نقصان كان كافرا رادا لكتاب الله و لما جاء به رسول الله صلى الله عليه و سلم.

و لأهمية هذا الباب وقف المصنف في وجه الزائغين عن الملة، الممهدين الطريق لأهل الكفر و الإلحاد، ليدخلوا في القرآن ما يحلون به عرا الإسلام، و لهذا الأمر جاء هذا الباب و هو الأخير في الترتيب مستفيضا يزيد من همة القارئ لدراسة التفسير، و يجدد نشاطه بعد تلك الجولة في فنون علوم القرآن التي زينت بها المقدمة و هو مطمئن مسلح بكل ما يرد كيد الكائدين، من الأدلة و الحجج و البراهين.

و كل ما أراد المصنف إيرادَه هنا جاء في ست صفحات، وقف فيها بقوة و صلابة في وجه العصابة الهالكة، القائلة بوقوع الزيادة و النقصان في كتاب الله، تريد به إبطال الشريعة. نقل في هذه الصفحات إجماع الأمة، من أهل السنة و الجماعة على كفر من ادعى الزيادة و النقصان في كتاب الله، فمدعى ذلك مبطل لما أجمعت عليه الأمة من أن كتاب الله محفوظ في الصدور، مقروء بالألسنة، مكتوب في المصاحف، معلومة على الاضطرار سورة و آياته، مبرأة من الزيادة و النقصان حروفه و كلماته.

و مدعى ذلك مبطل لآية رسول الله صلى الله عليه و سلم، فالمقدور عليه ليس بآية.

و مدعى ذلك راد لقوله تعالى قُلْ لئن اجتمعت الإنس و الجنُّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله و لو كان بعضهم لهم لبعض ظهيراً [الإسراء: 88]

و المصنف يشير بما ذكره، و بما نقله عن ابن الأباري، إلى طائفة الرافضة من الشيعة و ممن شايعهم من الطاعنين في كتاب الله.

غير أن الله جلَّت قدرته، قد قيض لكتابه جماعة من أهل الفضل و العقل في كل زمان و مكان، ينفون عن كتابه قول المبطلين و تحريف الزائغين، حارسين الشريعة من مكاييد أهل العداوة و الكفر.

كما تعرض المصنف لما ادعاه الزائغون من وجود سقط في بعض المواضع من مصحف عثمان، و زيادة في مواضع أخرى وضعت على علم

ص: 443

من عثمان و الصحابة، و ليست من القرآن، و أن المصحف الذي بين أيدينا مشتمل على حروف مفسدة مغيرة نتيجة التصحيف، و ادعى الأفاكون أن عثمان رضي الله عنه قد أخطأ حين أسند أمر الجمع إلى زيد بن ثابت، و على ذلك أباحوا لأنفسهم مخالفة مصحف عثمان.

كل هذه المزاعم أورد المصنف لها أمثلة، و أحال القارئ إلى مواطن الرد التي فند فيها مثل هذه المزاعم، توخيا للاختصار، و منعا للتكرار، غير أنه سرد ردود أبي بكر الأنباري و هو فارس في هذا الميدان على هذه المزاعم، و إبطاله لها بالحجة و الدليل.

بقي ما يرد على لسان ثلة من السلف رضي الله عنهم مما يشبه الزيادة، فذكرها المصنف أجزل الله له المثوبة و بين أنه لم ينقل عن أحد من أهل العلم أن الصلاة بها جائزة، و لا أن جاحدها يكون كافرا، بخلاف مصحف عثمان، فإن منكر بعضه مرتد يستتاب، و إلا ضربت عنقه.

يريد المصنف بهذا أن يقول إن ما ورد على لسان السلف مما كان من هذا القبيل هو تفسير و بيان، و هو ما يسمى عند أهل العلم بالقراءة التفسيرية، أو أنه مما نسخ لفظه و حكمه، أو لفظه دون حكمه.

و ختم الباب بالتنبيه إلى أن الله تعالى قد تكفل بحفظ كتابه إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ [الحجر: 9] و في هذا الحفظ دليل على كفر مدعي النقص أو الزيادة، كما أورد في النهاية جملة من الآيات القرآنية التي زاد فيها الأفاكون، و تقوّلوا فيها على الله عز و جل، فرد زعمهم،

وفند ادعاءهم، و حكم بكفرهم.

رابعاً: منهج القرطبي في مقدمته:

إشارة

قبل أن يستعرض لنا القرطبي العلوم التي رأى أنه يحسن لطالب العلم الإحاطة بها، قدم توطئة بين فيها ما يريد التنبيه إليه كعادة المفسرين، و كان مما بينه في هذه التوطئة شرطه في الكتاب و لكون مقدمته جزءاً من كتابه فإن ما ذكره ينطبق عليها و إن كانت بصلب الكتاب ألق. فمن شرطه إضافة الأقوال إلى قائلها، و الأحاديث إلى مصنفها، و هو منهج التزمه المصنف في أغلب مقدمته، و جاء هذا الالتزام مطرداً إلا ما ندر، فالمصنف يرى أن من بركة العلم أن يضاف القول إلى قائله.

و للقرطبي في إضافة الأقوال إلى قائلها طريقتان:

الأولى: التصريح باسم القائل، مع المصدر الذي استقى منه المعلومة، و هو كثير، و من أمثلة ذلك: في باب ما يلزم قارئ القرآن و حامله من تعظيم القرآن و حرمة، قال: قال الحكيم الترمذي أبو عبد الله في نوادر الأصول:

فمن حرمة القرآن ألا يمسه إلا طاهر الخ (1) و نقل عنه ما يربو على ثلاث صفحات.

و مثال ذلك أيضاً: ما نقله عن أبي بكر الأنباري في ثنايا حديثه عن

ص: 445

جمع المصحف، قال: وقد ذكر أبو بكر الأنباري في كتاب الرد .. (1)، يريد بذلك كتاب الرد على من خالف مصحف عثمان.

الثانية: أن يشير إلى القائل، ويصرح باسمه أو كنيته أو لقبه، دون أن يذكر المصدر، وغالبا ما يسلك هذا النهج مع أصحاب المصنفات المشهورين بمصنفاتهم كالبخاري وابن عطية وغيرهما، إذ المتبادر عند ذكر البخاري هو صحاحه، وعند ذكر ابن عطية هو تفسيره. ومن أمثلة ذلك ما نقله في باب:

ما جاء من الوعيد في تفسير القرآن بالرأي: قال: قال ابن عطية: ومعنى الحديث في مغيبات القرآن و تفسير مجمله، ونحو هذا مما لا سبيل إليه إلا بتوفيق من الله تعالى (2)

و المصنف يريد بعمله هذا أن يضع بين يدي القارئ مصدر المعلومة لمن أراد التوسع أو التأكد، كما أنه يرفع بذلك من القيمة العلمية للمعلومة، لكون مصادره في مجملها من أمهات الكتب المعتمدة.

ونادرا ما يعدل المصنف عن هذا النهج، فلا يصرح باسم القائل

ص: 446

1- انظر: الجامع لأحكام القرآن: 58/1، و ينظر المزيد من الأمثلة في الصفحات: 5/1، 39، 58، 59.

2- انظر: الجامع لأحكام القرآن: 31/1، و ينظر المزيد من الأمثلة في الصفحات: 8/1، 59، 73.

مكتفياً بقوله: قال علماؤنا، أو: قال بعض العلماء. (1)

وكما أضاف الأقوال إلى قائلها، عزا الأحاديث والآثار إلى مخرجيها ومصنفاتها، ويستطيع المرء أن يلخص منهج القرطبي في الاستشهاد بالأحاديث والآثار في النقاط التالية:

(1) أن غالب ما أورده، و استشهد به عزاه لمن خرجه أو ذكره، و ما تركه دون عز و قليل نادر. (2)

(2) قد يستقصي من خرج الرواية، و يورد السند. (3)

(3) ينقل حكم الأئمة على الروايات في أحيان كثيرة، و ما كان منها في الصحيحين اكتفى بالعز و دليلاً على صحتها. (4)

(4) إذا ورد في سند إحدى الروايات من هو محل نظر، بين القول فيه مع ذكر أقوال الأئمة لبيان حاله. (5)

(5) إذا ورد في الروايات لفظة غامضة، بينها، ووضح معناها، و المراد

ص: 447

1- انظر: الجامع لأحكام القرآن: 55 / 1 و ينظر المزيد من الأمثلة في الصفحات: 17 / 1، 26، 33، 46.

2- انظر: الجامع لأحكام القرآن: 5 / 1، 7، 9، 11، 18.

3- انظر: الجامع لأحكام القرآن: 8 / 1، 23، 83.

4- انظر: الجامع لأحكام القرآن: 10 / 1، 32، 58.

5- انظر: الجامع لأحكام القرآن: 7 / 1، 36.

(6) الروايات التي قد يختلف في توجيه المراد منها يوجهها، أو ينقل توجيه العلماء لها. (2)

هذا وقد يكتفي المصنف في العز و بالبناء للمجهول، فيورد الأثر بلفظ: روي. و مثل هذا قليل نادر (3).

و بين المصنف سبب تبنيه لمنهجه في العز و فيقول: كثيرا ما يجيء الحديث في كتب الفقه و التفسير مبهما لا يعرف من أخرجه إلا من اطلع على كتب الحديث، فيبقى من لا- خبرة له بذلك حائرا، لا- يعرف الصحيح من السقيم، و معرفة ذلك علم جسيم، فلا يقبل من الاحتجاج به، و لا- الاستدلال حتى يضيفه إلى من أخرجه من الأئمة الأعلام، و الثقات المشاهير من علماء الإسلام. (4) فكان الإمام القرطبي رحمه الله أراد بمنهجه هذا تكملة النقص في بعض المؤلفات التي تهمل عز و الأحاديث، و إعانة للقارئ مقدرًا حاجته إلى معرفة صحة الأثر من ضعفه.

ص: 448

1- انظر: الجامع لأحكام القرآن: 1/ 13، 17، 28، 49.

2- انظر: الجامع لأحكام القرآن: 1/ 12، 16، 78 و للمزيد من الأمثلة على ما سبق ينظر: 1/ 3- 5- 10- 11- 23- 40- 42- 50.

3- انظر: الجامع لأحكام القرآن: 1/ 10.

4- انظر: الجامع لأحكام القرآن: 1/ 3.

والمصنف رحمه الله لا- يقتصر في الاستشهاد على ما يورده أو يتبناه من الآراء على الأحاديث والآثار، بل يذكر من أقوال العلماء المعبرين في الفنون التي يتعرض لها ما يؤيد به الرأي الذي ارتضاه، أو عرضه، ويضرب لذلك من الأمثلة ما يوضح به المقال، كما أنه لا يغفل عن الاحتكام إلى اللغة والاستشهاد بالشعر، إذا دعي الأمر لذلك. (1)

ولكون كثير مما تعرض له المصنف في مقدمته مسائل خلافية تباينت آراء العلماء فيها فقد اتخذ منها وجهة واضحة في مناقشة مثل هذه المسائل، يتمثل في الآتي:

(1) ذكر المسألة المختلف فيها.

(2) تعيين أصحاب الخلاف في الغالب، وبيان وجهة كل فريق مع إيراد أدلتهم ومناقشتهم.

(3) الترجيح بين الأقوال، والرد على المخالفين، وذكر الأدلة المرجحة.

وأشير هنا إلى أن القرطبي غالباً ما يكون موفقاً في اختياراته. (2)

هذا وإذا رأى المصنف أن في الذي رجحه وتبناه من الرأي، إشكالا

ص: 449

1- انظر: الجامع لأحكام القرآن: 1/ 54 و 56.

2- انظر: الجامع لأحكام القرآن: 1/ 13- 15- 33.

قد يفسد على القارئ مسوغات الترجيح، أسرع بذكر الإشكال وبالتالي رده و تفنيده (1).

و من المحمود في منهج القرطبي رحمه الله إحالة القارئ إلى مزيد بيان، و مزيد من الأدلة في ثنايا التفسير، و ذلك خشية الإطالة، خاصة إذا كانت المسألة التي تطرق لها متشعبة تحتاج إلى أكثر من وقفة، و قد تكون الإحالة إلى غير التفسير مما هو من مظان المسألة (2).

و من منهج المصنف أيضا أنه إذا استدل بنص من أقوال أحد العلماء، و رأى أنه لم يذكر من الأدلة ما يطمئن به القارئ، أو أنه لم يجمع أطراف المسألة، فترك ما يراه المصنف أن من الأهمية ذكره، تولى هو ذلك، فذكر من الأدلة المزيد، و من الرأي و القول ما يجمع به أطراف المسألة. (3)

و أخيرا .. فإن القرطبي لا يترك المسائل التي يتطرق لها حتى يشبعها درسا و تمحيصا و تحليلا على ما يناسب المقدمة.

خامسا: بيان مدى التزام المصنف في تفسيره بما ذكره في مقدمته:

ص: 450

-
- 1- انظر: الجامع لأحكام القرآن: 69/1 و ينظر المزيد من الأمثلة في الصفحات: 51/1، 53، 56، 81.
 - 2- انظر: الجامع لأحكام القرآن: 53/1 - 64.
 - 3- انظر: الجامع لأحكام القرآن: 30/1 و ينظر المزيد من الأمثلة في الصفحات: 30/1، 31، 48، 57.

في التقديم الذي قدمه القرطبي بين يدي تفسيره اشترط لكتابه عدة أمور:

فاشترط أولاً أن يضمّن كتابه نكتاً من التفسير والنكات والإعراب والقراءات، وأن يرد في مواطن الرد على أهل الزيغ والضلالات، وأن يذكر الأحاديث والآثار الشاهدة على اختياراته في الأحكام ونزول الآيات، موضحاً ما أشكل منها بأقوال السلف واختيارات الخلف.

وهي شروط التزمها المصنف بحق، فالقارئ في التفسير يقف على شواهد عديدة لكل جزئية من الجزئيات السابقة، فهو يذكر الإعراب والقراءات (1)، ويرد على الزيغ والضلالات كما أسماهم (2)، ويذكر الأحاديث والآثار ويستشهد بها على المسائل (3)، كما يذكر الأحكام المستنبطة من الآية أو الآيات، ويورد أقوال الأئمة في ذلك مبيناً رأيه في أحيان كثيرة. (4)

و من شرطه إضافة الأقوال إلى قائلها، والأحاديث إلى مصنفها، وهو

ص: 451

1- انظر: أمثلة ذلك: 1/ 211-300- 2/ 377- 3/ 327.

2- انظر: أمثلة ذلك: 1/ 193-378- 4/ 47-73.

3- انظر: أمثلة ذلك: 2/ 189-394.

4- انظر: أمثلة ذلك: 1/ 198-228- 307- 2/ 212-333-354.

شرط التزمه المصنف إلى حد كبير في تفسيره. (1)

كما تعهد المصنف بأن يضرب عن كثير من قصص المفسرين، وأخبار المؤرخين، ويقصد به القصص الإسرائيلي، إلا ما لا بد منه، ولا غنى عنه، وهو شرط التزمه المصنف، فإذا ذكر القصة تعقبها ووقف من بعضها موقف الناقد يبين ما عليها (2)، وقد يذكرها دون الوقوف عليها، بل يمررها كما جاءت، وغالب ما هو من هذا الباب إنما هي تلك التي لا دليل على ردها ولا على قبولها (3)، وقد يفوته فيذكر بعض القصص التي بطلانها ظاهر دون أن يرد عليها، وما هو من هذا القبيل قليل، والله أعلم (4).

سادسا: مصادر المؤلف في مقدمته:

تعد المصادر التي يعتمدها المصنف في التأليف من الدلائل الهامة على مكانة ما صنفه، قبولاً ورداً، ضعفاً وقوة، فالذي يعتمد في التصنيف على أمهات الكتب، لمن عرف بعلو القدر وسمو المكانة بين أهل العلم، يكون تصنيفه في الغالب مفيداً، خاصة إذا كان المصنف من أهل العلم.

و القارئ في مقدمة القرطبي يلاحظ بوضوح كثرة دوران أسماء

ص: 452

1- انظر: أمثلة ذلك: 1/ 249-377-425- 2/ 151-266.

2- انظر: أمثلة ذلك: 6/ 132- 7/ 338.

3- انظر: أمثلة ذلك: 2/ 120- 9/ 68- 11/ 200.

4- انظر: أمثلة ذلك: 9/ 31- 169- 15/ 166.

الأعلام من العلماء، والمشهور من المصنفات، يورد المصنف أقوالهم، ويستشهد بأدلتهم، ويستأنس بآرائهم، ويعتمد الكثير منها. وقد كثرت مصادر المقدمة حتى جاوزت الخمسين مصدرا، في فنون العلم والمعرفة، من التفاسير والمؤلفات في علوم القرآن، و مصنفات الحديث، و كتب اللغة وغيرها.

فمن كتب التفسير وعلوم القرآن التي أكثر النقل عنها:

- (1) المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي (1).
- (2) جامع البيان عن تأويل القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (2).
- (3) الرد على من خالف مصحف عثمان، لأبي بكر بن الأنباري (3).
- كما نقل عن القاضي أبي بكر الباقلاني (4)، وأبي عبيد القاسم بن سلام (5)، وأبي عمرو الداني (6).

ص: 453

1- انظر: أمثلة ذلك: 1/ 24-32-37-44-54-68-76.

2- انظر أمثلة ذلك: 1/ 11-15-21-42-51-68.

3- انظر أمثلة ذلك: 1/ 5-8-23-32-35-40-53-58-61-81.

4- انظر أمثلة ذلك: 1/ 11-43-45-57-68-74-84.

5- انظر أمثلة ذلك: 1/ 5-43-84.

6- انظر أمثلة ذلك: 1/ 39-64-67.

و من مصادره التي اعتمدها في الحديث و الآثار و شروحيها:

الكتب الستة، صحيح الإمام البخاري (1) و صحيح الإمام مسلم (2)، سنن الإمام الترمذي (3)، و سنن الإمام النسائي (4)، و سنن الإمام ابن ماجة (5)، و سنن الإمام أبي داود (6).

و من المسانيد: مسند الدارمي (7)، و مسند أبي داود الطيالسي (8).

ص: 454

1- انظر أمثلة ذلك: 1/6-10-13-39-48-54-56.

2- انظر أمثلة ذلك: 1/7-11-20-29-41-48-49-58. علوم القرآن من خلال مقدمات التفاسير ج 1 454 سادسا: مصادر المؤلف في مقدمته: ص: 452

3- انظر أمثلة ذلك: 1/4-8-10-18-54.

4- انظر أمثلة ذلك: 1/8-11.

5- انظر أمثلة ذلك: 1/8.

6- انظر أمثلة ذلك: 1/11-18-32-43. و أبو داود هو: سليمان بن الأشعث بن شداد بن عمرو، اختلف في اسم جده، إمام حافظ مقدم، لقب بشيخ السنة، و محدث البصرة، قال الحاكم: أبو داود إمام أهل الحديث في عصره بلا مدافعة، له السنن، توفي (275 هـ). انظر: تاريخ بغداد للخطيب: 9/55- و سير أعلام النبلاء للذهبي: 13/203.

7- انظر أمثلة ذلك: 1/7-8. و الدارمي هو عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدارمي، إمام حافظ ثبت متقن، له المسند، توفي (255 هـ) انظر: تاريخ بغداد للخطيب: 10/29- و سير أعلام النبلاء للذهبي: 12/224.

8- انظر أمثلة ذلك: 1/9-79.

وقد كان جلّ اعتماده في الشروح على التمهيد لابن عبد البر (1).

وفي اللغة معجم الصحاح للجوهري (2).

ومن مصادره أيضا نوادير الأصول للحكيم الترمذي (3)، والمصاحف لابن أبي داود (4)، والجامع لابن وهبة (5). وغير ذلك.

ومن مصادر المصنف التي لم يصرح فيها باسم المصدر، مكتفيا باسم المصنف: أبو الحسن البطال (6)، وابن حبان البستي (7)،

ص: 455

1- انظر أمثلة ذلك: 1/ 5-18-37-43-56-78.

2- انظر مثال ذلك: 1/ 12. والجوهري هو: إسماعيل بن حمّاد التركي الجوهري، إمام يضرب به المثل في ضبط اللغة، وفي حسن الخط،

له الصحاح، توفي (393 هـ) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 17/ 80- وشدرات الذهب لابن عماد: 3/ 142.

3- انظر أمثلة ذلك: 1/ 17-27.

4- انظر مثال ذلك: 1/ 45. وابن أبي داود هو عبد الله بن أبي داود بن سليمان الأشعث، أبو بكر السجستاني، شيخ بغداد، تكلم فيه أبوه، له

المصاحف، توفي (316 هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 13/ 221- وشدرات الذهب لابن عماد: 2/ 273.

5- انظر مثال ذلك: 1/ 59.

6- انظر أمثلة ذلك: 11-15-54-61.

7- انظر أمثلة ذلك: 1/ 13-42. وابن حبان هو محمد بن حبان بن أحمد البستي، ثقة نبيل من حفاظ الآثار وفقهاء الدين له الثقات، توفي

(354 هـ) انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي: 3/ 920- والوافي بالوفيات للصفدي: 2/ 317.

و الخطابي (1)، وأبو بكر الخطيب البغدادي (2) والأوزاعي (3)، وسعيد بن منصور (4)، وعبد الرزاق صاحب التفسير (5) وابن الصلاح (6) وغيرهم.

سابعاً: أهم مزايا مقدمة القرطبي:

إشارة

1- إضافة الأقوال إلى قائلها، والأحاديث والآثار إلى مصنفاتها.

ص: 456

-
- 1- انظر أمثلة ذلك: 1/ 11-38-43-59. و الخطابي هو حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي، حافظ لغوي صاحب تصانيف، وله معالم السنن، توفي (388 هـ). انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان: 2/ 214- و سير أعلام النبلاء للذهبي: 17/ 23.
 - 2- انظر مثال ذلك: 1/ 36.
 - 3- انظر مثال ذلك: 1/ 39. و الأوزاعي هو: عبد الرحمن بن عمرو بن أبي عمرو الأوزاعي، إمام في الحديث، ثقة مأمون فاضل، توفي (157 هـ) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 7/ 107- و تهذيب التهذيب لابن حجر: 6/ 138.
 - 4- انظر مثال ذلك: 1/ 39. و سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني المروزي، ثقة صاحب سنن، توفي (229 هـ). انظر: التاريخ الكبير للبخاري: 3/ 516- و تهذيب التهذيب لابن حجر: 4/ 89.
 - 5- انظر مثال ذلك: 1/ 39.
 - 6- انظر أمثلة ذلك: 1/ 73-79.

2- الاستقصاء و الشمولية عند بحث المسائل.

3- سلامة المنهج، مع حسن عرض الموضوعات.

4- عرض الآراء بعبارة سهلة، و التعقيب عليها و مناقشتها.

5- تنوع المصادر مع أهميتها.

6- محاولة المصنف ربط بعض مسائل علوم القرآن بالواقع.

أظهر المآخذ:

1- إغفال بعض الموضوعات كقواعد الترجيح.

2- ذكر بعض المسائل دون أدلتها.

3- تعرضه لمسائل فرعية ليست ذات أهمية كبرى بحيث تذكر في المقدمة مثل الفصل الذي خصه في الرد على الحلولية و الحشوية.

4- التوسع في ذكر بعض الموضوعات، مثل الأبواب التي خصها لفضائل القرآن.

هذا ما عرفته عن مقدمة القرطبي، و أستغفر الله من الخطأ و الزلل في القول.

ص: 457

أولاً: التعريف بالمؤلف:

أشارة

مؤلف هذا التفسير هو محمد بن أحمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف بن جزي الكلبى، المكنى بأبى القاسم، والمشتهر بابن جزي بالتصغير.

ولد المصنف يوم الخميس تاسع ربيع الثانى عام ثلاثة و تسعين و ستمائة للهجرة المباركة (693 هـ)، فى غرناطة مأوى العلماء و ملاذهم بعد سقوط قرطبة و غيرها من عواصم العلم فى الأندلس (1).

و ينحدر المصنف من أسرة عربية أصيلة، فهو من قبيلة كلب اليمانية (2)، و ينتمى لأسرة علم كابر عن كابر، و بيته من البيوتات المشهورة بالمغرب و الأندلس، المعروفة بالعلم و النباهة و الأصالة (3)، تربى فى حجر والده العالم، الذى كان محمودا من أهل العلم، و تلقى عنه أبجديات العلوم حتى قوى عوده، فقرأ على بعض مشايخ غرناطة، كابن الزبير و ابن الكماد

ص: 458

1- انظر نفع الطيب للمقري: 30/8.

2- نسبة إلى كلب بن وبرة بن تغلب بن قضاة.

3- انظر: الإحاطة فى أخبار غرناطة لابن الخطيب: 20/3- و نفع الطيب للمقري: 142/1.

وغيرهما ممن عرفوا بالنباهة و الصبر على التدريس و الملازمة، و انتقل من شيخ إلى شيخ، حتى حاز قصب السبق في فنون عديدة، و تصدر لمهمات كثيرة.

مكانته العلمية:

ظهر نبوغ ابن جزري منذ اليفاعه، حين تقدم خطيبا بالمسجد الأعظم من بلده و هو في حداثة سنه، و تدرج منذ ذلك الحين مرقاة أهل العلم، و اشتهر كواحد من أفاضل العلماء المعدودين، و لهذا حين ذكره الداودي قال عنه: كان يرحمه الله على طريقة مثلي، من العكوف على العلم و الاشتغال بالنظر و التقييد و التدوين، فقيها حافظا قائما على التدريس، مشاركاً في فنون، من عربية، و أصول، و قراءات، و حديث، و أدب، حفظة للتفسير، مستوعبا للأقوال، جماعة للكتب، ملوكي الخزانة، حسن المجلس، ممتع المحاضرة، صحيح الباطن، تقدم خطيبا بالمسجد الأعظم من بلده على حداثة سنه، فاتفق على فضله، و جرى على سنن أصله. (1)

و لمكانته أسند إليه يرحمه الله أمور و مهمات عديدة فاشتغل بالتدريس ردحا من الزمن و تخرج به أناس كثيرون، يقول في مقدمته: و إن الله أنعم عليّ بأن شغلني بخدمة القرآن و تعلمه و تعليمه، و شغفني بتفهم معانيه،

ص: 459

1- انظر: طبقات المفسرين للداودي: 85/2.

كما أسند إليه مهمة الخطابة و الإمامة منذ وقت مبكر، و كان من أهل الفتيا بغرناطة (2)، هذا فضلا عن اهتمامه البالغ بالتصنيف و التأليف. و الناظر في المصادر التي درست الأندلس و تعرضت للفترة التي عاشها ابن جزى يجد الاهتمام البالغ بشخصية ابن جزى حيث أظهرته تلك المصادر في غاية التقدير عالما مرييا يعتز به، و مجاهدا باسلا يعتمد عليه.

شيوخه و تلامذته:

تهيأ لابن جزى أمران جعلاه منه طالب علم جادّ، يكثر التلقي و يتابع الشيوخ:

أما الأول فلكون أبيه من أهل العلم، فهو إذا يعرف قدر العلماء و مكانتهم.

و أما الثاني: فلكونه كان يملك أرضا زراعية تدّرّ عليه غلة و افرة، تكفيه مؤنة العيش، و تعينه على التفرغ التام لطلب العلم حتى سن متقدمة.

هذا إضافة إلى نباهته، و ما أودعه الله في نفسه من الشغوف بالعلم و التحصيل.

ص: 460

1- انظر المقدمة: 4/1.

2- انظر: نثر الجمان للداية: 165.

وقد كثر شيوخ ابن جزى حتى صنف فهرسا بأسمائهم، وأذكر منهم:

أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي (1).

وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن الكماد (2) وغيرهم كثير.

والملاحظ في شيوخ ابن جزى أنهم كانوا من ذوي الهمم العالية، و من المؤثرين في الحياة العامة، و ظهر تأثير ابن جزى بهم واضحا من خلال مشاركاته العديدة في الجهاد والانخراط في صفوف المقاتلين.

أما تلامذة ابن جزى فقد تخرج به أناس علماء، و خلق كثير، منهم:

محمد بن عبد الله السلماني المعروف بابن الخطيب (3).

ص: 461

1- هو أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، صدر العلماء المقرئين في عصره، عرف عنه الصبر في الطلب، و الصلابة في الحق، له البرهان في ترتيب سور القرآن، توفي (708 هـ). انظر: الإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب: 1/188، و الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر: 1/89، و البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للشوكاني: 1/33.

2- هو محمد بن أحمد بن داود بن موسى اللخمي المعروف بابن الكماد، فقيه مقرئ محدث، عرف عنه الزهد و التقشف، له الممتع في تهذيب المقنع، في القراءات، توفي (712 هـ). انظر: الإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب: 3/60، و غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري: 2/63، و الديباج المذهب لابن فرحون: 2/279.

3- هو لسان الدين محمد بن عبد الله السلماني المعروف بابن الخطيب، كاتب شاعر أديب، ذو الوزارتين، قتل خنقا في (776 هـ) انظر: مقدمة الإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب: 1/3-71، و الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر: 3/469 ط 1، و البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للشوكاني: 2/91.

و أبو الحسن علي بن عبد الله الجذامي الشهير بالنباهي (1) وغيرهم.

مؤلفاته:

دوّن ابن جزّي الكثير و صتّف، و فرط المسامع و شتّف، كما يقول لسان الدين الخطيب: و لم يزل يسلك طريق المجتهدين، فدون في الفقه دواوين، و سفر في علم اللسان عن وجه الإحسان، و رحل في علم التفسير إلى كل طيبة، و أركض في أغراضه كل مطية، حتى أنشأ الزمخشري و ابن عطية، و له من الأدب حفظ وافر، و مذهب عن الحسن سافر (2).

كما كان له - رحمه الله - اهتمام وإمام جيدين بالشعر، تمثل ذلك في الرقاق و المدائح النبوية، و قد احتفظ لسان الدين الخطيب بجملة طيبة منها (3).

ص: 462

1- هو علي بن عبد الله بن الحسن الجذامي، الشهير بالنباهي، عالم من أسرة علم، كان بينه وبين ابن الخطيب ودّ، تحول إلى عداوة حتى أصبح من المحرضين على ابن الخطيب، له تاريخ قضاة الأندلس، توفي بعد (792 هـ) انظر: نثير الجمان لابن الأحمر: 170- و أزهار الرياض في أخبار عياض للمقري: 5/2.

2- انظر: أوصاف الناس في التاريخ و الصلات لابن الخطيب: 27.

3- انظر: الكتيبة الكامنة لابن الخطيب: 46.

و مع ما أسداه العلماء من الثناء على المصنف إلا أن مصنفاته لم تنل الشهرة المطلوبة، و لا وجدت من طلبة العلم الإقبال المرتقب، عدا تفسيره الذي كان له في المغرب شأوا خاصا ثم حين طبع و تيسر أمره اقتناه المشاركة و اعتمد أهل العلم آراءه.

و من مؤلفات المصنف:

(1) التسهيل لعلوم التنزيل، و هو تفسيره المطبوع و هو موضوع البحث.

(2) المختصر البارع في قراءة نافع.

(3) أصول القراءة الستة غير نافع.

(4) وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم.

(5) الدعوات و الأذكار المخرجة من صحيح الأخبار.

(6) القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية.

(7) فهرس ابن جزى.

(8) الأنوار السنية في الكلمات السنية.

(9) التنبيه على مذهب الشافعية و الحنفية.

ص: 463

وفاته:

طالما تمنى ابن جزى الشهادة في سبيل الله و الموت في ساحات الوغى، يقول الفقيه المحدث ابن الوزير أبو بكر بن ذي الوزارتين ابن الحكيم:

أنشدني - ابن جزى - يوم الواقعة من آخر شعره قوله:

قصدي المؤمل في جهري وإسراري و مطلبى من إلهي الواحد الباري

شهادة في سبيل الله خالصة تمحو ذنوبي و تنجيني من النار

إن المعاصي رجس لا يطهرها إلا الصوارم في أيمن كفار ثم قال: في هذا اليوم أرجو أن يعطيني الله ما سألته في هذه الأبيات.

و أعطاه الله مسألته و استجاب دعوته كذا أمر الله مع الصادقين، و استشهد يرحمه الله ضحوة يوم الاثنين السابع من جمادى الأولى عام واحد و أربعين و سبعمائة (741 هـ) في ساحة الجهاد، و هو يشحذ الهمم، و يحرض المجاهدين، و يثبت بصائرهم (2).

ص: 464

1- انظر: الإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب: 20/3 - 23- و طبقات المفسرين للداودي: 86/2.

2- انظر: الإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب: 31/3، و طبقات المفسرين للداودي: 87/2. و ينظر للمزيد في ترجمة: ابن جزى الكلبي و منهجه في التفسير، لعلي بن محمد الزبيري: 43/1 و ما بعده. - و الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين ابن الخطيب: 20/3- و أوصاف الناس في التواريخ و الصلوات، لسان الدين ابن الخطيب: 27- و درة الحجال في أسماء الرجال، لابن القاضي المكناسي: 2/117- و الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر العسقلاني: 3/315 ط محمد سيد جاد الحق - و الديباج المذهب لابن فرحون: 2/274- و طبقات المفسرين للداودي: 2/85- و غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري: 2/83- و نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقري: 8/61 ط محمد محيي الدين عبد الحميد- و نيل الابتهاج بتطريز الديباج لأحمد بابا التتبكتي، على على هامش الديباج المذهب: 238.

احتل تفسير ابن جزى (التسهيل لعلوم التنزيل) مكانة مرموقة لدى أهل المغرب العربي عامة، واشتهر أيما شهرة. لعظيم ما ضمنه المصنف من المعاني، ولما فتح اللّٰه به عليه من البيان، غير أنه بقي مغموراً لدى المشاركة، فلم يكتب له الشهرة و الانتشار التي تخرجه من ذلك الحصار الذي ضرب عليه في المغرب نتيجة الظروف التي تعرضت لها الأندلس، إضافة إلى ظهور تفاسير لأناس احتلوا مكانة علمية مرموقة في المشرق في عصره أمثال أبي حيان و ابن كثير وغيرهما.

و يعد تفسير ابن جزى هذا آخر التفاسير الأندلسية التي تناولت القرآن جميعه، و هو آخر تفسير يصل إلينا من تلك الديار، و قد استطاع المصنف أن يقدمه في صورة رائعة، بعبارة قوية، و جمل رصينة، و أسلوب جمع فيه بين الإيجاز و حسن العرض دون أن يخل بالمعاني المراد بيانها، يورد الجزء أو

الجملة من الآية و يفسرها مستقلة. و لهذا وصفه بعضهم بأنه تفسير جملي - إن صح التعبير-.

حاول المصنف إيراد أقوال المفسرين في بيان الآية بعبارة مختصرة، مستخرا ما أوتي من العلوم و المعارف لخدمة التفسير، فجمع بين التفسير بالمأثور و التفسير بالاجتهاد المبني على القواعد و أدوات التفسير، و إن كان الغالب جانب الرواية.

وقد أولى المصنف الجانب اللغوي اهتماما خاصا و قدرا كبيرا من العناية، حتى أنه خصص مقدمة لبيان معاني الكلمات و المفردات التي يكثر دورانها في القرآن الكريم، و بذلك يعد ابن جزري رائد هذا النهج و المبتدع فيه- و إن لم يحذو حذوه أحد من العلماء فيما أعلم- لقد استغنى بعمله هذا عن تكرار القول في بيان تلك المعاني اللغوية التي تضخم من حجم الكتاب.

و التفسير مليء بالنكات البلاغية و التوجيهات النحوية، فالمصنف صاحب قدم راسخة في هذا الباب، كما أنه لا يتوانى عن اللجوء إلى الشعر باعتباره ديوان العرب لبيان الألفاظ الغريبة.

هذا و اهتم المصنف بأسباب النزول، غير أنه اختصر القول التزاما بالمنهج الذي رسمه، و هو الاختصار و الإيجاز، و له وقفات محمودة حيال القصص و الإسرائيليات، فقد ألزم نفسه بأن لا يذكر من القصص إلا ما ورد في الحديث الصحيح، و لهذا انتقد المصنف بشدة أولئك الذين أكثروا

من ذكر الإسرائيليات، وحشدوا القصص في تفاسيرهم، ونبه إلى أنهم قد ذكروا ما لا يجوز ذكره.

وذكر المصنف الهدف من عمله. والغاية التي توخاها من تأليفه، وهي أمور أربعة: جمع كثير من العلم في كتاب صغير، مع إضافة ما جادت به القريحة من النكات والفوائد، وإيضاح المشكل من المعاني، والتحقيق في أقوال المفسرين لتمييز الصحيح من السقيم.

وللحق فإن شهرة تفسير ابن جزي لا توازي إجادته، ولا تعدل إبداعه.

وقد قدم ابن جزي لتصنيفه (التسهيل لعلوم التنزيل) خطبة ومقدمتان، أما المقدمتان فأحدهما في أبواب نافلة، وقواعد كلية جامعة، وأما الأخرى ففي بيان المعاني التي كثر دورانها في كتاب الله، وأما خطبة الكتاب فليبيان المنهج والغرض من التأليف.

ثم ضمّن المقدمة الأولى اثنا عشر باباً، منها أبواب لم يسبق إليها المصنف مثل هذا الموضوع، كالذي جعل عنوانه: المعاني والعلوم التي تضمنها القرآن، و كالباب الذي خصه للحديث عن الوقف. كما أنه انفرد بين المفسرين - في حدود علمي - بمقدمته الثانية في تفسير معاني اللغات، والتي استهدف منها أموراً ثلاثة كما ذكر: تيسير تلك الكلمات والمعاني للحفظ، جعلها كالأصول الجامعة لمعاني التفسير، و أخيراً الاختصار بحيث يستغنى عن ذكرها في صلب التفسير.

ص: 467

و هذا العمل من المصنف اجتهاد منه، غير أنني أرى أن إيراد المعاني في سياق الآية لها مدلولها الخاص، و فصل المصنف للكلمة من موقعها، و إلزامه القارئ بالعودة إلى مقدمته لمعرفة المراد من مفردة ما، فيه تشتيت للذهن و بتر للمعاني. فكان الأولى أن لا يستغني عن البيان في موضعه من الآية، و يبقى ما في المقدمة لمن أراد التوسع في معنى المفردة.

و قد نافت المقدمتان مع خطبة الكتاب على خمسين صفحة من القطع المتوسط، استطاع المصنف أن يضيف شيئاً جديداً إلى هذا الفن، و أن يعالج المسائل المطروقة برؤية جادة، و نظرة فاحصة، فالمصنف لم يكن تبعاً في الذي أورده، بل تجده معتداً بنفسه، يقدم رأيه بوضوح و ثبات.

و مع ما جاء فيها من الآراء و المناقشات فإن تأثيرها لم يظهر في المتأخرين، حتى أولئك الجماعين في علوم القرآن، فأصحاب المصنفات لم يعتمدوه مرجعاً لهم، و لا تطرقوا لآراء المصنف، و لعل ذلك يعود إلى عدم شهرة الكتاب، فإن السيوطي فارس هذا الشأن لم يذكر ابن جزري في إتيانه، و لا ذكره في كتابه الذي خصه لذكر المفسرين (طبقات المفسرين)، و لهذا استدركه تلميذه الداودي، فأورد له ترجمة مختصرة في طبقاته.

و حين طبع الكتاب، و انتشر في العهد الأخير، و تناقله طلبة العلم، وجدنا اسم ابن جزري يتردد على صفحات المؤلفات المختصة في الدراسات القرآنية، كما وجدنا لآرائه صداً طيباً، سواء في علوم القرآن خاصة أو في التفسير عامة، حتى خصّ بدراسة مستفيضة أظهرت كثيراً من الجوانب

الشخصية و العلمية المتفوقة في حياة ابن جزي.

وقد طبعت المقدمة مع الأصل عدة طبعات نذكر منها:

(1) دار الكتب الحديثة- مصر 1973 م، بتحقيق الأساتذيين: محمد عبد المنعم اليونسي، وإبراهيم عطوة عوض- وهي الطبعة التي اعتمدها في هذه الدراسة. وهي في أربعة مجلدات.

(2) المكتبة التجارية الكبرى، مصر 1355 هـ الطبعة الأولى، وكانت هي المرة الأولى التي يطبع فيها التفسير، أربعة أجزاء في مجلد واحد.

(3) دار الكتاب العربي، لبنان 1393 هـ وهي مصورة عن سابقتها.

(4) دار الكتاب العربي، لبنان 1403 هـ، أربعة أجزاء في مجلد واحد.

ثالثاً: عرض موضوعات المقدمة:

إشارة

أثنى المصنف على الله منزل الكتاب الحاوي للعلوم النافعة، و البراهين القاطعة على كونه المعجزة الباقية، و شكره تعالى على ما خصه به من الخصائص العلية، و ثنى الشكر له سبحانه بإرساله خير رسول بلغ ما أنزل إليه من ربه، حتى أقام الحجة، و أظهر الحق و فصل الخطاب، ثم تحدث عن شرف علم القرآن، تعلمه و تعليمه، و شكر المسدي على ما وجهه إليه من الشغل بخدمة كتابه، حتى عرف المصنفات في بيان معانيه، و اختلاف المصنفين في النهج الذي ساروا عليه، و المنحى الذي سلكوه، و المذهب الذي ارتضوه، و كلاً وعد الله الحسنى، و بين أنه رغب في سلوك طريقهم،

ص: 469

والانخراط في مساق فريقهم، ليظهر ما يريد بيانه مما حواه صدره، واستقر عليه رأيه، فشرع في هذا التفسير الذي قصد منه جمع كثير من العلم في كتاب صغير تسهيلا وتقريبا، بعبارة مختصرة، بعد التمهيص والتدقيق، وحذف فضول القول والتطويل، وإضافة ما جادت به القريحة من الفوائد والنكت مما هو من بنات الصدر وينايع الذكر، ثم عدم الإغفال عن إيضاح المشكلات وحلّ المقفلات ورفع الاحتمالات، وأخيرا التحقيق في الأقوال بطرح السقيم وتمييز الراجح القويم.

عقب ذلك شرع المصنف في بيان المنهج الذي سلكه في تصنيفه، وبين أنه قدم بين يدي تفسيره مقدمتين نافعتين، ليطلب من الله جعل عمله هذا خالصا مبرورا، وليبدأ بأولى المقدمات التي جعلها في اثني عشر بابا.

المقدمة الأولى: وفيها اثنا عشر بابا.

إشارة

هذا في الجملة وإلا فقد تعرض فيها لأكثر من عشرين موضوعا، وأثبت ما يراه من القول دون أن يوغل في مناقشة الآراء أو يكثر من الأدلة. وقد سوت المقدمة بأبوابها أكثر من عشرين صفحة، وكانت أولى الموضوعات المطروحة هو نزول القرآن.

الباب الأول: نزول القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم:

تحت هذه التسمية تعرض المصنف لأكثر من موضوع، فذكر أولا مدة نزول الوحي على الرسول صلى الله عليه وسلم في كل من مكة والمدينة، وسنّه صلى الله عليه وسلم وقتنّه،

كما ذكر الاختلاف في أول القرآن و آخره نزولا، فذكر الأقوال المروية في ذلك، ورجح كون صدر سورة العلق هو أول ما نزل، و سورة النصر آخر القرآن نزولا، و تعرض لجمع القرآن فذكر قصة الجمع بعد وفات الرسول صلى الله عليه و سلم، إلى جمع عثمان- رضي الله عنه- للمصاحف، و مصير المصاحف السابقة بعد هذا الجمع، و أكد أن ترتيب السور في المصحف العثماني إنما هو من فعل عثمان و زيد بن ثابت و الذين كتبوا المصاحف، و استبعد كونها توقيفية مكتفيا بقوله: و ذلك- أي القول بتوقيفيتها- تردّه الآثار الواردة في ذلك.

ثم ذكر نقط المصحف و شكله و وضع الأعشار، و أول من فعله، و الأقوال في ذلك. كما تعرض لأسماء القرآن و حصرها في أربعة أسماء جاعلا البقية صفات، و ذكر أصول تلك الأسماء و اشتقاقاتها، كما وضح معنى السورة و الآية.

الباب الثاني: في السورة المكية و المدنية:

ضمّن المصنف هذا الباب خلاصة القول، و ما يتعلق بالمكي و المدني، فعرف المكي ثم المدني، و المراد من هذا الاصطلاح، ثم ذكر أنّ السور بهذا الاعتبار تنقسم أقساما ثلاثة، مدنية، باتفاق، و هي اثنتان و عشرون سورة، و مختلف في مكيتها و مدنيته، و هي ثلاث عشرة سورة و سماها، و البقية مكية باتفاق.

و أوما إلى وقوع آيات مكية في سورة مدنية و كذا العكس، و هي قليلة مختلف فيها.

كما تعرض لذكر بعض خصائص وضوابط السور المكية والمدنية.

الباب الثالث: في المعاني و العلوم التي تضمنت القرآن:

هذا الباب خير شاهد على ما امتاز به المصنف من حسن العرض و التقسيم المقربان للفكرة، فلكي يبين العلوم التي تضمنها القرآن، أوضح أولاً أن المقصود الأعظم بالقرآن هو دعوة الخلق إلى عبادة الله، و ذلك من خلال أمرين:

أولاهما: بيان العبادة التي هي العقائد و الأحكام.

و ثانيهما: البواعث الموصلة للعبادة. و هي الترغيب و التهيب.

هذا في الجملة، أما العلوم المتضمنة على التفصيل فهي على ما بينه المصنف سبعة علوم، علم الربوبية المثبت لوجود الباري و الاستدلال عليه بمخلوقاته، و التعريف بصفاته و التنزيه عما لا يليق به.

علم النبوة، المثبت لنبوة الأنبياء- عليهم السلام- و كتبهم و لزوم الإيمان بهم.

علم المعاد، بإقامة البراهين على إثبات الحشر و الدار الآخرة و الحساب و نحو ذلك.

علم الأحكام بأنواعها، من واجب و مندوب و حرام و مكروه و مباح، و متعلقاتها كالتي تتعلق بالأبدان أو الأقوال أو غير ذلك.

علم الوعد و الوعيد المذكورين مقرونين في القرآن ليتبين أحدهما بالآخر.

علم القصص، وهي ذكر الأخبار السابقة للعظة والعبرة، وغيرها من الفوائد، كما ذكر حكمة تكرار القصص في القرآن، وخاصة تلك التي جرت للأنبياء عليهم السلام.

الباب الرابع: في فنون العلم التي تتعلق بالقرآن:

وهي العلوم التي يحتاجها المفسر ليقدم على التكلم في تفسير كلام الله، وقد أوصلها بعضهم إلى خمسة عشر علماً (1) اقتصر المصنف على اثني عشر علماً.

وهي: التفسير، وهو العلم المقصود بذاته، والقراءات، والأحكام، والنسخ، والحديث، والقصص، والتصوف، وأصول الدين، وأصول الفقه، واللغة، والنحو، والبيان، وهي أدوات تعين على التفسير أو تتعلق به أو تنفرع منه.

وأوجز القول في توضيح كل فن من تلك الفنون، وبين معنى التفسير وأنواعه والفرق بينه وبين التأويل، والخلاف في ذلك، وصوب كون التفسير

ص: 473

1- انظر: الإتيان في علوم القرآن للسيوطي: 2/1209، والزيادة والإحسان في علوم القرآن لابن عقيلة المكي: 3/979، تحقيق مصلح السامدي.

هو الشرح، والتأويل هو حمل الكلام على معنى غير المعنى الذي يقتضيه الظاهر بموجب اقتضى أن يحمل على ذلك، ويخرّج على ظاهره.

انتقل عقب ذلك للعلم الثاني وهو القراءات، فبين منزلتها وأقسامها، و تعريف كل قسم، ثم ذكر أنه اعتمد في تفسيره على قراءة نافع لكونها القراءة المستعملة في الأندلس والمغرب، و لكونها قراءة أهل المدينة، وأنه يذكر من سائر القراءات ما فيه فائدة، من غير أن يلتزم هذا النهج دائما خشية الإطالة، و اكتفاء بالمصنفات المتخصصة.

وفي علم الأحكام أشار إلى أن من العلماء من أوصل آيات الأحكام إلى خمسمائة آية، ثم ذكر بعض المصنفات في هذا الفن.

وفي الفن الرابع وهو النسخ، بين أن النسخ يختص الأحكام دون الأخبار، و أن أناسا قد صنفوا فيه، كما أشار إلى أنه خص النسخ بحديث مستقل في مقدمته تحدث فيها عن قواعد النسخ.

و الفن الخامس هو الحديث، ذكر ابن جزى أن المفسر يحتاج هذا الفن لأمرين و بينهما، ثم انتقل بعدها لذكر القصص، و أوضح أن الضروري منها ما يعتمد عليه التفسير، و ما عدا ذلك زائد مستغنى عنه، كما عاب على المفسرين الذين أكثروا من ذكر القصص حتى ذكروا قصصا لا يجوز ذكرها بأية حال.

أعقب ذلك الحديث عن فن التصوف، و مدى تعلقه بالقرآن، ثم بين أن من القوم من تكلم في التفسير فكان منهم المحسن المجيد الذي وصل بنور

البصيرة إلى دقائق المعاني، والمسيء المتوغل في الباطنية الذي حمل القرآن على ما لا تقتضيه اللغة، وذكر أن واحدا من القوم وهو السلمي قد جمع في تفسيره الغث والسمين من كلام القوم، فخلط بين الحق والباطل، ثم ختم الحديث بذكر بعض ما أسماه مقامات التصوف كالشكر والتوبة والتقوى... إلخ.

وما ذكره المصنف من حاجة المفسر إلى هذا الفن بعيد متكلف فيه، فقد أتحمه المصنف في هذا الموضوع إتحاما، فكم من علم كان مرجعا في التفسير وهو أبعد الناس عن رموز الصوفية وتأويلاتهم وبدعهم، وكم من صوفي أبعد في القول ونأى بالتفسير عن أصله، وحمّل المعاني ما لا يطاق.

انتقل المصنف بعد هذا لأصول الدين فذكر أن تعلقه بالقرآن من طرفين، إثبات العقائد بإقامة البراهين، والرد على أصناف الكفار، والثاني تعلق الطوائف المختلفة من المسلمين بالقرآن، والاحتجاج لمذاهبها.

ثم ذكر أصول الفقه فبين أنه من الأدوات التي تعين على فهم المعاني وترجيح الأقوال، وهي فنون كثيرة كالظاهر والمجمل والمبين والعام والخاص وغير ذلك.

وختم بعلم اللغة والنحو والبيان، وهي علوم لا غنى لمفسر عنها، ولهذا خصها بمقدمات مستقلة.

الباب الخامس: في أسباب الخلاف بين المفسرين، و الوجوه التي يرجح بها أقوالهم

ذكر من أسباب الخلاف اثني عشر سببا، عرضها إجمالاً، و بين أن وجوه الترجيح مثل ذلك العدد، و سردها هي الأخرى إجمالاً.

الباب السادس: في ذكر المفسرين

جعل المصنف بيان حال السلف في التفسير و التكلم في القرآن مدخلا لهذا الباب، فذكر أولاً أن الأكثرين أجازوا تفسير القرآن، و أن ثلثة توقفوا عن الكلام احتياطاً، مستدلين بالآثار الواردة و التي ظاهرها النهي عن ذلك، و ذكر أثريين صح نقلهما، مع بيان تأويلهما عند المجيزين.

ثم انتقل للحديث عن طبقات المفسرين، من لدن الصحابة إلى عصره، و ذكر من الصحابة من اشتهر بالتفسير كابن عباس، و علي بن أبي طالب و ابن مسعود و غيرهم، و من طبقة التابعين عدداً من الأعلام كالحسن البصري و سعيد بن جبير و مجاهد و علقمة و غيرهم.

ثم بين أن عدولاً حملوا التفسير من بعدهم، و أن أناساً انكبوا على التأليف في هذا الفن كعبد الرزاق و البخاري و ابن جرير الذي جمع أقوال المفسرين، و تبعهم غيرهم من المشرق و من المغرب، و ذكر عدداً من التفاسير المتأخرة و ما امتاز به كل تفسير منها.

الباب السابع: في النسخ و المنسوخ:

عرّف ابن جزى النسخ في اللغة وفي اصطلاح الشرع، وبيّن أوجه النسخ التي وقع في القرآن، فذكر نسخ اللفظ و المعنى، و اللفظ دون المعنى، و المعنى دون اللفظ، و بين أن الأخير هو الكثير، و استشهد لكل وجه بمثال، كما بين أن العلماء أدخلوا في النسخ ما ليس بنسخ كال تخصيص و التقييد و الاستثناء و غيرها من الذي بينها و بين النسخ فروق ظاهرة.

و أرجأ الحديث على مثل هذه المواضع إلى حينه، و ضرب مثلا واحدا و هو نسخ مسالمة الكفار، و العفو عنهم، و الصبر على آذاهم، بالأمر بقتالهم.

الباب الثامن: في جوامع القراءة:

ذكر المصنف في هذا الباب أنواع القراءة المشهورة منها و الشاذة، و شروط القراءة الصحيحة، ثم بين أن اختلاف القراءة هو على نوعين، أصول و فرش، و تحدث عن كل نوع، و ختم الباب ببيان القواعد التي يرجع إليها عند الاختلاف في الأصول.

الباب التاسع: في الوقف:

و هو الباب الذي سبق أن أشرت إليه و قلت أن المصنف هو أول من خص الوقف بباب مستقل في المقدمة، ذكر المصنف في هذا الباب أنواع الوقف، التام و الحسن و الكاف و القبيح، و عرّف كل نوع، و ختم الباب بتنبيه

أشار فيه إلى أن الوقف بمراعاة الإعراب والمعنى جائز استقر عليه العمل، وأخذ به القراء، وأن الأوائل كانوا يراعون الوقوف على رءوس الآي لحديث أم سلمة وهي تتعت قراءة النبي صلى الله عليه وسلم للفاتحة آية آية، يقطع قراءته يقول: «الحمد لله رب العالمين، ثم يقف، الرحمن الرحيم، ثم يقف» (1).

الباب العاشر: في الفصاحة والبلاغة وأدوات البيان:

للفصاحة خمسة شروط، أوردها المصنف في هذا الباب بعبارة موجزة، أتبع ذلك تعريف البلاغة، ليختم الباب بتعريف البيان وأدواته، فذكر أنه وجد في القرآن اثنان وعشرون نوعاً، ذكرها وبين معناها كالمجاز والكناية والالتفات والتجديد وغير ذلك.

الباب الحادي عشر: في إعجاز القرآن وإقامة الدليل على أنه من عند الله عز وجل:

قدم المصنف في هذا الباب عشرة أوجه تثبت إعجاز القرآن، وتقييم الدليل والبرهان على أنه من الباري جل جلاله.

ص: 478

1- أخرجه الإمام أحمد في المسند: 302/6، وأبو داود في السنن: (ح 4001-37/4)، والحاكم في المستدرک: 232/1 وقال: صحيح على شرط الشيخين.

الباب الثاني عشر: في فضل القرآن:

اقتصر المصنف في هذا الباب على إيراد جملة من الأحاديث والآثار الصحيحة التي تبين فضل قارئ القرآن، وما أعده الله له من الأجر و الرضوان، وما يلزم القارئ من الحرص على الاستذكار خشية التفصي والنسيان، كما أورد مختارات من الآثار التي تبين فضل بعض السور والآيات. وكان هذا الباب هو خاتمة المقدمة الأولى.

المقدمة الثانية: في تفسير معاني اللغات

افتتح المصنف هذه المقدمة بقوله (نذكر في هذه المقدمة الكلمات التي يكثر دورها في القرآن الكريم، أو تقع في موضعين فأكثر من الأسماء والأفعال والحروف).

وذكر أنه إنما شرع في هذا الصنيع لأمر ثلاثة:

(1) أنها أيسر للحفظ.

(2) ليكون الباب كالأصول الجامعة لمعاني التفسير.

(3) الاقتصار، فيستغنى بذكرها هنا عن ذكرها في مواضعها.

وبين أنه رتب الكلمات ترتيب المعجم معتمداً فاء الكلمة، دون اعتبار للحروف الزائدة، ابتداءً بالهمزة وبمفردة (آية) ف (أتى) ف (أبى) .. و هكذا، يذكر بعد كل مفردة المعاني التي وردت بها، دون أن يغفل عن ذكر

ص: 479

اشتقاقات الكلمة عند الحاجة لبيان ذلك.

وقد أحلّ المصنف بترتيب بعض الكلمات، كما فاته بعض المفردات (1).

وقد استغرقت المقدمة نحوًا من خ

مس وعشرين صفحة.

رابعاً: منهج ابن جزى في مقدمته:

السمة البارزة لمنهج ابن جزى هي الإيجاز والاختصار، والتنقيح وحذف فضول القول، وهو ما صرح به في الخطبة التي قدمها بين يدي مقدماته حين قال: جعلته وجيزاً جامعاً. وحين قال: إني عزمت على إيجاز العبارة وإفراط الاختصار وترك التطويل والتكرار (2).

فقد لخص المصنف الأقوال ونقح الفصول، وحذف الحشو والفضول، وذكر اللبّ دون القشور، بعبارة موجزة من غير إفراط ولا تفريط. وهو نهج التزمه المصنف في مقدمته كلها، فهو يجمل الحديث في أية مسألة تطرق لها، ويورد الأقوال والآراء بعبارة موجزة، وإن ذكر دليلاً لرأى فهو يعرضه بإيجاز دون أن يعزوه لمصدر.

ومن نهجه أيضاً عدم نسبة الأقوال إلى قائلها إلا قليلاً، وتعليل ذلك

ص: 480

1- انظر: ابن جزى و منهجه في التفسير: 635/2.

2- انظر: المقدمة: 4/1-5.

عند المصنف أن درجة الإسناد لا تصح إلا قليلا، أو هو لاختلاف الناقلين في نسبتها إليهم، وهو الآخر نهج التزامه المصنف في مقدمته.

وما ذكره من التعليل قاصر لا- يرتقي لأن يكون حجة في ترك نسبة الأقوال لقائلها، ولا مبررا في عدم إسناد الفضل لأهله، فإن من المعروف أن من بركة العلم إضافة الأقوال إلى قائلها كما ذكر القرطبي المفسر (1)، وإن للتصريح باسم القائل فوائد لا تخفى على مثل المصنف، وهو القائل:

فإن صرحت باسم القائل فلا أحد أمرين: إما للخروج عن عهده، وإما لنصرته إن كان قائله ممن يقتدى بهم (2)، فكان ينبغي له- يرحمه الله- عدم إغفال هذا الجانب.

و السمة الثالثة لنهج ابن جزى هو أنه إن ذكر شيئا من الأقوال دون حكاية قوله عن أحد- وهو الغالب الكثير- فذاك إشارة إلى أنه يتقلده و يرتضيه، سواء من تلقاء نفسه، أو مما اختاره من كلام غيره (3).

وأخيرا فإن المصنف قد تعهد بعدم إيراد الأقوال الساقطة و الضعيفة تنزيها للكتاب عن مثلها، و التزاما بحذف الحشو و الفضول، فإن ذكر شيئا فهو للتحذير منه و الترغيب عنه.

ص: 481

1- ينظر مقدمة الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: 3/1.

2- انظر: المقدمة: 4/1.

3- انظر: المقدمة: 5/1.

تلك هي أبرز سمات منهج ابن جزري في تفسيره بصورة عامة، وفي مقدمته بصورة خاصة.

ويحسن بي أن أشير هنا أن المصنف يجمل في عرض الموضوعات في أحيان كثيرة ثم يعقب ذلك بالبسط و التفصيل مع التزام الإيجاز و حذف الفضول، كما أنه يذكر الأقوال- في أحيان كثيرة أيضا- دون أدلتها، و إن ذكر الدليل اكتفى بذكر الصحابي دون من خرّجه من الأئمة، و دون عزوه لمصدر معين إلا نادرا، مكتفيا بما ألزم نفسه من الاقتصار على ذكر الصحيح دون السقيم، و هو يكتفي بسرد الأثر دون أن يعقب بشرح الغامض من المعنى أو الغريب من اللفظ (1).

وقد كان لابن جزري نهج خاص في مقدمته الثانية التي خصها في تفسير معاني اللغات، و يتلخص ذلك في الآتي:

(1) الاقتصار على الكلمات التي يكثر دورها في القرآن، أو تقع في موضعين فأكثر من الأسماء و الأفعال و الحروف.

(2) ترتيب الكلمات حسب حروف العجم باعتبار الكلمة دون الحرف الزائد.

فهو يذكر المفردة ثم يذكر معانيها، فيقول: لها معنيان. أو ثلاثة معان،

ص: 482

1- انظر المقدمة: 7/1، و لمزيد من الأمثلة ينظر الصفحات: 6/1-11-15-19-20-24.

وإن كان في بيان اشتقاقات المفردة فائدة مرجوة بيئها، وقد يبين ما يتعلق بالمفردة من النواحي الإعرابية (1). والأمثلة كثيرة.

خامسا: بيان مدى التزام المصنف في تفسيره بما ذكره في مقدمته:

لم يترك ابن جزى للقارئ في تفسيره أن يحدد ملامح منهجه، فقد أفاض هو في توضيح ذلك وبينه غاية البيان، وقد سبق أن تحدثت عن منهجه في مقدمته، وهو قريب من منهجه في تفسيره، ولهذا سأكتفي هنا ببيان مدى التزام المصنف بأصول منهجه الذي وضعه لكتابه:

وأول هذه الأصول أنه جعل تفسيره وجزيا جامعا للأقوال، تاركا التطويل والتكرار، قصد منه جمع كثير من العلم في كتاب صغير. وقد التزم المصنف هذا الأصل عدا التطويل والإطناب في بعض المواضع (2)، وإلا- فقد حاول ابن جزى جمع الأقوال وإيرادها بعبارة مختصرة، تاركا التطويل الذي سلكه جماعة من المفسرين (3).

وثاني هذه الأصول: أنه أضاف أمورا جديدة إلى التفسير من بنات

ص: 483

1- انظر المقدمة: 26/1.

2- انظر أمثلة ذلك: 112/1 - 376/3 - 399 - 38/4.

3- انظر أمثلة ذلك: 99/1 - 183 - 208 - 253.

فكره و يبايع ذكره، و مما أخذه من شيوخته أو التقطه من مستطرفات النوادر.

و هو أمر يجده القارئ في تفسيره، و إن كان المصنف لا يصرح بذلك أثناء التفسير، بل يجد القارئ أن التفسير قد حوى جملة من النكت و النوادر و الفوائد (1).

و ثالثها: إيضاح المشكلات من الألفاظ و المعاني بعبارة حسنة ترفع الاحتمالات. و هذا مما التزمه المصنف، و هو واضح جلي للقارئ (2).

أما الرابع من هذه الأصول فتحقيق أقوال المفسرين، السقيم منها و الصحيح، و تمييز الراجح من المرجوح، مع استبعاد الأقوال الساقطة إلا على سبيل التحذير منها. و هذا الأصل قد التزمه المصنف أيضا إلى درجة كبيرة، فالمصنف له شخصيته الواضحة حيال تلك الأقوال، و من ذلك أن له وقفات محمودة حيال القصص الإسرائيلي، فقد انتقد المصنف بشدة أولئك الذين أكثروا من ذكر الإسرائيليات، و حشدوا القصص في تفاسيرهم، و نبه إلى أنهم قد ذكروا ما يجوز ذكره (3).

سادسا: مصادر المصنف في مقدمته:

لا يستطيع المرء أن يحدد مصدرا للمصنف طالما صرح بأنه لن يذكر

ص: 484

- 1- انظر أمثلة ذلك: 1/ 55-70-75 / 2- 275-123 / 3- 267.
- 2- انظر أمثلة ذلك: 1/ 158-63 / 2- 323-124 / 3- 136-130.
- 3- ينظر: 1/ 77-103 / 2- 168-61 / 3- 268-380 / 4- 289-312.

المصدر الذي استقى منه المعلومة، كما أنه لن ينسب القول إلى قائله، ولهذا لم أقف في مقدمته على اسم علم نسب المصنف إليه قولاً، أو عنوان كتاب صرح بالعزو إليه، عدا الترمذي فقد عزا إليه حديثاً واحداً في باب الوقف، ليؤكد أن السلف كانوا يقفون على رءوس الآي قال: و يؤكد ذلك ما أخرجه الترمذي عن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقطع قراءته يقول: «الحمد لله رب العالمين ثم يقف، الرحمن الرحيم، ثم يقف» (1).

سابعاً: أهم مزايا المقدمة:

يعد الإيجاز وحذف فضول القول أظهر ميزة لمقدمة ابن جزي، فقد استطاع المصنف أن يقدم المعنى الكثير في عبارات قليلة، بأسلوب سهل ممتع، لا يمل القارئ من متابعته ولا يسأم من قراءته، كما امتازت هذه المقدمة بالآتي:

(1) أن المصنف اختار موضوعاته التي قدمها بين يدي تفسيره من أهم الموضوعات التي لا يستغني عنها عالم أو متعلم، واستطاع أن يقدم من خلالها فوائد جلية، دون أن يتيه القارئ فيجعله في خضم المناقشات.

(2) حسن السبر والتقسيم، الذي أظهر إمام المصنف بعلوم القرآن،

ص: 485

1- انظر المقدمة: 24/1، وقد سبق تخريج الحديث.

وقد ظهر ذلك جليا في طرحه لعدة موضوعات تشترك في الناحية الموضوعية تحت مسمى واحد، فتحت مسمى نزول القرآن تعرض المصنف لأكثر من ثمانية موضوعات، لها جميعها ارتباط واضح بموضوع الباب.

(3) عدم الإطالة في ذكر الأقوال، وحرص على ذكر الأقوال المفيدة والوجيه، واجتناب الإطالة في ذكر الخلافات.

(4) وضوح المنهج الذي سلكه المصنف و التزامه التام بما أُلزم به نفسه في خطبة الكتاب، سواء في المنهج أو في ذكر المصادر ونسبة الأقوال.

(5) ذكره للمقدمة الثانية، تلك التي خصها لتفسير معاني اللغات، والتي عرض فيها الكلمات التي كثر دورانها في القرآن، ووردت في أكثر من موضعين. وإن كنت أرى أن موضع بسط هذا الباب ليس هنا بين يدي المفسر، بل اللازم إفراده بتأليف مستقل، كما فعل غيره من الذين صنفوا في الوجوه والأشباه والنظائر.

(6) قد جرت عادة المفسرين أن يذكروا في هذا الموضوع - أقصد المقدمة - الفنون الهامة التي لها تعلق بالتفسير، أو تلك التي تخدم المفسر. وإن كان ما فعله المصنف قد جاء رائقا لبعضهم حتى اعتبروه ميزة انفرد بها ابن جزى.

ثامنا: أظهر المآخذ:

(1) عدم نسبة الأقوال إلى قائلها، وعدم عزو النصوص إلى مورديها،

ص: 486

وإغفال المصنف للمصادر التي استقى منها مادة مقدمته العلمية.

(2) الاختصار الشديد في بعض المواضع، وعدم عرض الآراء المخالفة أحيانا، وعدم الردّ على بعض الآراء الوجيهة، وقد ظهر هذا جليا في موضوع جمع المصحف، و حكم ترتيب السور والآيات، كما ظهر الاختصار في موضوع التفسير بالرأي.

(3) إغفال المصنف لبعض الموضوعات الهامة كالأحرف السبعة، و كموضوع وجود ألفاظ غير عربية في القرآن. وغيرها، وهي موضوعات في غاية من الأهمية لطالب علم التفسير.

تلك هي أظهر المآخذ التي رأيتها على مقدمة ابن جزى، فجزى الله المصنف خير الجزاء وأجزل له الثواب، و تقبل عمله بقبول حسن.

ص: 487

11- باب التأويل في معاني التنزيل لأبي حسن علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيعي البغدادي المعروف بالخازن المتوفى سنة 741 هـ

أولاً: التعريف بالمؤلف:

إشارة

مؤلف هذا التفسير هو علاء الدين أبو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيعي (1) البغدادي الشافعي الملقب بالخازن (2) المولود سنة (678 هـ) ببغداد.

نشأ في بغداد مسقط رأسه، و انكبّ على الدرس و المذاكرة على أيدي ثلة من أهل العلم هناك، فتلقى عنهم العلوم الأولية، ثم علوم الحديث على يد أبي عبد الله محمد بن عبد المحسن البغدادي المعروف بالدواليبي، ثم انشغل بعد ذلك في طلب الحديث و سماعه (3).

و تذكر الأخبار أن الخازن حين تضلع من ينابيع العلم في بغداد قصد

ص: 488

-
- 1- الشيعي نسبة إلى شيحة قرية من قرى حلب ينسب إليها بعض الأعيان، معجم البلدان لياقوت الحموي: 430 /3.
 - 2- لقب بالخازن لأنه كان خازن كتب خانقاه السميساطية بدمشق، الخانقاه (دار الصوفية) انظر: منادمة الأطلال لبدران: 21 /2.
 - 3- انظر شذرات الذهب لابن عماد الحنبلي: 131 /6.

الشام موطن الأهل، فدخلها وتسلم خزانة كتب السميّاطية، و جلس بين تلك المصنّفات، فوضع بذلك يده على كنز من المعارف، فكانت لمهنته بعد ذلك أثر واضح على توجهه وإنتاجه، حيث جمع و حدّث و ألف، و تنوعت مصنّفاتة لتشمل علوما كثيرة وإن لم تنل تلك المؤلفات من الشهرة ما ناله تفسيره الذي أقبل عليه طلبة العلم إقبالا منقطع النظير حين انتشر في الآفاق.

وقد كان الخازن- رحمه الله- إلى جانب اهتمامه بالعلم صالحا فيه خير كثير، بشوش الوجه ذا تودد و سمّت حسن (1).

شيوخه و تلاميذه:

تتلمذ الخازن في بداية حياته العلمية على يد واحد من علماء بغداد، المدينة التي نشأ فيها و ترعرع و هو: أبو عبد الله محمد بن عبد المحسن البغدادي المعروف بالدواليبي ت: (728 هـ) (2) و لم تذكر الأخبار غيره من شيوخه في بغداد، و لما انتقل إلى دمشق تلقى العلم عن شيوخ السميّاطية و منهم: أبو القاسم بن المظفر، كما أخذ عن الشیخة العابدة ست الوزراء

ص: 489

1- انظر: الدرر الكامنة لابن حجر: 171 / 8، و شذرات الذهب لابن عماد: 131 / 6.

2- هو محمد بن عبد المحسن بن أبي الحسن البغدادي، الحنبلي، أحد من انتهى إليه علو الإسناد ببغداد، عرف عنه كثرة العبادة و التلاوة، توفي (728 هـ). انظر: الدرر الكامنة لابن حجر: 28 / 4- و شذرات الذهب لابن عماد: 88 / 6.

بنت عمر بن أسعد التنوخية ت: (716 هـ) (1).

وقد ضنت المصنفات بذكر آخرين تلقى الخازن عنهم العلم. ولا شك أنهم كثر فمصنفات الخازن تدل على تنوع اهتماماته كما تدل على تعدد شيوخه (2).

أما تلامذة الخازن فلم نقف على ذكر لأحدهم في تلك المصنفات التي ترجمت للخازن، وهي ظاهرة تكررت لعدد من العلماء البارزين، وقد سبق ما ذكرناه عن القرطبي - رحمه الله - وغالب الظن أن حالة القرطبي مختلفة عن الخازن، فالأول ربما كان لمواقفه الشجاعة و تصديه للفرق الضالة، أما الخازن فإنني أرى أن مهنته ربما صرفت الناس عنه و صرفته عنهم، فالعاملون في المكتبات و بين الكتب يزداد نهمهم للعلم، و يتجدد باستمرار، و يجدون أنفسهم في شوق دائم للمزيد من المعلومات، كما يغلب على مؤلفاتهم طابع الجمع و الاختصار و الشرح، فلا يجدون الوقت الكافي للاختلاط بالناس و تقديم ما لديهم إذ يفضلون تقديم العلم مكتوباً، و هذا أمر ملاحظ حتى في عصرنا الحالي، هذا و إن كنا نظن أن عدداً من الذين تتلمذوا في السيمساطية فترة وجود الخازن لا بد أن يكونوا قد وردوا من

ص: 490

-
- 1- هي ست الوزراء بنت عمر بن أسعد التنوخية الحنبلية، كانت طويلة الروح على سماع الحديث، وهي آخر من حدث بالمسند بالسماع عالياً، توفيت (716 هـ). انظر: الدرر الكامنة لابن حجر: 129/2 - و شذرات الذهب لابن عماد: 40/6.
 - 2- انظر البداية و النهاية لابن كثير: 141/14، و 108/14، و العبر للذهبي: 44/4.

مورده، و تتلمذوا على يديه، على أقل تقدير أولئك الذين كانوا على اتصال مستمر بالخانقاه و خازنها، فلا بد وأنهم اكتشفوا أن الذي يتعاملون معه رجل من أهل العلم، و هو أيضا أمر مشاهد في عصرنا الحالي و إن كان على نطاق ضيق، و الله أعلم.

مؤلفاته:

يسرت مهنة الخازن له الاطلاع على كثير من أمهات الكتب التي حوتها خزانة السميساطية- كما ذكرت قبل قليل- و لا غرو بعد هذا أن تتعدد اهتمامات الخازن العلمية و تتنوع تأليفه، و قبل ذكر مؤلفات الخازن أود الإشارة إلى أن طابع الجمع و النقل هي السمة البارزة لمؤلفات الخازن، فلم يصرف اهتمامه إلى تقديم موضوع جديد يؤسس بنيانه بنفسه، بل اعتمد على من سبقه، على أن المنصف لا يجرّد الخازن من آراء جديدة أو مختارة على أضعف تقدير، يجدها بين ثنايا كتبه.

و من مؤلفات الخازن:

- (1) لباب التأويل في معاني التنزيل، و هو تفسيره الذي اشتهر باسم تفسير الخازن.
- (2) شرح عمدة الأحكام للحافظ عبد الغني.
- (3) الروض و الحدائق في تهذيب سيرة خير الخلائق محمد المصطفى سيد أهل الصدق و الوفاء.

(3) مقبول المنقول (1) في عشرة مجلدات، جمع فيه بين مسندي الشافعي وأحمد بن حنبل والكتب الستة والموطأ وسنن الدارمي، وقد رتبته على الأبواب.

وفاته:

توفي رحمه الله في آخر رجب أو مستهل شعبان سنة 741 هـ بمدينة حلب (2) موطنه الأصلي، وقيل: توفي في دمشق (3).

ثانياً: التعريف بالتفسير و المقدمة:

تفسير الخازن من التفاسير المشهورة المتداولة بين عامة المسلمين، و من

ص: 492

-
- 1- انظر الدرر الكامنة لابن حجر: 3/ 171، و الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة: 180- ط- دار البشائر.
 - 2- انظر: شذرات الذهب لابن عماد: 6/ 131، و الدرر الكامنة لابن حجر: 3/ 171، و طبقات المفسرين للداودي: 1/ 427.
 - 3- انظر معجم المؤرخين الدمشقيين لرضا كحالة: 147، ط دار الكتب الجديدة. و ينظر للمزيد في ترجمته: البداية و النهاية للحافظ ابن كثير- و تاريخ التفسير للقيسي: 126- و التفسير و المفسرون للذهبي: 1/ 311- و الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر: 3/ 171- و شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي: 6/ 131- و طبقات المفسرين للداودي: 1/ 426- و لباب التأويل في معاني التنزيل- مقدمة المحقق.- و معجم البلدان لياقوت: 3/ 430- و معجم المؤرخين الدمشقيين: 147- و منادمة الأطلال و مسامرة الخيال لبدران /2- 21- و مناهل العرفان للزرقاني 1/ 537؛ وغيرها من المصادر التي ترجمت لأمثال المؤلف.

أعظمها انتشارا بين طلبة العلوم الشرعية في كثير من ديار الإسلام، وهو تفسير أثري ثري بالعلوم، جليل القدر، رصين العبارة، رمي بنعوت أساءت إليه كثيرا حتى كادت تصد الناس عن الرجوع إليه فضلا عن التعويل عليه (1)، مما ألزمني الدقة في البحث فيه والتقصي عنه، لحاجة البحث إلى إصدار حكم سليم أولا، ثم لإشباع نهمي العلمي ثانيا، إذ كيف يتعرض تفسير مثل هذا التفسير لآراء على طرفي نقيض، فاستعنت بالله في قراءة نماذج منه، بدأت بالمقدمة، ولم أكد أنتهي منها حتى اعترفت للرجل بكثير مما كنت أستبعده عنه، وأدركت أنني أمام رجل راسخ القدم في المنقول والمعقول، جيد الاطلاع والمعرفة، مكثر من الرواية تبعا لأصله البغوي والثعلبي، معنى بتقرير الأحكام وأدلتها، صاحب قلم سيال وأسلوب بياني رائع، أضاف إلى البغوي عناصر جديدة من المعارف المتصلة بتوضيح البحث. وأدخل عنصر النقد، فنقد تلك الروايات التي أوردها البغوي في تفسيره وتركها دون أن يبين ما عليها، فكّر الخازن على كثير منها وأسقطها بالحجة والدليل، وهو أمر يردّ بعض ما رمي به الخازن - رحمه الله - من بعض المتأخرين حين وصفوه بأن (ما فيه من دخيل القول والكذب على سول الله الكثير) (2).

وأن خير ما يقال فيه على زعم القيسي أنه مجموعة من الأكاذيب لو

ص: 493

1- انظر التفسير والمفسرون للذهبي: 311 / 1.

2- تاريخ التفسير للقيسي: 126.

جرد الإنسان ما فيه من الأكاذيب الموضوع على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم والأقاصيص الكاذبة التي وضعها اليهود كقصة بابل والغرائق وإرم ذات العماد وغيرها، لكانت فوق نصف الكتاب إلى أشياء أخر إن لم تضر لم تنفع (1).

فالخازن- رحمه الله- مع إقرارنا بأنه أورد- بل أكثر- من نقل الأخبار التاريخية و القصص الإسرائيلي غير أنه ليس بأول رائد أعجبتة خضرة الدمن، ورأى فيها حسن ما ليس بالحسن، فهو تبع لغيره، وهو أمر لم يسلم منه حتى ابن جرير وابن كثير ولا غيرهما من المفسرين.

و اذا كان وصفه بمجموعة من الأكاذيب هو خير ما يقال فيه فما هو شر ما يقال فيه يا ترى؟! ثم ما ذا يقال في تفاسير الباطنية التي عطلت مفاهيم اللغة و الشرع جميعا (2).

بل قد يمتاز الخازن عن غيره من المفسرين كما يقرر الزرقاني- رحمه الله- أنه يتبع القصة ببيان ما فيها من باطل حتى لا ينخدع بها غرّ ولا يفتن جاهل (3). وهو قول لا يسلم له بتمامه غير أنه إلى حد ما مطابق للواقع،

ص: 494

1- المصدر السابق: 126.

2- انظر ما كتبه الأستاذ محمد بهجت البيطار في مجلة المنهل السعودية- المجلد السابع- ربيع الثاني 1366 هـ بعنوان: أمهات كتب التفسير القديمة و الحديثة ما لها و ما عليها.

3- مناهل العرفان للزرقاني: 537/1.

فللخازن مواقف سليمة أمام كثير من الروايات كما ذكرت- قبل قليل- غير أنه يمر أحيانا على بعض تلك القصص دون أن يكرّ عليها، و لعل من الإنصاف أن نقول:

إن الذي جعل هذه التهمة تشاع حول تفسير الخازن ليشتد أوارها عند أمثال القيسي من المتأخرين هو نتيجة لأحد ثلاثة أمور، أو هي نتيجة لها جميعا وهي:

(1) أن التفسير قد حوى حقيقة بعض الإسرائيليات التي وقف الخازن منها موقف سلفيه البغوي و الثعلبي .. و يعلل له من بعض المعجبين أن السير مع الشرع في حكاية الإسرائيليات المسكوت عنه أولى، «بلغوا عني ولو آية، و حدثوا عن بني إسرائيل و لا حرج ...» (1).

ص: 495

1- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل. البخاري مع الفتح: 496/6. و يرى الشيخ أحمد محمد شاكر- رحمه الله- أن مثل هذه الإسرائيليات- و إن جاز أن يتحدث بها- فإنه لا يجوز أن تذكر في مقام التفسير للقرآن الكريم، يقول: إن إباحة التحدث عنهم فيما ليس عندنا دليل على صدقه لا كذبه- شيء، و ذكر ذلك في تفسير القرآن و جعله قولاً أو رواية في معنى الآيات أو في تعيين ما لم يعين فيها، أو في تفصيل ما أجمل فيها شيء آخر، لأن في إثبات مثل ذلك بجوار كلام الله ما يوهم أن هذا الذي لا نعرف صدقه و لا كذبه مبين لقول الله سبحانه، و مفصل لما أجمل فيه، و حاشا لله و لكتابه من ذلك .. و أن رسول الله صلى الله عليه و سلم- أذن بالتحدث عنهم- أمرنا أن لا نصدقهم و لا نكذبهم فأى تصديق لرواياتهم و أقاويلهم أقوى من أن نقرنها بكتاب الله، و نضعها منه موضع التفسير أو البيان، اللهم غفرا) رحم الله الشيخ المحقق، و أجزل له الأجر. انظر عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير: 15/1.

2) أن الأسلوب البياني لدى الخازن، و سيطرة قلمه، و جميل عبارته، إضافة إلى طريقتة في إيراد تلك الروايات، جعله و كأنه المتميز في هذا الجانب، مع أن واحدا من المشتغلين بتفسير الخازن- و هو الدكتور/ قاسم القثري- تتبع ما أورده الخازن من الإسرائيليات في سورتي الفاتحة و البقرة فلم يجده زاد رواية واحدة على إمام المفسرين ابن جرير الطبري (1).

أضف إلى هذا ما عند الخازن من التصوف، و القوم عادة يكثر من المواعظ و الرقائق في كتبهم أو يعرضونها بعبارة مشوقة و هو الثالث من الأسباب.

بقي أن أشير إلى أن لباب التأويل تفسير أثري يصنف مع مثيلاته من كتب المأثور، و أن حجة من صنفه ضمن تفاسير الرأي (2) ربما لاهتمام الخازن بتقرير الأحكام الفقهية.

و قد استهل الخازن تفسيره بمقدمة جاءت في أربع عشرة صفحة من

ص: 496

1- انظر لباب التأويل بتحقيق الأستاذ قاسم القثري: 32 / 1.

2- كما ذهب إليه الأستاذ محمد حسين الذهبي- رحمه الله- في التفسير و المفسرون: 310 / 1، و قد صنفه غيره مع مدرسة الأثر، انظر: محاضرات في علوم القرآن للأستاذ العتر: 151.

القطع المتوسط (1)، تضمنت ثمان موضوعات هي:

الأول: فضل القرآن و تلاوته و تعليمه.

الثاني: وعيد من قال في القرآن برأيه من غير علم.

الثالث: وعيد من أوفى القرآن فنسيه و لم يتعاهده.

الرابع: جمع القرآن.

الخامس: ترتيب القرآن.

السادس: نزول القرآن على سبعة أحرف.

السابع: الحد و المطلع.

الثامن: معنى التفسير و التأويل و الفرق بينهما.

أوردها تحت ثلاثة فصول رئيسة، أسبق تلك الفصول تقديمًا بين فيه منهجه و طريقته في التأليف.

وقارئ المقدمة بفصولها المتنوعة يجد أن الخازن قد انتخب في كل موضوع تناوله مجموعة من الآثار و الروايات ليؤكد أن الدواعي إلى معرفة هذه الموضوعات و العلوم قوية، و أن الحاجة إليها ماسة لمن أراد الغوص فيم.

ص: 497

1- من النسخة المعتمدة في البحث و هي طبعة مصطفى البابي الحلبي، ط 2 عام 1375 هـ 1955 م.

دراسة كتاب الله وفهمه على الوجه الصحيح.

هذا وقد اختصر الخازن فاصطلىح رموزا لمخرجي الروايات والآثار، فرمز للبخاري مثلا بحرف (خ) و لمسلم (م) ولما اتفقا عليه (ق)، و هكذا لبقية الأئمة. يذكر الرمز قبل الرواية والأثر، وقد يؤخره وفي هذه الحالة يصرح باسمه فيقول: أخرجه الترمذي؛ مثلا.

والخازن لا يقف من هذه الروايات موقف السارد، بل نراه يتدخل من حين لآخر كلما دعت الحاجة، فإن كان في أحد رجال السند مقال قاله، أو ضعف بينه ونقل حكم الأئمة عليه.

كما أنه يقف من الغوامض موقف المبين المفسر، يفسر الألفاظ الغامضة، ويبين غريب الحديث، ويشرح العبارة المستعصية ويوضحها، و لا تخلو مقدمته من فوائد انتقاها المصنف من أقوال أهل العلم، واستخلصها من ثنايا مصنفتهم.

وقد طبعت المقدمة مع التفسير عدة طبعات نذكر منها:

(1) طبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1375 هـ، تلتها طبعتان:

(2) طبعة المطبعة التجارية، مصر.

(3) طبعة دار الفكر، بيروت 1399 هـ و بهامشه تفسير البغوي.

(4) المطبعة العامرة، بتركيا، الطبعة الأولى. وغيرها.

ص: 498

5) طبع على الآلة الكاتبة، المقدمة و تفسير سورتي الفاتحة و البقرة، بتحقيق الدكتور قاسم القشدي، رسالة دكتوراه في كلية أصول الدين، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

ثالثاً: عرض موضوعات المقدمة:

إشارة

بعد أن أثنى المصنف على الله منزّل الكتاب بما هو أهله، و حمده على تواتر نعمائه، و صلى على نبيه الأكرم الذي أرسل بالدين الحق، و أكمل الله به بنیان النبوة حيث أنزل عليه الكتاب المعجز الذي عجز الخلاق عن معارضته مع يسر تلاوته.

ذكر بعدها أغراض القرآن الكريم، و حث على لزوم تعلمه للعمل به، و بين أن ذلك لا يمكن إلا بتعلم علوم القرآن و التفسير، و أشار إلى أن الله جلت قدرته قد قيض لكتابه رجالاً- موقنين، و بالحق ناطقين، و يسرهم للتصنيف في سائر علوم الدين و ذكر منهم صاحب معالم التنزيل الحسن بن مسعود البغوي، الذي أعجب المصنف بتفسيره فحدها هذا الإعجاب إلى اختصار تفسيره، و إظهار محاسنه، مع إضافة ما رآه حسناً من كتب التفسير الأخرى من الفوائد و الفرائد.

أتبع ذلك بيان منهجه و طريقته التي سار عليها مع تحليل المصطلحات التي كثر دورانها في متن الكتاب.

و لأنه قد يظن ظان أن عمل المصنف قد اقتصر على اختصار كتاب

سلفه ليس إلا، عمد رحمه الله إلى بيان جهده وعمله، والجديد الذي قدمه، وذلك حين ختم التقديم بذكر ما ينبغي أن لا يخلو منه أي كتاب سبق مصنفه في موضوعه، في إشارة منه إلى استبعاد ذلك الظن من ذهن القارئ، والتأكيد على أن لديه ما هو جديد، وأنه قد أعمل الفكر فاستنبط ما كان معضلاً، وجمع المتفرق، وشرح الغامض وأحسن التبويب، وأسقط الحشو والتطويل، وسأل الله التوفيق والقبول، ثم قبل أن يشرع في التفسير قدم المقدمات الثلاثة واعتبرها فصولاً، وهي:

الفصل الأول: في فضل القرآن و تلاوته و تعليمه:

هذا باب واسع، يذكر المصنفون تحته آثاراً وروايات كثيرة، بل يفرّدونه بالتأليف لأهميته، غير أن الخازن لم يكن من أولئك، وكأنه رأى أن المقام ليس مقام ذلك، فذكر روايات بعدد انتقاها من بين تلك الآثار الكثيرة، وهي روايات مشهورة صحيحة تناولت فضل القرآن وفضل حامله وتعلمه وتعليمه، وتلاوته وقراءته، مع بيان الغامض من الألفاظ، وشرح الغريب منها، وتحليل العبارات وبيان المعنى المراد منها، والتعقيب على ما احتاج منها إلى تعقيب.

الفصل الثاني: في وعيد من قال في القرآن برأيه من غير علم، و وعيد من أوفى القرآن فنسيه و لم يتعاهده:

الذي ذكره المصنف في هذا الفصل موضوعان مختلفان، يجمع بينهما الوعيد الوارد في حقهما وهو الأمر الذي ربما لأجله جمع المصنف بينهما في

حين نجد أن معظم من تناولهما قد فصل بينهما ولم يقرن، وقد نهج الخازن في عرضهما نهجه في الموضوع السابق، فاستهل الفصل بالمروى عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في تبوأ النار لمن قال في القرآن برأيه بغير علم، وأورد عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه إجماعه عن تفسير كلام الله برأيه، ثم ذكر اختلاف العلماء في المراد من النهي عن القول في القرآن بالرأي، فذكر أن النهي وارد في حق من يتأول القرآن على مراد نفسه، وما هو تابع لهواه، بعلم، كاحتجاج الباطنية والخوارج ببعض الآيات على تصحيح بدعتهم وهم يعلمون أن المراد غير ذلك أو بغير علم، كتفسير الآية بغير ما تحتمله من الوجوه. وهما قسمان مذمومان داخلان في النهي، والوعيد الوارد هو في حقهما.

أما التأويل على المعنى الذي ورد في دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عباس - رضي الله عنهما -: «اللهم فقّهه في الدين وعلمه التأويل»، فجائز.

بعد هذا انتقل المصنف إلى الحديث عن الشطر الآخر من عنوان الفصل وهو تعهد القرآن وعدم نسيانه، فأورد الآثار الواردة في الحث على تعهد كتاب الله وكثرة تلاوته وتكراره خشية نسيانه وتقلته، وفسر الألفاظ الغامضة، وشرح الغريب وبيّن الدلالة.

وختم الفصل بذكر بعض الآثار الواردة في موضوعات أخرى تتعلق بالقرآن الكريم ورد النهي عنها كما ورد النهي عن موضوعات الباب،

فأشار إلى عدم جواز السفر بالقرآن إلى ديار الكفر مخافة أن ينال بسوء، و النهي عن قراءة القرآن للكسب و كذا الجهر به.

الفصل الثالث: في جمع القرآن، و ترتيب النزول، و في كونه نزل على سبعة أحرف:

كما يظهر لنا من العنوان فقد أدرج الخازن تحت هذا الفصل ثلاثة موضوعات في غاية من الأهمية، أطال الحديث عنها نسيباً، وإن كانت تحتاج منه إلى وقفات أطول و أعمق عند تلك النصوص المشككة، و تحليل أدق للآثار الواردة التي كثرت الأقوال في جلّها و تباينت الاتجاهات بل بقيت إلى يومنا هذا لم نجد لأهل العلم اتفاقاً أو شبه اتفاق بخصوصها، و كلها تحتاج إلى القول الفصل.

بدأ المصنف بجمع القرآن فأورد الصحيح الثابت عن زيد بن ثابت رضي الله عنه في تكليف خليفة رسول الله صلى الله عليه و سلم بجمع القرآن من الرقاق و العسب و اللخاف و صدور الرجال، و الصحيح الثابت عن أنس رضي الله عنه في حث حذيفة بن اليمان عثمان بن عفان رضي الله عنه على جمع الناس على مصحف واحد خشية الاختلاف في الكتاب، و بذلك أثبت المصنف ما يقرر الجمع و يجوزّه.

بعدها شرع رحمه الله في شرح الغريب من ألفاظ الحديث، و ما يتعلق به من بيان المعاني، ليبين عقب ذلك أن القرآن كان على هذا التأليف و على هذا الجمع زمن النبي صلى الله عليه و سلم، و أنه لم يترك أمراً جمعه حينذاك إلا لأمر هام هو خشية الاختلاف و الاختلاط عند نسخ شيء من التلاوة، فإذا انقضى زمن

النسخ بدأ الجمع حيث وفق الله الخلفاء لذلك.

ثم إن سعي الصحابة كان لجمعه في موضع واحد لا لترتيبه، فالترتيب موقوف على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بتوقيف من جبريل عليه السلام عن رب العزة والجلال

وتعرض لذكر نزول القرآن من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا جملة، ثم إنزاله مفرداً على الرسول - صلى الله عليه وسلم - مدة الرسالة عند الحاجة، كما ذكر أن ترتيب النزول غير ترتيب المصحف والتلاوة.

ولكون ترتيب التلاوة بين أيدينا اقتصر رحمه الله على ذكر السور مرتبة حسب ترتيب النزول، المكي منها والمدني، مع الإشارة إلى ما اختلف فيه، هل هو مكي أم مدني، وأحال القارئ إلى تفصيل ذلك في مواضعها من الكتاب.

وهكذا أتم الخازن الحديث عن موضوعين من الموضوعات الثلاثة التي عنون لها الفصل.

ولأهمية الموضوع الثالث وهو الذي أشرت إلى اختلاف العلماء فيه إلى حد كبير، موضوع الأحرف السبعة ونزول القرآن على سبعة أوجه، حيث وصلت الأقوال فيه إلى أكثر من خمسة وثلاثين قولاً، فقد خص المصنف هذا الموضوع بحديث مستقل فقال:

فصل في كون القرآن نزل على سبعة أحرف وما قيل في ذلك. وبدأ

الحديث بذكر ما اتفق عليه الشيخان من قصة عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- مع هشام بن حكيم، و اختلافهما في قراءة سورة الفرقان، و ما ترتب على ذلك من الاحتكام إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم وإقراره لقراءتهما.

و بعد أن شرح الألفاظ الغامضة من متن الرواية بين ما دلت عليه الواقعة من حرص الصحابة على حفظ كتاب الله، و الاعتناء به، و الذب عنه، و ذكر اختلاف العلماء في الأحرف، و هل هي للحصر أم للتوسعة و التسهيل؟ و ارتضى الرأي الأول و رجحه ثم بين أن الاختلاف واقع أيضا في تحديد الأوجه السبعة، و ذكر الأوجه منها في رأيه و هو سبع قراءات، دون أن يبين للقارئ أدلة معتبرة تؤيد ترجيحه، و قد كان ينبغي له بيان ذلك، خاصة إذا علمنا أن ما رجحه هو رأي مرجوح عند كثير من أهل العلم، حتى نقل عن بعضهم قوله: (هو جهل قبيح) (1). فكان ينبغي على من تبنى مثل هذا الرأي أن يقدم أدلة معتبرة يعضد بها رأيه، و يرد على المخالفين و يفند حججهم. كما كان عليه أن يرد الأقوال الأخرى التي يراها الآخرون راجحة بأدلة دامغة، و بذلك يكون قد انتصر لاختياره، و هو ما لم يفعله عفا الله عنه، خلا ردود ضعيفة لا ترقى إلى مستوى أدلة المخالفين، ناهيك عن إبطالها.

و قبل أن يختم الفصل ذكر المزيد من الأدلة على نزول القرآن على

ص: 504

1- نقل السيوطي في الإتيان عن الشرف المزيقي قوله: ظن كثير من العوام أن المراد بها القراءات السبعة، و هو جهل قبيح، الإتيان للسيوطي: 51/1.

سبعة أحرف، وكعادته شرح الغريب، ثم أوضح معنى الحد والمطلع، والظاهر والباطن الواردة في بعض الآثار، وكان الختام بيان معنى التفسير والتأويل، وهو الموضوع الذي درج عليه أغلب المفسرين إذ لا تكاد تجد تفسيراً إلا وبحث هذا الموضوع. ذكر معنى التفسير في اللغة وكذا معنى التأويل، والفرق بينهما ليقرر أن التفسير هو ما توقف على النقل المسموع، والتأويل ما توقف على الفهم الصحيح (1). والله أعلم.

رابعاً: منهج الخازن في مقدمته:

عرض الخازن في مقدمته منهجه وطريقته في تفسيره بعبارة سهلة موجزة، كفى القارئ مؤنة البحث، وحدد معالم منهجه حين ذكر أنه لم يجعل لنفسه تصرفاً في الإضافة إلى الأصل - وهو كتاب البغوي - سوى النقل والانتخاب، مجتنباً حد التطويل والإسهاب، مجتهداً في تصحيح الآثار التي أخرجها من الكتب المعتمدة، مع حذف الأسانيد خشية الإطالة، واستبدال شرح غريب الحديث بها، بعبارة بليغة موجزة ... مع الترتيب والتسهيل والتقريب.

هذا بالنسبة إلى تفسيره، ولكون المقدمة من التفسير لا شك أن المنهج فيها تبع للأصل، وأول ما يبدو لنا من منهجه في المقدمة، الفصول الثلاثة التي قدمها بين يدي تفسيره، وهي موضوعات تطرق البغوي إلى أصولها،

ص: 505

1- حول التفسير والتأويل يراجع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: 35/5.

و تحدث عنها حديثا عابرا، غير أن الخازن وضع الرحل عندها، فأجاد في العرض كما أجاد في السبر و التقسيم، وإن كان من حق هذه الموضوعات أن تفصل أكثر من تفصيله.

فما فصله البغوي أدمجه الخازن و ضم بعضه إلى بعض، و رآه موضوعا واحدا، حيث أفرد البغوي فضائل القرآن و تعليمه بفصل مستقل، و فضائل تلاوة قراءة القرآن، بفصل آخر. رآهما الخازن موضوعا واحدا عرضهما و عنون لهما ب (فضل القرآن و تلاوته و تعليمه).

و ما أدمجه البغوي من الموضوعات رأى الخازن أن من حقها أن تفصل، ففصل بينها، و أفرد كل موضوع بعنوان مستقل، فقد ذكر البغوي فصلا (في وعيد من قال في القرآن برأيه من غير علم)، و أدرج تحت هذه التسمية معى التفسير و التأويل، و موضوع نزول القرآن على سبعة أحرف، و موضوع الحد و المطلع، و موضوع الظهر و البطن، إضافة إلى ما دل عليه عنوان الفصل، و هو الوعيد الوارد في حق من يقول في القرآن برأيه.

لم يفصل البغوي القول في تلك الموضوعات، بل عرج عليها مرورا و لم يقف عندها وقفة تأمل، و كان من حقها هي الأخرى أن تفصل، و هو ما عمد الخازن - رحمه الله - إلى عمله، فأضاف ما رآه مناسبا للمقام متوخيا الاختصار و الدقة، فذكر فصلان:

الأول: في وعيد من قال في القرآن برأيه من غير علم، و وعيد من أوفى القرآن فنسيه و لم يتعاهده.

الثاني: في جمع القرآن و ترتيب النزول و في كونه نزل على سبعة أحرف:

و مع اعترافنا أن الخازن قد جمع في هذين الفصلين بين موضوعات كان من حقها الفصل و عرضها منفصلا، إلا أنه كان أكثر توفيقا من البغوي، و أجود عرضا، و أكثر عمقا، و أفضل ترتيبا، لقد أضاف رحمه الله إضافات كان من حقها الإضافة لأهميتها، كالحديث عن جمع القرآن و ترتيب النزول.

و هكذا يلاحظ القارئ أن الخازن رحمه الله رأى أنه لا بد من إدخال عناصر جديدة لمقدمة سلفه ليكتمل العقد الذي أراد، فأدخل جملة من الفوائد التي لا يعدم الفطن الوقوف عليها، و على خدمتها للنص و الموضوع.

و طريقة الخازن في الفصول الثلاثة من المقدمة مطردة لم تختل، يبدأ بذكر جملة من الآثار الواردة في موضوع الباب رامزا إلى مخرج كل رواية في أوله، و قليلا ما يؤخره فيصرح به عند الانتهاء من ذكرها (1)، ثم الصحابي الذي رواه، متبعا ذلك ذكر زيادات في روايات أخرى تخدم الفكرة التي هو بصدد بيانها (2)، و التزاما منه بمنهجه الذي تعهده، فإنه لا يتوانى عن شرح

ص: 507

1- ينظر مثال تأخير مخرج الرواية: 6/1.

2- مثاله الفصل الثالث من المقدمة: 8/1- و الفصل الأول: 4/1.

غريب الحديث و الألفاظ المبهمة و الغامضة مع بيان معانيها و دلالتها في الغالب، يقول بعد ذكر الرواية: (قوله). ثم يذكر الكلمة أو الجملة التي يريد بيانها و توضيحها (1) و قليلا ما يصرح فيقول: شرح غريب ألفاظ الحديث و ما يتعلق به (2).

فإن كان بين العلماء خلاف في دلالة لفظة أو توجيه شيء من متن الأثر، فإن الخازن - رحمه الله - يذكر الخلاف، و يبين موقفه منه (3). كما أنه ينقل حكم الأئمة على بعض الروايات مع التعقيب على سندها إن كان في أحد رجالها مقال (4).

بقي أن أشير إلى أن المصنف - رحمه الله - يقدم لقارئه عند إيراد الأحاديث و الآثار ما تسمح به قريحته من الفوائد التي يستتبطها من تلك الآثار المستشهد بها (5).

كما أنه يذكر مصدره الذي استقى منه المعلومة (6)، و قد يكتفي بقوله:

ص: 508

1- ينظر في ذلك أغلب أبواب المقدمة.

2- ينظر المقدمة: 8/1.

3- ينظر مثاله، المقدمة: 12/1 و ما بعده.

4- ينظر مثاله المقدمة: 5/1-6.

5- ينظر مثاله المقدمة: 12/1.

6- ينظر مثاله المقدمة: 12/1.

خامسا: بيان مدى التزام المصنف في تفسيره بما ذكره في مقدمته:

سبق القول بأن الخازن قد وضع أسس منهجه، و ما ألزم به نفسه في مقدمته، و يتخلص ذلك في النقاط التالية:

(1) أنه حوى خلاصة منقول البغوي و نكته و أصوله. و هو أمر التزمه المصنف، فهو يورد ما للبغوي ثم إن رأى أن يضيف شيئا أضاف، و لم أقف على آية و للبغوي فيه كلام إلا و قد نقله الخازن سواء بنصه أو بمعناه (2).

(2) إضافة فوائد و فرائد نقلها الخازن و لخصها من كتب أخرى. و التزم ذلك المصنف كثيرا (3).

(3) اجتناب التطويل و الإسهاب و هذا الأمر لم يلتزمه الخازن، فهو و إن حاول الاختصار في الغالب (4)، إلا أنه وقع في الإطالة، و أسهب في القول في مواضع عديدة (5).

ص: 509

1- ينظر مثاله المقدمة: 6/1-12.

2- انظر أمثلة ذلك: 1/245-324-380 و غير ذلك من المواضع الكثيرة في تفسيره.

3- انظر أمثلة ذلك: 1/284-485-622.

4- انظر أمثلة الاختصار: 1/195-367-353-392.

5- انظر أمثلة ذلك: 1/395-398-402-403-589.

4) حذف أسانيد الأحاديث والآثار التي استشهد بها البغوي وعزوها إلى مخرجيها، وبيان اسم ناقلها، والتعويض عن حذف الأسانيد بشرح غريب الحديث. وقد التزم المصنف هذه الشروط، فحذف الأسانيد واكتفى بذكر الراوي والإشارة إلى من خرج الرواية (1)، كما شرح الغريب (2).

5) حسن الترتيب، مع التسهيل والتقريب. وهذا الأمر أيضا ملاحظ في تفسير الخازن، فترتيبه أفضل من ترتيب البغوي في كثير من المواطن (3).

سادسا: مصادر المؤلف في مقدمته:

إشارة

المصادر التي صرح الخازن بها في مقدمته، وعزا ما نقله إليها هي مصادره في السنة والأثر، وهي تلك المصادر التي ذكر بعضها منها في تقديمه حين عرض منهجه، عدا ذلك من المصادر لم يذكرها المصنف في المقدمة اللهم باستثناء مصدر لغوي واحد هو الخصائص لابن جني (4).

والذي يستعرض المقدمة يجد أن المصنف لم يترك أثرا أورده إلا وعزاه

ص: 510

1- انظر أمثلة ذلك: 1/ 173-266-291-338-485-525.

2- انظر أمثلة ذلك: 1/ 229-522.

3- انظر أمثلة ذلك: 1/ 479-533-539-567.

4- ينظر مثاله في المقدمة: 9/1.

إلى مخرجه، معللا ذلك بقوله: ليهون على الطالب طلبه (1).

هذا بالنسبة للروايات أما النقول الأخرى كشرح غريب الحديث، وبيان المعاني والاختلافات في توجيه بعض الروايات فإن المصنف قلما يذكر مصدره.

و من أهم مصادر الخازن في مقدمته:

(1) صحيح البخاري و مسلم، ينقل عنهما مفردا كما يجمعهما رامزا لهما ب (ق) رمز الاتفاق على رواية الأثر، و هو كثير (2).

(2) سنن الترمذي، وقد أكثر المصنف النقل عنه (3) كما اعتمد حكمه على الروايات، وقد يقرن الترمذي بأبي داود (4).

(3) سنن أبي داود (5).

و من مصادر البغوي فيما يرويه بسنده (6)، وابن عبد البر (7)، وأبي عبيد (8)، والقاضي

ص: 511

1- ينظر المقدمة: 3/1.

2- ينظر أمثله في المقدمة: 1/4-5-6-7-8-9-11-13.

3- ينظر أمثله في المقدمة: 1/4-5-7.

4- ينظر أمثله في المقدمة: 1/6-7.

5- ينظر أمثله في المقدمة: 1/6-7.

6- انظر المقدمة: 1/13.

7- انظر المقدمة: 1/9.

8- انظر المقدمة: 1/1-12.

سابعاً: أهم مزايا مقدمة الخازن:

- 1- التزام المصنف بالمنهج الذي ذكره إلى درجة كبيرة.
- 2- حسن السبر و التقسيم للأنواع، و المسائل التي تعرض لها.
- 3- عزو الآثار إلى مخرجها، و بيان حكم الأئمة عليها.
- 4- الاختصار في ذكر الأدلة، و الاختصار على الصحيح الثابت منها في الغالب.
- 5- التفصيل في المسائل التي أجملها البغوي و هي مهمة كالأحرف السبعة.

ثامناً: أظهر المآخذ:

- 1- إدراج المصنف بعض الموضوعات في الفصل الثاني، و العنوان لا يشملها، كحديثه عن الكسب بالقرآن أو السفر به إلى بلاد الكفر.
- 2- رغم أن المصنف قد فصل في بعض الموضوعات إلا أنها جاءت

ص: 512

1- لعله من كتابه: الإكمال بشرح مسلم، فالمصنف نقل قول القاضي في بيان معنى حديث رواه مسلم «ضرب في صدري ففضت عرقاً» انظر المقدمة: 13 / 1.

دون تحقيق المراد، كالأحرف السبعة، لقد كان من حق هذا الموضوع المشكل أن يعالج معالجة موضوعية جادة، ما دام المصنف لم يرتض حديث سلفه ورأى أنه قد قصر في هذا الجانب، فكان المأمول منه الإلمام و الشمول في المعالجة، وهو ما لم نجده.

3- عدم ذكر كثير من الموضوعات الهامة والتي تذكر عادة في المقدمات كتلك التي تخدم المفسر والقارئ.

هذا ما عرفته عن مقدمة الخازن و دونه، أرجو الله أن أكون مصيبا في القول، وأسأله المغفرة من الخطأ.

ص: 513

أهمية مقدمات التفاسير 16

التمهيد: 19

أ- تعريف المقدمة: 19

ب- نشأة مقدمات التفاسير 22

الباب الأول علوم القرآن دراسة تاريخية 25

الفصل الأول تعريف عام بعلوم القرآن ونشأته 26

المبحث الأول: علوم القرآن بالمعنى اللغوي 27

المبحث الثاني: علوم القرآن بالمعنى الاصطلاحي 43

دخول علم التفسير في الاصطلاح 49

الفرق بين علوم القرآن وأصول التفسير 52

المبحث الثالث نشأة علوم القرآن 56

تقديم 56

أ- الكتابة في الجزيرة العربية قبل البعثة 57

ب- الكتابة في الإسلام 61

ج- ما الذي كتبه الصحابة 77

(1) الوحي 77

(2) حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم 78

(3) تفسير القرآن الكريم وما يتعلق به: 89

(4) الرسائل والعقود والوثائق: 90

الكتابة والتدوين والتصنيف: 111

ظهور مصطلح علوم القرآن: 116

الفرق بين استعمال المتقدمين و استعمال المتأخرين: 127

ص: 517

أول من صنف في علوم القرآن: 132

أولاً: أولى المصنفات الموضوعية: 132

1- الناسخ و المنسوخ: 133

2- المصاحف و القراءات القرآنية و عد الآي: 135

3- إعراب القرآن: 139

4- غريب القرآن: 140

5- مجاز القرآن: 142

6- نزول القرآن: 143

7- معاني القرآن: 143

8- المحكم و المتشابه: 144

ثانياً: أولى التفاسير التي لها مقدمات: 144

ثالثاً: أولى الموسوعات في علوم القرآن: 146

الفصل الثاني: التأليف في علوم القرآن 165

تمهيد 167

المرحلة الأولى: من القرن الأول إلى نهاية القرن الرابع الهجري: 168

أولاً: المصنفات الموضوعية: 170

أ- علم التفسير: 170

ب- علم معاني القرآن: 173

ج- علم إعراب القرآن: 175

د- علم غريب القرآن: 177

ه- علم الناسخ و المنسوخ: 180

و- علم المحكم و المتشابه: 187

ص: 518

ز- علم فضائل القرآن و القراءات القرآنية وعد الآي: 188

ثانيا: المؤلفات الموسوعية: 196

ثالثا: مقدمات التفاسير: 196

المرحلة الثانية: من نهاية القرن الرابع إلى بداية القرن العاشر: 197 علوم القرآن من خلال مقدمات التفاسير ج 1 519 المحتويات
ص : 515

لا: المؤلفات الموسوعية: 199

ثانيا: مقدمات التفاسير: 203

ثالثا: المؤلفات الموضوعية: 205

أ- أسباب النزول: 205

ب- إعجاز القرآن: 206

ج- إعراب القرآن: 209

د- أمثال القرآن: 213

ه- غريب القرآن: 214

و- القراءات القرآنية: 215

ز- مبهمات القرآن: 217

ح- المحكم والمتشابه: 218

ط- مناسبات القرآن: 222

ي- الناسخ والمنسوخ: 223

ك- الوجوه والأشباه والنظائر: 228

المرحلة الثالثة: من بداية القرن العاشر إلى العصر الحديث: 230

أولا: المؤلفات الموسوعية 237

ثانيا: المؤلفات الموضوعية 241

الباب الثاني: مقدمات التفاسير 255

ص: 519

1- تفسير القرآن العزيز لعبد الرزاق الصنعاني 257

أولاً: التعريف بالمؤلف 252

شيوخه و تلاميذه 253

مؤلفاته 254

وفاته 255

ثانياً: التعريف بالتفسير و المقدمة 255

ثالثاً: عرض موضوعات المقدمة 258

رابعاً: منهج عبد الرزاق في مقدمته 259

2- جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري 265

أولاً: التعريف بالمؤلف 260

تهمة و تحقيق 264

شيوخه و تلاميذه 266

مصنفاته 267

وفاته 269

ثانياً: التعريف بالتفسير و المقدمة 271

ثالثاً: عرض موضوعات المقدمة 277

1- القول في البيان عن اتفاق معاني آي القرآن، و معاني منطق من نزل بلسانه القرآن من وجه البيان 278

2- القول في البيان عن الأحرف التي اتفقت فيها ألفاظ العرب و ألفاظ غيرها من بعض أجناس الأمم 279

3- القول في اللغة التي نزل بها القرآن من لغات العرب 280

ص: 520

4- معنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم أنزل القرآن من «سبعة أبواب الجنة و ذكر الأخبار الواردة في ذلك 283

5- القول في الوجوه التي من قبلها يوصل إلى معرفة تأويل القرآن 285

6- ذكر بعض الأخبار التي رويت بالنهي عن القول في تأويل القرآن بالرأي 286

7- ذكر الأخبار التي رويت في الحض على العلم بتفسير القرآن و من كان يفسره من الصحابة 286

8- ذكر الأخبار التي غلط في تأويلها منكر و القول في القرآن 288

9- ذكر الأخبار عن بعض السلف فيمن كان من قدماء المفسرين محمودا علمه بالتفسير، و من كان منهم مذموما علمه به: 288

10- القول في تأويل أسماء القرآن و سوره و آية: 290

رابعاً: منهج ابن جرير في مقدمته: 290

خامساً: مصادر المؤلف: 295

سادساً: أهم مزايا مقدمة ابن جرير: 295

سابعاً: أظهر المآخذ على المقدمة: 296

3- تفسير القرآن العظيم لأبي الليث السمرقندي 297

أولاً: التعريف بالمؤلف: 297

وفاته: 301

شيوخه و تلاميذه 303

ثانياً: التعريف بالتفسير و المقدمة: 301

ثالثاً: عرض موضوعات المقدمة: 305

4- النكت و العيون في تأويل القرآن الكريم لابن حبيب المارودي 307

ص: 521

أولاً: التعريف بالمؤلف: 307

شيوخه و تلاميذه: 311

مؤلفاته: 313

وفاته: 313

ثانياً: التعريف بالتفسير و المقدمة: 314

ثالثاً: عرض موضوعات المقدمة: 319

رابعاً: منهج الماوردي في مقدمته: 325

خامساً: مدى التزام المصنف في تفسيره بما ذكره في مقدمته: 327

سادساً: مصادر الماوردي في مقدمته: 328

سابعاً: أهم مزايا مقدمة الماوردي: 329

ثامناً: أهم المآخذ على المقدمة: 330

5- الوسيط في تفسير القرآن المجيد لأبي الحسن الواحدي 331

أولاً: التعريف بالمؤلف: 331

شيوخه 331

تلاميذه 331

ثانياً: التعريف بالتفسير و المقدمة: 336

ثالثاً: عرض موضوعات المقدمة: 337

رابعاً: منهج الواحدي في تفسيره: 339

خامساً: بيان مدى التزام المصنف في تفسيره بما ذكره في مقدمته: 339

سادساً: مصادره: 339

سابعاً: أهم الميزات و أظهر المآخذ: 340

أولاً: التعريف بالمؤلف: 341

عقيدته: 343

شيوخه و تلاميذه: 345

مؤلفاته: 346

وفاته: 347

ثانياً: التعريف بالتفسير و المقدمة: 348

ثالثاً: عرض موضوعات المقدمة: 353

الفصل الأول: فصل في فضائل القرآن و تعليمه: 354

الفصل الثاني: فصل في فضائل تلاوة القرآن: 354

الفصل الثالث: فصل في وعيد من قال في القرآن برأيه من غير علم: 355

رابعاً: منهج البغوي في مقدمته: 355

خامساً: بيان مدى التزام البغوي في تفسيره بما ذكره في مقدمته: 356

سادساً: مصادر البغوي في مقدمته: 3583

سابعاً: مزايا المقدمة و المآخذ عليها: 358

7- المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز لابن عطية الأندلسي 360

أولاً: التعريف بالمؤلف: 360

مكانته العلمية: 363

شيوخه و تلاميذه: 365

مؤلفاته: 367

وفاته: 368

ثانياً: التعريف بالتفسير و المقدمة: 369

ثالثاً: عرض موضوعات المقدمة: 377

ص: 523

الباب الأول: ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة ونبهاء العلماء رضي الله عنهم في فضل القرآن المجيد وصوره
الاعتصام به 378

الباب الثاني: في فضل تفسير القرآن، والكلام على لغته، والنظر في إعرابه ودقائق معانيه 378

الباب الثالث: ما قيل في الكلام في تفسير القرآن، والجرأة عليه، ومراتب المفسرين 378

الباب الرابع: معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم: «القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقراءوا ما تيسر منه» 380

الباب الخامس: ذكر جمع القرآن، وشكله، ونقطه، وتحزيبه، وتشييره 382

الباب السادس: في ذكر الألفاظ التي في كتاب الله وللغات العجم بها تعلق 383

الباب السابع: نبذة مما قال العلماء في إعجاز القرآن 384

الباب الثامن: في الألفاظ التي يقتضي الإيجاز استعمالها في تفسير كتاب الله تعالى 386

الباب التاسع: في تفسير أسماء القرآن، وذكر السورة والآية 386

رابعاً: منهج ابن عطية في مقدمته: 387

خامساً: بيان مدى التزام المصنف في تفسيره بما ذكره في مقدمته: 389

سادساً: مصادر المؤلف في مقدمته: 390

سابعاً: أهم مزايا المقدمة: 485

ثامناً: أظهر المآخذ على المقدمة: 386

8- زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي 387

أولاً: التعريف بالمؤلف: 387

ص: 524

مؤلفاته: 313

وفاته: 313

ثانيا: التعريف بالتفسير و المقدمة: 314

ثالثا: عرض موضوعات المقدمة: 319

رابعا: منهج ابن الجوزي في مقدمته: 404

خامسا: بيان مدى التزام المصنف في تفسيره بما ذكره في مقدمته: 404

سادسا: مصادره في المقدمة: 405

سابعا: أهم المميزات و أظهر المآخذ: 406

9- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 408

أولا: التعريف بالمؤلف: 408

شيوخه و تلاميذه: 409

تصانيفه و مؤلفاته: 412

و من مؤلفاته: 412

وفاته: 413

ثانيا: التعريف بالتفسير و المقدمة: 414

ثالثا: عرض موضوعات المقدمة: 418

باب: ذكر جمل من فضائل القرآن، و الترغيب فيه، و فضل طالبه، و قارئه و مستمعه و العامل به: 418

باب: كيفية التلاوة لكتاب الله تعالى، و ما يكره منها و ما يحرم، و اختلاف الناس في ذلك: 419

باب: تحذير أهل القرآن من الرياء و غيره: 423

باب: ما ينبغي لصاحب القرآن أن يأخذ نفسه به، ولا يغفل عنه: 424

باب: ما جاء في إعراب القرآن وتعليمه والحث عليه، وثواب من قرأ القرآن معرباً: 425

باب: ما جاء في فضل تفسير القرآن وأهله: 426

باب: ما جاء في حامل القرآن، ومن هو، وفيمن عاداه: 426

باب: ما يلزم قارئ القرآن وحامله من تعظيم القرآن وحرمة: 427

باب: ما جاء من الوعيد في تفسير القرآن بالرأي، والجرأة على ذلك، ومراتب المفسرين: 428

باب: تبيين الكتاب بالسنة، وما جاء فيه: 430

باب: بيان كيفية التعلم والفقهاء لكتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وما جاء أنه سهل على من تقدم العمل به دون حفظه:

432

باب: معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم: «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرأوا ما تيسر منه»: 432

باب: ذكر جمع القرآن، وسبب كتب عثمان المصاحف وإحراقه ما سواها، وذكر من حفظ القرآن من الصحابة رضي الله عنهم في زمن

النبي صلى الله عليه وسلم: 434

باب: ما جاء في ترتيب سور القرآن، وآياته، وشكله، ونقطه، وتحزيبه، وتعشيره، وعدد حروفه، وأجزائه، وكلماته، وآية: 437

باب: ذكر معنى السورة، والآية، والكلمة، والحرف: 438

باب: هل ورد في القرآن كلمة خارجة عن لغات العرب أو لا؟ 438

باب: ذكر نكت من إعجاز القرآن، وشرائط المعجزة وحقيقتها: 439

ص: 526

باب: التنبيه على أحاديث وضعت في فضل سور القرآن وغيره: 441

باب: ما جاء من الحجّة في الرد على من طعن في القرآن، و خالف مصحف عثمان بالزيادة و النقصان: 442

رابعاً: منهج القرطبي في مقدمته: 445

خامساً: بيان مدى التزام المصنف في تفسيره بما ذكره في مقدمته: 450

سادساً: مصادر المؤلف في مقدمته: 452

سابعاً: أهم مزايا مقدمة القرطبي: 456

ثامناً: أظهر المآخذ: 486

10- تسهيل السبيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلبي 465

أولاً: التعريف بالمؤلف: 488

مكانته العلمية: 363

شيوخه و تلامذته: 396

مؤلفاته: 398

و من مؤلفات المصنف: 463

وفاته: 464

ثانياً: التعريف بالتفسير و المقدمة: 465

ثالثاً: عرض موضوعات المقدمة: 469

المقدمة الأولى: 470

الباب الأول: نزول القرآن على رسول الله صلى الله عليه و سلم: 470

الباب الثاني: في السورة المكية و المدنية: 471

الباب الثالث: في المعاني و العلوم التي تضمنت القرآن: 472

الباب الرابع: في فنون العلم التي تتعلق بالقرآن: 473

الباب الخامس: في أسباب الخلاف بين المفسرين، و الوجوه التي يرجح بها أقوالهم 486

الباب السادس: في ذكر المفسرين 476

الباب السابع: في النسخ و المنسوخ: 477

الباب الثامن: في جوامع القراءة: 477

الباب التاسع: في الوقف: 477

الباب العاشر: في الفصاحة و البلاغة و أدوات البيان: 478

الباب الحادي عشر: في إعجاز القرآن و إقامة الدليل على أنه من عند الله عز و جل: 487

الباب الثاني عشر: في فضل القرآن: 488

المقدمة الثانية: في تفسير معاني اللغات 488

رابعاً: منهج ابن جزري في مقدمته: 489

خامساً: بيان مدى التزام المصنف في تفسيره بما ذكره في مقدمته: 490

سادساً: مصادر المصنف في مقدمته: 484

سابعاً: أهم مزايا المقدمة: 485

ثامناً: أظهر المآخذ: 486

11- لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن 488

أولاً: التعريف بالمؤلف: 488

شيوخه و تلاميذه: 489

مؤلفاته: 491

وفاته: 492

ثانياً: التعريف بالتفسير و المقدمة: 492

ص: 528

ثالثا: عرض موضوعات المقدمة: 499

الفصل الأول: في فضل القرآن و تلاوته و تعليمه: 500

الفصل الثاني: في وعيد من قال في القرآن برأيه من غير علم، و وعيد من أوفى القرآن فنسيه و لم يتعاهده: 500

الفصل الثالث: في جمع القرآن، و ترتيب النزول، و في كونه نزل على سبعة أحرف: 502

رابعا: منهج الخازن في مقدمته: 505

خامسا: بيان مدى التزام المصنف في تفسيره بما ذكره في مقدمته: 509

سادسا: مصادر المؤلف في مقدمته: 510

سابعا: أهم مزايا مقدمة الخازن: 512

ثامنا: أظهر المآخذ: 512

ص: 529

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم
جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ
(التوبة : 41)

منذ عدة سنوات حتى الآن ، يقوم مركز القائمة لأبحاث الكمبيوتر بإنتاج برامج الهاتف المحمول والمكتبات الرقمية وتقديمها مجاناً. يحظى هذا المركز بشعبية كبيرة ويدعمه الهدايا والندور والأوقاف وتخصيص النصيب المبارك للإمام عليه السلام. لمزيد من الخدمة ، يمكنك أيضاً الانضمام إلى الأشخاص الخيريين في المركز أينما كنت.

هل تعلم أن ليس كل مال يستحق أن ينفق على طريق أهل البيت عليهم السلام؟
ولن ينال كل شخص هذا النجاح؟
تهانينا لكم.

رقم البطاقة :

6104-3388-0008-7732

رقم حساب بنك ميلا:

9586839652

رقم حساب شيبا:

IR390120020000009586839652

المسمى: (معهد الغيمية لبحوث الحاسوب).

قم بإيداع مبالغ الهدية الخاصة بك.

عنوان المكتب المركزي :

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 021 - 88318722

قسم البيع 09132000109 شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز
الغمامة
اصبحان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

